الشَّيخُ العلَّامة

عبد الرزاق عفيفي

حياته العلميّة، وجهوده الدَّعويَّة، وآثاره الحميدة

تأليف

محمّد بن أحمد سيّد أحمد

المدرّس بدار الحديث الخيرية بمكّة المكرّمة

تقديم وتقريظ

جماعة من كبار العلماء

بالمملكة العربيّة السّعوديّة

المكتب الإسلامي

ح مكتبة السوادي، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد: محمد بن أحمد سيد

الشيخ العلامة عبدالرزاق عفيفي: حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة. - الرياض.

٨٤٨ص: ١٧×٢٤سم

ردمك ١ - ٨ - ٩٠٧٤ - ٩٩٦٠

١ - عفيفي، عبدالرزاق، ت ١٤١٥هـ ٢ - العلماء المسلمون - تراجم

أ - العنوان

ديوي ٢١٠،٢٧ ١٨/١١٥٧

رقم الإيداع: ١٨/١١٥٧

ردمك: ١ - ٨ - ٩٠٧٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٨-١٤١٩هـ

يطلب من مكتبة السوادي بجدة ومؤسسة الجريسي بالرياض والمكتب الإسلامي ببيروت

اهداءات ١٩٩٨

ا/ محمود عبد الرازق عفيفي

رجل أعمال

الشيخ العلامة

عبد الرزاق عفيفي

حياته العلمية، وجهوده الدعوية، وآثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

تقديم وتقريظ

جماعة من كبار العلماء

بالمملكة العربية السعودية

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

«تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا
فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»

القصص آية ٨٣



بسم الله الرحمن الرحيم

أعرف عن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ التواضع والعلم الجم والسيرة الحميدة والعقيدة الطيبة والحرص العظيم على أداء عمله على خير وجه. وأنه من خيرة العلماء عقيدةً وعلماً ودعوة وتعليماً مضى عليه في ذلك ما يقارب خمسين عاماً، ضاعف الله مثوبته، ورفع درجته وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف وأصلح عقبه.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

كانَ الشيخ عبد الرزّاق عفيفي - رحمهُ الله - ذا عَقلٍ رَاجِحٍ وَبُعدِ نَظر وَكثرةِ صَمْت إلاّ إذا كانَ الكَلام خيراً مَع مَاحباه الله بهِ مِنَ العِلم الراسِخ وَحُسْنِ التَعليم وَقِلّة الحَشو في كلامِه ، وَكانَ رأيه محَل التوفِيق وَالسّدَاد ، أسأل الله تَعالى لهُ المثوبَة وَالرضوَان وَأن يجمَعنا بهِ وَإخوانَنا المؤمِنينَ في أعالي الجنَان . إنه تعَالى هُوَالوهّابُ المنّان .

محمّد بن صالح العثيمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رَحِمَهُ الله - من أفاضِل العُلَمَاء وَمِنَ القلائِل الذينَ نرى مِنهُم سِمَةَ أهل العِلم وأدبهم ولُطفهم وأناتهم وفقههم.
التَقيتُهُ غير مرّةٍ في مَواسِم الحجّ، وَكنت أستَمِعُ إلى إجَاباتِهِ العِلميَّةِ على استِفتَاءَاتِ الحُجّاج فكانت إجَاباتٍ مُحكَمَة تدلّ على فِقهٍ وَاتباعٍ ظَاهِرٍ لِمنهَجِ السّلَفِ رَحِمَهُ الله[1].

محمّد ناصِر الدّين الألباني

---

(1) نقلاً عن مجلة الأصالة - العددان الثالث عشر والرابع عشر وتاريخ ١٤١٥/٧/١٥ هـ.

شُكر وَاجِب

أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه، وعظيم فضله وتتابع إحسانه، وأشكره سبحانه على ما تفضَّل به عليَّ من نِعَمه الوافرة، فهو سبحانه مسدي كلَّ نعمة، ومُيسِّر كلَّ مهمة.

وعملاً بقول النبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصحاب الفضيلة العلماء ومشايخنا الكرام، والشكر واجبٌ أولاً للأخوين الكريمين الأستاذ محمد نبيل بن عبد الرزاق عفيفي والأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي على جميل مساعدتهما وحُسن تعاونهما حتى وصل هذا العمل إلى منتهاه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضيلة معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على تفضله بمراجعة ما كتبته وكتابة مقدمة اضافية لهذا الكتاب، على الرغم من كثرة مشاغله وتعدد مسؤولياته، فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته.

كما أنني أُزجي الشكر الجزيل والثناء الجميل إلى صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب المسجد الحرام، الذي فرَّغ وقته لمتابعة ومراجعة فصول ومباحث هذا الكتاب على مدى عامين كاملين، استفدت خلالهما من ملاحظاته القيِّمة وتوجيهاته

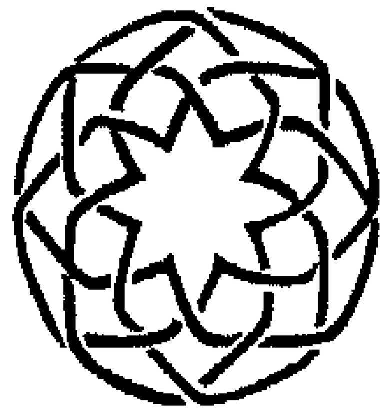
السديدة والتي كانت سبباً في إثراء هذا الكتاب ووصوله إلى هذا النحو الذي ظهر عليه.

فجزاه الله خيراً وبارك في جهوده وسدد خطاه.

ولا يفوتني أن أذكر بالشكر والامتنان كلَّ مَنْ مدَّ إليَّ يد العون والمساعدة أو أسهم في إنجاز هذا العمل وإخراجه إلى حيِّز الوجود.

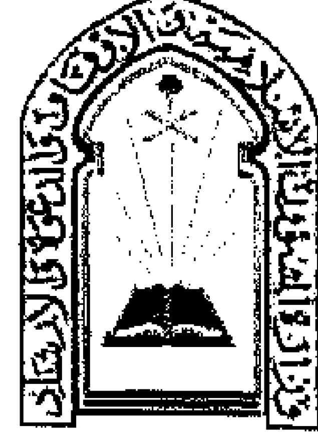
وفَّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم.

محمد بن أحمد سيد أحمد



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد
مكتب الوزير



الرقم : ١/٢/٣٢٦/س ص
التاريخ : ٢٤/١١/١٤١٧هـ
المشفوعات : ١٨

فضيلة الأخ الكريم الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد :

فأشكركم أجزل الشكر على ماتضمنته رسالتكم التي أرسلتم معها نسخة مما كتبتم عن الشيخ العلامة عبدالرزاق عفيفي رحمه الله .

وقد تم الاطلاع على مواضع منه ، فوجدته عملاً نافعاً ، بذلتم فيه جهوداً طيبة ، وتضمن من المعلومات المفيدة الجديدة ماجعله سفراً قيماً ، ومرجعاً مهماً في موضوعه .

أسأل الله عزوجل أن يتغمد الشيخ عبدالرزاق برحمته ، ويجزيكم على جهدكم خير الجزاء ، وينفع به .

وقد سجلت مارأيت في أثناء قراءة الكتاب بعض الملحوظات العابرة ، سواء أكانت في الطبع أم في غيره .

وبيانها مرافق لرسالتي هذه ، مع مقدمة له .

راجياً تأمل مافي البيان ، والإفادة منه قدر الإمكان .

أحبكم الله الذي أحببتموني فيه ، واستجاب لدعائكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

عبد الله بن عبدالمحسن التركي

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

مقدمة بقلم

فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن العلم من أوصاف الكمال، والتماس العلم والجد في طلبه وتحصيله، من أفضل ما تنافس فيه المتنافسون، وسابق إليه أولو الألباب وأصحاب الهمم، وقد أعلى الله سبحانه شأن العلم ومقامه، ورفع أهله، ونوّه بذكرهم، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته على أعظم مشهود به، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، وقد تضافر في الدلالة على ذلك جملة من آيات القرآن العظيم:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾.

وقال تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وإذا كان لأهل العلم من الناس فضل على من سواهم، فإن لأهل العلم بالوحي وما جاء في الكتاب والسنة اختصاصاً وتميزاً وتقدماً، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ومن المقرر أن شرف العلم بشرف المعلوم، وأن العلماء يتفاوتون في درجاتهم ومنازلهم، فالعلماء بالله وبحقوقه عز وجل وبدينه، هم خير العلماء وأفضلهم، لأنهم ورثة الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- وخلفاؤهم في أممهم، ورثوا عنهم العلم النافع، الذي به هداية الناس إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى رضوان الله وكرامته، وبلَّغوا ذلك للناس.

وهؤلاء العلماء، هم الذين يجددون ما دَرَسَ من علم النبوة، ويبينون للناس ما جاء به الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام- فهم أنفع الناس بعد الرسل والنبيين، لما يحصل على أيديهم من هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبيان ما نزل إليهم من ربهم وما بُعث به الأنبياء والمرسلون.

ومن هذه الإشارة، تتضح حاجة الناس إلى العلماء الربانيين، لما لهم من الآثار المحمودة في الأمة.

ويتضح أيضاً، شدة مصيبة الأمة بفقد علمائها، وفداحة خَطْبها بوفاتهم، لأن الأمة تفقد -بوفاة علمائها- أئمتها وهداتها.

وبقبض العلماء، يُقبض العلم ويظهر الجهل والضلال، كما قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن**

يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً، فَسُئِلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضلُّوا».

فالمصاب -بوفاة العلماء- عظيم والخطب جلل.

ومن آخر العلماء الذين أصيبت الأمة الإسلامية بفقدهم، شيخنا العلامة، الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- الذي توفي بمدينة الرياض يوم الخميس في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من عام خمس عشرة وأربعمائة وألف من هجرة نبينا محمد ﷺ، وكان مولده -رحمه الله- في عام ١٣٢٣هـ بشنشور التابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية.

وهناك تلقى تعليمه في المراحل الأولى، ثم التحق بالأزهر في القاهرة، ومنح الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ، ثم شهادة التخصص في الفقه عام ١٣٥٥هـ.

وفي عام ١٣٦٨هـ قدم إلى المملكة العربية السعودية للتدريس فيها حيث درّس في دار التوحيد بالطائف، ثم في معهد عنيزة العلمي، ثم في معهد الرياض العلمي، فكلية الشريعة واللغة العربية.

ولما تأسس المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ عُيِّن مديراً له.

ثم انتقل عام ١٣٩١هـ إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، حيث عُيِّن نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء إلى جانب عضويته في مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وقد رزقه الله مواهب متعددة، وانتفع به خلق من طلاب العلم.

لقد عرفت الشيخ -رحمه الله-، أستاذاً في كلية الشريعة بالرياض، ثم في المعهد العالي للقضاء، وتوثقت صلتي به، حينما أشرف عليَّ في إعداد رسالة الماجستير، عن أسباب اختلاف الفقهاء.

حيث لازمته في أثناء إعدادها، واستفدت كثيراً من علمه وأسلوبه، وما تميز به في العلم والعمل.

عالم متمكن في علوم الكتاب والسنة، والأصول، واللغة العربية.

متميز في اقتفاء سلف الأمة الصالح في مجال العقيدة، واستنباط الأحكام، وتأويل الآيات، والنظرة إلى ما يجري في حياة الناس، والأسلوب الأمثل لإصلاحهم، وطاعة ولي الأمر بالمعروف، والتناصح والتشاور والتواد بين طلاب العلم، والحرص على الألفة والاجتماع، والابتعاد عما يثير الضغائن والأحقاد، والإخلاص في العمل، ابتغاء مرضات الله سبحانه.

يبتعد -رحمه الله- عن المظاهر، وما قد يؤثر في الإخلاص. محب للخير، باذل للمعروف.

استفاد كثيراً بعد انتقاله إلى المملكة العربية السعودية، ومعاصرته لعلمائها، وأهل العلم والوجاهة فيها.

حتى أصبح وكأنه أحدهم، بل لقي عندهم من الإكرام ما لم يبلغه غيره، تقديراً من ولاة الأمر في المملكة وعلمائها وأهل الخير فيها للعلماء المخلصين الصادقين.

كان لديه تميز علمي قبل مجيئه للمملكة، وعناية بكتب السلف الصالح، وبخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

وازدادت تلك العناية بعد انتقاله للمملكة، وتوليه التدريس في معاهدها وكلياتها، واختلاطه بعلمائها ومشايخها، وعلى رأسهم سماحة والدنا وشيخنا العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- رحمة واسعة، والذي كان قمة في العلم والعمل والورع والصدق، والغيرة على الدين وأهله.

لقد استفاد الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- ، من الجو الذي تعيشه المملكة العربية السعودية، بتوفيق الله تعالى، ثم بحرص حكامها منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله-، وإلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - أيده الله- على تطبيق شريعة الله، وتكريم العلماء، والحرص على التزام منهج السلف الصالح في العلم والعمل، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

استفاد الشيخ من هذا الواقع الإسلامي الصحيح، الذي يعتبر ثمرة من ثمار الدعوة المباركة التي قام بها ودعا إليها الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ونصرها وآزرها، ومكن لها الإمام المجاهد محمد بن سعود -رحمه الله-، مؤسس الدولة السعودية المباركة.

قرأ الشيخ عبد الرزاق، غالب كتب إمام الدعوة وتلامذته، وصادف ذلك ذهناً وقّاداً، وأساساً علمياً مكيناً، وتوجهاً صادقاً للعلم والعمل، هكذا نحسبه من تتلمذنا عليه ومعايشتنا له، والله سبحانه وتعالى حسيبه وحسيبنا جميعاً، نسأل الله أن يجعله لديه من المقبولين الذين ينالون أعظم الجزاء وأوفاه.

اشتركت مع الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله-، بحكم مسؤوليتي في

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في بعض الأعمال والمجال واللجان، مما زادني منه قرباً ومعرفة، وزادت صلتي به -رحمه الله- ثمانية أعوام، كان فيها إماماً لمسجد الحي الذي أسكن فيه، يؤمنا في الصلاة، ويلقي الدروس والكلمات التوجيهية قبل الصلاة أو بعدها، ويحرص عدد كبير من طلاب العلم، وراغبي سماع الخير في الرياض على حضور دروسه وكلماته، التي كان يحرص فيها على ما يفيد، وعلى ما للحديث فيه ثمرة عملية.

يبتعد عن الأمور النظرية الجدلية، وعن تهييج الناس فيما لا نفع وراءه، ولا أثر عملي له.

يقدر -رحمه الله- المصالح، ويحرص عليها، ويلحظ المفاسد ويحذر منها.

كان -رحمه الله- مدرسة متكاملة، يصعب عليَّ في مقدمة موجزة أن أتطرق لجوانب شخصيته أو أعماله، ولكن أبناءه وتلامذته، ومعظم كبار طلاب العلم في المملكة العربية السعودية اليوم، يعرفون ذلك ويدركونه، ويقدرونه حق قدره وعندهم الشيء الكثير من ذلك.

ومن الوفاء للشيخ -رحمه الله- التعريف به وبجهوده، لما يُرْجى ويُؤَمَّلُ من حفز همم طلاب العلم على التأسي به في جده ومثابرته وصبره، وحُسن بلائه في نُصرة التوحيد والعناية به، والتمسك بالسنة ونشرها، ولزوم الحكمة والأناة وحسن النظر في الأمور وعواقبها، فقد كان إماماً في ذلك.

ومن الإسهام في هذا الباب، ما كتبه فضيلة الأخ الشيخ محمد بن

أحمد سيد أحمد بعنوان: «الشيخ عبد الرزاق عفيفي، حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة».

فإن هذا الكتاب جهد طيب وعمل مشكور، بيَّن فيه مؤلفه جملة من جوانب حياة الشيخ، والأمور المتعلقة به، وأورد فيه نماذج من رسائله وتعليقاته ونقده وتعقيباته.

فهو كتاب جامع، ومن أوفى ما كتب عن الشيخ -رحمه الله-فيما أعلم، وقد رغب إلي مؤلفه -جزاه الله خيراً- باعتباري أحد تلاميذ الشيخ العارفين به، أن أقدم له، وقد تصفحت مواضع منه على عجل، وأبديت لمؤلفه بعض الملاحظ التي لا يخلو منها جهد بشر، ولعله في فرصة أخرى يستخلص المجال العلمي الذي تميز به فضيلة الشيخ عبد الرزاق عن غيره، فيستجليه ويركز عليه، في بحث مستقل، أو أبحاث متتابعة، وعلى وجه الخصوص في مجال العقيدة والأصول والتفسير، فللشيخ -رحمه الله- في هذه العلوم، تميز يعرفه طلابه والملازمون له، كما إن له رسائل مكتوبة، ومحاضرات وتعليقات، من الخير نشرها لطلاب العلم.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزي مؤلفه خيراً، وأن يغفر لشيخنا عبد الرزاق عفيفي، ويرفع درجاته، وأن يُعوِّضَ المسلمين خيراً.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

تقاريظ الكتاب

(١)

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام
رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة
وعضو هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1].

أما بعد :

فإن الكتابة عن العلماء والاطلاع على سِيرَتهم، عمل تهنأ به النفس، وينشرح له الصدر، ويتفتح له القلب، وتستريح في ظله الخواطر، وتتسع في رحابه الأبصار والبصائر، كيف لا والعلماء ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل في أممهم، وهم الحملة العدول الذين ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ومن هؤلاء العلماء العدول نحسبه كذلك -ولا نزكي على الله أحداً- سماحة شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله تعالى.

لعلِّي أوّل طـالب من الطلاب في المملكة العربية السعودية، قرأ عليه واستفـاد منه، فقد كنتُ حاجاً عام (١٣٦٨هـ) وقابلت سماحة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في منزله بمكة المكرمة فأخبرني أنه تعاقد مع ثلاثة عشر عالماً أزهرياً للتدريس في مدرسة «دار التوحيد» بالطائف، والذي علق بذهنه من أسمائهم هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي، فقد أثنى عليه ووصفه بالعلم الواسع وسلامة العقيدة، وأنه على منهج السلف الصالح فيما يعتقدون.

فما بدأتْ الدراسة عام (١٣٦٩هـ) إلا وهؤلاء العلماء الكبار يتوافدون على الطائف ووجدت في نفسي شوقاً لرؤية هذا العالم الكبير

(١) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

السلفي، وعندما وصل الشيخ إلى أرض الحرمين الشريفين، التقيت به وقد ارتدى لباسه المصري الأزهري فعرفته بنفسي فاستقبلني أحسن استقبال.

وصار يُدرسنا - نحن طلاب الصف الرابع- فإذا كان عند غيرنا من الفصول أحاول أن أحضر درسه لكمال ثقتي بسعة علمه وثقتي بسلفيته.

ثم صرت أذهب إليه في منزله بالطائف بعد صلاة الصبح وأقرأ عليه علوماً غير مقررة في (الدار) وكنت ألاحقه بالأسئلة فيما بين الحصص.

وقد تجلى لي علمه الواسع ومعتقده السلفي وإخلاصه في عمله، ومن هذه المعرفة بأحواله تحقق عندي أن هذا العالم سينال حظوة في هذه البلاد، وسيتمكن فيها حتى يصير من أهلها، فصدقتْ الفراسة فيه.

فالشيخ عبد الرزاق -رحمه الله تعالى- عمل في كثير من مناطق المملكة فلا تسمع إلا ثناءً وإطراءً من المسؤولين وعموم من عرفه من المواطنين، هذا مع بعده عن الشهرة وزهده في الظهور وانطوائه على نفسه مكتفياً بالقيام بعمله وأداء عبادته والانشغال بشؤونه.

أما علمه فقد درّسنا في «دار التوحيد» ومعه نحو عشرين عالماً من كبار العلماء، فإنهم اختيروا من كبار علماء الأزهر وقت قوته ونهضته.

كنا -نحن الطلاب- نبحث مع المدرس منهم، نسأله بعض الأسئلة فيجيب، ولكن في حدود مادته ولايرضى أن نخرج به عن محيطه.

أمّا الشيخ عبد الرزاق، فصدره منفتح لكل سائل، ويجيب عن كل مسألة وبحث وبشكل موسع وكأننا نغرف من بحر.

وإذا شرع في تفسير آية أو شرح حديث أراك العجب فيما يستنبط من الأحكام والآداب، فهو موسوعة في كل العلوم الشرعية النقلية، والعلوم العقلية والعلوم العربية. وهو صاحب عقيدة سلفية اختارها عن علم وفهم.

وهو صاحب حجة وذاكرة قوية تسعفه عند الجدال بالحق، فلا ينهزم لأنه لا يقول إلا فيما يعتقد، وهو لا يعتقد إلا ما وافق الحق.

وهو صاحب دين قويم، سلوكه القيام بالحق ومناصرته، وهو ذو فراسة وفطنة فلا تخدعه المظاهر الكاذبة.

وهو صاحب عفة وزهد فلا تحرفه المغريات ولا تحيله المطامع.

بهذا كله ملك القلوب وآمال إليه النفوس فتبوأ منزلة من أهل العلم مكينة فلا تراهم يدعونه إلا بشيخهم ووالدهم.

ولذا تأثر طلابه ومحبوه لوفاته وحزنوا حزناً بليغاً وأحسوا بفراغ كبير لفقده ووحشة لفراقه، ولكنهم يرجعون في مصابهم إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ومما يذكر فيشكر، ما قام به أخونا فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد المدرس بدار الحديث الخيرية من جمع تراث الشيخ وبحوثه وتعليقاته على بعض الكتب وتعقباته لكتابات بعض المعاصرين من الكتاب والمفكرين.

والحقيقة أن هذا الجمع الموفق له أثره الكبير. فإن سيرة مثل هذا العالم الكبير وأخباره لهي قدوة للأجيال المقبلة الصاعدة التي تنشد الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة.. ونِعْمَ الشيخ عبد الرزاق أسوة وقدوة في علمه

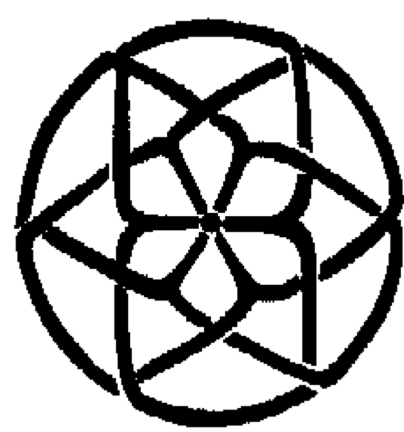
وجهاده وسلوكه وصبره على البلاء مبتغياً رضى الله تعالى، فهذا الرجل قدوة حسنة ومثال يحتذى في فعل الخير.

فإذا جمع الشيخ محمد أحمد هذه الآثار الطيبة وذلك التراث المفيد وحفظه عن الضياع، فإنه بذلك أسدى إلى القراء عامة وإلى الشباب خاصة حسنة كبيرة هي عنوان نجاحهم في الدنيا وفي الآخرة.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع وأن يجعله خالصاً لوجهه.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه تلميذه
عبد الله بن عبد الرحمن البسام
١٤١٧/٨/١٦هـ



(٢)

فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع
القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة
وعضو هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله الحي القيوم، والشكر لله فاطر السماوات والأرض، والصلاة والسلام على رسول الهدى، والقدوة المثلى في الاهتداء والتقوى، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.. *أما بعد* :

فحقاً ما ذكره، ﷺ، بأن العلم يُنتزع من هذه الأُمّة بوفاة علمائها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد كان عندنا جبال من العلم، يهدون بالحق وبه يصدعون، فتهاووا كما تتهاوى الكواكب من السماء، فلا نجد لمن يختفي منهم تعويضاً، ومنذ سنوات انتقل إلى رحمة الله جبل من جبال العلم والحجى والصلاح والإصلاح، هو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- وبعد ذلك بمدة لحقه جبل ثانٍ من جبال العلم والحكمة هو شيخنا عبد الله بن محمد بن حميد -رحمه الله- ثم لحق بهما جبل ثالث من جبال العلم والصلاح والتقوى والأمانة في العقيدة وسلامة الاعتقاد، شيخنا الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- فلقد كان صرحاً شامخاً في العلم والاجتهاد وبعد النظر، غاية في التأمل والاستنباط

والحرص البالغ على نشر العلم وطرق تعلمه والتعايش مع طلبة العلم على مختلف مستوياتهم ومداركهم ومراحل تعلمهم، وأقول هذا ليس ظناً منِّي بشيخنا ولكن أقول هذا عن تجربة واقعية ومعاناة صادقة، فلقد تشرفت بتلقي العلم من سماحته في جميع المراحل الدراسية، في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي، وفي المرحلة الجامعية، في جامعة الإمام محمد بن سعود حينما كانت تُعرف بالمعاهد العلمية والكليات، وفي الدراسة العليا في المعهد العالي للقضاء في الرياض، فكان -رحمه الله- في «المعهد العلمي» شيخاً جليلاً، يعطي دروسه لطلاب علم في مستوى الابتدائي، يُحاول أن ينقل العلم إلى نفوسهم وقلوبهم بما يستطيعون فهمه وإدراكه، وقد أصاب، فكانت معلوماتنا في المواد التي ندرسها عليه جزلة ومركزة ومفيدة، وقد تلقيناها من سماحته بطريقة منطقية، رسخت في نفوسنا وعقولنا بحكم فهمها وإدراكها، ومخاطبة عقولنا بقبولها وثباتها، وكان -رحمه الله- في «الكليات» شيخاً ذا مقام متميز على زملائه في التدريس، وقد رأيناه عالماً كبيراً، غير ما رأيناه في المعهد يعطي دروسه لطلاب علم في مستوى متمكن من الفهم والإدراك.

وفي «المعهد العالي للقضاء» رأينا شيخنا، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عالماً متميزاً في علمه في الأصول والتفسير والحديث، لا يجاريه من زملائه أحد، لاسيَّما في القدرة العجيبة على جذب أنظار طلابه إليه بما يستنبطه من المسائل العلمية في الفقه والاعتقاد، وبما يعطيه من تحليلات علمية في مسائل الخلاف والنظر والاعتبار، وكنا معشر طلابه نتابع التساؤل والاستغراب من قدرة شيخنا -رحمه الله- على التحوُّل طبقاً لمستويات طلابه الفكرية، ومستويات قدرتهم على التحمل والاستيعاب، وهذه موهبة ومكرمة من الله تعالى لشيخنا عبد الرزاق رحمه الله.

وأذكر له -رحمه الله- واقعة حصلت لي مع سماحته، فقد كان مشرفاً على رسالتي «الماجستير» من معهد القضاء العالي، وفي جلسة مع سماحته لاستعراض ما كتبته، اختلفتُ معه في مسألة من مسائل البحث، فكنت أخالفه فيما رآه في هذه المسألة، ولم أستطع إقناعه، ولم يستطع إقناعي فقلت له: إذا كنت ستتمسك برأيك في هذه المسألة، فسآخذ برأيك بصفة مؤقتة حتى تنتهي مناقشة الرسالة، ثم أعود إلى رأيي المخالف لما تراه، فقال لي -رحمه الله-: يا عبد الله أنا أحترم الرأي العلمي في المسائل الاجتهادية وإن كنتُ لا أراه ما دام مبنياً على اجتهاد فلا أعتقد لنفسي العصمة في الإصابة ولا الخطأ لمخالفي، وعليك أن تجتهد في الاستزادة من الأدلة التي تدعم رأيك المخالف، وسأعتبر تمسكك برأيك منقبة علمية أكافئك عليها، وفعلاً عملت بنصيحته وتوجيهه، وهذه المخالفة لسماحته في الرأي كانت في إحدى مسائل بحثي عن الأوراق النقدية، وقد أثبتها في البحث، وذكرت رأي سماحته المخالف لرأيي فرحم الله شيخنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

فلقد تعلمنا منه الحرية في الرأي في الحدود المعتبرة شرعاً، واحترام آراء الآخرين، والبعد عن التعصبات المذهبية، فمتى كانت المسألة متفقة مع النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، أو كانت تحت مناط هذه الأصول، وهي الأسعد بالدليل من حيث النقل والعقل والأثر فلا عبرة بمخالفة من خالفها، وهكذا كان سلفنا الصالح في اجتهاداتهم وتصوراتهم، فجزى الله شيخنا أعظم الأجر وأجزله، فلقد تعلمنا منه العلم وطرق استنباطه والأصول في تحصيله والاجتهاد وعدم التعصب للرأي واتهامه بالخطأ والنظر في تحقيق ذلك، وفضلاً عن اعتبار شيخنا - الشيخ عبد الرزاق، من أكبر مشائخي، وأكثرهم تميُّزاً وتحصيلاً واستزادةً، فقد

تشرفت بمزاملته حينما كنت عضواً في الإفتاء، وفي اللجنة الدائمة في البحوث العلمية والإفتاء، وكان سماحته نائب الرئيس، وقد سعدت بمزاملته، واعتبرت هذه الزمالة وصلاً علمياً لتلقي العلم من سماحته، فلقد انتفعت كثيراً بهذه الزمالة واعتبرتها مرحلة عليا للدراسة على سماحته.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عني خاصة وعن إخواني وزملائي في التلقي العلمي على سماحته خير الجزاء وأتمه وأوفاه.

والآن يقوم أحد أبنائه ومُحبِّيه وهو فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد بطبع ما جمعه عن سماحته، من بحوث ومحاضرات وفتاوى ورسائل وتعليقات، وهو بهذا المجهود المبارك والسعي المشكور -أعني الشيخ محمد أحمد- قد حفظ لنا آثار علم من أعلام العلماء البارزين، وسجَّل لنا علوماً ومعارف من عالم كبير وبحر خضمٍّ في أصول الفقه وقواعد الاجتهاد والنظر والاعتبار، فرحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق رحمة واسعة وجزى الله ابننا الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد خير جزاءٍ وأتمَّه وجعله مباركاً أينما كان، وجعل مجهوداته العلمية وصلاً لأعماله الصالحة في الحياة وبعد الممات.

والله المستعان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الله بن سليمان بن منيع

عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية،

والقاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة

مقدمة
بقلم فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد قدوة العلماء العاملين ورسول الله للعالمين أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وَبَعْـد : فقد أحسن الظن بي أخونا الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد ففاتحني بعزمه على كتابة ترجمة واسعة للشيخ العالم العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- وأطلعني على تخطيطه لهذا المشروع فكان مخططاً عظيماً يُصوِّر همة عالية، راغباً منِّي -حفظه الله- أن أصاحبه في رحلته هذه لعله أن يجد عندي ما يعينه على وعثاء السفر ويخفف عنه عناء الطريق، وإنني أعلم من نفسي أنِّي لا أبلغ همة أخينا -وفقه الله- ولكنِّي وجدت أن رغبته في هذا الشأن لا ترد بل لعلها مما يفرح به كلّ محبٍّ للعلم والعلماء، ولاسيَّما أنها تتعلق بالشيخ عبد الرزاق - رحمه الله وعفا عنه - وهو مَن هو في المنزلة والمكانة لدى كل مَنْ عرفه أو اتصل به أو سمع عنه، فكان أن جرى التواصل بين المؤلف وبيني طيلة إعداد المشروع، فكنت متابعاً معه منذ كان فكرة حتى أتمه على هذا النحو الذي بين يديك أيها القارئ الكريم.

ولقد أعان الله بمنّه وفضله فقرأت الكتاب كلّه وتابعته في كلّ مراحله جمعاً وتأليفاً وكتابة وسبكاً وصناعة وصياغة، راجياً أن أكون قد شاركت أخي محمداً أمنيته في أن يكون مرضياً للقارئ وبخاصة طلبة العلم وبوجه أخص مَنْ عرف الشيخ المترجم وأحبه -رحمه الله- لقد يسّر الله بمنّه وفضله وأعان فكنّا نُقلِّب صفحات هذا المشروع العظيم والسفر الجليل متأملين ما حبا الله الشيخ من علم وفضل وصلاح وتقى وورع وتواضع. ومن أجلِّ صور تواضعه عزوفه الشديد عن التأليف والنشر واللقاءات العامة على الرغم من أهليته وتمكنه وطول باعه وإلحاح محبيه وطلابه، ويزداد العجب حين تُدرك أن هذا العزوف والتواضع من هذا العَلَم الشامخ قد قيض الله له بعد وفاته من يحفظ علمه وتراثه ويُنقِّب ويُفتِّش في صحائفه ودفاتره وملفاته وماضي أيامه ما استطاع من أثر هنا في المملكة السعودية وفي مصر والاتصال بتلاميذه وزملائه حتى تحصَّل للمؤلِّف -حفظه الله- ما لا يمكن أن يحصل له ولا لغيره لولا توفيق الله سبحانه ثم ما نحسبه من صدق نية للمترجم إن شاء الله.

وإن القارئ الكريم سوف يُدرك الجهد الكبير والعمل المضني الذي بذله أخونا الشيخ محمد، مما أثمر قطوفاً دانية وثماراً يانعة من فنون العلم وأفانينه، في السيرة الذاتية والقدوة الصالحة -إن شاء الله- في العلم والعمل والورع والزهد والصدق وحب الخير للمسلمين والشفقة عليهم، في تعليم جاهلهم وتنبيه غافلهم ونصح مقصرهم والحنو على صغيرهم ومعرفة المنزلة لكبيرهم.

مضافاً إلى ذلك ما يسّر الله تسطيره وتدوينه من بسطٍ لعلوم الشيخ ومعارفه ومشاركاته في العقيدة والتوحيد والسُّنة والحديث والفقه

والأحكام، محاطاً ذلك بآلة العلم وأداته من أصول الفقه والمصطلح وعلوم العربية والمفيد من علم المنطق مما يُصوِّر عِلْم الشيخ وارتفاع مقامه وعلو كعبه ورسوخ قدمه في هذه العلوم والمعارف كلِّها فسبحان العليم الحكيم: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

يخرجون من بطون الأمهات لا يعلمون شيئاً ثم ينبتون في هذه الأرض فيكون منهم المنارات والمصابيح والسرج.

لقد كان الشيخ مناراً من منارات العلم الشامخة في علوها ومصباحاً من مصابيح الهدى الراسخة في ثباتها وسراجاً منيراً يضيء الدروب للسالكين هكذا نحسبه والله حسيبه وحسيب كلٍّ نفس بما عملت ولفظت.

إن المنتسبين إلى العلم في هذا العصر كثير، ولكن قلَّ منهم من يستقي العلم من منبعه ويسنده إلى أصله ويتبع القول العمل ويتحرى الصواب في كل ما يأتي وما يذر.

وإن من هؤلاء القلة القليلة -فيما أحسب ولا أزكي على الله أحداً- شيخنا المترجم، فلقد كان حسن الطريقة مرضي السيرة معتدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلن في مدخله ومخرجه وأحواله.

وإن من تكرار القول الإطالة في نعته وإطرائه، فهذا السفر الجليل حافل بمآثر الشيخ ليُصوِّر نشأته وحياته وتقلبه في مضمار العلم تعلماً وتعليماً، يطلب فرائده وفوائده ثم ينثره وينشره عقيدة وتوحيداً وفقهاً وأحكاماً وأصولاً وفروعاً ولغة ومناظرة.

---

(1) سورة النحل: الآية (٧٨).

وسوف يجسد هذا الكتاب -بإذن الله- شخصية المترجم عالماً عَلَماً فحلاً، يتجلى فيه العلم الغزير والدِّين الثابت والمعتقد الراسخ والكلام الدقيق والعقل الراجح والترجيح العميق.

انظر إليه وهو يُعلِّق على اختلاف العلماء في سيرة سيف الدين الآمدي عالم الأصول والأحكام وهم في اختلافهم فيه ما بين مادح وقادح، يقول صاحب اللسان العف الشيخ عبد الرزاق عفيفي:

«وقصارى القول أن العلماء لهم منازع شتى ومشارب متباينة فمن اتفقت نزعاتهم تحابوا وتناصروا وأثنى بعضهم على بعض خيراً، وإن اختلفت أفكارهم ووجهات نظرهم تناحروا وترامَوا بالنبال إلا من رحم الله..».

..ثم قال: وأسعدهم بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووسعه ما وسع السلف مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء نصوصها فكلما كان العالم أرعى لذلك وألزم له كان أقوم طريقاً وأهدى سبيلاً والمعصوم من عصمه الله. وكل يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وما الآمدي إلا عالم من علماء البشر يخطئ ويصيب فلننتفع بالصواب من قوله ولنرد عليه خطأه ولنستغفر الله له وليكن شأننا معه كشأننا مع غيره من علماء المسلمين وليكن شعارنا مع الجميع:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة الحشر: الآية (١٠) انظر ص (١٠٠/١ ـ ١٠٢) من كتاب الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي.

أما في مجال العقيدة وميدانها الفسيح الرحب للنظر والجدل مع المخالفين فاستمع إليه وهو يردُّ شُبهة المبطلين فتراه ينبه إلى مسألة دقيقة ليربط الماضي بالحاضر بل يربط تاريخ البشرية كله في طبيعة لبني آدم واحدة فها هو يقول:

«ما من شبهة تذاع اليوم إلا وقد سبق لها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى، ووقّفها وردها وأبطلها أجلة علماء السلف ببراعة فائقة فلا سبيل أرشد من سبيلهم ولا هدًى أقوم مما كانوا عليه. فالخير كل الخير في العودة إلى كتاب الله تلاوة له وتفقهاً فيه وإلى أحاديث المصطفى صاحب جوامع الكلم ﷺ دراية ورواية والفتيا بهذين الأصلين وعرض أعمال الناس عليهما فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد»[1].

وفي مسألة من دقائق العقيدة تأمل تقريره لها على المعتقد الحق معتقد السلف الصالح أهل السنة والجماعة تلك هي إثبات صفة الفوقية لله عز وجل فهو يقول -رحمه الله:

«... ومع هذا فقد تأوّل كثير من المتأخرين الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بأنه تعالى خير من عباده وأنه خير من العرش وأفضل منه وهو كما ترى تأويل بعيد تنفر منه العقول الرشيدة وتأباه الفطرة السليمة فإنه لا تمجيد لله في ذلك ولا تعظيم له بل هو تأويل سمج مرذول فإنه يشبه قول القائل: الجبل أثقل من الحصى ورسول الله أفضل من اليهود والجوهر فوق قشر البصل أو قشر السمك ونحو ذلك ممَّا التفاوت فيه عظيم. ولا شك أن التفاوت بين الله وبين عباده أعظم ولو

(١) راجع مجلة الهدى النبوي تحت عنوان (مبدأ وميثاق).

أن هذا المتأوّل أثبت الفوقية مطلقاً فوقية الذات وفوقية القهر والغلبة وفوقية القدر والمنزلة لكان ذلك صواباً لاتفاقه مع نصوص الكتاب والسنة مع عدم المحذور أما أن يخص بتأويله نوعاً منها بلا دليل فذلك باطل»[1].

ومن شخصية المترجم الفقهية الأصولية يدرك الناظر في بحوث الشيخ ومباحثاته العمق والأصالة والشمول ودقة الاستيعاب والإحاطة، وأعظم ما يبرز في علمه وتمكنه ميله إلى التأصيل العلمي والتقعيد الفقهي وعقد المقارنة بين مذاهب المجتهدين، في عبارة أصولية دقيقة مع وضوح العرض ودقة المآخذ. وإنك لناظر في بعض مقالاتٍ للشيخ في هذا الباب مما حواه هذا السفر القيِّم ما تقر به العين كمبحث المعاملات المصرفية ومبحث البورصة وعلة الربا وقد ناقش الإمام ابن القيم - رحمه الله- في علة النقدين في طرح علمي أخَّاذ.

وبعد فهذه إشارات وشذرات مما أعان الله عليه أخانا الأستاذ الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد ليحفظ تراث الشيخ الجليل السلفي الإمام القدوة عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بحبوحة جنته وجمعنا به ووالدينا ومشايخنا وإخواننا المسلمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلَّم والحمد لله رب العالمين وكفى به هادياً ونصيراً.

وحرره

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

٥ رمضان المعظم ١٤١٧هـ

---

(١) راجع ما كتبه في مبحث العرش والكرسي وما يتعلق بهما في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

مقدمة الناشر

بقلم: زهير الشاويش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على رسول الله.. *أما بعد*:

فإن من أجل النعم التي امتن الله بها على أمتنا أن حفظ علينا جهود الأقدمين وكريم أخلاقهم وحُسن فعالهم، ووجدنا فعل رسول الله ﷺ مع «أصحاب خديجة» وبره لهم بعد موتها. وسمعنا الثناء العاطر من علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، ومن أمثاله على أمثالهما مما هو مسطور في الكتب الصحيحة التي جمعت المناقب، واستمرت هذه السُنة الحسنة حتى يومنا هذا.

واليوم بعد أن فقدنا العلامة النحرير شيخنا المربي الجليل، رجل الوعي والألمعية الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية، واتسعت أخبار فقده في الأوساط الإسلامية بين العلماء والدعاة، وبين طلاب العلم ومدرسيه، مع أنه كان يراعي جانب ستر الحال، والابتعاد عن المظاهر التي يألفها بعض الناس واكتفى بتقديم العلم والنصح والنفع بأيسر طريق وأسهل سبيل، وكأنه يطبق الحديث النبوي الشريف عن المنفق في سبيل الله «الذي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

ومنذ مدة قريبة جرى بحث عن أصول الفقه في مجمع علمي، وذكر بعض من اشتهر في عصرنا بإتقان هذا الفن العجيب النادر، فذكر الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ عبد الوهاب خلاف والشيخ عبد المجيد سليم، ثم كان ما يشبه الإجماع على أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي المتمكن في هذا الفن والأكثر علماً به ممن ذكروا مع أن بعضهم من مشايخه، ولكن غمره التواضع وإيثار البقاء وراء الظل. تغمد الله الجميع برحمته.

وتمنيت أن يكتب أحدهم سيرته العطرة، وقدر الله نجاح أمنيتي، وفوجئت بأخي العالم المحقق الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد يطرق أبواب المكتب الإسلامي لطباعة هذا الكتاب، الذي أقدم اليوم للناس عن العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

فبادرت ألتهم الكتاب نظراً وتصفحاً، ورأيت في حسن تبويبه وغزارة مادته، وأكداس الوثائق والكتب التي جمع منها الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد مادته.

ومعها خلاصة المقابلات التي أجراها مع العلماء، وما نقل عن كبارهم من كلمات دلت بما هو متيقن عندي من عظيم قدر الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله.

وبقيت مع الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد ما قدر الله من انقطاع إلى هذا العمل في بيروت والنظر فيه، ومحاولة إخراجه بما يليق بسيرة شيخنا الجليل، وما ينفع الناس.

ولا أكتم القارئ الكريم، أننا قد أخرنا الكثير من الموضوعات التي كتبها الشيخ محمد، وتركنا نشرها إلى مقبلات الأيام.

لأن بعضها يخرج عنه كونه جزءاً من رسالة تعريف بعالم، بل هي أبحاث كاملة تصلح أن تقدم رسائل علمية.

وبعضها الآخر لم نرَ من المصلحة أن ينشر على الناس، لأن فيه من دقائق العلم ومشكلات الأمور، ما يصعب عرضه على الناس، فلا بد له من إيضاح موسع لا تحتمله هذه الترجمة.

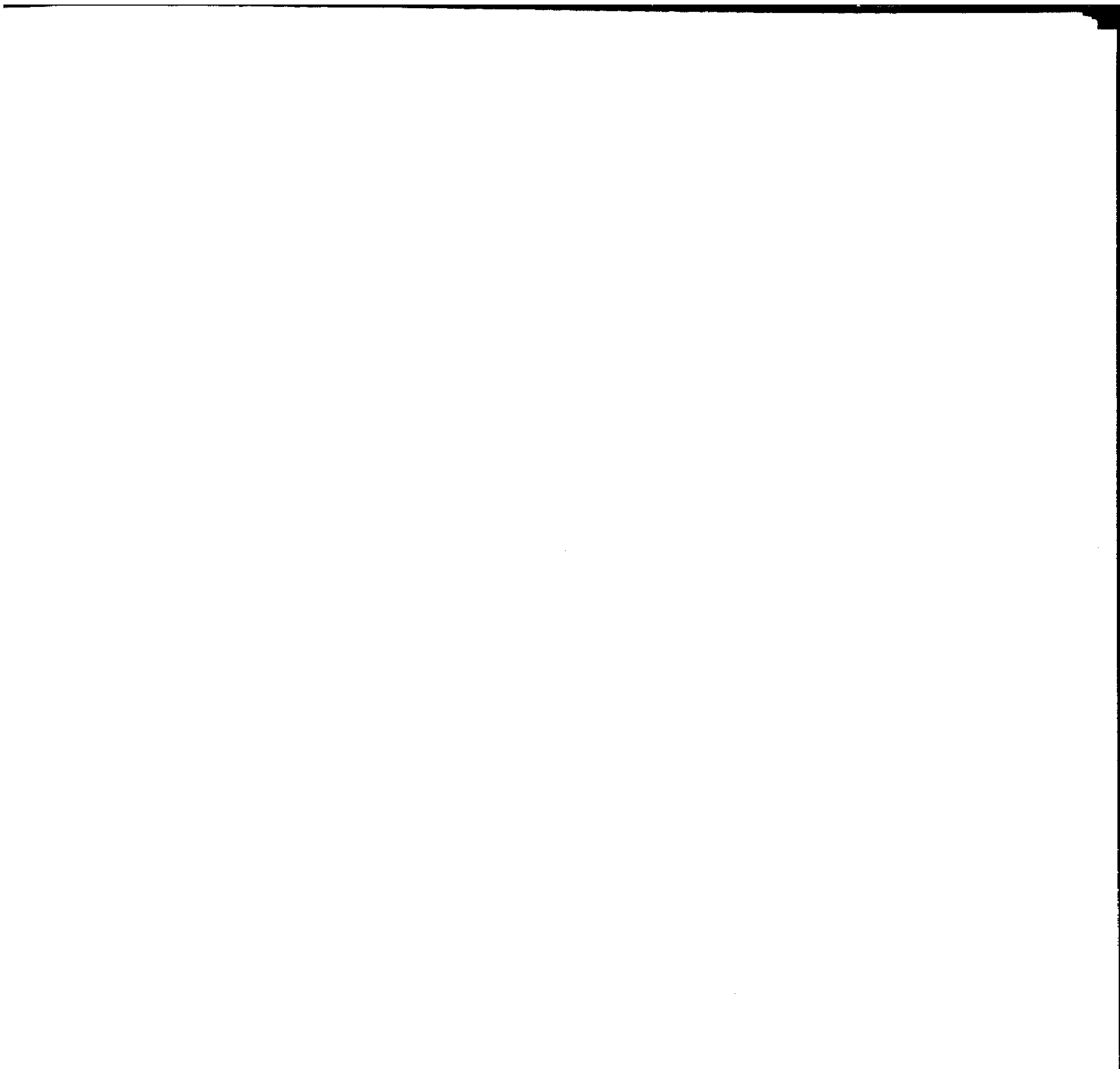
وإنك أخي القارئ الكريم ستجد في هذا الكتاب ما كان الشيخ عبد الرزاق يهتم به من أمور المسلمين من غير النواحي العلمية، من وساطات وشفاعات وإيثار للناس على نفسه، مما يجعله قدوة في المروءة قلّ نظيره، تغمده الله برحمته.

وأنني وأنا أُقدم هذا الكتاب القيّم الذي عمل على جمعه أخي الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد. وقد تجاوز الكتاب الـ ٨٤٨ صفحة.

وما تخلله من كلام طيب من أفاضل العلماء، وما جمع من أخباره العطرة.

أقول: إن منزلة الشيخ عبد الرزاق في نفسي أعظم وأكبر من هذا الكتاب، وقد فرحت بصدوره، وقديماً قيل: «ما لا يدرك كله لا يترك قِلُّه أو جله».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الشّيخُ العلّامة

عبد الرزاق عفيفي

حياته العلميّة، وجهوده الدّعويّة، وآثاره الحميدة

تأليف
محمّد بن أحمد سيّد أحمد
المدرّس بدار الحديث الخيريّة

تقديم وتقريظ
جماعة من كبار العلماء
بالمملكة العربيّة السّعوديّة

المكتب الإسلامي

المقــدّمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رُسُلاً، وباعث الرُّسل مبشِّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجة بعد الرُّسل، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كلّ شيء رحمةً وحلماً، خلَق الإنسان وعلّمه، ورفع قدر العِلْم وعظّمه، وخصّ به مِن خَلْقه مَن كرَّمه، وحضَّ عباده المؤمنين على التفقه في الدِّين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الممتن على المؤمنين بفضله بذل لهم الإحسَان، وزيَّن في قلوبهم الإيمان، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، ونبيُّه وصفيُّه ونجيُّه وخليله، وأمينه على وحيه وخيرته من خَلْقه، المبعوث بالدين القويم والخُلق العظيم، الموعود يوم القيامة مقاماً محموداً، وحوضاً مورواداً وشرفاً مشهوداً، اختصه الله بالمحامد الكثيرة والمآثر الأثيرة، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوةً للعاملين، ومحجةً للسالكين وحُجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً، وللخليقة هادياً ولكتابه تالياً، ولمرضاته ساعياً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً.

أرسله الله على حين فترة من الرُّسل، وحاجة مِن البشر، فجاء ﷺ بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة والبراهين الساطعة، أيقظ به

العقول مِن سُباتها، وصرف به النفوس عن أهوائها، فكان ﷺ مصدر خير ومبعث نور، وشمس هداية، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونهض بالحُجَّة، ودعا إلى الحق وحضَّ على الصِّدق، فصلوات الله وسلامه عليه أفضل صلاةٍ وأنماها، وأطيبها وأزكاها، وأبقى الله في العالمين محبته، وفي المقربين مودته، وجعل في أعلى عليين درجته وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ورضي الله عن أصحابه الطيِّبين المُطيَّبين، الذين آمنوا به واتبعوه، وعزروه ونصروه، ونقلوا لنا رسالته، وبلغونا أمانته، شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيِّه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، وبذلوا في ذلك أنفُسهم ونَفِيسهم، فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد، أبّر الأمة قلوباً، وأعمقها عِلْماً، وأحسنها عملاً وأقلّها تكلفاً، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومَنْ اقتفىٰ أثرهم وسلك سبيلهم من العلماء العاملين والدعاة المصلحين، الذين فقهوا دين الله وأدركوا مراميه وفهموا مقاصده، واستنُّوا بهديه، وعملوا بأحكامه ودعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

أما بعـد:

فإن الله جلَّ ثناؤه، وتقدست أسماؤه، لم يخلق خَلْقه عبثاً ولم يتركهم سُدى، بل خلقهم لأمر عظيم، وخَطْب جسيم، ورضي منهم باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، أفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة.

ومن كمال رحمته وتمام نعمته أن هيَّأ لهذه الأمة -في كل فترة من الزمن- علماء عاملين، بصراء ناصحين، أمناء مخلصين، يُذكّرون الغافل، ويُعلِّمون الجاهل، يدعون مَنْ ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على

الأذى، هم أحسن الناس هدياً، وأقومهم سبيلاً، رفعهم الله بالعلم، وزينهم بالحلم، بعلمهم يُعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل، والضار من النافع والحسَنُ مِن القبيح، فضلهم عظيم ونفعهم عميم، هم ورثة الأنبياء وخيار الأتقياء، وهم أئمة العباد ومنار البلاد، وقوام الأمّة وينابيع الحكمة، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ.

قال ابن القيم رحمه الله: (وهم -أي العلماء- في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب)[1].

كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء -رضي الله عنهما- **«إنما مَثَلُ المُعلم كمثل رجل عمل سراجاً في طريق مُظلم يستضئ به مَن مرَّ به وكل يدعو إلى الخير»**[2].

ومما يدل على عِظَمِ منزلة العلماء أن الله تعالى أمر الناس بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم، وجعل علامة زيغهم وضلالهم ذهاب علمائهم واتخاذ الرؤوس مِن جهّالهم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه مِن العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فَضَلّوا وأضلُّوا»**[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٩/١).

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص١٧).

(٣) رواه البخاري (الفتح ١/١٠٠) ومسلم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ولا شك أن موت العلماء كسر لا يُجبر، وثُلمة لا تُسد، ذلك أن العلم يموت بموت حامليه.

قال محمد بن الحسين: إذا مات العلماء تحيَّر الناس، ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها على المسلمين[1].

قال ابن عبد البر[2] رحمه الله: أنشدني أحمد بن عمر بن عبد الله في قصيدة له:

وذهاب العلم عنَّا ... في ذهاب العلماء
فهم أركان دين الـ ... ـلّه في الأرض الفضاء
فجزاهم ربهم عنَّـ ... ـا بمحمود الجزاء

وقال آخر:

تعلم ما الرزِّية فقد مالٍ ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكنَّ الرزية فقْد حَبر ... يموتُ بموتهِ خلْق كثير

ولكن الله تعالى برحمته وطَوْله، وقوته وحَوْله، ضمن بقاء طائفة من هذه الأمة على الحق لا يضرهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». وفي رواية: «لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»[3].

---

(١) انظر أخلاق العلماء للآجري ص (١٧، ١٨).

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٨٤/١).

(٣) رواه البخاري (الفتح ٧٣١١/١٣) ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

ومما لا شك فيه أن هذه الطائفة «هم ورثة الرُّسل وخلفاؤهم في أممهم وهم القائمون بما بُعثوا به علماً وعملاً، ودعوة الخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم». وهذا ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان طبقات المكلفين ومراتبهم في الآخرة وأكده بقوله: وهذه -الطبقة[1]- أفضل مراتب الخَلْق بعد الرسالة والنبوة وهي مرتبة الصديقية، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2].

فجعل درجة الصدّيقية معطوفة على درجة النبوة، هؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[3].

والمقصود أن درجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هي أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل مَنْ علم بتعليمهم وإرشادهم، أو علَّم غيره شيئاً من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جارياً في الأُمَّة على أبد الدهور، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك

---

(١) يشير إلى الطبقة الرابعة من طبقات المكلفين مع بيان مرتبتها، وانظر كتاب طريق الهجرتين (ص٦٢٩).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٩).

(٣) سورة الحديد: الآية (١٩).

من حمر النعم»(١).

وصح عنه ﷺ أنه قال: «من سنَّ في الإسلام سُنة حسنة فعمل بها بعده كان له مثل أجر من عمل به لا ينقص من أجورهم شيء»(٢). وصح عنه ﷺ أيضاً أنه قال: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٣). وصح عنه ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(٤).

وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «إن العالم يستغفر له من في السماوات والأرض حتى النملة في جحرها»(٥). وعنه ﷺ أنه قال: «إنَّ الله وملائكته يصلون على مُعلِّم الناس الخير»(٦). وعنه ﷺ أنه قال: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ عظيم وافر»(٧). وعنه ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد»(٨). وعنه ﷺ أنه قال: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها»(٩).

---

(١) رواه البخاري (الفتح ٣٧٠١/٧) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) في الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٤) رواه البخاري (الفتح ٧١/١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وهو حديث صحيح صححه الألباني وغيره. وانظر صحيح سنن الترمذي (٢١٦١).

(٦) جزء من حديث رواه الترمذي (٢٨٢٦) وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

(٧) جزء من حديث رواه ابن ماجه (٢٢٣) والترمذي (٢٦٨٢) وصححه الألباني وغيره.

(٨) رواه الدارمي في سننه (١٠٧/١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص٢٨) مرفوعاً وموقوفاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٩) رواه أحمد والترمذي (٢٦٥٧). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والأحاديث في هذا كثيرة فيا لها من مرتبة، ما أعلاها ومنقبة ما أجلّها وأسماها أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاءً متمزقة، وصحف حسناته متزايدة يُملي فيها الحسنات كل وقت وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها وتوفر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات، وأصحاب هذه المرتبة يُدعون عظماء في ملكوت السماء كما قال بعض السلف: من عَلِم وعَلَّم فذلك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء[1].

إن السابر لأغوار التاريخ والمتعمق فيه، يدرك أن تاريخنا الإسلامي حافل بالعلماء الأعلام الذين أوقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه، وتحملوا المتاعب والآلام، وتجشموا المصاعب والأخطار، في جمع شوارده واقتناص أوابده، واستنباط قوانينه وقواعده، وأنفقوا أثمن ما يملكونه من مال وجهد ووقت في سبيل هداية الخلق.

وإنني أرى أنَّ من حق هؤلاء العلماء علينا أن نُسجِّل سِيَرهم ونُدوّن أخبارهم، وإنَّه لمما يَسُرُّ أعظم السرور أن يكون الحديث متواصلاً عن العلماء، تبصيراً بسيرهم، وتعريفاً بحياتهم، وتذكيراً بأعمالهم، وبما كان لهم من الفضل مما أنتج الأثر العظيم الذي يعيشه أهل العلم اليوم، متواصلاً بجهد جهاد من كان قبلهم.

إن نشر تراجم العلماء والتذكير بفضائلهم، والتعريف بسير حياتهم وجهادهم من الأعمال التي تذكر فتُشكر.

---

(١) انظر طريق الهجرتين ص٦٢٩ ـ ٦٣٥.

ذلك أن الكتابة عن العلماء وتسجيل سِيَرهم بعد رحيلهم يقيها عدوان النسيان مع تباعد الأزمان، إلى جانب ما يحصل من الخير والنفع العاجل والآجل، ومن ذلك أن الناس يقتدون بهم، ويحذون حذوهم ويدعون لهم.

إن مما لا شك فيه أن اقتفاء سير مَنْ كان قبلنا من أهل العلم الذين قد شُهد لهم بالتحقيق، وشُهد لهم بالإمامة في السُّنة، وعُرفوا بنقل العلم صافياً عن الرعيل الأول، أقول: لا شك أن اقتفاء سيرهم سيكون له أبلغ الأثر في نفوس الشببة والناشئة من هذه الأمة ولأن الأمة إن لم يقتدِ شبابها بكهولها من العلماء، وإن لم يتصل أولئك بخبر من تقدم فبمن يتصلون وعمن يأخذون وبمن يقتدون.

وإنه لجميل أن تعرف هذه الأمة للعلماء فضلهم وتحفظ حقهم وتُجل قدرهم، وتنزلهم منازلهم اللائقة بهم، بوصفهم معالم هداها ومصابيح دُجاها.

وفضلاً عن ذلك، فإن تسجيل سِيَر العلماء تُعد بمثابة دعوة مفتوحة إلى رواد العلم ومحبي المعرفة ودعاة الحق لأخذ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة من سِيَرهم القيّمة وأخلاقهم الفاضلة، بحيث يُلزم القارئ لسيرتهم نفسه بالتحلي بتلك الصفات الرفيعة والخلال الحسنة فيرد من حيث وردوا ويصدر من حيث صدروا، تأسياً بهم ومشابهةً لهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إنَّ التشبه بالكرام فلاح

وإنَّ من المحزن والمؤسف حقاً، بل ومن العقوق أن ينسى أبناء هذه الأمة دعاتهم المصلحين ورجالهم المخلصين وعلماءهم العاملين، الذين عبروا بهم إلى شواطئ النجاة وجنحوا بهم عن مراتع الهلكة ومواقع الفتن فسلمت لهم أبدانهم بعد أن سلمت قلوبهم.

ذلك أن صلاح الأمة لا يكون راسخ البناء ولا جميل الطلاء، ولا محمود العقبى إلا إذا كان موصولاً بحقائق الدين، ومصطبغاً بآداب الشرع، وذلك لا يكون ولن يكون إلا حين يقوم العلماء الربانيون بمسؤولياتهم وينهضوا بما استحفظوا من الدين، وما أُوتوا من العلم.

إن قاصد الحق، وصادق الهدف، يجد في سِيَر الصالحين، والعلماء العاملين، والأئمة المصلحين، ما يدفعه إلى صدق العزيمة وإخلاص النية والتجرد للحق ومجاهدة النفس، بل إن من أعظم الدروس المستفادة والعبر المستلهمة من موت العلماء العاملين، استشعار عظم المسؤولية بعد فقدهم، وتحمل أمانة الدعوة بعد رحيلهم، والتي تعتبر بحق واجبنا الأول في هذا العصر الذي ابتليت فيه الإنسانية بما أتلف أعصابها من تقدم مادي، وحضارة انفلت فيها زمام العقل وطغت في جنباتها ظلمات الإلحاد، وانحسرت القيم الخلقية عن حياة الناس فلم تعد تتدخل في شؤونهم بعد أن كانت هي الفيصل بينهم.

عصر يضم بين آفاته أُمماً وشعوباً من البشر مُثقلة كواهلها بالأزمات النفسية والمادية والفكرية، ولا سبيل إلى التخلص من هذه الأزمات على اختلاف ألوانها وأنواعها إلا بالإسلام الذي كمَّل الله به شرائعه العملية في شريعته الخاتمة، ونظَّم به الحياة الإنسانية نظاماً كاملاً في علاقاتها أفراداً وجماعات، وأمماً وشعوباً، وحاكمين ومحكومين، فلا عبودية إلا لله، ولا انقياد إلا لأمره، ولا استسلام إلا له سبحانه، وبهذه الصورة العامة الخالدة الواضحة، جاء الإسلام نظاماً عاماً للحياة كلها، خاتماً لوحي السماء على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذه الصورة الكاملة رضيه الله تعالى ديناً للإنسانية وامتن به عليها، باعتباره نعمته العظمى على عباده، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

إن الإسلام منذ أن أنزله الله قد فهمه المسلمون الأوائل على أنه دين الله الذي بعث به رُسله، حتى إذا اكتمل للإنسانية رشدها، وبلغ عقلها منزلة القيادة في الكشف عن أسرار الكون، ختم الله النبوة بخاتم النبيين محمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن الحكيم دستوراً عاماً شاملاً خالداً، بما اشتمل عليه من قواعد الأحكام وأصول العقائد ودعائم الأخلاق، وأسس السياسة والاجتماع.

ومن هذا كلِّه يتبين أنَّ على علماء الدين وحُرَّاس الملّة ودعاة الحق، مسؤولية عُظمى، وفي أعناقهم أمانة كبرى، فهم مؤتمنون في علمهم وتعليمهم وتوجيههم، تعليماً وتوجيهاً يعصم عن مخالفة أمر الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يبينون للناس كلَّ ما لا يسعهم جهله من أمور العقائد والفرائض وأحكام الحلال والحرام، وقضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في أسهل المسالك وأحكم الوسائل، لا يكتمون العلم ولا يحجبون النصيحة ولا يتأثرون بهوىً ولا يتعصبون لباطل.

وحين يُطالب العلماء بمسؤولياتهم، فيجب على الأُمَّة أن تحفظ حقوقهم، وتشكر جهودهم، وترعى عهودهم، وتعرف مكانتهم، وتلتزم الأدب معهم، إنهم العلماء وارثو علم الرسالة، خلفاء النبي في أمته، المحيون لما مات من سنته،وهم الحملة العدول والحفاظ الفحول، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

(١) سورة المائدة: الآية (٣).

ومن هؤلاء العلماء الذين تسعد الأُمّة بهم وتشرف بذكرهم العالم العامل كنز المحققين، وقدوة المدققين صاحب العلم الباهر والفضل الظاهر، العلامة الجليل الفاضل الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-.

كان قوي العزم في معالي الأمور، أطبق عليها همته، وصرف إليها نهمته وقوّى فيها نيّته، وهدفه خدمة العلم وطلابه.

كما كان -رحمه الله- ضليعاً متيناً مُفيداً متقناً عاقلاً مؤصلاً محققاً، قائماً بجلائل الأعمال متجملاً بأكرم الخصال.

اشتغل بالعلم وبرع فيه وبزَّ أقرانه، وهو إلى جانب هذا حلو النادرة، حسن المحاضرة، هادئ الموعظة، رفيقٌ في أمره ونهيه ونصحه وإرشاده، غاية في العفة والأمانة وسعة الصدر، ذو كرم وضيافة وخُلق كريم.

وبالجملة فقد كان -رحمه الله- من نوادر عصره أدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً، يقول الحق ويقصده، ويتحرى الصدق ويؤثره.

إن الكتابة عن هذا الطود الشامخ والعَلَم المبرّز والشيخ الثقة، وعرة المسالك صعبة المنال، والحق يُقال أنني توقفت طويلاً أمام هذه الشخصية الفذة والعبقرية المذهلة التي قَلَّ من يفرى فريها، أو يحذو حذوها، وقفت أمامها وسألت نفسي كثيراً كيف الدخول إلى ساحة هذا العالم وباحته، كيف يستطيع طالب علم أن يسبر أغوار عوالمه، وكيف يغوص وليد في أعماق والد اتسعت جوانب عطائه، ترددّت وفكرت طويلاً، وسألت الله أن يُلهمني رشدي، ثم أدركت أن هذا التردد راجع إلى عمق شخصية هذا العالم -المترجم له- وتعدد جوانب الخير فيها كما أنني أدركت حقيقة مؤداها أنني لكي أكون قادراً على النظر في فكره وعِلمه وآثاره وحياته لا بد لي من عُمر طويل، يُحسب بحبات العرق وعدد الصفحات، ولا يُحسب بالساعات والأيام.

ولكي أكون أميناً على تاريخ سيرته وتسجيل وقائع حياته ومواقع حلّه وترحاله، لابد لي من أن أكون قد تشرفت بمشاركة رحلة عمره ومسيرة أيامه، ولكنّي -والحق يُقال- لم أكن كذلك، ومع ذلك، فقد أكرمني الله بمعرفة سماحته -رحمه الله- والتردد عليه والتحدث إليه سنين عديدة أدركت خلالها ما مَنَّ الله به على هذا العالم السلفي التقي من مواهب لا تُحصى، وفضائل لا تُستقصى.

وكنت أشعر عندما كنت أتردد عليه وأتحدث إليه أنني أمام بحر لا ساحل له وكأن الشاعر[1] قد عناه بقوله:

أنا البحر في أحشائه الدُّر كامنٌ فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

لقد عرفت فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كما عرفه غيري من محبي العلم ورواد المعرفة- فما رأيت منه إلا غزارة في العلم وسعة في الاطلاع وصدقاً في النصح، وما رأت عيني مثله في قوة إرادته وصدق عزيمته مع بعدٍ في النظر، وحصيلة في الأثر.

لقد كان إماماً متبحراً في العلوم، صحيح الذهن سريع الإدراك سيّال الفهم كثير المحاسن، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه، حتى عُدَّ من الراسخين في العلم، واجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال، وكل هذه المظاهر الحسنة والخصال الحميدة التي تحلى بها هذا العالم، هي التي دفعتني واستحثت خُطاي إلى الكتابة عنه، اعترافاً بفضله وقياماً بحقه وآداءً لبعض واجبه.

(١) هو محمد حافظ إبراهيم، ولد في ديروط من أعمال مديرية أسيوط حوالي سنة ١٢٩١هـ وتوفي سنة ١٣٥٣م.

ونحن إذ نُعدد من مناقب شيخنا ما نعدد، لا نبتغي إغراقاً في المدح ولا غلوّاً في الرثاء، وإنما القصد إبراز جوانب من حياته تؤكد وتبرهن على أنه -رحمه الله- كان غاية في الصلاح والاستقامة وحب الخير وأهله والمثابرة على العمل الصالح في غير رياء ولا سمعة.

لقد كانت حياة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -طيب الله ثراه- ترجمة صادقة للأخلاق العظيمة والسجايا الكريمة التي ينبغي أن يتحلى بها كل عالم يقصد بعلمه وجه الله، وإعلاء كلمته وإعزاز دينه وإحياء سنة رسوله ﷺ، لا يخشى في الحق لومة لائم.

ذلك أن الوفاء للحق والقيام بأمره ومواجهة الناس أجمعين به، من أولى الخصال التي يحيا بها الدعاة إلى الله، وتُعد صبغة لازمة لسلوكهم، بل جزءاً خطيراً من كيانهم.

إن الغيرة على الدين والصدع بالحق وإقامة السُّنة والتحذير من البدعة، من الصفات الحميدة والخلال الحسنة التي أقام عليها الشيخ حياته، وكرَّس لها جهوده، بل كانت فيما ظهر لي مفتاح شخصيته وسر جاذبيته وتأثيره الآسر لتلاميذه ومعاصريه.

لقد ربَّى رحمه الله بهذه الصفات وتلك المؤثرات، جيلاً من الدعاة لا يزالون يحمدون غبها ويذكرون فضلها ويجتنون ثمرها، وهذا يؤكد ويُدلل على أن موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له، ولا شك أن موت العلماء فساد لنظام العالم، ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفاً عن سالف، يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده.

لقد فقدنا عَلَماً من أعلام الأمة الإسلامية، ونحن أحوج ما نكون إلى محصول علم قضى في تحصيله وتحقيقه قرابة سبعين عاماً فقدنا

ونحن أحوج ما نكون إلى نضج عقله وسلامة تفكيره ودلالة نظره، فقدنا رجلاً لا يكاد يعرف الناس له شبيهاً في أصالة معدنه وطهارة ذيله وجودة رأيه ورباطة جأشه وعفة نفسه، وغزارة علمه وعمله. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

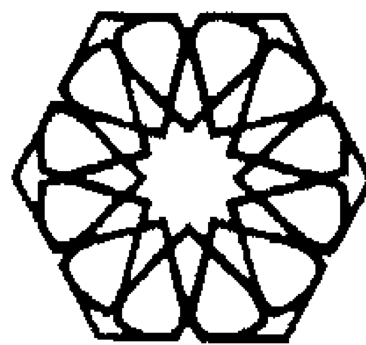
إن وفاة هذا العالم الجليل ستترك فراغاً كبيراً لن يملأه إلا بقاء علمه وفكره وذكره، لأنَّه من كبار حملة ميراث النبوة، ومن دعاة الهدى وأئمة التربية والتوجيه والإصلاح.

وإن تشييع الآلاف المؤلفة له ليدل دلالة قاطعة على وعي هذه الأمة وتقديرها للمخلصين من رجالها، وللعلماء العاملين بعلمهم من أبنائها وإنه لشاهد عدل، ودليل صدق على صلاحه وورعه، وصلابة دينه، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وأنه كان ممن طال عمره وحَسُن عمله.

وفي الختام فهذه كلمة عرفان ووفاء لم تخل من تقصير، صدَّرت بها هذه الترجمة الحافلة بالكفاح والعطاء والتضحية وإنكار الذات حتى يكون المترجم له مثلاً يحتذى وقدوة تؤتسى، تتبعت فيها حياته ناشئاً يدرج في مدارج الحياة، وشاباً يستوي للعلم وكهلاً قد تبدت مواهبه واستقامت مناهجه، وشيخاً يفيض بنور العلم والمعرفة على كل مَنْ حوله، يقصده العلماء من كل حدب وصوب، وتزخر مجالسه بطلبة العلم ورواد المعرفة.

وصلت حاضره بماضيه، وتتبعت سيرته، وتعمقت في نشأته وظروف عصره ودراسته، ووقفت على شيوخه وتلاميذه، ومؤهلاته، ثم عرَّجت على جهوده وأعماله مع استقصاء مقالاته، وجمع مسائله ورسائله وفتاواه وتعليقاته التي تتميز بقلة مبانيها، وغزارة معانيها.

فضلاً عن ذلك فقد قمت بوضع خطة دقيقة ومفصلة لهذا الكتاب اشتملت على مقدمة وثمانية فصول، سبرت من خلالها أغوار هذه الشخصية العلمية الفذّة، والتي تعتبر بحق رمزاً شامخاً من رموز العطاء الإنساني، وها هي خطة هذا العمل مفصلة.



خُطّة البَحْث

المقدمة وتشتمل على ما يأتي:

أولاً: بيان أهم الدوافع التي حملتني على الكتابة عن المترجم له مع إبراز أهمية مثل هذه البحوث والدراسات.

ثانياً: بيان الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها الشيخ وعاصرها إبّان حياته في مصر والمملكة العربية السعودية، ومدى تأثير هذه الظروف في جوانب شخصيته.

الفصل الأول: نشأته وصفاته وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

أ- اسمه ونسبه.

ب- نشأته وبيئته.

جـ- أصوله وفروعه.

المبحث الثاني: أوصافه الخلْقية، وصفاته الخُلُقية.

أ- أوصافه الخَلْقية: هيئته ولباسه، هيبته، فصاحته، فراسته، قوة حافظته وحضور بديهته، وفور عقله وبعد نظره، مواهبه وسجاياه.

ب- صفاته الخُلُقية: زهده وعفته، تواضعه، صدقه وأمانته، حلمه وسعة صدره، كرمه ومروءته، احترامه لنفسه وحسن معاشرته لغيره، ثباته على مبدئه، ابتلاؤه وصبره، نظرته إلى المجتمع ونظرة المجتمع إليه.

الفصل الثاني: حياته العلمية والعملية، وفيه المباحث التالية:
المبحث الأول: مكانته العلمية وبداية تلقيه للعلم.
المبحث الثاني: نبوغه المبكر وتقدمه على أقرانه.
المبحث الثالث: شيوخه ومؤهلاته.
المبحث الرابع: تلاميذه ومؤلفاته ورأيه في التأليف.
المبحث الخامس: مذهبه وفقهه وتضلعه في أصول الفقه.
المبحث السادس: تدريسه وقدرته الهائلة على إيصال المعلومات.
المبحث السابع: علو همته وغزارة مادته العلمية واحترامه لطلابه.
المبحث الثامن: جهوده الدعوية ودروسه العلمية.
المبحث التاسع: مكتبته وعمل يومه وليلته.
المبحث العاشر: تعليقاته القيِّمة ونقده الهادف البنَّاء.
المبحث الحادي عشر: فتاواه وبحوثه.

الفصل الثالث: أعماله ومناصبه ويشتمل على المباحث التالية:
المبحث الأول: أعماله ووظائفه في مصر.
المبحث الثاني: أعماله ووظائفه في المملكة العربية السعودية.
المبحث الثالث: علاقاته الطيبة والمتميزة بالعلماء والوجهاء ورجال العلم والسياسة.

الفصل الرابع: عقيدته السلفية وجهوده في مجال العقيدة. ويشتمل على المباحث التالية:
المبحث الأول: معنى العقيدة وأهميتها.
المبحث الثاني: منهجه في العقيدة وعنايته البالغة بالتوحيد.
المبحث الثالث: إمامته في السنَّة وحثه على التمسك بها.
المبحث الرابع: اهتمامه بكتب العقيدة وتأثره بعلماء السلف.

المبحث الخامس: دعوته إلى الاعتصام بالكتاب والسنة وكفاحه ضد البدع والمنكرات.

المبحث السادس: نماذج من كتاباته وتعليقاته وتحقيقاته في العقيدة.

الفصل الخامس: أعماله المبرورة ومساعيه المشكورة، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: سعيه الحثيث في قضاء الحوائج وبذل المعروف.

المبحث الثاني: وفاؤه لزملائه وتلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم.

المبحث الثالث: عمله الدؤوب في إنشاء المؤسسات الإسلامية والصروح العلمية.

الفصل السادس: ثناء العلماء عليه.

الفصل السابع: وفاته ومراثيه.

الفصل الثامن: رسائل ووثائق.

وفي الختام، فإني أرجو أن تقر أعين القُرّاء وتسعد نواظرهم بمطالعة سيرة هذا العالم الربَّاني الذي عاش لدينه وعقيدته وأمته، يواسي جراحها ويُخفف أتراحها، يُربِّي ويُعلِّم ويُؤسِّس ويُقّوم، يُوالي في الله ويُعادي فيه، ويُعطي لله ويمنع فيه.

أتمنى وأرجو أن تكون حياته معالم انطلاقة كبرى نحو الخير والجد والمثابرة، وإنكار الذات، والبعد عن الشهوات، والعمل المثمر البنّاء لهذا الدين وأهله.

فإلى رحمة الله تلك النفس الزكية الطاهرة، التي جدَّت في البُعد

عن الشهوات واجتناب الشبهات، وهي تشعر بالغربة في زمان تتابعت فيه الفتن وتنوعت وتكاثرت، حتى أصبح ذو القلب الحي يُنكر مَنْ يراه، وما يراه.

وإنا لنرجو أن الله قد قبض إليه هذه النفس المطمئنة غير مفتونة ولا مخذولة، وهذا هو حُسن ظنّنا بربّنا إنه هو البر الرحيم.

فيالله ما أسعدها من رحلة لصاحبها، وما أشد أثرها في عدد قليل من الناس يعرفون أيّة دُرة يتيمة فقدوا، وأيّة نفس كريمة ودّعوا.

والله تعالى أسألُ أن يتقبل عملي، وأن يجعله خالصاً لوجهه إبتغاءً لمرضاته، كما أسأله سبحانه أن يتغمد فقيد هذه الأمة والدنا وشيخنا - الشيخ عبد الرزاق عفيفي - بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يجمعنا به في دار كرامته، ومستقر رحمته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث الخيرية

بمكة المكرمة

غرة شهر رمضان المبارك ١٤١٧هـ

كلمة موجزة
عن الحالة السياسية والاجتماعية
والثقافية في عصره

أولاً: في مصر:

اليوم امتداد للأمس، والغد امتداد لليوم، والحياة الإنسانية تفاعل مستمر بين الحاضر والماضي والمستقبل، فهي بأحداثها وحدة واحدة متكاملة ترتبط ببعضها ويؤثر بعضها في الآخر، لذا نجد من العسير إيجاد فواصل بين الأحداث والعصور التاريخية، ومن ثم يتعين علينا ونحن بصدد الكتابة عن فترة تاريخية عن حياة المترجم له، أن نلُمَّ إلماماً سريعاً بالوضع السياسي في عصره الذي عاش فيه لنتعرف على أبرز سمات هذا العصر من الناحية السياسية وغيرها، ومدى تأثر شخصية هذا العالم بظروف بيئته.

أ- الحالة السياسية:

لقد عاصر الشيخ عبد الرزاق عفيفي -في الشطر الأول من حياته في مصر- أحداثاً مهمة، وعايش صوراً من الاضطراب والقلق والحيرة في جميع الميادين «السياسية والاجتماعية والثقافية» والحق يُقال إن هذه الصور من الاضطرابات كانت ترجمة لنزعات مختلفة، وآراء متباينة خلّفها تقلب مصر في أحضان الفتن والقلاقل سنين عددا، برزت خلالها تيارات

معادية للإسلام والمسلمين، سلكت مسالك الكيد الخفي للإسلام وأهله، وكان مقصدها الأول تخريب عقائد المسلمين، وتفكيك أواصر المحبة والأخوة بينهم حتى يسهل القضاء عليهم واستئصال شأفتهم، وزاد الطين بلّة سقوط الدولة العثمانية سنة (١٣٤٢هـ) بعد أن عانت من الضعف والتفكك فترة من الزمن، ونتيجة لذلك فقدت الدولة الإسلامية آخر مظهر من مظاهر الوحدة، وكان لهذا الضعف والتردي أثره الكبير والخطير على المسلمين، كمّاً ونوعاً، حتى أضحت الأمة العربية والإسلامية مجزأة وخاضعة للاستعمار الذي حاول بكل الوسائل والأساليب الخبيثة أن يطمس معالم تلك الدول وأن يفقدها هويتها الإسلامية.

ولعل الراصد للأحداث التي شهدتها مصر في عصر المترجم له (١٣٢٣-١٣٦٨هـ) (١٩٠٥-١٩٥٠م) يجد أن أبرز هذه الأحداث وأهمها ما يلي:

١- ظهور الحزب الوطني برئاسة مصطفى كامل عام (١٣٢٥هـ-١٩٠٧م).

٢- عزل الخديوي عباس حلمي وتعيين السلطان حسين كامل (١٣٣٠هـ-١٩١٢م).

٣- إعلان الحرب العالمية الأولى وفرض الحماية الانجليزية على مصر (١٣٣٢هـ-١٩١٤م).

٤- هجوم الأتراك على قناة السويس (١٣٣٤هـ-١٩١٦م).

٥- تألف حزب الوفد برئاسة سعد زغلول (١٣٣٧هـ-١٩١٨م).

٦- أحداث مارس (١٩١٩م) وقيام الشعب المصري بكل فئاته وطبقاته بمواجهة الانجليز وكبح جماحهم.

٧- إعلان استقلال مصر وتعيين السلطان فؤاد ملكاً على مصر (١٣٤٠هـ-١٩٢٢م).

٨- إعلان وفاة الملك فؤاد وتعيين الملك فاروق خلفاً له (١٣٥٦هـ-١٩٣٧م).

٩- إعلان الحرب العالمية الثانية عام (١٣٥٨هـ-١٩٣٩م).

١٠- إعلان قيام الجامعة العربية عام (١٣٦٤هـ-١٩٤٥م).

١١- مشاركة مصر في حرب فلسطين (١٣٦٦هـ-١٩٤٨م)[1].

هذه بعض الأحداث المهمة التي عاصرها الشيخ المترجم، ومما لا شك فيه انه تأثر بهذه الأحداث وتفاعل معها، وتذكر كتب التاريخ أن الأزهر أدّى دوراً مهماً وفاعلاً في الحياة السياسية في مصر، وفي صنع القرار السياسي فضلاً عن مواجهة المستعمر بكل حزم وقوة.

ذلك أن الاستعمار حاول بكل ما يملك من قوة القيام بعملية اختراق سياسي واقتصادي وثقافي تستهدف القضاء على ثوابت الإسلام، ومعالم النهضة الإسلامية، فضلاً عن ذلك فقد قام الاستعمار بمحاولات عديدة تهدف إلى غرس الحقد وبذور التفرق بين أبناء الأُمَّة وأفراد الشعب في مصر خاصة. وفي البلاد المجاورة لها عامة، ولكن المخلصين من أبناء هذا الشعب كانوا لهم بالمرصاد.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من هؤلاء المخلصين الذين أبانوا للأُمَّة عن مقاصد الاستعمار الخبيثة، حتى لا تنطلي عليهم أساليبهم

---

(١) انظر تطور الحركة الوطنية في مصر لمؤلفه عبد العظيم رمضان (ص٦٥ ـ ٨٠)، ودور القصر في الحياة السياسية في مصر للدكتور سامي أبو النور (ص١٢٩ ـ ١٤٠). ومذكرات عباس حلمي الثاني (طبع دار الشروق).

الوقحة ومخططاتهم المنحطة، وأهدافهم الدنيئة، فكان -رحمه الله- يوضّح بلسانه وقلمه أن الاستعمار عندما يفشل في تحقيق أطماعه وأغراضه بالقوة والسيف، يلجأ إلى أسلحة أخرى ربما تكون أشد فتكاً، ومن هذه الأسلحة، سلاح الدّس البغيض، والتلبيس على الشعوب، فيلبسون لذلك لأمَة النفاق، ويتدرعون بدروع التقية، خشية أسياف الغيورين من المجاهدين مستبطنين الكفر والعدوان.

وعلى الرغم من تسلّط الاستعمار وسيطرته على مقدرات الشعب المصري فلم يفلح في توهين عزيمة أبناء هذا الشعب وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم بل كان الأمر على عكس ما أرادوا، فقد هب الشعب من غفوته، وأفاق من سُباته، وكان لهم بالمرصاد، وأدرك المستعمر أن احتلال هذا الشعب مستحيل، فرجعوا إلى بلادهم يجرون أذيال الخيبة والعار، ولكنهم مع ذلك لم ييئسوا ولم يستكينوا، بل تتابعت محاولاتهم ولاتزال تتابع للنيل من الإسلام وأهله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

ب- الحالة الاجتماعية والثقافية:

وصلت الأمور الاقتصادية والاجتماعية في مصر إلى مستوى خطير من الفساد والانحراف على الرغم من وجود فائض مالي ضخم في ميزان المدفوعات، فلقد كان ٥٪ من مُلاك الأراضي، يملكون ٢٤٪ من المساحة المزروعة، في مقابل ٢٪ من المُلاك يملكون ١٣٪ فقط، فضلًا عن وجود أحد عشر مليونًا من المعدمين في الريف المصري، كما كانت زمامات قرى بأسرها مملوكة لفرد أو لأسرة، فضلًا عن وجود نظام الاستغلال الزراعي الذي كان شائعاً آنذاك.

لقد ارتفعت الأسعار في تلك الفترة ارتفاعاً هائلاً مما خلق عبئاً ضخماً على كاهل الجماهير، وهكذا فإن الوضع الاقتصادي والاجتماعي قد وصل إلى مستوى منخفض وخطير تعذر معه الإصلاح.

والخلاصة أن النشاط الاقتصادي في مصر كان يتركز عندما نشبت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢هـ-١٩١٤م) في يد العناصر الأجنبية التي تموله وتشرف عليه، وفي خلال العشرين سنة قبل بدء الحرب العالمية الأولى، توغلت رؤوس الأموال الأجنبية في الشؤون المالية المصرية إلى أن بلغ رأس المال الأجنبي عام (١٣٣٢هـ) ما يعادل ٩١٪ من مجموع الأموال التي تُستغل في الشركات المساهمة، ومع ذلك، فإن معظم هذه الأموال لم تكن تُستغل في الصناعة لأن المموّلين الأجانب كانوا غير راغبين في منافسة صناعات بلادهم، كما أن سياسة الاحتلال الإنجليزي تقضي ببقاء مصر بلدًا زراعيًا.

ويكفي للدلالة على سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وسيادة العناصر الأجنبية في مصر، وتحكمها في النشاط الاقتصادي -في تلك الفترة- أن نعلم أن الذين كانوا يعملون في التجارة المصرية سواء أكانوا مصدرين أم موردين أم باعة لم يكونوا من المصريين، فضلاً عن ذلك، فقد خصصت المناصب الدنيا للمصريين، وقصر المناصب العليا على غيرهم.

وأما من الناحية الثقافية والتعليمية، فلقد فشا الجهل، وعمّت الأمية وحُرم كثير من أبناء مصر من التعليم، وكان الانجليز يعملون جاهدين على إبقاء مصر في حالة من القصور والعجز، وأوضح دليل على ذلك، أن سياسة التعليم التي وضعها الانجليز لم يكن من شأنها أن تفضي إلى

تخريج كفاءات علمية تسد حاجة البلاد[1].

وبالجملة فلقد عايش الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- في مصر أحداثاً مؤسفة، وظروفاً قاسية، ومحناً وفتناً كثيرة، ولكنه بالرغم من هذه الأحوال المتقلبة استطاع وبتوفيق من الله، ثم بحسن معالجته للأمور أن يجتاز هذه المصاعب وأن يستلهم منها الدروس والعبر حتى أضحى شغله الشاغل جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، وتصحيح عقائدهم، وذلك بتصدِّيه للنزعات الضالة، والأفكار المنحرفة التي راجت في ذلك الوقت.

وقد ساعد الشيخ وآزره في ذلك علماء أجلاء، ومن هؤلاء فضيلة الشيخ عبد العزيز بن راشد، وفضيلة الشيخ عبد الله بن يابس -رحمهما الله- وهما من أهل الرياض.

ثانياً: في المملكة العربية السعودية:

قدم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- إلى المملكة العربية السعودية أرض الحرمين الشريفين عام (١٣٦٨هـ-١٩٥٠م)، على سجيّته لم يجتذبه طمع في مال أو منصب، وإنما قدم إليها استجابة لرغبة كريمة واختيار موفق من جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -تغمده الله بواسع رحمته- وحباً في الحرمين الشريفين، وحباً في الإسلام والمسلمين وعلماء الدعوة السلفية، الذين صاروا على منهج الدعوة الإصلاحية للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله.

ولاشك أن هذه البلاد المباركة التي هي مأزر الإيمان، وموئل

(١) انظر تطور الحركة الوطنية في مصر للأستاذ عبد العظيم رمضان (ص٦٥ - ٨٠).

العقيدة عُنيت وتُعنى دائماً بالمنهج الاعتقادي الصحيح.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -وهو من كبار علماء السُّنة في عصره- حريصاً على أن يكون في ظل هذه البلاد، يُفيد أهلها، وينعم بالأمن، والجو الإيماني الذي تعيشه المملكة العربية السعودية بتوفيق الله تعالى، ثم بحرص حكامها منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، -أيده الله- على تطبيق شرع الله، وتكريم العلماء، والحرص على التزام منهج السلف الصالح في العلم والعمل والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم يُخفِ الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إعجابه بالملك عبد العزيز -طيب الله ثراه- بل كان يُظهر هذا الإعجاب لطلابه ومحبيه، وقد ذكر ذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان -حفظه الله.

قلت: ولعل ذلك راجع إلى ما كان عليه الملك عبد العزيز -رحمه الله- من صفات نادرة وخلال كريمة، فلقد كان رجل دين ودولة وجهاد وعبادة، محباً للعلم، مؤثراً لأهله، حدباً عليهم. وضع أُسس الدولة السعودية الحديثة من مديريات ومرافق ومؤسسات إلى وزارات إلى مجلس للوزراء، إلى سلطات إدارية منظمة تنظيماً دقيقاً على أسس واضحة وبقيادة ناجحة.

ويلاحظ على النظام السياسي من خلال هذا التطور عدد من الخصائص ذات العلاقة بالتأثير على الأفراد وبخاصة المشايخ والعلماء:

أولاً: إن النظام بكامله يستند في أسسه وتكوينه وشرعيته على الشريعة الإسلامية ومبادئها المستمدة مباشرة من كتاب الله وسنة

نبيه ﷺ لذلك لم يكن للمملكة دستور وضعي وإنما اكتفت بالقرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين أساسيين للتشريع.. ومن خلال التعليمات الأساسية لنظام الحكم والتي وضعت في ١٣٤٥/٢/٢١هـ الموافق ١٩٢٦/٨/٣٠م.

ولا تزال مضامينها قائمة حتى اليوم، ونلحظ أن هذه التعليمات في قسمها الأول قد نصت على أن الدولة ملكية شورية إسلامية.. وهذا الأمر ضاعف من مهمة العلماء في سياسة الدولة حيث تولوا استنباط الأحكام التفصيلية للحكم والإدارة من القرآن الكريم والسنة النبوية تبعاً لما يعرض من مشكلات ومتطلبات لتسيير أمور الدولة..

ثانياً: أخذت المملكة بنظام التنسيق بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية مع الالتزام بالفصل بين هذه السلطات في الجوانب التي تتطلب ذلك..

ثالثاً: أعلى النظام السياسي في المملكة من قيمة السلطة القضائية ومنحها استقلالاً كبيراً في مواجهة السلطات الأخرى في البلاد.. فالسلطة القضائية في المملكة سلطة مستقلة ومقيدة معاً.. فهي مستقلة عن السلطات الأخرى التنظيمية والتشريعية والتنفيذية وليس لأحد التدخل في القضاء كما أن تعيين وترقية القضاة ونقلهم وتأديبهم وعزلهم من اختصاص مجلس القضاء الأعلى (طبقاً لنظام القضاء الصادر في ١٤/٧/ ١٣٩٥هـ والمعدل بالمرسوم الملكي رقم م وتاريخ ١٣٩٥/١٠/٢٤)..

وهذا الاستقلال هو تطبيق حازم لمبدأ «حصانة القضاة» المعروف عند جميع علماء المسلمين..

والسلطة القضائية مقيدة في نفس الوقت بأحكام الشريعة الإسلامية

والأنظمة المرعية.. وقد نص نظام القضاء في مادته الأولى على أن «القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم غير أحكام الشريعة والأنظمة المرعية»..

وكان لهذه السلطة القضائية علاقة وثيقة بالعلوم الدينية وبالعلماء ورجال الشريعة والمتخصصين في العلوم الدينية في المملكة:

* فلم يتول منصب القضاء في المملكة سوى رجال أجلاء أفاضل من أهل العلم واقتصرت هذه المهمة الخطيرة عليهم..

* كذلك فإن استقلال القضاة التام أتاح لهؤلاء العلماء كل الفرص لترسيخ شرع الله دون أي رقيب أو قيد سوى ضمائرهم ونصوص شريعة الله بحيث أصبحت أحكام المحاكم السعودية مرجعاً رائداً في تطبيق شرع الله في كل شؤون الحياة وما يستجد من قضايا ومشكلات[1].

وأما بالنسبة للحالة الاجتماعية والاقتصادية في المملكة العربية السعودية، فقد شهد الشيخ عبد الرزاق عفيفي -في الشطر الثاني من حياته- التحولات الكبرى التي عاشها المجتمع السعودي في ظل قيادته الحكيمة، وقد أدرك الفارق بين الحالتين، حالة التشتت والقلق والاختراق الاستعماري لمصر، وحالة الاستقرار والأمن والازدهار في المملكة العربية السعودية.

لقد كان هذا التحوّل وذلك الفارق له -بلا أدنى شك- أثره على شخصية (المترجم له).

---

(١) انظر ابن باز الداعية الإنسان، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ص١٢، ١٣.

بل وشخصية كل الرواد والعلماء الذين عايشوا هذه الفترة الاقتصادية من حياة المجتمع العربي السعودي وشاهدوا الجهد الذي بذل في بناء الدولة السعودية في ظل أوضاعها المالية آنذاك..

وهذه المعايشة جعلتهم -بالتأكيد- أكثر حرصاً وتصميماً وكفاحاً من أجل التمسك بالقيم الإسلامية الصحيحة النابعة من العقيدة الصافية لإدراكهم أن تلك المبادئ هي التي أقامت تلك النهضة التي يعيشونها والتي قد يتعامل معها بعض أبناء الأجيال الجديدة كمعطيات واقعة دون إدراك الفارق بينها وبين ما قبلها..

لقد تطورت مسيرة النهضة السعودية في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية وتغيرت أوجه الحياة في المملكة بشكل جذري وأقيمت بنية أساسية متطورة وارتبطت كل مناطق المملكة بشبكة من المواصلات والاتصالات الحديثة وأتيحت فرص العمل والكسب لكل مواطن وقدمت خدمات التعليم والمرافق والخدمات الاجتماعية لجميع مواطني ومناطق المملكة بمستوى واحد.

هذه الجوانب من التطور والتنمية الشاملة كان لها علاقة بمهمة ودور العلم والعلماء في المجتمع من أكثر من وجه:

* فقد أدى تعقد الحياة الحديثة وتزايد المشكلات المرتبطة بهذه الحياة إلى إيجاد مشكلات وقضايا مستجدة تتطلب جهداً وشجاعة واجتهاداً من العلماء في التعامل معها وابداء حكم الشرع فيها.

* كما أدى الترابط الدولي وسهولة المواصلات والاتصالات بين مختلف مجتمعات العالم إلى وفود بعض القيم والسلوكيات الغريبة إلى المجتمع العربي السعودي والتي تطلبت نوعية متميزة من العلماء وفقهاء

الشرع للتعامل معها وتجنيب المجتمع شرورها والتعامل مع السلطات المختصة لتأكيد أفضل مستوى من (الأمن الفكري) في البلاد.

وهكذا تضاعفت مهمة العلماء في نشر أصول العقيدة والعبادات والسنة النبوية والاضطلاع بمهمة خطيرة وكبيرة في الحفاظ على المجتمع المسلم والتعامل مع إفــرازات العالم المعاصر طبقاً لأصول ديننا وصفاء عقيدتنا.. وهي مهمة كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي أحد رجالها الشجعان والأكفاء..

وأما بالنسبة للحالة الثقافية والتعليمية، فلقد عاصر فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي الدولة السعودية وهي تخطو بخطى ثابتة وتقفز قفزات عملاقة في مجال التعليم والثقافة.

ففي وقت مبكر من مسيرة بناء الدولة السعودية الحديثة قرر الملك عبد العزيز -يرحمه الله- إنشاء مديرية المعارف العامة في غرة رمضان عام ١٣٤٤هـ ووضعت المديرية برامجها لكل المراحل التعليمية وفتحت المدارس في منطقة الحجاز.. وكان من أول مهام مديرية المعارف هو توحيد المناهج التعليمية في الحجاز.

وفي عام ١٣٤٦هـ أنشئ أول مجلس للمعارف وقام بوضع أول نظام تعليمي.. وبعد توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ اتسعت مهمة مديرية المعارف لتشمل كل أنحاء المملكة وليس الحجاز فقط، وفي عام ١٣٥٧هـ صدر نظام جديد للمعارف ألغى ما كان من أنظمة سابقة..

أما من حيث المناهج التعليمية فقد كانت هناك أغلبية واضحة للعلوم الدينية واهتمام كبير بها لدرجة أنها كانت تمثل ٥٧,٣٪ من مناهج المرحلة التحضيرية ومع التوسع في مجالات التعليم ومستوياته

أنشئت وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ واختار الملك عبد العزيز -يرحمه الله- لها خادم الحرمين الشريفين ليضع الأسس الراسخة للانطلاقة التعليمية الحديثة للمملكة والتي أثمرت اليوم مجتمعاً متعلماً يضم مئات الآلاف من خريجي الجامعات وآلافًا من الحاصلين على درجات علمية رفيعة ونحو ثلاثة ملايين طالب وطالبة.

وبالطبع نهضت هذه الانطلاقة التعليمية على الأسس نفسها التي وضعت لبناء دولة حديثة تستمد مقوماتها من شريعة الإسلام(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أسهم وبشكل فعال ومؤثر في بناء النهضة التعليمية التي وصلت إليها المملكة العربية السعودية اليوم، وشارك سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية والرئيس العام للمعاهد والكليات الشيخ محمد بن إبراهيم -تغمدهما الله بواسع رحمته- في وضع مقررات ومناهج المعاهد التعليمية وجامعة الإمام والجامعة الإسلامية وغيرها، والتي خرجت بدورها أمماً لا يحصون كثرة من العلماء والدعاة وطلبة العلم.



(١) انظر ابن باز الداعية الإنسان، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ص١٤، ١٧.

الفصل الأول
نشأته وصفاته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته

المبحث الثاني: أوصافه الخَلْقية، وصفاته الخُلُقية

الفصل الأول

نشأته وصفاته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول

اسمه ونسبه ونشأته

اسمه ونسبه:

هو العالم الجليل، والسلفي النبيل عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي، ولد في الرُّبع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وعلى وجه التحديد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٢٣هـ الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٥م، في قرية شنشور مركز أشمون التابع لمحافظة المنوفية، وهي إحدى محافظات مصر.

نشأته وبيئته:

نشأ الشيخ عبد الرزاق في بيئة معطرة بأنفاس القرآن الكريم وسط أسرة محافظة وفي مجتمع ريفي بعيد عن فتن الحواضر ومفاسدها.

ففي قرية شنشور، تلك القرية الهادئة المتواضعة التي تترابط أُسرها وتمتزج في كيان واحد، وتتنسم عبير الإخاء والود: في هذه القرية نشأ الفتى عبد الرزاق عفيفي، نشأة صالحة، تغمرها العاطفة الدينية الجياشة وتوثِّق عراها سلامة الفطرة وحُسن الخُلق والبعد عن الخرافات

والخزعبلات، وكان لهذه النشأة الطيبة أثرها البالغ في حياة -المترجم له- حيث بدأ حياته العلمية بحفظه لكتاب الله تعالى حفظاً متقناً مع تجويده على يد عدد من مشايخه آنذاك، ومنهم الشيخ محمد بن حسن عافية، والشيخ محمد بن عبود عافية، هذا فضلاً عن والده، الذي قام على تربيته وتنشئته أحسن ما يُنشأ الفتيان الذين هم في مثلِ سنِّه، قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا   على ما كان عوَّده أبوه
وما كان الفتى نجماً ولكن   يُعوِّده التدُّين أقربوه

أصوله وفروعه:

ينتمي الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى أسرة كريمة، طيبة الأخلاق، محمودة السيرة حسنة السمعة، متمسكة بالأخلاق الإسلامية وأخلاق أهل القرية والريف التي لم تتلون بمظاهر الحضارة الكاذبة.

فوالده هو الشيخ عفيفي بن عطية النوبي، من مشاهير قرية شنشور وصالحيها، كان حافظاً لكتاب الله تعالى ،وكان الشيخ عبد الرزاق كثيراً ما يتحدث عن والده للخاصة من طلابه،وقد ذكر لي فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام -حفظه الله- أنه رأى والد الشيخ عبد الرزاق عند أول قدوم له إلى المملكة سنة(١٣٦٨هـ) وهي نفس السنة التي قدم فيها الشيخ عبد الرزاق إلى أرض الحرمين الشريفين، وكان والد الشيخ عبد الرزاق يرتدي العمامة البيضاء المستديرة فوق رأسه وهي لباس أهل مصر آنذاك.

فروع الشيخ عبد الرزاق عفيفي:

إن من أعظم النِّعم وأكبر المنن أن يُوفَّق الإنسان بعد تقوى الله عز وجل إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه، تُطيعه إذا أمر وتسره

إذا نظر، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله، تتقن عملها وتعتني بنفسها وبيتها وزوجها، فهي زوجة صالحة، وأم شفيقة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، ولا أدلَّ على ذلك من قوله ﷺ: «المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»[1]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[2]. وقوله ﷺ: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح»[3].

ولقد كان من نعم الله وحُسن بلائه على فضيلة الشيخ عبد الرزاق أن وفّقه لزوجة صالحة وسيدة فاضلة، من أسرة كريمة وعائلة فاضلة هي عائلة (سالم) بالأسكندرية، وأصلها من إسنا بصعيد مصر، وقد رزقه الله منها عدداً من البنين والبنات[4].

أما الأبناء فهم:

١- المهندس الزراعي أحمد عاصم بن عبد الرزاق عفيفي، ولد سنة ١٣٦٤هـ-١٩٤٤م، وتوفي في حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م بمصر.

٢- الأستاذ محمد نبيل بن عبد الرزاق عفيفي -حفظه الله- ويعمل مراقباً مالياً بالخطوط السعودية بجدة، وهو من أبر أبناء الشيخ وأرعاهم

---

(١) متفق عليه، البخاري (الفتح ٧١٣٨/١٣) ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(٣) رواه أحمد (١٦٨/١) والحاكم (١٦٢/٤) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤٢/٣) وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني والبزار.
(٤) وقد توفيت يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٤١٦هـ ـ رحمها الله.

لحقوقه في حياته وبعد وفاته، جزاه الله خيراً، وهو من مواليد سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م.

٣- الأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي -حفظه الله- عمل مدرساً بالرياض ثم ترك التدريس وتفرغ لخدمة والده في السنوات الأخيرة من حياته -رحمه الله- فجزاه الله خيراً، وجعل أعماله الصالحة في موازين حسناته، وهو من مواليد سنة ١٣٦٩هـ-١٩٤٩م.

٤- الأستاذ عبد الله بن عبد الرزاق عفيفي، تُوفي في حياة والده سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م -رحمه الله.

٥- الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرزاق عفيفي، توفي في حياة والده إثر حادث وقع عليه سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، وكان من طلبة العلم المبرَّزين ومن أكثر أبناء الشيخ التصاقاً به وكان يعمل بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض -رحمه الله.

وأما البنات فثلاث: وقد أكرمه الله بأصهار صالحين بررة ولا نزكي على الله أحداً نحسبهم كذلك وكان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- يهتم بتربية أولاده بل وحتى أحفاده وينشئهم تنشئة صالحة، فكانوا مثالاً في الاستقامة والبر ورعاية الحقوق، وآداء الأمانات.

المبحث الثاني
أوصافه الخَلْقية وصفاته الخُلقية

أ- أوصافه الخَلْقية:

كان رحمه الله قوي البُنية، جسيماً مهيباً، طويل القامة، عظيم الهامة، مستدير الوجه، قمحي اللون، له عينان سوداوان يعلوهما حاجبان غزيران ومن دون ذلك فم واسع ولحية كثة غلب البياض فيها على السواد، وكان عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكفين والقدمين، ينم مظهره عن القوة في غير شدة.

هيئته ولباسه:

كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- حَسَن الهيئة، جميل المظهر في غير تكلف، له سمت خاص في لباسه، يرتدي ثوباً فضفاضاً أشبه ما يكون بلباس أهل مصر، إلا أنه مُحاك على السُّنة، وكان يعجبه اللباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات، وهو سلفي المظهر والشارة.

ومجمل القول: أن الشيخ -رحمه الله- كان رجلاً متميزاً في هيئته ولباسه يرتدي ما يراه متفقاً مع مكانة العلم والعلماء، وظل متمسكاً بهذه الهيئة المتميزة من اللباس إلى آخر حياته المليئة بالجد والكفاح والمثابرة.

هيبته:

كان الشيخ -رحمه الله- رجلاً مهيباً، من رآه بديهة هابه، فيه عزة

العلماء، لايتزلف إلى أصحاب المناصب زائراً أو مَزوراً، يقول أحد تلاميذه[1]: إن الشيخ كان يفرض احترامه على طلابه، وكان الطلاب يهابونه حياءً ويقدرونه في أنفسهم، وما سمعت منه كلمة مؤذية قط[2].

لقد كان الشيخ مهيباً حقاً، ومع هذه الهيبة كان آية في التواضع وحُسن المعاشرة وعلو الهمة، بعيداً عن الصلف والتكلف المذموم، أبيّاً عزيز النفس، وكأن الشاعر قد عناه بقوله:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذُّل أحجما
أرى الناس مَنْ داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أُكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلّما ... بدا طمعٌ صَيَّرتُه لي سُلَّما
وما كلُّ بَرْق لاح لي يَستفزُّني ... ولا كلُّ مَنْ لاقيتُ أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظَّما[3]

فصاحته:

اللغة العربية لغة جميلة، فهي لغة القرآن والسُنَّة، أسلوباً ومنهجاً، ومقصداً ومغزىً، فهي الطريق إلى فهمهما والعمدة في إدراك أسرارهما، فهي بحق من مستلزمات الإسلام وضروراته[4].

والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- يُعد وبجدارة من أرباب الفصاحة وأساطين اللغة في علم النحو خاصة وعلوم العربية كافة.

كان آية في التحدث بلغة الضاد (اللغة العربية الفصحى) كتابة

---

(١) هو الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل حفظه الله.

(٢) انظر كلمة الشيخ ابن عقيل في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

(٣) هذه الأبيات لعلي بن عبد العزيز القاضي، انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص٩٢.

(٤) هذا التعبير الجميل من كلام فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي وانظر مقدمة الإحكام في أصول الأحكام للآمدي.

ومحادثة. وكان ذا بيان مشرق متدفق، وأداء جميل ونبرات مؤثرة في غير تكلف، وكان إذا تكلم أسمع وعُقل عنه.

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون شاملة،[1] وهو إلى جانب ذلك، سهل العبارة، عذب الأسلوب، تتسم عباراته بالإيجاز والإحكام والبيان والجزالة، وكان بعيداً عن التكلف، والتمتمة والفأفأة والتنطع والتشدّق.

وإني أتمنى أن يعتني طلبة العلم وحملة الشريعة ورواد المعرفة بهذه اللغة العظيمة، اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

عن عمر بن الخطاب رضي عنه قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم»، وعن عمرو بن زيد قال: «كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- أما بعد: «تفقهوا في السُّنة وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي». وقال عبد الحميد بن يحيى: «سمعت شعبة يقول: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل».

وقال عبد الملك بن مروان: «اللّحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه». وأوصى بعض العرب بنيه فقال: «يا بني أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيحتال فيها فيستعير من أخيه دابته، ومن صديقه ثوبه ولا يجد من يُعيره لسانه».

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: «الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله»[2].

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ محمد بن لطفي الصباغ في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص (٢٠٧).

فراسته:

قال ابن القيِّم -رحمه الله- :الفراسة الإيمانية سببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحق والباطل والحالِ والعاطل، والصادق والكاذب، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسة، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم الأُمَّة فراسة، وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووقائع فراسته مشهورة فإنه ما قال لشيء: «أظنه كذا إلا كان كما قال» ويكفي في فراسته موافقته ربه في مواضع عِدّة.

وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة، وأصل هذا النوع من الفراسة من الحياة والنور اللَّذَين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ. قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

قال بعض السلف: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمَّر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السُّنة لم تخطئ فراسته.

قال الماوردي -رحمه الله-: ينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلِّم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمله بذكائه، أو يضعف عنه ببلادته، فإنه أروح للعالم، وأنجح للمتعلم[2].

والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ولا أُزكِّي على الله أحداً كان صاحب بصيرة نافذة، وفراسة حادة، يعرف ذلك عنه مَنْ خالطه

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

(٢) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٢٠).

وأخذ العلم على يديه[1]، ومما يدلِّل ويؤكد على فراسة الشيخ أنَّه كان يتأمل وجوه تلاميذه ويتفرس فيهم، فيعرف المجد من الخامل، والنابه من الجاهل فيخص هؤلاء بعلم قد لا يخص به أولئك. وثمَّ دليل آخر على فراسة الشيخ أنَّه كان -رحمه الله- يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات ويتأمل وجوه أصحابها فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة وقلّما ينطلي عليه مكر أو احتيال. ومما يدل كذلك على صدق فراسة الشيخ ومعرفته بالرجال ما ذكره فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد المنعم قائلاً: حدثني -رحمه الله- في مجلس الفتوى في (مِنَى) فقال: إذا سأل البدوي عن مسألة وكان الجواب موافقاً لما يهوى فإنه يسأل سؤالاً آخر قريباً من الأوَّل أو بعيداً، أما إذا كان الجواب بخلاف ما يهوى فإنه يسكت وينصرف[2].

وهكذا أكسبه طول التعامل مع المستفتين معرفةً لنفسياتهم، فكانت إجاباته بإيضاح الحكم فيما يُسأل عنه من التوسع أو من الإيجاز، ملحوظاً فيها ما ينقدح في ذهنه من مقصد السائل عند إلقاء السؤال من رغبة في معرفة الحكم الشرعي في المسألة أو في خلاف ذلك.

ولله در من قال:

أَلْمَعيُّ يرى بأوَّل رأيٍ   آخرَ الأمر من وراء المغيبِ
لَوذَعيٌّ له فؤادٌ ذكيٌّ   ما له في ذكائه من ضريبِ
لا يُروِّي ولا يقلِّب طرفا   وأكفُّ الرجال في تقليبِ[3]

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان في الفصل السابع، وقد جاء فيها بأن الشيخ عبد الرزاق كان يفرض احترامه على جليسه، كثير التأمل، دقيق الفهم، نافذ الفراسة.

(٢) انظر كلمة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد المنعم في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٣) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٢١).

قوة حافظته وحضور بديهته:

كان رحمه الله قوي الحافظة، سريع البديهة، مستحضر الفهم، شديد الذكاء وافر العلم غزير المادة، صاحب ألمعية نادرة ونجابة ظاهرة.

إن نعمة الحفظ، وقوة الذاكرة، من أقوى الأسباب -بعد توفيق الله عزَّ وجل- على طلب العلم، ولقد كان لهذه الحافظة القوية، والذاكرة الجبارة أثرها البالغ في تحصيل ثروته العلمية، والتي بُنيت على محفوظاته التي علقت بذاكرته في مرحلة التعلم والتعليم، وقد رزقه الله من الذكاء وقوة الحفظ ما مكَّنه من إدراك محفوظاته العلمية عن فهم وبصيرة، فكان الشيخ يُدرك حقيقة ما يُعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع بتوفيق الله ثم بذكائه الحاد وبصيرته النافذة، ولم يكن ينطلي عليه خداع أو احتيال.

ومما يؤكد ويبرهن على قوة حافظة الشيخ، وسيلان ذهنه أن أحد الموظفين بإدارات البحوث العلمية والإفتاء، سأل الشيخ وأنا جالس بجانبه -في مقر هيئة كبار العلماء بمدينة الطائف- عن مرجع لمسألة يريد أن يرجع إليها، فدلّه الشيخ على كتاب المغني لابن قدامة، وذكر له الجزء والصفحة والمكان وهذا إن دلَّ فإنما يدل على شدة ملاحظته وتوقد ذهنه -رحمه الله.

وثمّ دليل آخر يؤكد على قوة ذاكرة الشيخ، وهو أنه رحمه الله كان يقصُّ قَصَصاً ويذكر أحداثاً ووقائع من أعماق التاريخ ترجع إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن، يذكرها وكأنها ماثلة أمام عينيه.

وثمّ دليل ثالث على عمق حافظة الشيخ وحضور بديهته، ما ذكره

أحد تلامذته، من أن الشيخ، أملى عليهم من حفظه في مادة التفسير أكثر من مائة صفحة[1].

ويؤكد هذا كلّه فضيلة الشيخ محمد بن سعد السعيد[2] قائلاً: «لقد حباه الله قوة الحافظة والدقة في الفهم وسرعة البديهة وحصافة الرأي، مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع.

وفور عقله وبُعد نظره:

إنَّ مِن المسلَّم به أنَّ لكلِّ فضيلة أُسَّاً، ولكلِّ أدبٍ ينبوعاً، وأُسّ الفضائل، وينبوع الآداب هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدِّين أصلاً، وللدنيا عماراً، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مُدبَّرة بأحكامه، وألَّف به بين خلْقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصل الرجل عقله، وحسَبه دينه، ومروءته خُلُقُه، وقال الحسن البصري رحمه الله: ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً، وقال بعض الأدباء: صديق كل امرئ عقله.

وقال إبراهيم بن حسَّان:

يزينُ الفتى في الناس صحّة عقلهِ وإن كان محظوراً عليه مكاسبُهْ
يشينُ الفتى في الناس قِلَّةُ عقله وإن كَرُمت أعراقُهُ ومناسِبُه

---

(١) ذكر ذلك الدكتور (حمد الجنيدل) وانظر كلمة رثاء وعزاء في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) هو إمام وخطيب مسجد سلطانة بالرياض، وانظر كلمته في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

يعيش الفتى بالعقل في الناس إنَّهُ ... على العقل يجري عِلْمُه وتجاربه
وأفضلُ قَسْم الله للمرءِ عقلُه ... فليس من الأشياء شيٌ يقاربُه
إذا أكمل الرحمن للمرءِ عقله ... فقد كَمِلَتْ أخلاقُه ومآربُه[1]

وإنَّني لأشهد بالله أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- كان مِن العلماء القلائل، الذين جمع الله لهم بين وفرة العلم ووفور العقل وبُعد النظر، فكان مثالاً للداعية المسلم الحق الذي يدعو إلى الله على بصيرة، وإلى جانب تعقل الشيخ وبُعد نظره فقد تميَّز -رحمه الله- بسعة علمه، ومقدرته على الفهم الدقيق، والاستنباط الواعي، والتمييز المستبصر.

إنَّ كلَّ مَنْ رأى الشيخ وجلس إليه يشهد له بحنكة باهرة، وحكمة ظاهرة واطلاع واسع، وعدم خوضه فيما لا يعنيه، وإعراضه عن التحدث في الموضوعات ذات الحساسية، وهو مع ذلك فقيه بواقع أُمَّته ومُطَّلع على ظروف عصره، يعيش آمال الأُمَّة وآلامها ساعة بساعة ولحظة بلحظة.

ولقد أكسبته هذه الخصال الحميدة والسجايا الحسنة، احترام الناس له، وتقديرهم لعلمه وفضله، حتى أصبح موضع تقدير الجميع، علماء وعامة.

يقول فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان: كان الشيخ -رحمه الله- كثير الصمت يفرض احترامه على جالسيه، كثير التأمل، شديد الملاحظة، وافر العقل، نافذ الفراسة[2].

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٢٠).

(٢) هو فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان، وانظر كلمته وداعاً أيها الإمام في الفصل السابع.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي[1]: ما رأيت رجلاً من المصريين أعقل من الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- جمع بين العلم والعقل فيا سعادة مَنْ جمع بين العلم والعقل، وكما قيل ليس على عاقل غربة.

وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم: لقد جمع فضيلة الشيخ عبد الرازق عفيفي العلم والعقل، فيا سعادة من جمع العلم والعقل، إذ لا يستغنى أحدهما عن الآخر[2].

لقد كان الشيخ -يرحمه الله- صافي الذهن، بعيد النظر، ينظر إلى عواقب الأمور، ويوازن بين المصالح والمفاسد ويُبيِّن لجالسيه وطلابه أن التعجل والتهّور وعدم النظر في العواقب، يجلب على الأمة ويلات كثيرة، فلله درُّه من عالم فحل، وعاقل متأدب وداعية محنك، لم يهزه طيش، ولم يستفزه خَرَق.

ولقد صدق من قال:

إذا تمَّ عقلُ المرءِ تمّتْ أمورُهُ   وتَمّت أمانيهِ وتَمَّ بناؤُهُ

وقال أبو بكر بن دريد:

العالم العاقل ابن نفسِهِ   أغناه جنسُ عِلْمهِ عن جِنْسِهِ
كن ابن مَنْ شئتَ وكن مؤدَّباً   وإنما المرء بفضل كَيْسِه
وليس مَنْ تكرمهُ لغيره   مثل الذي تكرمهُ لنفسِه[3]

(١) هو فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وقد حدثني فضيلته بأن الشيخ عبد الرزاق من الرجال الذين قرنوا العلم بالعمل.

(٢) انظر كلمة (لمحات من حياة الشيخ عبد الرزاق) الفصل السادس: (ثناء العلماء عليه).

(٣) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص(٧٦).

مواهبه وسجاياه:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- يتمتع بمواهب وسجايا وخصال قَلَّ أن تجتمع في غيره، فقد كان -رحمه الله- يتحلى بسعة العلم والأناة والحلم، والهدوء في المحاورة والمناقشة، والقدرة على الإقناع وتقريب الأمور إلى الأذهان.

يقول أحد طلابه: لقد حباه الله قوة الحافظة ودقة الملاحظة، وسرعة الفهم وسيلان الذهن وحصافة الرأي، مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع، ولين الجانب، وكان كثير الصمت قليل الكلام إلا فيما ترجحت فائدته ومصلحته. أهـ.

وبالجملة فقد كان الشيخ -رحمه الله- يتمتع بصفات حسنة وسجايا كريمة. لقد كان مثالاً يحتذى في أدبه وعلمه وأخلاقه وقدوة في تصرفاته. لقد كان موهوباً.

صفاته الخُلُقية:

إنَّ من عاصر الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- وخالطه وعاشره يتفق معي أنه كان رجلاً قوي الشخصية متميز التفكير،مستقل الرأي نافذ البصيرة، سليم المعتقد حَسن الاتباع، جم الفضائل، كثير المحاسن، مثال العلماء العاملين، والدعاة المصلحين، فيه عزة العلماء وإباء الأتقياء، غاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع حكمة ولطف وبُعد نظر، لا يجابه أحداً بما يكره ولا ينتصر لنفسه.

كان زاهداً عابداً أميناً صادقاً كثير التضرع إلى الله، قريب الدمعة، زكي الفؤاد، سخي اليد، طيب المعشر، صاحب سنة وعبادة، كثير الصمت، شديد الملاحظة، نافذ الفراسة، دقيق الفهم، راجح العقل، شديد

التواضع، عف اللسان. وبالجملة: فقد اتصف الشيخ -رحمه الله- بصفات جميلة، وخلال حسنة، وشيم كريمة، يجمُل بنا أن نتناولها بشيء من التفصيل.

زهده وعفته:

إن الزهد في الدنيا معنىً جميل، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة، فهو خيرُ معين على التفرغ للعظائم، وأقوى محققٍ لمعاني القوة في النفس والعقل والبدن. وأكبر عامل على صفاء القلب وصونه عما يتورط فيه من الحقد والغل والحسد وأدعى شيء إلى العفاف والترفع عن السفاسف وإلى عزة النفس والصدع بالحق ومقاومة الشر.

وعلى الجملة فهو كنز النفس العظيمة وميزة الصفوة المختارة، والخيِّرة الأبرار.

والزهد ليس كما يزعم بعض الجاهلين، قبوعاً عن كل جليلٍ وعظيم من الأعمال، وليس الزهد كما يُخيَّل للحمقى والمغفلين الذين غرَّر الشيطان بهم. هو الذلة والمسكنة والفقر والمتربة والضعف والحاجة، والكسل اللاصق بالأرض القانع بالدون من الحياة.

لكنه زهد تربية، وزهد النفس التي تعف فيما تملك، وتترفع عن أن تمد عينيها إلى ما لا تملك، إنَّه العزة التي لا يُذلها مطمع من مطامع الدنيا ولا تغريها شهوة من شهواتها، إنه زهد القلب وعفة الروح وطهارة الجوارح، إنه التجرد الكامل من رِقِّ النفس وأهوائها وشهواتها[1].

لقد كان زهد السلف الصالح رضي الله عنهم وخشونة ملبسهم

(1) انظر مقدمة كتاب الزهد لهناد بن السري ـ تحقيق محمد الليث الخير آبادي.

وجثوية مطعمهم، من أبلغ عوامل الرهبة في قلوب أعدائهم، وأوكد أسباب خضوع الدنيا لهم.

وعندما خَلَفَ من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ورغبوا في العاجل، وأعرضوا عن الآجل، تبددت الرهبة من صدور أعدائهم وتمنّعت الدنيا وعزّتْ على عمّالهم، وتكالبت عليهم الأمم، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها»** فقال قائل أو من قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهْنَ»**، فقال قائل: يارسول الله وما الوهْن. قال: «حبُّ الدنيا وكراهية الموت»[1].

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- رمزاً ومثالاً يُحتذى وقدوة تُؤتسى في الزهد والورع وإنكار الذات.

كان زاهداً في الدنيا مُتقلِّلاً منها مُعرضاً عنها، مُتحلِّياً بالطاعة، مستشعر العفاف والكفاف، مقتصراً من نفقته وملبسه على ما تدعو إليه الحاجة والضرورة.

لقد كان -رحمه الله- متواضعاً في مسكنه ومأكله ومشربه وسائر أموره، وما عرفتْ الدنيا طريقاً إلى قلبه ولم يكن يهتم بها، ومع أن غيره ممن هو دونه كان يتقلب في النعيم وينام على الوثير من الفراش، كان الشيخ -رحمه الله- يؤثر خشونة العيش وعدم التوسع في الملذات، على الرغم من أنه مُدّ بأسبابها.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٢٩٧) وأحمد في المسند (٢٧٨/٥) من طريق آخر وسنده قوي.

والبرهان على أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما سلك سبيلاً لازدياد كسبٍ مادي، وما أكثر سُبل الكسب المادي لو أرادها، ومما يؤكد ذلك ويدعمه أنه كان -رحمه الله- محباً للتستر، بعيداً عن المظاهر والتصدّرِ، يكره الشهرة ويأبى أن تُسلَّط عليه الأضواء، ويبتعد عن وسائل الإعلام بُعداً لا هوادة فيه.

يقول أحد طلابه: لقد جاء الشيخ إلى السعودية على عِلْمه وسجيته لم يجتذبه طمعٌ في مال أو جاه أو منصب، وقد عَلِم الله صلاح نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي وهو لم يطلبها، فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق[1].

قلت: ومما لا يُنكر من أخلاقه الظاهرة وزهده وورعه، كراهيته الشديدة للمدح والثناء عليه وتقبيل رأسه ويديه، فما كان يرضى من أحد أن يُثني عليه أو يبالغ في مدحه.

وأما عفَّة الشيخ وتعففه فهو بحر لا ساحل له، وقد تكفي الإشارة إن لم تُسعف العبارة، وصفوة القول أن الشيخ -رحمه الله- كان شديد التعفف، غاية في الزهد، نموذجاً للأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة.

كما كان رحمه الله عف اللسان عفيف النفس طاهر الذيل، بعيداً عن المحارم، مجانباً للمآثم.

يبيتُ مُشمِّراً سهر الليالي ... وصام نهاره لله خيفة
وصان لسانه عن كلِّ إفك ... وما زالتْ جوارحه عفيفة
يعفُّ عن المحارِمِ والملاهي ... ومرضاة الإله له وظيفة

---

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

تواضعه:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[1]. والتواضع هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة للخلق، ومنشأ التواضع من معرفة الإنسان قدر عظمة ربه ومعرفة قدر نفسه، فمن عرف نفسه وتواضع لربه فإنه لا يتمرض على خالقه باقتراف الجرائم والآثام، كما أنه يعامل الناس معاملة حسنة بلطف ورحمة ورفق ولين جانب، لا يزهو على مخلوق ولا يبالي بمظاهر العظمة الكاذبة، ولا يترفع عن مجالسة الفقراء والمشي معهم وإجابة دعوتهم، ومخاطبتهم بالكلام اللين ولا يأنف من استماع نصيحة من هو دونه، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[2].

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليّن الجانب، سهل الخلق، شديد الزهد في أعراض الدنيا، يلبس الخشن من الثياب، ويرتاح لذلك ويعلله بأنه يناسب بدنه صحياً، ولم يكن له ترتيب خاص في حياته كما هي عدة الأثرياء والوجهاء، كما أنه ليس له ترتيب خاص به في مجلسه وطعامه ولقائه بالعلماء والعامة وطلبة العلم، وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس،وكان كثير التأمل، شديد الملاحظة، يؤثر الصمت ولا يتكلم إلا عند الحاجة، ولا يزيد عن المطلوب منه، وكان لا يتشدق في الكلام، ولا يتكلف ما ليس عنده، ولا يزهو على أحد بعلمه ولا يترفع على جلسائه بل يباسطهم ويمتزج بهم، ومع هذا فهو بتواضعه متميزٌ بخفض

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٢) سورة الفرقان: الآية (٦٣).

جناحه لطلابه وجلسائه، متعزز قد زاده التواضع رفعة، وخفض الجناح شرفاً.

يقول الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي: كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- محل القدوة والأسوة ،شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه، إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر الأحداث والمواقف، ونزل معه على قدره صغيراً كان أو كبيراً[1].

وقال الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: كان الشيخ عبد الرزاق متواضعاً يكرم الصبيان والفتيان ولا يدعوهم إلا بألقاب التكريم، وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكة أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رأيته في قمة التواضع، إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنه أحق منهم بهذا التقديم[2].

صدقه وأمانته:

إن من أعظم مكارم الأخلاق التي أمر الله بها وأمر بها رسوله ﷺ، الصدق. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3].

وقال ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة»[4].

---

(1) انظر كلمة (ذكريات مع الحبر الفقيد)، الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(2) انظر كلمة (الشيخ عبد الرزاق من بقية السلف) الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(3) سورة التوبة: الآية (119).

(4) رواه البخاري (الفتح 10/6094) ومسلم (2602).

لقد بلغ الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- من الصدق والأمانة مبلغاً وغاية جعلته موضع التقدير والاحترام والتوقير من طلابه ومحبيه، كان لا يتكلم إلا بما يعتقد أنه الحق، وكان يؤثر الصمت في بعض الأوقات، ولكنه إذا تكلم في أمر من الأمور أقنع محدثه لقوة حُجته وصدق لهجته وبعده عن الكلام المبتذل والتلوّن في الحديث، وهذه الصفات الحسنة والخلال الحميدة جعلت الشيخ يحتل مكان الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية والمؤسسات الدعوية بالمملكة.

ويؤكد هذا أحد طلابه(١) قائلاً: عرفت الشيخ عبد الرزاق أستاذاً ماهراً وبحراً زاخراً بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلوم الشرعية واللغة العربية، وعرفته كذلك محدثاً واعظاً ومرشداً أميناً، جم المعرفة، غزير العلم، متواضعاً كثير الزهد والتقشف مقبلاً على الله في جميع أقواله وأعماله(٢).

قلت: ومنْ قرأ فتاوى الشيخ واستمع إلى ردوده على المستفتين يُدرك أنه كان -رحمه الله- صادقاً في قوله أميناً في نقله لكلام أهل العلم ومذاهبهم، وأنه -رحمه الله- كان يلتمس الحق من وجهته، ويتبعه من مظانه.

حلمه وسعة صدره:

من الصفات الحميدة والفضائل الرشيدة، التي ميّز الله بها الإنسان على غيره من بقية المخلوقات، فضيلة الحلم.

فالحلم من أشرف الأخلاق وأنبل الصفات، وأجمل ما يتصف به

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان ـ حفظه الله.

(٢) انظر الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

ذوو العقول الناضجة والأفهام المستنيرة. وهو سبيل كل غاية حميدة، ونتيجة حسنة ونهاية سعيدة.

ولقد بيَّن رسول الله ﷺ منزلة الحليم وما له من أجر وثواب عظيم عند الله وكفى بمحبة الله له، وثناء رسول الله ﷺ عليه، ودليل ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لأشج عبد القيس: «أن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». رواه البخاري ومسلم.

وفي سنن أبي داود أن المنذر الأشج قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلّتين يحبهما الله ورسوله.

وبلوغ الحليم هذه المنزلة ليس بعجيب ولا غريب، ذلك أن الحلم هو سيد الفضائل، وأُسّ الآداب، ومنبع الخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ..﴾ الآية.

قال عطاء بن أبي رباح في تفسير قوله تعالى ﴿هَوْنًا﴾: «حُلماء علماء»[1].

وقال أكثم بن صيفي: «دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وخير الأمور العفو»[2].

وقال عطاء بن أبي رباح[3]: «كان يُقال ما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم».

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٢٧١/٦) وإحياء علوم الدين (١٧٧/٣).

(٢) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (١٧٨/٣).

(٣) سنن الدارمي (١٥٢/١) رقم ٥٧٦.

ولقد منّ الله تعالى على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، فجمع له بين أكرم خصلتين، وأعظم خلتين: هما العلم والحلم، والعالم العظيم حقاً كلما حلّق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس الأعذار لأغلاطهم.

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: من الصفات التي تَميَّز بها الشيخ عبد الرزاق، سعة صدره، وبعد نظره، وزهده في الدنيا ومتاعها[1].

كان رحمه الله من سعة صدره يتحمل مسايرة جميع أصناف البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعوائدهم وأخلاقهم، وتباين آرائهم، لا يمل حديثهم، ولا يسأم من سماع مشكلاتهم، ولا يغضب من كثرة أسئلتهم وفتاواهم. ويؤكد هذا فضيلة الشيخ يوسف المطلق فيقول: كان الشيخ عبد الرزاق يشجع على العلم والدعوة، وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصياً أو تحريرياً، وما كان يسأم من السائلين بل كان يبذل جهده حتى يفهم سائله[2].

وبالجملة فقد كان -رحمه الله- رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك، حليماً رفيقاً، لا يواجه أحداً بما يكرهه وذلك لسعة صدره وغزارة علمه وحيائه رحمه الله.

كرمه ومروءته:

الكرم في اصطلاح العلماء هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، وإكرام السائل مع بذل النائل.

---

(١) انظر الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) انظر كلمة (هكذا عرفنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي) الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

والشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان كريماً كرماً أصيلاً لا يتكلف لأحد، وكان يكره المباهاة والمفاخرة، يقدم ما تيسَّر من الطعام ومما كان يعده لنفسه، وكان بذلك قادراً على أن يُقيم في كل يوم وليمة، وكان إذا علم بمجيء عالم أو صديق يعرفه دعاه إلى الطعام وكان طعامه طيب النكهة شهي المذاق، كان يفد إلى بيته طلبة العلم والعلماء والدعاة والذين يبغون الشفاعة في أمر من أمورهم، فكان بيته ملتقى الضيوف وذوي الحاجات ومنتدى العلماء وطلبة العلم، كان جواداً بالخير جالساً على محجة بارزة للضيوف.

وهذه الصورة المشرقة عن كرم الشيخ ومروءته تعتبر بمثابة دعوة مفتوحة إلى التنافس في الخير والتسابق في ميادين الفضيلة والبعد عن الشح والحرص، ذلك أن الإسلام دين يقوم على التعاون والبذل والإنفاق، ويُحذِّر من الأنانية والإمساك، ولذلك رغَّب ﷺ في أن تكون النفوس بالعطاء سخية، والأكف بالخير ندية، ووصَّى أُمَّته بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر وبذل المعروف، وإلى كل خُلُق نبيل.

وأما مروءته، فهي بحر زخَّار، ونهر غمر، ولا شك أن المروءة من شواهد الفضل ودلائل الكرم، وهي حلية النفوس وزينة الهمم.

إنَّ المروءة كلمة يُراد بها الشهامة والرجولة ونصرة المظلوم وكف يد الظالم، وبذل الإحسان، وقِرى الضيف، وكل هذه المعاني الحسنة والخلال الطيبة كانت من أبرز سمات الشيخ عبد الرزاق، بل كانت أُسَّ حياته، ومفتاح شخصيته، وكأن لسان حاله يقول:

وإني لتطربني الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق
وتهزني ذكرى المروءة والندى ... بين الشمائل هزَّة المشتاق

فـإذا رُزِقـتَ خـلـيقـةً محمـودة فقـد اصطـفـاكَ مُـقـسِّـم الأرزاق
فـالـنـاس هـذا حـظـه مـال وذا عـلـم وذاك مـكـارمُ الأخـلاق

احترامه لنفسه وحُسن معاشرته لغيره:

إنّ الخُلُق الحسن والأدب الجم، هما المعيار لسلامة النفس من الآفات الظاهرة والباطنة، ولقد جمع الشيخ عبد الرزاق ولا أُزكي على الله أحداً أخلاقاً عالية وأداباً سامية، إلى جانب كرمه وعفته وزهده ومروءته، ولا يعرف ذلك عنه إلا من خالطه عن قرب ونهل من علمه، واستفاد من تجاربه، وفضلاً عن ذلك فإن الشيخ رحمه الله كان ذا هيبة ووقار بريئاً من الكذب بعيداً عن التصنع، مستقل الرأي لا يدَّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبِّراً ولا ذليلاً، وكان يعرف لنفسه قدرها. ولم يكن من شأنه التلاعب بالأقوال والقضايا الجدلية المؤدية إلى العبث بالحقائق، بل كان جاداً يكره أن يحوط نفسه بمظاهر العظمة الكاذبة.

ولا شك أن هذه الصفات الحسنة والخلال الكريمة جعلت الشيخ موضع تقديرٍ واحترامٍ وإكبارٍ من أقرانه من العلماء ومن طلابه ومحبيه وعارفي فضله والفضلُ يعرفه ذووه.

وفضلاً عن ذلك كلِّه، فإن الشيخ -رحمه الله- كان غايةً في حُسن المعاشرة وقدوة في روعة المؤانسة، لا يحسد ولا يحقد، مجلسه مجلس خير وعِلْم، ومحله محل حياء وحِلْم، يجيب دعوة مَنْ دعاه، ويعود المرضى، ويتجاوز عمن أساء إليه، ويدفع بالتي هي أحسن، ويدعو أصدقاءه وطلابه بكُناهم وأحبّ أسمائهم إليهم، ويميل إلى محادثتهم والتلطف معهم ،وهو مع ذلك عزيز النفس موفَّر الكرامة قوي الإرادة زاهداً فيما عند الناس.

ثباته على مبدئه:

إن الأخلاق إذا تعاورتها الشدائد والأهوال سبكتها وأخرجت منها خُلُقاً قويماً ثابتاً، فالشدائد تظهر ما هو كامن في الإنسان فإما أن تجعل منه خُلَقاً عظيماً يظل على مر الليالي والأعوام نبراساً يستضاء به، وإما أن تقضي عليه فتجعله أثراً بعد عين.

ومن أجل ذلك وجب على من يطمحون الى الظفر وبلوغ المقاصد العظيمة أن يعدُّوا أنفسهم لركوب متن الأهول واحتمال الشدائد وتوطين أنفسهم على المكاره.

وما أروع ما قاله صفي الدين الحِّلي:

لا يمتطي المجد مَنْ لم يركب الخطرا ... ولا يَنال العلا مَنْ قدَّم الحذرا

ومن أراد العلا عفواً بلا تعب ... قضى ولم يقضِ من إدراكها وطرا

لا بد للشهد من نحل يمنِّعه ... لا يجتنِ النفع من لم يحمل الضررا

لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة ... ولا تتم المنى إلا لمن صبرا[1]

إن على أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية والأغراض السامية، أن يتأسوا برسول الله ﷺ في ثباته وسائر أخلاقه.

إن السابر لأغوار الشيخ عبد الرزاق والواقف على سيرته والمتتبع لمراحل حياته، يدرك تمام الإدراك أن الشيخ تميَّز بصفة الثبات على المبدأ ،فما عُرف منه التذبذب في الرأي والتعددية في القول، وما عرفت المداهنة والمجاملة طريقاً إليه، بل كان يقول الحق ويقصده، ويتحرى الصدق ويؤثره، وأدلّ دليل على ذلك أن الشيخ -رحمه الله- كانت له

---

(١) انظر ديوان صفي الدين الحلي ص(٦٩) طبع دار صادر بيروت.

آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لا يذكرها إلا للخاصة من أصحابه ولا يسوؤه أن يكون هناك منْ يخالفه فيها وإذا ذُكِرتْ أمامه الآراء التي تخالفه لا ينفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه، بل يقول: لكلٍ رأيه[1] وكثيراً ما كنت أسمعه يقول لمن يستفتونه ويسألونه في أمور دينهم بعد أن يُبيِّن لهم الحكم الشرعي فيما سألوا فيه «ما أعرفه قلته إسألوا غيري؟» وهذا إن دَّل فإنما يدل على ثقته بنفسه واعتزازه بدينه وخوفه من ربه، لا يخشى في ذات الله لومة لائم وفضلا عن ذلك فقد كان رحمه الله قوياً صلباً ليناً سهلاً، قوياً، صلبا فيما يعتقد أنه الحق، لينا سهلاً في الرجوع إلى الصواب وإلى ما يظهر له أنه خلاف الحق الذي ثبت بالأدلة الصحيحة الصريحة.

ابتلاؤه وصبره:

الابتلاء سنة من سنن الله الكونية، به يتميز الطِّيب من الخبيث والمؤمن من المنافق.

إن الشدائد والنوازل تستجيش مكنون القوى وكوامن الطاقات، وتتفتح في القلوب منافذ ما كان ليعلهما المؤمن من نفسه إلا حين يتعرض للابتلاء. إن من حكمة الله في الابتلاء أن تستيقظ النفس ويرق القلب بعد طول غفلة فتتوجه الخلائق إلى ربِّها، يتضرعون إليه، يرجون رحمته وعفوه.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله: لابد من الابتلاء بما يؤذي الإنسان، فلا خلاص لأحد مما يؤذيه البتة، ولهذا ذكر الله سبحانه في غير

---

(١) انظر كلمة (الشيخ عبد الرزاق عفيفي من بقية السلف) للدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

موضع من كتابه أنه لابد أن يُبتلي الإنسان بما يسرُّه وما يسوؤه فهو محتاج إلى أن يكون صابراً شكوراً[1].

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[2].

لقد ابتلي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- بابتلاءات عظيمة في هذه الدنيا ونزلت به كوارث شديدة، فلم تضعفه هذه الابتلاءات وتلك الكوارث بل كان صابراً محتسباً، ومن هذه الابتلاءات التي ابتلي بها الشيخ في حياته، أنه أصيب بشلل نصفي، وعافاه الله منه، وأصيب بعدد من الأمراض فكان نعم العبد الصابر، وقُتل ولده الأكبر أحمد عاصم، فتلقى الخبر صابراً محتسباً، ثم تُوفي أصغر أبنائه عبد الرحمن، فكان كذلك في غاية الصبر والرضى بقضاء الله وقدره ثم توفي ابنه عبد الله فجأة فكان أيضاً مثالاً في الصبر والاحتساب.

ومما يدل على صبر الشيخ وتجلده أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد، وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء، لم يتوقف عن برنامجه اليومي بل جاء إلى طلابه، وألقى المحاضرة عليهم دون تأثر أو تلعثم[3].

فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وضاعف مثوبته.

نظرته إلى المجتمع ونظرة المجتمع إليه:

أما نظرته إلى المجتمع الإسلامي، فقد كان الشيخ -رحمه الله- يعيش عصره ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري

---

(١) انظر كتاب الفوائد ص٢٠٤.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٥٥).

(٣) انظر كلمة الدكتور صالح بن سعود آل علي ـ الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين يعرفها تمام المعرفة، ويدرك واقع الأمة الإسلامية تمام الإدراك ويعي قضاياها، ويعيش أحداثها ساعة بساعة ولحظة بلحظة، وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام وغيرهم معرفة دقيقة، وكان حكمه عليهم حكماً سديداً، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم، ومدى تأثرهم بذلك كله.

كان قوي العزم في معالي الأمور، لا يعتريه فتور ولا خور في نصر العقيدة الصافية والمبادئ الإسلامية، ولا يقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من ذي سلطان، لأن القلب الذي أُشرب حلاوة الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونوراً ربانياً، فلا يجد أحد لإغوائه سبيلاً.

أما نظرة المجتمع إليه، فقد كانت نظرة تقدير واحترام وإكبار، ذلك أن الشيخ -رحمه الله- كان محبوباً من المجتمع، ومِن كلِّ مَنْ عرفه وخالطه وتتلمذ على يديه، كما كان محل التقدير والإجلالِ من كلِّ الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم.

كان يتميز -رحمه الله- بطيب المعشر، والزهد في الدنيا والبعد عن مباهجها، وكان يُصدِّق قوله فعله، وكان غاية في التواضع يُقدر الناس ويكرمهم مهما كانت منازلهم، وقد حببه ذلك لكل من عرفه أو جالسه أو درس على يديه ونهل من مناهل علمه الغزير[1].

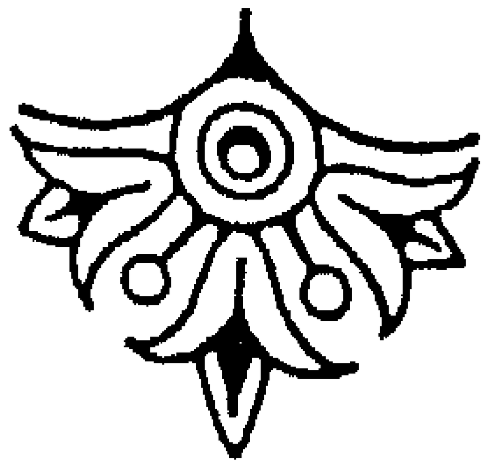
---

(١) انظر كلمة فضيلة الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

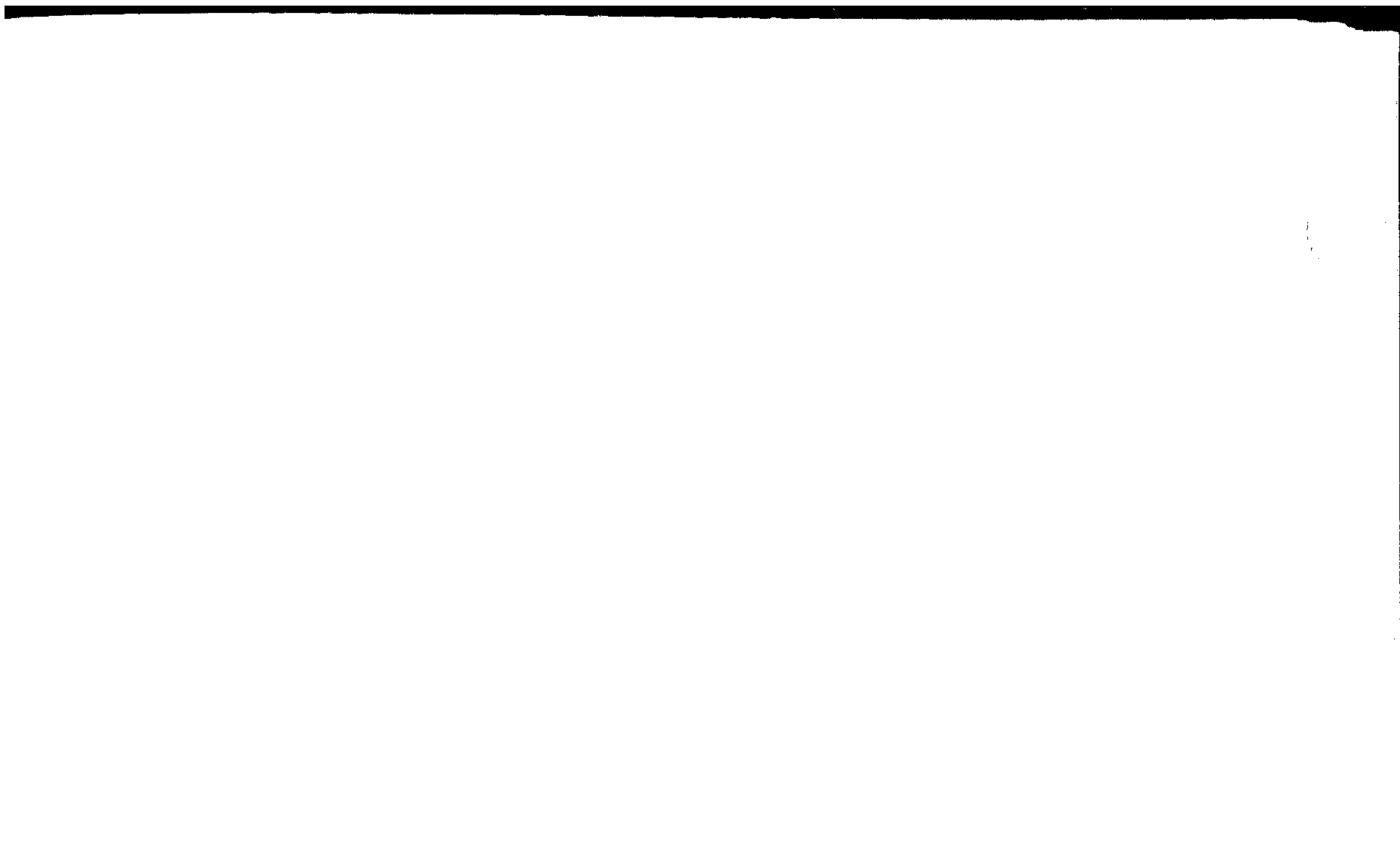
لقد كان العلماء والعامة وطلبة العلم يقبلون على مجلس الشيخ، يستمعون إلى نصائحه القيِّمة وتوجيهاته السديدة وآرائه النيّرة، مع توقيرهم لشخصه وتقديرهم لعلمه، مع محبة صادقة خالصة يُرجى بها وجه الله لعالم بذل علمه ووقته وماله دفاعاً عن دينه وذبّاً عن عقيدته وغيرة على مجتمعه وأُمَّته.

لقد كان -رحمه الله- حريصاً على صيانة المجتمع الإسلامي من الانحرافات العقدية، وصيانته من الاعتقادات الشركية، كان مجاهداً في سبيل الله ونشر دعوة التوحيد بقلمه ولسانه.

ومما يؤكد هذا ويدعمه ما كتبه فضيلة الدكتور صالح بن سعود آل علي قائلاً: لقد خبرت فضيلة الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- عن قرب، ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم، والفقه في الدين والتحلي بمبادئ هذا الدين، من تواضع وتقيً وزهد وورع وصبر وحبٍ لهذه الأمَّة، وحرصٍ على أن تظل كما هو مُؤمَّل منها، منارة هدى، ومصدر إشعاع، وموئل عز للإسلام والمسلمين[1].



(١) انظر كلمة (العفيفي المفتي والعالم والمربي) الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).



الفصل الثاني

حياته العلمية والعملية

المبحث الأول: مكانته العلمية وبداية تلقيه للعلم.

المبحث الثاني: نبوغه المبكر وتقدمه على أقرانه.

المبحث الثالث: شيوخه ومؤهلاته.

المبحث الرابع: تلاميذه ومؤلفاته ورأيه في التأليف.

المبحث الخامس: مذهبه وفقهه وتضلعه في أصول الفقه.

المبحث السادس: تدريسه وقدرته الهائلة على إيصال المعلومات.

المبحث السابع: علو همته وغزارة مادته العلمية واحترامه لطلابه.

المبحث الثامن: جهوده الدعوية ودروسه العلمية.

المبحث التاسع: مكتبته وعمل يومه وليلته.

المبحث العاشر: تعليقاته القيِّمة ونقده الهادف البنَّاء.

المبحث الحادي عشر: فتاواه وبحوثه.

الفصل الثاني
حياته العلمية والعملية

المبحث الأول
مكانته العلمية وبداية تلقيه للعلم

مكانته العلمية:

إن العلم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول ولذة الأرواح، وأُنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي تُوزن به الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرِّق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال، به يُعرف الله ويُعبد ويذكر ويُوحَّد، وبه تُعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال من الحرام، وهو كُلٌ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلّك، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وفي السلوك سادة.

ومن هذا يتبين ما للعلم من مزية وفضيلة ومكانة في الحياة العاجلة والآجلة، ولهذا سارع في طلبه العقلاء وتنافس فيه المتنافسون، وبه تفاوت الكثير من الناس في منازلهم ودرجاتهم حسب تفاوتهم في مداركهم وتحصيلهم وإنتاجهم، وبه انتظم أمر الكون ونهضت الأمم، وكان لمن برز فيه القدح المعلَّى والمقام الأسمى، وإنما يكون ذلك لمن سَّدد الله خطاه، وبصَّره بشؤون دينه ودنياه فَعَلِم وعلَّم، وكان مثالاً يحتذى في قوله وعمله وسيرته وخُلقُه.

ومن هؤلاء العلماء -ولا نزكي على الله أحداً- فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- فقد كان من العلماء الذين عُرفوا بجهادهم ودعوتهم إلى الله، وبذلهم أنفس أوقاتهم وزهرة شبابهم دفاعاً عن دينهم، وذباً عن عقيدتهم وقد اشتغل -يرحمه الله- بالعلم منذ نعومة أظافره حتى صار عالماً فحلاً، وصار العلم شغله الشاغل فلا تراه إلا دارساً متعمقاً محباً للعلم منكباً عليه، صاحب بصر نافذ، ونفس طُلعة لا تكاد تشبع من العلم ولاتمل من البحث، ولا تُروى من المطالعة، مع التوفر على ذلك وقطع النفس له وصرف الهمة نحوه، يصيب الإنسان عنده العلم الذي لا يصيبه عند غيره.

وبالجملة فقد رُبِّي الشيخ عبد الرزاق عفيفي تربية عالية فتعلم كثيراً من العلوم التي كانت رائجة في عصره، ومن ثَّم احتل مكانة بارزة بين أقرانه من رجال العلم وعلماء الدِّين وحملة الشريعة.

وقد تميَّز الشيخ -يرحمه الله- عن كثيرٍ من علماء عصره بزهده في الدنيا وتقلله من متاعها وحرصه الشديد على نشر العلم وتعليمه والعمل بمقتضاه.

وكان يرى أن من أوجب الواجبات إرشاد المسلمين وإفتاء المستفتين، ونصح الطالبين وإظهار العلم للسائلين. وقد أبان عن هذا كلّه وحرره في كلمته الوافية التي ألقاها عند توليه لرئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر،ذاكراً في كلمته وموضحاً واجب العالم نحو أُمَّته ودينه فقال:

«لقد كان العالم من سلف هذه الأُمَّة يجد نفسه وقد أنعم الله عليه بنعمة العلم وعهد إليه أن يبلغه للناس مضطراً إلى القيام بهذا

العلم فلا يعتريه في نشر الثقافة الدينية والمبادئ الإسلامية فتور ولا خور ولا يقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من سلطان، لأن القلب الذي أُشرب حلاوة الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونوراً ربانياً، فلا يجد أحد إلى إغوائه سبيلاً فمهما جاهد الشيطان هذا المخلص فلن يتاح له أن يوهن عزيمته أو أن يمس عقيدته.

وإن قلباً قد صُبغ بصبغة الله وتشبع بتعاليم الإسلام حتى ملكت سويداءه، ليأبى أن يخضع لسلطة قاهر، أو يرهب بطش جبار في الجهر بكلمة الحق بعد ما خشع لسلطان ربه، واشتد خوفه منه وعلم أنه ملك قهار جبار بيده نواصي العباد، وأن ذلك ليخلق منه سيفاً مسلَّطاً وناراً متأججة يقذف بها من عاد الله وبارزه بعصيان. لا يخاف في الله لومة لائم.

كان العلماء بذلك قوَّامين على الدِّين حفظاً ونشراً وبلاغاً ونصيحة وإرشاداً، وكانوا خير قدوة للناس ومُثلاً عليا في إصابة الحق وتأييده وكشف الباطل وإزهاقه قولاً وعملاً، يقصدهم الناس ليكشفوا لهم وجه الصواب بما ورثوه عن نبيِّهم ﷺ فيجدوا لديهم ما يروي غلتهم ويزيل شبهتهم ويزيد يقينهم وإيمانهم وتعلقهم بشريعة سيِّد المرسلين، ولم يكن يدخل في أمر الفُتيا مَنْ ليس من أهله، فعرف كلٌ قدره ووقف عند حده..»[1].

قلت: وقد ثبتت له الإمامة في كثير من الجوانب العلمية، فهو إمام في العقيدة ومن المبرَّزين في هذا الباب، وإمام في السُّنة لشدة تمسكه بها، ودفاعه عنها، وإمام في الفقه وأصوله لا يشق له غبار، وإمام في

(١) مجلة الهدى النبوي ـ العدد الأول ربيع الآخر سنة ١٣٥٦هـ.

التفسير، وقد ذكر ذلك عنه كثيرٌ من تلاميذه، وأبانوا عنه في كتاباتهم.

يقول الدكتور صالح بن سعود آل علي: كان رحمه الله ذا باع طويل في الشريعة، وله القدح المعلّى في التفسير وعلوم القرآن. وقلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد والمذاهب والملل والنِّحل، أما في علم أصول الفقه فهو عَلَم من أعلامه، له في ميدانه اليد الطولى، وأما الفقه فإليه فيه المنتهى[1].

بداية تلقيه للعلم:

تعتبر البداية الحقيقية لطلب الشيخ للعلم عندما وجَّهه والده إلى كُتَّاب القرية لحفظ كتاب الله تعالى، ذلك أن الناشئ من العلماء ينشأ مرتبطاً بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد أكب الشيخ -رحمه الله- على حفظ كتاب الله فأحسن تلاوته وحفظ كثيراً منه، وقد أوتي سرعة في الحفظ وقوة في الفهم وجودة في الخط، وكل هذا وغيره مكّنه من حفظ كتاب الله تعالى والإقبال عليه بكليته على الرغم من صغر سنِّه، وحُق للقرآن أن تُفنى فيه الأعمار وأن تُعمر به الأزمان، لقد كان حفظ الشيخ لكتاب الله في سن مبكرة هي الخطوة الأولى للدخول في طلب العلم الشرعي بصورة جادة ومنتظمة، ثم واصل الشيخ بعد ذلك دراسته في همة لا تعرف الكلل ونفس طلعة لا تعرف الملل. وقد أكد هذا كلّه فضيلة الشيخ عبد الحميد بن عبد المطلب الهلالي من أعيان قرية (شنشور) في كلمته التي تناول فيها نشأة الشيخ ووضَّح فيها بداية تلقيه للعلم قائلاً: لقد نشأ فضيلة الشيخ عبد

---

(١) انظر: كلمة «العفيفي المفتي، والعالم والمربي» الفصل السادس «ثناء العلماء عليه». وبتوسع أكثر انظر الفصلين السادس والسابع.

الرزاق نشأة طيبة وسط أسرة طيبة الأعراق حسنة السمعة، درس القرآن الكريم منذ نعومة أظافره على يد كل من والده الشيخ عفيفي عطية النوبي ثم في كُتَّاب القرية حيث كان نابغاً في حفظ كتاب الله تعالى، وقد أُعفي من الجندية (الخدمة العسكرية) حسب النظام المعمول به وقتئذ لحفظه القرآن الكريم كاملاً[1].

قلت: وإلى جانب حفظ الشيخ للقرآن، كان يحفظ بعض المتون كما هي عادة طلبة العلم الذين كانوا يدرسون في الكتاتيب في هذا الوقت، فضلاً عن ذلك فقد كان يُعطي جلَّ وقته -على الرغم من حداثة سِّنه- لمراجعة محفوظاته ولتعلم قواعد النحو والإملاء والحساب، بتوجيهٍ من والده.



(١) انظر كلمة «العالم الكبير»، الشيخ «عبد الرزاق عفيفي» الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

المبحث الثاني

نبوغه المبكر وتقدمه على أقرانه

لقد عُرف الشيخ عبد الرزاق عفيفي منذ صغره بالألمعية النادرة، والنجابة الظاهرة، والذكاء المفرط، والنبوغ المبكر[1]، حتى بزَّ أقرانه،وفاق أترابه، وعلى الرغم من حداثة سِنِّه فقد كان صاحب هِمة عالية، ونفس أبيّة جعلته موضع تقدير، ومحل تبجيل من كلِّ مَنْ عرف الشيخ وخالطه وزاملهُ.

ومن الأدلة على نبوغ الشيخ وشدة ذكائه، حفظه المتقن لكتاب الله تعالى في سن مبكرة، مما كان سبباً في إعفائه من الخدمة العسكرية بمصر. ولعل سائلاً يسأل: ما سر تفوقه؟ وما سبب نبوغه وتقدمه؟ والجواب:

إن المتأمل في سيرة المترجم له، السابر لأغواره، يدرك أن وراء ذلك أسباباً عديدة منها:

١- إخلاص النية في طلب العلم، مع حُسن القصد وصدق التوجه إلى الله تعالى.

---

(١) انظر كلمة أهالي شنشور في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه). وفي كلمة فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان في الفصل السادس ما يشهد لما ذكرته من نبوغ الشيخ منذ صغره، فقد ذكر في كلمته بأن الشيخ عبد الرزاق عفيفي كان موهوباً بين أقرانه الذين هم في مثل سنه وعزا ذلك لحفظه للقرآن الكريم وإقباله على العلم.

إن من عمَّر ظاهره بالسُّنة وباطنه بالإخلاص تفجرت في صدره ينابيع العلم ولم يكن ينطق إلا بالحكمة وقد أكد ذلك الشوكاني -رحمه الله- بقوله: «إن لحسن النية وإخلاص العمل تأثيراً كبيراً في هذا المعنى».

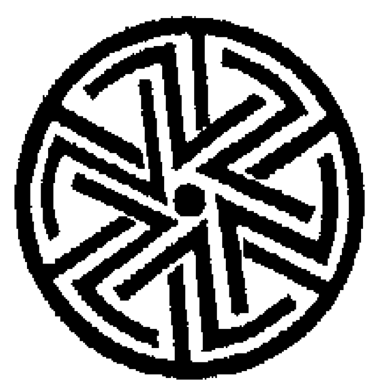
٢- نشأته الصالحة في بيئة ريفية لم يُكدر صفوها مظاهر الحضارة الكاذبة، ولا بريق المدنية الزائف.

٣- عناية ربانية رحيمة، ومنن إلهية امتن الله بها على الشيخ فكان لها أعظم الأثر في تفوقه العلمي ونبوغه المبكر.

٤- استعداده الفطري، وصفاء ذهنه، وحضور بديهته، وقوة حافظته، وغير ذلك من المواهب التي أنعم الله بها عليه، وكان لها أبلغ الأثر في حياته.

٥- دقة استحضاره، وسلامة منهجه واستقامة حياته، وجَولان ذهنه، ورعاية والده له، وحُسن استجابته لتوجيهات ونصائح أساتذته وشيوخه.

٦- استثمار وقته في البحث والمطالعة، مع توفر همته وتوقد رغبته في مدارسة العلم بمختلف فنونه، ومجالسة العلماء والاستفادة منهم.



المبحث الثالث

شيوخه ومؤهلاته

في تراجم العلماء كثيراً ما تُذكر الأسماء العديدة لمشايخ المُترجَم له وبخاصة الشخصيات العلمية البارزة، والكفاءات العالية ذات التأثير القوي، وغالباً ما يكون هؤلاء عدداً قليلاً ومحدوداً.

ومن العلماء الذين تتلمذ الشيخ لهم ونهل من علمهم، واستفاد من دروسهم.

الشيخ محمد بن حسن عافية، والشيخ محمد بن عبود عافية وهما من علماء قريته (شنشور) وأما أشهر شيوخه وأكثرهم تأثيراً فيه، فمنهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية، والشيخ دسوقي العربي، والشيخ عبد المعطي الشربيني، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد العتريس، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ مصطفى المراغي، وغيرهم.

وأما أقران الشيخ ومعاصروه فهم أمم لا يُحصون ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، والشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر آنذاك، والعلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ العلامة محمد الخضر حسين، والشيخ الإمام حسن مأمون مفتي مصر في زمنه، والشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام

للمجلس الأعلى للأزهر سابقاً، والشيخ الإمام جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر سابقاً رحمهم الله جميعاً. ومن أقرانه أيضاً: فضيلة الدكتور محمد حسن فايد -رحمه الله- والدكتور عبد المنعم النمر والدكتور محمد الطيب النجار- حفظهما الله. وكذلك فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً، وفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح مدير دار الحديث ومؤسسها بمكة المكرمة وإمام وخطيب المسجد الحرام، وفضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ محمد عبد الوهاب بحيري، والشيخ محمد خليل هرّاس، والشيخ عبد الله بن يابس، والشيخ عبد العزيز بن راشد، وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمهم الله جميعاً.

ومن أبرز أقرانه وأشهر معاصريه:

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق للمملكة العربية السعودية ورئيس الكليات والمعاهد العلمية -رحمه الله.

وسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء حفظه الله.

ومنهم سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله.

وسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ محمد ناصرالدين الألباني حفظه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ محب الدين الخطيب صاحب المكتبة السلفية رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ سعدي ياسين رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري -رحمه الله.

ومنهم فضيلة الشيخ محمد نصيف رحمه الله.

وأمم يصعب حصرهم واستقصاؤهم.

مؤهلاته العلمية:

وأما مؤهلات الشيخ العلمية فهي على النحو التالي:

لقد تحصل الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- على عدد وافر من الشهادات والإجازات العلمية، وأعلى هذه الشهادات والمؤهلات التي نالها الشيخ حفظه المتقن والمجود لكتاب الله، والذي أتاح له فرصة الالتحاق بالأزهر في عصره الذهبي حيث التقى الشيخ في ساحته وبين أروقته وباحته بجبال العلم وشيوخ المعرفة وأفذاذ الطلبة وجهابذة المحدثين.

وقد تخرَّج الشيخ في الأزهر من أعلى مستوياته، فقد تحصَّل على الشهادتين الابتدائية والثانوية ثم تحصَّل على شهادة العالمية في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥١هـ الموافق السادس عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٣٢م.

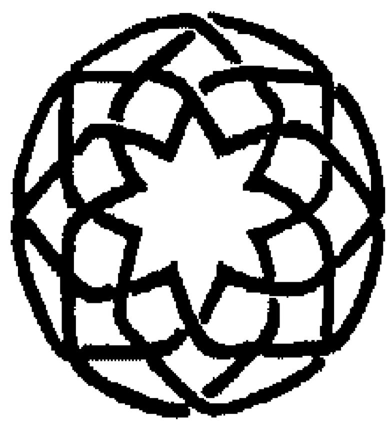
وفي الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٥هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦م منح شهادة التخصص في الفقه وأصوله، وهي التي تُعرف اليوم بشهادة (الدكتوراه).

ثم واصل الشيخ تحصيله العلمي حتى أضحى من العلماء الفحول والحفظة العدول.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الشيخ عبد الرزاق - يرحمه الله- لم يكن يعبأ بهذه الشهادات، ولم يفاخر بها، وما سمعته قط يتحدث عنها ذاكراً أو آثراً.

ويؤكد هذا فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر قائلاً: كان الشيخ عبد الرزاق رحمه الله ممن يزهد في الشهادات الدراسية، والتشدق بذكرها، وإنما يراها وسيلة لحمل العلم، وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدى، ولم نسمعه يوماً يتحدث عن المؤهل الذي تحصَّل عليه[1].

فرحم الله هذا العالم المحقق، والحافظ المدقق، والمحدث الجهبذ، والعالم الجليل، والفقيه النبيل.



(١) انظر كلمة (من نوادر العلماء) الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

المبحث الرابع

تلاميذه ومؤلفاته ورأيه في التأليف

تلاميذه:

من الصعب جداً حصر الطلاب الذين تلقُّوا العلم على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- وقعدوا منه مقعد الدرس والتحصيل، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه.

لقد تخرّج به أعداد كبيرة من العلماء والدعاة والمُحصِّلين تسلموا مناصب علمية وعملية مرموقة في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ومن هؤلاء العلماء الذين تخرجوا به -رحمه الله- وأصبحوا أنجماً متألقة في سماء العلم والمعرفة:

- صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن محمد لحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: ناصر بن حمد الراشد، رئيس ديوان المظالم بالمملكة العربية السعودية.

- صاحب الفضيلة الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن البسام، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز السعيد، الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، عضو هيئة كبار العلماء وإمام وخطيب جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز بن محمد عبد المنعم، الأمين العام لهيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: ناصر بن عبد العزيز بن محمد الشثري، المستشار بالديوان الملكي.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان، عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية وعضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: صالح الفوزان آل فوزان، عضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله السُّبيل، الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وعضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، الأستاذ بجامعة القصيم وعضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: مناع بن خليل القطان، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام سابقاً.

- صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله العجلان، مدير جامعة الإمام سابقاً وعضو مجلس الشورى.

- صاحب الفضيلة الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن سليمان بن منيع، القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة، وعضو هيئة كبار العلماء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، عضو الإفتاء بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن حسن بن قعود من علماء المملكة العربية السعودية.

- صاحب الفضيلة الدكتور: عبد العزيز كامل وزير الأوقاف المصري سابقاً.

- صاحب الفضيلة الشيخ: راشد بن خنين، المستشار بالديوان الملكي.

- صاحب الفضيلة الدكتور: صالح الأطرم، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

وأما تلاميذه بالمعهد العالي للقضاء بالرياض فمنهم:

فضيلة الشيخ: إبراهيم بن محمد بن سلطان، وفضيلة الشيخ علي بن حمد التركي وفضيلة الشيخ محمد العسكري، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم العريني، وفضيلة الشيخ محمد بن حمد الحناكي، وفضيلة الشيخ سعيد بن محمد بن رشيد، وفضيلة الشيخ محمد بن مرزوق بن معيتق، وفضيلة الشيخ إبراهيم بن عيسى العود، وفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان، وفضيلة الشيخ سالم بن محمد السالم،

وفضيلة الشيخ صالح بن محمد النجيدي، وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الأمير، وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الهويش، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الراشد، وفضيلة الشيخ مسفر البحري، فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود، وأممٌ لا يحصون كثرة قد تخرجوا به في المملكة العربية السعودية ومصر والشام وغيرها من البلاد.

مؤلفاته ورأيه في التأليف:

كان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- لا يرى التأليف ولا يرغب فيه، مع غزارة علمه وسعة إدراكه ووفرة مادته، وكان يعلّل ذلك بأن الناس عامة،وطلبة العلم خاصة بحاجة ماسة إلى القراءة والاطلاع أكثر من حاجتهم للتأليف والتصنيف.

ولعل السبب الحقيقي الذي حمل الشيخ على ترك التأليف مع التمكن من أدواته، زهدهُ في الشهرة والسمعة والمناصب، وتفرغه لتربية الأجيال، وبناء النفوس، وإعداد العلماء وتهيئتهم بالعلم والعمل وحمل أمانة التبليغ.

وبينما يرى الشيخ أنه لا حاجة للناس في التأليف، وأنّ هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها، وأنّه يُكتفى بما كتبه وجمعه العلماء السابقون، حيث إنهم تطرّقوا إلى كل فن، وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح، وأنَّ مَن جاء بعدهم عيال عليهم.

أقول: بينما يرى ذلك الشيخ ويؤكده في كلِّ مجلس يجلسه، يرى غيره من العلماء ومن طلبة العلم، رأياً آخر يخالف رأي الشيخ، يدعو إلى التوسع في التأليف والتصنيف ويحتج لذلك بقول الشاعر:

قُلْ لِمَنِ لا يرى المُعاصرَ شيئاً ... ويرى للأوائل التَّقديما

إنَّ ذاكَ القديم كان حديثاً وسيبقى هذا الحديثُ قديماً

قلت: ومن أجمل ما قرأت في هذا الخصوص، ما كتبه جمال الدين القاسمي في كتابه القيّم (قواعد التحديث)، قال رحمه الله:

إعلم: أن نتائج الأفكار لا تقف عند حدٍ، وتصرفاتِ الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكلِّ عالمٍ ومتعلمٍ منها حظٌ يحرزه في وقته المقدر له، وليس لأحدٍ أن يزاحمه فيه، لأن العالَم المعنوي واسع كالبحر الزَّاخر، والفيض الإلهي، ليس له انقطاع ولا آخر، والعلوم مِنحٌ إلهية، ومواهب صمدانية، فغيرُ مستبعدٍ أن يدَّخر لبعض المتأخرين، ما لم يدَّخر لكثير من المتقدمين، فلا تغترَّ بقول القائل: «ما ترك الأول للآخر!» بل القول الصحيح الظاهر: «كم ترك الأوّل للآخر»، فإنَّما يُستجاد الشيء ويُسترذل، لجودته ورداءته في ذاته، لا لِقِدَمِه وحدوثه. ويقال: «ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم: ما ترك الأول شيئاً» لأنه يقطع الآمال عن العلم ويحمل على التقاعد عن التعلم فيقتصر الآخر على ما قدَّم الأوّل من الظاهر، وهو خطرٌ عظيم، وقول سّقيم، فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها، فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشييدها[1].

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد: «إني رأيتُ آخر كلِّ طبقة، واضعي كلِّ حكمة، ومؤلِّفي كلِّ أدب، أهذب لفظاً، وأسهَل لغة، وأحكم مذهباً، وأوضَح طريقةً من الأوّل، لأنَّه ناقد متعقب والأول بادئ متقدم»[2].

(١) انظر قواعد التحديث ص٣٨، ٤٩.

(٢) انظر العقد الفريد (١/١٦٦).

المبحث الخامس
مذهبه وفقهه وتضلعه في أصول الفقه

مذهبه وفقهه:

لعل من نافلة القول، ومكرور الكلام أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- كان إماماً متفقاً على إمامته وجمعه على جهة التمكن بين علمي الحديث والفقه.

وكان مالكي المذهب ،وكان يتمثل بقول الشاعر الذي كان يتمثل به مالك رحمه الله:

وخير أمور الدنيا ما كان سُنة وشر الأمور المحدثات البدائع

لكن من المؤكد أن الشيخ -رحمه الله- وهو صاحب العقل الراجح، والفكر المستنير لم يكن يتعصب للمذهب المالكي ولا لغيره. بل كان يكره التعصب والهوى ولا ينتصر لغير الدليل.

لذا فإنه لم يقف في دراسته الفقهية عند حدود مذهب بعينه بل خرج عن هذا الإطار المحدد إلى الدراسة الواسعة الشاملة كما أننا نجد له في ثنايا فتاواه وكتاباته اختيارات من مختلف المذاهب الإسلامية وأحياناً يخرج عنها إلى اجتهاده ويدعمه بالدليل والبرهان.

وكان يرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة

ودوائها قديماً وحديثاً. ومما يؤكد ويبرهن على مصداقية ما ذكرته ما كتبه أحد معاصريه قائلا: كان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- فقيهاً مجتهداً، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطته بها بل كان يمشي مع الدليل، وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة[1].

ويقول فضيلة الشيخ صالح الأطرم: كانت دراسة الشيخ في الفقه على مذهب مالك ويدرسنا المقنع على مذهب أحمد بكل يسر وسهولة[2].

وبالجملة فقد كان -رحمه الله- غاية في معرفة المذاهب وأقوال الفقهاء لا يقلد أحداً، وله عادات جميلة في نقل المذاهب وأقوال أهل العلم، فإنه لا ينقل قولاً منسوباً إلى أحد الفقهاء إلا وهو على ثقة تامة أنه قوله، وكانت له عناية شديدة بالحديث وطرق رواته فلا يذكر باباً من أبواب الفقه أو مسألة من مسائله إلا وهو يذكر الحديث وطرقه ودرجته استدلالاً به على المسألة.

ويمتدح فضيلة الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي فقه الشيخ وتضلعه في هذا العلم فيقول: كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في علم الفقه سريع الاستحضار للأحكام الشرعية محيطاً بأدلتها، عالماً بقواعدها وأصولها، مدركاً لأشباه المسائل ونظائرها، سديد الرأي، صائب الاجتهاد، يفتي السائل على حسب حالته ومستواه من الجهل والعلم[3].

وتأكيداً لما ذكره العلماء من ثبوت الإمامة للشيخ عبد الرزاق في

(١) انظر ما كتبه فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) انظر كلمة الدكتور صالح الأطرم في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

(٣) انظر كلمة (ذكريات مع الحبر الفقيد) الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

الفقه وغيره يقول فضيلة الدكتور صالح بن سعود آل علي: كان - رحمه الله- ذا باع طويل في علوم الشريعة، له القدح المعلَّى في التفسير وعلوم القرآن، وقل أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد، وأما علم أصول الفقه فهو عَلَم من أعلامه، له في ميدانه اليد الطولى، وأما الفقه فإليه فيه المنتهى[1].

وبعد هذه الكلمات المضيئة التي أثنى فيها كاتبوها على فقه الشيخ وتضلعه في كثير من العلوم والفنون، فإنه يجمل بي أن أُوقف القارئ الكريم على مقتطفات من كتابات الشيخ وبحوثه الفقهية، وهي كتابات وبحوث تتسم بالأصالة والعمق والشمولية والاستيعاب والإحاطة بالمباحث والمسائل من جميع جوانبها. ومن هذه المباحث الفقهية التي أدلى الشيخ فيها بدلوه، «مبحث المعاملات المصرفية، ومبحث البورصة»، وفي هذين المبحثين يلحظ القارئ أن الشيخ عبد الرزاق كان من العلماء المتمكنين في الفقه الإسلامي الواقفين على مستجداته، كما يلحظ ميل الشيخ إلى التقعيد الفقهي، وعقد المقارنة بين المذاهب الفقهية في المسائل المطروحة للبحث والترجيح بينها، وقد تجلَّى ذلك في مقدمة مبحث «المعاملات المصرفية» فقال:

«المعاملات المصرفية أنواع كثيرة متشعبة الجوانب، وبعضها واضح قريب المأخذ لا يحتاج إلى كثير تفكير أو بذل مزيد من الجهد، وآخر منها يشوبه الغموض ويداخله الاشتباه فيحتاج إلى دقة في بحثه وبذل جهد في تمحيصه وتشخيصه وتخليصه مما شابه، وإلى بُعد نظر في عرضه على القواعد الشرعية الإسلامية، وتطبيقها عليه، مع الاقتصار على الخطوط

(١) انظر كلمة (العفيفي المفتي والعالم والمربي) الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

الرئيسية لهذه الأنواع والمعاملات المهمة التي كثر تداولها وانتشر التعامل بها، والتي إذا مُحِّصت وعُرف حكمها في الشريعة الإسلامية عُرف حكم ما تشعب عنها من فروعها الجانبية».

ثم يستعرض الشيخ في هذا المبحث عدداً من أنواع المعاملات المصرفية التي قام ببحثها ممهداً لهذه الدراسة الموسعة بتعريف دقيق للربا مع بيان حكمه وعلته فيقول:

الرِّبا بالقصر: الزيادة، وهو مصدر ربا الشيء يربو إذا زاد سواء كانت زيادة الشيء في نفسه أم بالنسبة لغيره، وفي اصطلاح الفقهاء، زيادة أحد عوضين من جنس على الآخر، أو تأخير بعضه، في عقد معاوضة على معادن أو أطعمة مخصوصة بيَّنتها السُّنة النبوية.

وقد نص القرآن صريحاً على تحريمه وتوعد مَنْ اقترفه بالمحق وآذنه بالحرب إلا من تاب واكتفى بأخذ رأس ماله فإن الله يتوب عليه. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إلى أن قال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ إلى أن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

وبيَّن النبي ﷺ نوعية ربا الفضل وربا النساء وحرَّم كُلاً منهما في كثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «**لاتبيعوا الذهب بالذهب إلا مِثلاً**

(١) سورة البقرة: الآيات (٢٧٥ ـ ٢٧٩).

بمثل، ولا تُشِفُّوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الوَرِق بالوَرِق إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز» رواه البخاري ومسلم.[1] ومنها قوله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مِثْلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» رواه أحمد ومسلم.[2] وأجمعت الأُمَّة على تحريمه واشتهر ذلك بين المسلمين شهرة تغني عن الاستدلال عليه وصار تحريمه معلوماً من الدين بالضرورة، فمن أنكره فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كفرا، إلا إذا كان جاهلاً يتوقع من مثله جهله فيعذر ويُعلَّم كحديث عهدٍ بكفر، وما وقع بين الفقهاء من اختلاف فيه فإنما هو في التفاصيل وتطبيق النصوص على الوقائع والجزئيات.

وصرحت السُّنة بستة أنواع يجري فيها الربا وهي المذكورة في رواية أحمد ومسلم السابقة فلذا لم يختلف فيها الفقهاء، وإنما اختلفوا في قياس غيرها عليها بناء على الاختلاف في تعليل حكمها فمن قال أنه غير معلل قصر تحريم الربا على الأصناف الستة السابقة، وأقدم من يُروى عنه ذلك قتادة وهو مذهب أهل الظاهر، واختاره ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس، قال: لأن علل القياسيين في مسألة الربا علل ضعيفة، وإذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس. والذين قالوا أنه معلل اختلفوا في علته فقال عمار وأبو حنيفة: هي الكيل والوزن وهو ظاهر مذهب أحمد وخصه الشافعي بالطعام وإن لم يكن مكيلاً ولا موزوناً وهو رواية عن أحمد. وخصه سعيد بن المسيب بالطعام إذا كان مكيلاً أو

(١) رواه البخاري (الفتح ٤/٢١٧٧) ومسلم (١٥٨٤).

(٢) مسلم (١٥٨٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

موزوناً وهو قول للشافعي ورواية عن أحمد. وخصّه مالك بالقوت وما يصلحه، ورجحه ابن القيِّم بما ذكر في كتابه إعلام الموقعين. وهذا الخلاف بينهم في علة الربا في البر والشعير والتمر والملح.

والذي يعنينا هنا بيان علة الربا في الذهب والفضة عند الجمهور القائلين بالتعليل مع الترجيح وقد ذكر ابن القيم في إعلام الموقعين ما فيها من خلاف بين الفقهاء فقال: وأما الدراهم والدنانير فقالت طائفة: العلة فيهما كونهما موزونين، وهذا مذهب أحمد في إحدى الروايتين عنه ومذهب أبي حنيفة.

وقالت طائفة: العلة فيهما الثمنية، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى، وهذا هو الصحيح بل الصواب، فانهم أجمعوا على جواز إسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد ونحوهما، فلو كان النحاس والحديد ونحوهما ربويين لم يجز بيعهما إلى أجل بدراهم نقدا، فإن ما يجري فيه الربا إذا اختلف جنسه جاز التفاضل فيه دون النَّسَاء، والعلة إذا انتقضت من غير فرق مؤثر دلَّ على بطلانها. وأيضا فالتعليل بالوزن ليس فيه مناسبة، فهو طرْد مَحْض، بخلاف التعليل بالثمنية فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات، والثمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ولا ينخفض، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسِّلع لم يكن لنا ثَمَنٌ نعتبر به المبيعات، بل الجميع سِلَع، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة، وذلك لا يمكن إلا بسعر تُعرف به القيمة، وذلك لا يكون إلا بثَمَن تُقَوَّم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره، إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض، فتفسد معاملات الناس ويقع الخُلْف ويشتد الضرر، كما رأيت من فساد معاملاتهم والضرر اللاحق

بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح، فعم الضرر وحصل الظلم، ولو جُعِلَتْ ثمناً واحدا لايزداد ولا ينقص بل تُقوَّم بها الأشياء ولا تقوم هي بغيرها لَصَلُح أمر الناس، فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير - مِثل أن يعطى صحاحاً ويأخذ مكسَّرة، أو خفافاً ويأخذ ثقالاً أكثر منها- لصارت مُتَّجَرا، أو جرَّ ذلك إلى ربا النَّساء فيها ولا بد، فالأثمان لاتقصد لأعيانها بل يقصد التوصل بها إلى السِّلع، فإذا صارت في أنفسها سِلَعاً تقصد لأعيانها فسد أمر الناس، وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات.أهـ[1].

ثم ذكر ابن القيم أن ربا الفضل حُرِّم تحريم الذرائع وأن ربا النَّساء حُرِّم تحريم المقاصد فكان تحريم ربا الفضل وإن كان من الكبائر أخف من تحريم ربا النَّساء، ولذلك استثنى منه بيع المصوغ والحلية المباحين بجنسهما من الدراهم والدنانير نقداً مع التفاضل لشدة الحاجة إلى استعمالهما ولا يمكن تكليف كل إنسان أن يصنع لنفسه ولا يعقل إهدار الصنعة ببيعها بجنسها من الدراهم والدنانير وزناً بوزن ولا يعقل إبطال هذه الصناعة، ومن الحرج تكليفهما المعاوضة مع اختلاف الجنس، وبيَّن أن الضرورة الداعية إلى استثنائها لا تنقص عن الضرورة الداعية إلى استثناء العرايا ونحوها مما رُخِّص فيه من فروع الفقه، وأورد اعتراضات منها إنه يلزم على ذلك جواز بيع الفرع بأصله متفاضلاً كالخبز بالبر. فالتزم جوازه، ومنها أنه يلزم جواز الزيادة في معاوضة الرديئة من الفضة بالجيدة منها لتقابل الزيادة الجودة، وأجاب عن ذلك بالفرق بأن الجودة هنا طبيعية والصناعة كسبية، فأورد عليه الدراهم والدنانير المضروبة مع

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١٣٧/٢ ـ ١٣٨).

المكسرة، فأجاب بالفرق أيضاً فإن السّكة لاتتقوم فيها الصناعة للمصلحة العامة المقصودة منها وهي أن تكون معياراً للناس فلا تقابل بالزيادة في العرف وإلا لفسدت المعاملة بخلاف المصوغ فإن العرف جرى بتقويم زيادة الصناعة فيه وليس في تقويمها نقض للمصلحة العامة ولا إفساد المعاملة للناس.

وقد يناقش نقد ابن القيِّم تعليل الربا في النقدين بالوزن بأنه لا إجماع على جواز إسلام الذهب أو الفضة في الحديد والنحاس والرصاص ونحوها من الموزونات، فإن من الحنابلة مَنْ منع من ذلك وجعلها ربوية بناء على أن العلة الوزن كما في إحدى الروايتين عن أحمد أما على الرواية الأخرى وهي تعليل الربا في النقدين بالثمنية فيجوز إسلامهما في الحديد ونحوه من الموزونات[1].

وقد يناقش أيضا تعليل الربا في النقدين بالثمنية بأنه غير منعكس، فإن التفاضل محرم باتفاق في المعاوضة بين أفراد الجنس الواحد من الأجناس الأربعة، البر والشعير والتمر والملح وإن كانت يداً بيد، وكذا النَّساء محرم باتفاق في المعاوضة بينها وان اختلف الجنس وليس منها ما هو ثمن عرفاً، فوُجِدَ الحكم ولم توجد علة الثمنية، ويمكن أن يجاب بأن الحكم بتحريم الربا واحد بالجنس لا بالشخص، فيصح تعليله في كل نوع بعلة، فيعلل تحريم الربا في النقدين بالثمنية، ويعلل تحريم الربا في الأربعة المذكورة بكونها قوتاً مثلاً وكل منهما علة مطردة منعكسه فيما جعلت علة فيه.

وقد يناقش التعليل بالثمنية أيضاً بأنها قاصرة غير متعدية

(١) انظر مبحث الربا في الجزء الثاني من إعلام الموقعين لابن القيِّم ـ رحمه الله.

مستنبطة، ليست منصوصاً على عليِّتها ولا مجمعاً عليها، فلا يصح التعليل بها لعدم الفائدة. ويجاب أن فائدة التعليل غير منحصرة في التعدية، فإن الحكم إذا كان معقول المعنى كان أدعى إلى الانقياد وأسرع إلى القبول، وأيضاً يمتنع بتقدير ظهور وصف آخر في محل العلة القاصرة تعدية الحكم به دون ترجيحه على القاصرة إلى فوائد أخرى للتعليل، فصح التعليل بها[1].

ومما يدل على أنه صاحب ملكة فقهية، وأنه مُطَّلع على مستجدات العصر، واقف على مشاكله ما كتبه من وجهة نظره -معقباً به على مبحث الأوراق النقدية بعد استعراض هيئة كبار العلماء له، وما تضمنه من أقوال فقهية قيلت في حقيقة الأوراق النقدية من اعتبارها أسناداً أوعروضاً أو فلوساً أو بدلاً عن ذهب أو فضة أو نقداً مستقلاً بذاته، وما يترتب على تلك الأقوال من أحكام شرعية- فقد كتب ما نصه: «فلمّا كانت الأوراق النقدية لا قيمة لها في نفسها، ولم تكن قيمتها مستمدة من مجرد إصدار الدولة لها وحمايتها إياها، وإنما قيمتها فيما أكسبها ثقة الدول بها، وجعلها مع سن الدولة لها قوة شرائية وأثماناً للسلع ومقياساً للقيم، ومستودعاً عاماً للادخار، ولما كان الذي أكسبها ذلك وجعلها صالحة للحلول محل ما سبقها من العملات المعدنية هو ما استندت إليه من الغطاء ذهباً أو فضة أو ما يُقدَّر بهما من ممتلكات الدولة أو انتاجها أو احتياطها، أو أوراق مالية أو أوراق تجارية.. لما كان الأمر كذلك كانت الأوراق النقدية بدلاً عما حلت محله من عملات الذهب أو الفضة التي سبقتها في التعامل بها، وكانت تابعة لهما فما

---

(١) انظر المجموع للنووي، ومبحث العلة القاصرة من كتاب إحكام الأحكام للآمدي.

كان منها متفرعاً عن ذهب فله حكم الذهب، وماكان منها متفرعاً عن فضة فله حكم الفضة وعلى هذا تجب فيها الزكاة كأصلها، ويقدَّر فيها النصاب بما قُدِّر به في أصلها ويجري فيها ربا الفضل والنسيئة مع اعتبار أن ما كان منها متفرعاً عن فضة حسب الأصل جنس، وما كان متفرعاً عن ذهب في الأصل جنس، ولا يجوز بيع الورقة النقدية بما تفرعت عنه من الذهب أو الفضة مع التفاضل، ويعتبر قبض الأوراق النقدية في حكم قبض ما حلَّت محله من الذهب أو الفضة.. هذا وليس بلازم أن يكون في خزينة الدولة ذهب أو فضة بالفعل ما دامت خاماتها وسائر إمكانياتها التي تقدَّر بوحدتها السابقة من الذهب أو الفضة قائمة محققة تقوم مقامها في استمرار الثقة بالأوراق النقدية في دولة الإصدار وغيرها من الدول، وليس بلازم أيضا أن تسلم مؤسسة النقد ذهباً أو فضة لحامل الورقة النقدية مقابل ما فيها ما دامت الأوراق النقدية تؤدي وظيفتها وتقوم بما أُنشئت من أجله، فإنَّ لولي الأمر أن يتصرف في غطاء الأوراق النقدية أيّاً كان الغطاء فيما يعود على أُمَّته بالمصلحة من وجوه تنمية الثروة والترفيه عن الرعية حتى لاتبقى معطلة في خزينة الدولة أو معرضة للتبديد والتهريب في أيدي الأفراد.

وبهذا يُعرف أن عدم وجود الغطاء في خزينة الدولة بالفعل وعدم رد المقابل لحاملها لايعتبر إلغاءً للغطاء ولا إبطالاً له ما دام الغطاء الذي هو روح العملة وسر الثقة بها موجوداً قائماً ممثلاً فيما يثبت ملاءة الدولة وقوة إمكانياتها، ويكسب الثقة بها في الداخل والخارج من كل ما يُقَّدر بوحدتها التي كانت الدولة تتعامل بها قبل إصدار الأوراق النقدية. وإنَّ وجود وحدة متفق عليها كالذهب مثلاً تقاس بها موجودات وإمكانيات الدول ليعرف بها مدى ملاءة كل دولة بالنسبة للأخرى لا

ينافي وجود غطاء لأوراق الدولة النقدية وإن تنوع، كما أنه لا ينافي وجود وحدة خاصة بكل دولة تتصل بعملتها المعدنية السابقة وقد سئل سعادة محافظ مؤسسة النقد أسئلة منها ما هو في الموضوع ومن اختصاصه كالأسئلة المتعلقة بالغطاء وبالسر في ارتفاع سعر العملة وانخفاضها فسلم وجود الغطاء وإن تنوع وأن من الدول ما لها احتياطي ومنها ما ليس لها احتياطي أو لها احتياطي ضعيف، ومنها ما ليس من اختصاصه بل من اختصاص الهيئة كالسؤال: هل الأوراق النقدية عملة قائمة بنفسها أو بدل عن غيرها، فإن الجواب عن هذا السؤال من اختصاص الهيئة بعد سؤالها عن مقدمات اقتصادية يبنى على الجواب عنها حكم الهيئة بأن الأوراق النقدية عملة قائمة بنفسها أو بدل عن غيرها حالة محلها، وهناك أسئلة أخرى لم توجه إلى سعادة محافظ المؤسسة إمّا لضيق الوقت وقد كان من الممكن أن يستدعى في جلسة أخرى، وإمّا لاكتفاء الأكثرية بالإجابة عن بعض الأسئلة، وبالرجوع إلى ما كتب الأعضاء من الأسئلة وجُعل عند فضيلة الأمين والمقارنة بينها وبين الأجوبة يتبين ما ذكرت من عدم توجيه كل الأسئلة لسعادة المحافظ.. والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم... في ١٣٩٣/٤/١٦هـ[1].

وفي مبحث هذي التمتع والقران يوضح فضيلة الشيخ عبد الرزاق وجهة نظره فيما يتعلق بتحديد نهاية ذبح هذي التمتع والقران، فيقول:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وبعد: ففي الدورة الثامنة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة بمدينة الرياض في

---

(١) انظر مجلة البحوث الإسلامية العدد (٣١) ١٤١١هـ ص(٣٨١، ٣٨٢).

النصف الأول من شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٦هـ. بحث المجلس موضوع ذبح هدْي التمتع والقران من جميع نواحيه، واتخذ في ذلك قراراً، وأنا أوافق على جميع ما جاء فيه من الأحكام ما عدا تحديد آخر وقت الذبح بغروب شمس اليوم الثالث من أيام التشريق، فأرى أن من أخّر ذبح هدي التمتع والقران عن أيام التشريق يجزئه ولا يأثم بذلك لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[1].

بالنسبة لزمن الذبح، لم يثبت في الكتاب ولا السُّنة مايخص هذا العموم من حيث نهاية وقت الذبح، وغاية ما يدل عليه ذبح النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في يوم العيد وأيام التشريق أن ذلك سنة لا فرض ولا شرط صحة في الذبح، وقد جاء ما يخص هذا العموم بالنسبة لتقديم ذبح هدْي - التمتع والقران وهو امتناع النبي ﷺ عن ذبح هديه بعد أن أدى العمرة حتى يبلغ محله ثم ذبح هديه يوم العيد، فدل على أنه لا يصح تقديم ذبحه عن يوم العيد، وكان هذا من البيان العملي والقولي للمجمل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[2] وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم...

هذا، وهناك كتابات أخرى ومسائل فقهية تطرّق الشيخ إليها ورأيت أنه من الأكمل أن يطلّع القارئ عليها، إتماماً للفائدة، وتعميماً للنفع، ومن هذه المسائل: مسألة تحية المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، وقد ذكر الشيخ أقوال العلماء في هذه المسألة فقال:

اتفق العلماء على طلب تحية المسجد في الجملة لمن دخل المسجد،

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٦).

كما اتفقوا على طلب الإنصات والإصغاء للخطيب يوم الجمعة في الجملة أيضاً، واختلفوا فيما ينبغي لمن دخل والخطيب يخطب للجمعة: هل الإنصات والإصغاء فلا يصلي التحية؟ أم يصلي صلاة التحية. فذهب إلى الأوّل مِن الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة وإلى الثاني منهم الشافعي وأحمد. وهاك مأخذ الفريقين ومنزع المذهبين، وبيان ما يعطيه الحِجَاجُ[1] من الحق: إحتج الأولون أولاً: بعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[2].

قالوا: أمر الله تعالى بالإنصات والاستماع للقرآن: فالخُطبة كذلك، إذ هي قرآن، وفي أداء التحية وقتئذ تشاغل وإعراض عن امتثال الأمر، فلا يجوز.

وثانياً: بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت**» -متفق عليه- قالوا: أُعتبر إرشاده لجليسه إلى الخير، وأمره بالمعروف لغواً مع قِصَر زمنه، فالتشاغل بالتحية أولى أن يكون لغواً فيمنع.

وثالثاً: بما رواه الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**إذا دخل أحدكم والإمام على المنبر فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الإمام**».

والجواب عن الثلاثة جملة أنها مخصوصة بمن دخل فلا يعمّه حكمها لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**» رواه مسلم وأحمد وأبو داود، فإنه إذا تعارض الخاص والعام قضي بالخاص على العام.

---

(١) الحجاج: النقاش والحوار.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).

ويخص الأول: أن إطلاق القول بأن الخطبة قرآن دعوى لا دليل عليها. نعم يجوز أن يكون فيها منهُ آية أو أكثر، ومع ذلك فالحكم للغالب.

ويخص الثاني: أن مُصلِّي الركعتين يطلق عليه مُنصِت، ونظيره في ذلك: ما رواه أبوهريرة في افتتاح الصلاة أنه قال: يا رسول الله سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول فيه؟ فأطلق السكوت على القول سراً، فهنا كذلك.

ويخص الثالث: أنه حديث ضعيف، فيه أيوب بن نهيك، قال أبو زرعة وأبو حاتم إنه منكر الحديث فلا تقوم به حجة.

واستدلوا رابعاً: بما رواه أبو داود والنسائي وصحَّحه ابن خزيمة من طريق عبد الله بن بسر قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس والنبي ﷺ يخطب، فقال له: «اجلس فقد آذيت» وفي رواية «وآنيت». قالوا: أمره بالجلوس دون التحية فدل على عدم مشروعيتها حينئذ.

والجواب عنه من وجوه الأول: أنه يحتمل أن يكون هذا الرجل قد صلَّى التحية في مؤخرة المسجد على مرأى منه ﷺ، ثم تقدم ليتمكن من سماع الخطبة فتخطى الرقاب فأنكر عليه.

الثاني: يحتمل أن يكون الرجل دخل في أواخر الخطبة، وقد ضاق الوقت بحيث لا يتمكن من التحية قبل الإقامة فلا يطالب بها، ويدل على ذلك ما في بعض الروايات: «فقد آذيت وآنيت» أي أبطأت.

الثالث: أن معنى قوله ﷺ «اجلس» النهي عن تخطي الأعناق، بدليل قوله «لقد آذيت» وأما التحية فقد وكله ﷺ إلى ما علمه الرجل

قبل ذلك من ضرورة التحية، ومع هذه الاحتمالات لا يقوى الحديث المذكور على الاحتجاج به في محل النزاع.

ذلك جملة حجج المانعين. وقد بيّنا ما فيها من عيوب. واحتج الآخرون أولاً: بقوله ﷺ: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب. فليركع ركعتين وليتجوّز فيهما»[1]. وهو قاض على عموم لفظ ما ذكروه من الأدلة، ولا مطعن فيها، قال النووي: لا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخالفه.

واحتجوا ثانياً :بما رواه جابر بن عبد الله قال: جاء رجل والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقال: «صلّيت يا فلان» قال: لا، فقال: «قم فاركع»، وفي رواية: «فصل ركعتين»، رواه الجماعة، وهذا الرجل هو سُلَيك الغطفاني، وأجاب المانعون بأنها واقعة حال لا عموم لها. ويدل على اختصاصها بسليك ما روى من حديث أبي سعيد أن الرجل كان في هيئة بذّه[2] فقال له: «أصلّيت؟» قال: لا، قال: «صل ركعتين»، وحض على الصدقة.

وأيضاً في هذا الحديث عند أحمد أن النبي ﷺ قال: «إن هذا الرجل دخل في هيئة بذّة وأنا أرجو أن يفطن له رجل فيُتصدّق عليه».

ورُدَّ بأن الأصل عدم الخصوصية، وما ذكروه من قصد الصدقة لا يمنع القصد إلى التحية -أيضاً- معها فيكون كل منهما جزء للأمر، ولو كان للفت النظر إلى الرجل فحسب لقال: إذا رأيتم ذا بذة فتصدقوا عليه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٧٥) في الجمعة باب التحية والإمام يخطب.

(٢) البذاذة: هي الرثاثة وترك الزينة.

وأجابوا عن حديث سليك -أيضاً- بأن النبي ﷺ سكت حتى فرغ سليك من صلاته، فقد جمع سليك بين التحية والإنصات، فلم يبق في حديثه حجة لمن أجاز التحية وقتئذ. وُردَّ بأن حديث سكوت النبي ﷺ حتى يفرغ سليك ضعيف، فإن الدارقطني الذي أخرجه من حديث أنس بن مالك قد ضعفه، وقال الصواب: إنه من رواية سليمان التيمي مرسلاً أو معضلاً فلا صحة فيه: على أنه لو ثبت لكان مخالفاً لقاعدتهم، فإن العمل بعد الشرع فيه لا يجوز قطعه عندهم. لاسيما إذا كان واجباً فعلى كلا الأمرين لا حجة لهم فيه، وقد تعللوا بأجوبة أخرى يأباها النظر فلا داعي إلى سردها.

وبالجملة فلكل منزع، وقد عرفت وجه الصواب في ذلك، وهو ضرورة صلاة تحية المسجد للداخل والإمام يخطب للأحاديث الصريحة الثابتة في ذلك مع ضعف جميع الأحاديث التي تمسك بها المانعون، ولا نرى ما يحملنا على ترك الصحيح الثابت. والتحول عنه إلى الضعيف الواهي .اللهم إلا العصبية الممقوتة والتقليد الأعمى[1].

هدانا الله إلى سواء السبيل.

المسألة الثانية
العيد يوم الجمعة

اختلف العلماء فيما إذا كان العيد يوم الجمعة، فقال جماعة: من صلَّى العيد مع الإمام سقطت عنه الجمعة ولا ظُهر عليه أيضاً ذلك اليوم، واستدلوا بما رواه النسائي في سننه بسنده عن وهب بن منبه بن

(١) انظر مجلة التوحيد، السنة الثالثة والعشرون، العدد الخامس جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

كيسان قال: «اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير فأخَّر الخروج حتى تعالى النهار، ثم خرج فخطب فأطال الخطبة، ثم نزل فصلَّى، ولم يُصلِّ للناس يومئذ الجمعة، فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: أصاب السُّنة».

وبما رواه أبو داود في سُننه بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: صلّى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلَّينا وحداناً، وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له، فقال: أصاب السُّنة.

وبما رواه أبو داود أيضاً عن عطاء قال: اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير رضي الله عنهما فقال: اجتمع عيدان في يوم واحد، فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر،أ.هـ. فترك ابن الزبير صلاة الجمعة ذلك اليوم وهو الإمام إذ ذاك، وقول ابن عباس: أصاب السُّنة، وعدم إنكار أحد من الصحابة عليه وعدم خروجه ذلك اليوم عند الزوال لصلاتها أو صلاة الظهر بالناس دليل على سقوطها وسقوط الظهر يومئذ عنه وعمن صلّى العيد معه، بل دليل على سقوطها عنهم وعن غيرهم ممن لم يصلّ معه العيد ذلك اليوم.

ثم إن هذه المسألة من مسائل العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف في مثل ذلك، فكان عمل ابن الزبير رضي الله عنهما في حكم المرفوع.

لكن قال أبو البركات ابن تيمية في المنتقى عقب ذكر ابن الزبير: قلت: وجهة هذا أنه رأي تقدمة الجمعة قبل الزوال فقدمها واجتزأ بها عن العيد،أ.هـ.

ويقال أيضاً: إن إسقاط صلاة الجمعة والظهر عمَّن صلَّى العيد خارج عن الأصول التي فرضت على المكلفين خمس صلوات في كل يوم وليلة، وعن الأصول التي دلَّت على إقامة كل من الصلوات في جماعة، وهؤلاء قد صلوا الجمعة أو الظهر وحداناً حينما لم يخرج لهم ابن الزبير، وكان المشروع لهم على مقتضى دليلهم ألا يصلوها أصلاً اكتفاء بصلاتهم العيد، أو أن يُصلوها جماعة بمقتضى دليل مشروعية الجماعة في الفرائض.

وقال أكثر الفقهاء: لا يُرخص لمن صلَّى العيد في ترك الجمعة ذلك اليوم ولا لغيرهم بل يجب على من توفرت فيه شروط وجوبها أن يصليها، لأن أدلة وجوبها عامة ولم تفرق بين من صلى العيد ذلك اليوم ومن لم يصله، والأصل بقاء ذلك حتى يثبت من أدلة الشرع ما يدل على خلافه.

المسألة الثالثة
الوقوف بعرفة والنزول بمزدلفة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

أفضتم من عرفات -دفعتم مسرعين في السير منها إلى المزدلفة، المشعر الحرام- المزدلفة كلها، سُمِّيت بذلك لأنها داخل الحرم.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (١٩٨، ١٩٩).

من حيث أفاض الناس: المراد إبراهيم الخليل أو إمام المسلمين أو العرب ما عدا قريشا.

ثبت أنَّ قريشاً غيَّرت العمل في مواقف الحج، فمن ذلك أنهم كانوا يقفون بالمزدلفة دون عرفات ويقولون نحن أهل الله في بلده وقطان بيته الحرام، وكان سائر العرب وجمهورهم يقفون بعرفات ثم يُفيضون منها إلى المزدلفة، فلما جاء الإسلام أمر الله جلَّ شأنه حجاج بيته الحرام أن يقفوا بعرفات ثم يدفعوا منها إلى المزدلفة ليذكروا الله فيها عند المشعر الحرام.

روى البخاري في صحيحه من طريق عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومَنْ دان دِينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسمُّون الحمس[1] وسائر الناس يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيَّه أن يأتي عرفات، فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[2].

وفي ذلك إبطال لما كان من تغيير أهل الجاهلية وتبديلهم للمناسك، وقضاءٌ على تلاعبهم بها وافتياتهم على شريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبيان مِن الله لعباده أنَّ العبادات توقيفية، وأنَّ الاعتماد في أصل العمل بها وفي صفتها على الوحي من الله لا على آراء الناس وما تهواه نفوسهم،قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»**[3].

(١) رواه البخاري ومسلم والحُمس هم قريش ومن ولدتهم قريش وكنانة وسمُّوا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٩).

(٣) قال النووي: حديث صحيح والحديث أخرجه البغوي في شرح السنُّة(٢١٣/١) وابن أبي عاصم في السُّنة (١٢١/١) وأعله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٦٤) بثلاث علل.

وفي هاتين الآيتين إثبات لأصل الوقوف بعرفة والنزول بالمزدلفة والكر بها، وبيان لترتيب الوقوف بهما. لكن فيهما إجمال بالنسبة لزمن كلٍ منهما وتقديره،وما يتعبد به الحجاج فيهما وبيان صفته وهذا هو الشأن في القرآن، يُنزِّل الله فيه أصول الأحكام كقوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2]. وقوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾[3].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[4]. وقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[5].

وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالبلاغ والبيان، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6].

فبيَّن رسول الله ﷺ بقوله وعمله زمنهما وما يفعل فيهما من نُسك وعبادة وشرح المناسك في خُطبته في حجة الوداع، وقال لأصحابه: «خذوا عنِّي مناسككم»، وذلك أنه ﷺ مكث بمنى بعد أن صلى بها فجر اليوم التاسع حتى طلعت الشمس، وأمر بُقبةٍ من شَعَر تُضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند

---

(١) سورة الحج: الآية (٢٩).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٥).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٥٨).
(٤) سورة البقرة: الآية (٤٣).
(٥) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).
(٦) سورة النحل: الآية (٤٤).

المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع»[1] وذكر نصائح ووصايا كثيرة، ثم أذَّن المؤذن ثم أقام فصلَّى الظهر بالناس ركعتين ثم أقام فصلى العصر ركعتين، فقصرهما وجمع بينهما جمع تقديم، ولم يُصلِّ بينهما شيئاً، ثم ركب ﷺ حتى أتى الموقف إلى جانب الجبل المعروف اليوم بجبل الرحمة، ولم يصعد عليه وقال: «وقفت هنا وعرفة كلها موقف»، ثم استقبل القبلة وأخذ يذكر الله تلبية وتسبيحاً وتحميداً وتهليلاً وتكبيراً، ولم يزل على ذلك حتى غربت الشمس، ولم يُصلِّ بها المغرب بل أفاض إلى المزدلفة، وأخذ بزمام راحلته، فإذا وجد متسعاً في الطريق أسرع، وإلا كَفَّها عن السرعة رحمة بالمسلمين، وكان يشير بيده اليمنى قائلاً: «أيها الناس السكينة السكينة»، ونزل بالطريق فتوضأ وضوءاً خفيفاً وقيل له: الصلاة يا رسول الله، فقال: «الصلاة أمامك»، واستمر في سيره حتى أتى المزدلفة فصلَّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامة لكلٍّ منهما وقَصَر العشاء وجمع بينها وبين المغرب جمع تأخير، ولم يُصلِّ بينهما نافلة، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، وصلَّى الفجر في أول الوقت بأذان وإقامة، ثم ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة ودعا الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده، ولم يزل واقفاً حتى أَسَفَر جِداً ثم دفع قبل أن تطلع الشمس

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٨) باب حجة النبي ﷺ، ومن حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنهما.

حتى أتى بطن مُحسِّر فأسرع حتى جاوزه ثم تابع السير حتى أتى جمرة العقبة فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات بعد طلوع الشمس يُكبِّر مع كلِّ حصاة[1].

هذا بيان من رسول الله ﷺ قولاً وعملاً لما ينبغي أن يكون عليه الحجاج في عرفات، وفي الإفاضة منها ثم في المزدلفة، وفي الإفاضة منها إلى منى، وقد اتفق الفقهاء على أن الوقوف بعرفة ركن من أركانه ولا يصح حج من تركه عمداً أو نسياناً، واختلفوا في أقل ما يُجزئ من الوقوف بها.

فذهب الجمهور إلى أنه يجزئ الوقوف بها ساعة ما بين ليل أو نهار بعد الزوال من يوم عرفة، وذهب طائفة إلى أنه يجزئ الوقوف بها ساعة من نهار عرفة أو ليلة النحر، وهو الظاهر- لحديث عروة بن مضرس الطائي قال: قلت: يا رسول الله أتيتك من جبلي طيء، أكللت مطيتي وأتعبت نفسي، والله ما بقي من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج، فقال رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة ههنا، ثم أقام معنا وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه».

ورأت طائفة أنه لا يجزئ، إلا وقوف جزء من ليلة النحر، واتفقوا على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر، وجمع فيها بين المغرب والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح مع الإمام إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فحجه تام، واختلفوا في المبيت والوقوف بعد الفجر بعد صلاة الصبح: هل هو من سنن الحج أو واجباته أو فرائضه؟، ومهما يكن من

(١) انظر حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنهما الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٨) باب حجة النبي ﷺ.

الخلاف بين الفقهاء فيما يتعلق بعرفة ومزدلفة فأنَّه ينبغي للحاج وقد أتعب نفسه وبذل ماله وترك وطنه وأهله وعمله للحج أن يؤدي نسكه على الصفة التي كانت من النبي ﷺ في حجِّه، تحقيقاً لمعنى الاقتداء به وعملاً بقوله: «خذوا عنِّي مناسككم». واحتياطاً لصحة هذه العبادة التي هي ركن من أركان الإسلام، فليجمع في الوقوف بعرفة بين جزء من ليلة النحر وجزء من نهار عرفة بعد الزوال، وليبت بمزدلفة وليُصلِّ بها المغرب والعشاء والصبح، إلا إذا كان من جنس الضعفة الذين رخَّص لهم الرسول ﷺ في الإفاضة منها إلى منى بعد منتصف الليل، ولا ينبغي أن يتساهل في عبادته ويتتبع الرخص فيها وخاصة نسك الحج، فإنه قد لا يتيسر له إلا مرة واحدة في العمر، ولا يليق أن يرجع بحج مشوَّهٍ قد انتقص من أطرافه بترك سُنَنِه أو واجباته، طلباً للراحة باتباع السهل من أقوال العلماء دون نظر إلى الأدلة الشرعية، بل عليه أن يحرص على الكمال ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ليكون حجُّه مبروراً، فيغفر الله له ويرجع من حجِّه كيوم ولدته أمه[1].

تضلعه في أصول الفقه:

إنَّ من المسلَّم به أنَّ عِلْم أصول الفقه من أهم العلوم الموصِّلة إلى معرفة أحكام الله تعالى في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، فهو العلم الذي ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع فأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول الذي لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتسديد والتأييد.

(١) انظر المصورات الخطية في الفصل الثامن (رسائل ووثائق).

إنَّ المطَّلع على ما كتبه الشيخ -رحمه الله- من تعليقات نفيسة وقيِّمة على كتاب «الموافقات» للشاطبي، و«المستصفى» للغزالي، و«الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي يدرك غزارة علمه ،وعمق إدراكه ونفاذ بصيرته، وصحة قريحته، يجيب على الإشكالات، وينقد الاستدلالات التي يرى أن غيرها أقوى منها بعبارة واضحة ومأخذ سليم.

إنَّ ما كتبه الشيخ في هذا العلم (علم أصول الفقه) متقن الأسلوب محكم البناء، واضح القصد، راسخ القواعد.

وهذا يدلُّ على أن «المترجم له» أصولي متبحر في هذا العلم واقف على دقائقه، مطلع على كتبه، مستحضر لما فيها، فإذا سألته عن كتاب من كتب الأصول ذكر لك خصائصه ومزاياه وطريقته والمآخذ التي تؤخذ عليه.

وبالجملة فقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إماماً شهيراً وعلامة كبيراً ونظاراً متضلعاً في كثير من العلوم وبخاصة علمي الفقه وأصوله. مع الإحاطة بكثير من أسرارها، ومعرفة محاسنها وغوامضها وتحرير عويصها وحل مشكلاتها. وساعده في ذلك أن له باعاً في المنطق والعقليات، وسائر العلوم.

لقد تميز الشيخ -رحمه الله- بسعة علمه، ومقدرته على الفهم الدقيق، والاستنباط الواعي والترجيح السديد.

يقول أحد تلامذته: لقد عرفت في فضيلة شيخنا الدقة العلمية، والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة متميزاً -رحمه الله- بدقة فهمه واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام، وسرعة استحضاره لكلام أهل العلم.

ويقول آخر: لقد كان الشيخ -رحمه الله- يقوِّم كل بحث أو رأي على ضوء الأسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار حينما واجهوا الفلسفات المادية والاختلافات في الأصول والفروع.

إن من المؤكد بعد عرض هذه الأقوال أنَّ الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان بمثابة مدرسة فريدة في التأصيل والتقعيد والتدقيق والتحقيق، كما كان مدرسة في الأخلاق والتربية وفقه النفس ونشر الفضائل.

وفي الصفحات التالية مقتطفات من كتاباته المتخصصة في هذا العلم الثر (علم أصول الفقه) وضَّح فيها فوائد هذا العلم وأهميته وشدة الحاجة اليه والسبب الباعث على التأليف فيه، وكل هذا قد انتظمته مقدمته الرائعة والموفقة لكتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي وفي هذه المقدمة يدرك القارئ جودة التصنيف وسلامة العبارة وجزالة اللفظ وحُسن الترتيب، ويدرك أيضاً أنه يقرأ لشخصية علمية متميزة الأسلوب، متعددة المواهب، واسعة الاطلاع، كما سوف يتضح للقارئ جليّاً وهو يقرأ هذه المقتطفات وما يتلوها من تعليقات نفيسة على كتاب الآمدي، أنه يقرأ لعالم منصف وفقيه مُتقن، يعي ما يكتب، ويدرك ما يقول.

لقد أبان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في مقدمة كتاب «الإحكام» عن أهمية علم أصول الفقه لحملة الشريعة ورواد المعرفة، ولمس ما في بعض كتب الأصول من مباحث جدلية، وآراء شاذة، وتخرصات أهل الكلام وسفسطتهم، ولذا فقد رَغِب في أن يُقرِّر كتاباً متميِّز الأسلوب سهل العبارة جامعاً لما تناثر من مباحث هذا العلم، ليكون مرجعاً وافياً

لطلبة المعهد العالي للقضاء، وبعد تأمل لعدد من كتب أصول الفقه ومصنفاته وقع اختيار الشيخ على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي. وهو -كما يقول الشيخ عبد الرزاق- كتاب عالي الأسلوب واضح العبارة، بسط مؤلفه القول فيه، وأرخى لقلمه العنان في بيان معانيه.

وقد رَغِب طلبة المعهد العالي للقضاء أن يكتب لهم عميد معهدهم وشيخهم الشيخ عبد الرزاق كلمات على هذا الكتاب تبيِّن مجمله، وتوضح مشكله، وتحل عويصه، فاستجاب لطلبهم، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتاب «الإحكام» قائلاً: هذا ولما عزم الأخ الكريم الشيخ علي بن حمد الصالحي على طبع كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» لكونه من مراجع الدراسة في المعهد العالي للقضاء ولنفاد ما طبع منه قبل ذلك، وقد سألني طلاب المعهد أن أكتب عليه كلمات فاستجبت لطلبهم، تحقيقاً لرغبتهم وأداءً لبعض الواجب عليَّ، ولم أحاول أن أقف من الكتاب موقف الشارح، فالكتاب واضح العبارة، عالي الأسلوب وهو غنيّ بوضوحه عن الشرّاح، بل من أراد ذلك منه احتقر عبارة نفسه إلى جانب عبارة الآمدي.

وبعد أن وضَّح الشيخ أهمية هذا الكتاب وما يمثله من قيمة علمية عالية، شرع في بيان أهمية علم أصول الفقه وفائدته، فقال:

أصول الفقه من العلوم التي عم نفعها، وعظمت فائدتها، فقد استطاع به المجتهدون فطرة واستعداداً، أو دراسة واكتساباً، أن يستثمروا نصوص الشريعة، وأن يستنبطوا بها الأحكام من أدلتها التفصيلية على أكمل وجه وأتقنه، وأوضح طريق وأبينه، ووقف مَنْ عُنى بدراسته من

العلماء المقلدين على مآخذ الأئمة المجتهدين ومداركهم، وعرفوا طريقهم في اجتهادهم ومذاهبهم في استنباطهم، فطبقوا قواعدهم على ما جدّ من أقضية، واستخرجوا على أصولهم أحكاماً في كثير من المسائل نسبوها إليهم تخريجاً حيث لم يثبت عنهم فيها حكم نصاً.

وقد يبلغ من يعنى بعلم الأصول ويأخذ نفسه بدراسة قواعده استدلالاً عليها وتطبيقاً لها على نهج من تقدمه من الأئمة أن يكون مجتهداً مطلقاً يعتمد في بحثه على أصول الشريعة، ويرجع إلى أدلتها ويستنبط منها الأحكام. وربما كان هذا أيسر له وأعم نفعاً، وأسلم عاقبة من اجتهاده في المسائل على مقتضى أصول إمام معين واستخراج الفروع على أصوله.

ثم يذكر الشيخ عقب ذلك أن عصر الصحابة والتابعين لم يكن بحاجة إلى تدوين أصول يُرجع إليها في استنباط الأحكام، ثم يوضح أسباب ذلك قائلاً:

وقد كانت العربية سليقة للصحابة رضي الله عنهم وبلغتهم نزل القرآن، وبها بيّنه النبي ﷺ، فكانوا يعرفون مقصد الكلام ومغزاه من لحن القول وفحواه، وقد شهدوا عهد الوحي والتنزيل، ولزموا النبي ﷺ في سفره وإقامته، وكانوا مع ذلك على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وسلامة الذوق ونور البصيرة والحرص على التشريع علماً وعملاً، فوقفوا على أسرار الشريعة ومقاصدها، ولم يجدوا في أنفسهم حاجة إلى دراسة قواعد يستعينون بها في استثمار نصوص الشريعة ولا ضرورة تلجئهم إلى تدوين أصول يرجع إليها في استنباط الأحكام من الأدلة.

وقد سار التابعون على مدرجتهم، وسلكوا سبيلهم فاستغنوا غناهم

لقرب العهد بالوحي، وقوة الصلة بالصحابة، وكثرة الأخذ عنهم والمخالطة لهم وغلبة السلامة على اللغة العربية من الكلمات الدخيلة.

ثم يتحدث الشيخ بعد ذلك عن عناية العلماء بتدوين أصول الفقه وأول مَنْ عُني بالتدوين فيقول:

وكان أول من عُني بتدوين أصول الفقه فيما اشتهر بين العلماء أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي فأملى كتابه المعروف بـ«الرسالة»، وكتبه عنه الربيع بن سليمان المرادي. وقد جمع في إملاء الرسالة بين أمرين اجمالاً:

الأول: تحرير القواعد الأصولية، وإقامة الإدلة عليها من الكتاب والسُّنة، وإيضاح منهجه في الاستدلال وتأييده بالشواهد من اللغة العربية.

الثاني: الإكثار من الأمثلة لزيادة الإيضاح، والتطبيق لكثير من الأدلة على قضايا في أصول الشريعة وفروعها، مع نقاش للمخالفين تزيده جزالة العبارة قوة وتكسبه جمالاً، فكان كتابه قاعدة محكمة بنى عليها من جاء بعده، ومنهجه فيه طريقاً واضحاً سلكه من ألَّف في هذا العلم وتوسع فيه.

وقد تبعه في الأمرين أبو محمد علي بن حزم في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» بل كان أكثر منه سرداً للأدلة النقلية مع نقدها، وإيراداً للفروع الفقهية مع ذكر مذاهب العلماء فيها، وما احتجوا به عليها، ثم يوسع ذلك نقداً ونقاشاً ويرجح ما يراه صواباً. غير أن أبا محمد وإن كان غير مدافع في سعة علمه واطلاعه على النصوص، وتمييز صحيحها من سقيمها، والمعرفة بمذاهب العلماء وأدلتها، وإيراد ذلك في أسلوب رائع، وعبارات سهلة واعية، لم يبلغ مبلغ الشافعي، فقد كان الشافعي

أخبر منه بالنقل، وأعرف بطرقه، وأقدر على نقده، وأعدل في حكمه، وأدرى بمعاني النصوص ومغزاها، وأرعى لمقاصد الشريعة وأسرارها، وبناء الأحكام عليها، مع جزالة في العبارة تذكر بالعربية في عهدها الأول، ومع حسن أدب في النقد، وعفة لسان في نقاش الخصوم والرد على المخالفين.

ولو سلك المؤلفون في الأصول بعد الشافعي طريقته في الأمرين تقعيداً واستدلالاً وتطبيقاً وإيضاحاً بكثرة الأمثلة وتركوا الخيال وكثرة الجدل والفروض وطرحوا العصبية في النقاش والحجاج، ولم يزيدوا إلا ما تقتضي طبيعة النماء في العلوم إضافته من مسائل وتفاصيل لما أُصِّل في الأبواب، وإلا ما تدعوا إليه الحاجة من التطبيق والتمثيل من واقع الحياة للإيضاح، كما فعل ابن حزم لسهل هذا العلم على طالبيه ولانتهى بمن اشتغل به إلى صفوف المجتهدين من قريب.

ثم يواصل الشيخ حديثه عن مناهج العلماء في تدوين أصول الفقه بعد أن وضَّح منهج المتقدمين من السلف في تدوينه، ومن هذه المناهج التي تحدث عنها الشيخ في هذا الخصوص، منهج المتكلمين والأحناف، ومن جاء بعدهم، ثم وضح أوجه التباين بين طريقة المتكلمين وطريقة الأحناف في التدوين. ثم بيَّن الشيخ المنهج الأمثل في التدوين قائلاً:

ولو سلك هؤلاء طريق الاستقراء، فأكثروا المسائل الفقهية من أبوب شتى على أن يجمعها وحدة أصولية، كما فعل ذلك الشاطبي أحياناً في كتاب الموافقات، وقصدوا بذلك الشرح والإيضاح، والإرشاد إلى ما بينها من معنى جامع يقتضي اشتراكها في الحكم دون تقيد بمذهب معين ليخلصوا إلى القاعدة الأصولية، وأتبعوا ذلك ما يؤيد الاستقراء من أدلة

العقل والنقل لكان طريقاً طبيعياً تألفه الفطر السليمة وتعتمده عقول الباحثين المنصفين ولأكسبوا من قرأ في كتبهم استقلالاً في الحكم وفتحوا أمامهم باب البحث والتنقيب، ويسَّروا لهم تطبيق القواعد الأصولية على ما جدَّ ويجد من القضايا في مختلف العصور.

وخير لمن يريد فهم علم الأصول على وجهه ويرسخ فيه، أن يرجع في قراءته إلى كتب الأوائل، فإنها أقعد، وعبارتها أدق وأوضح، وتحريرهم لمحل النزاع وحكايتهم للخلاف أوفق، لأنهم بذلك أعرف، ونقاشهم للأدلة جار على أصول النقد وقواعد الجدل والمناظرة عند العلماء.

ويختتم الشيخ عبد الرزاق مقدمته الوافية لكتاب «الإحكام» بترجمة لمؤلفه سيف الدين الآمدي، ومما يدل على إنصاف الشيخ وتجرده ونزاهة قلمه عند الحكم على الرجال، أنه عندما أراد أن يترجم للآمدي نقل ترجمته من عدة كتب بعضها تحمل على الآمدي وتنال منه وتتهمه في دينه، ومن هذه الكتب «ميزان الاعتدال» للذهبي، وبعضها الآخر تدافع وتنافح عن الآمدي وتُبرِّئه مما رُمي به، وتُنصفه من خُصومه، ومن هذه الكتب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«البداية والنهاية» لابن كثير الذي ذكر أن الآمدي كان كثير البكاء، رقيق القلب، وأن غالب ما رُمي به لا دليل عليه(١).

ثم ينُصف الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- الآمدي من خصومه قائلاً: إن الآمدي درس الفلسفة بأقسامها المختلفة وتوغّل فيها وتشبعت بها روحه حتى ظهر أثر ذلك في تأليفه. ومن قرأ كتبه وخاصة ما ألَّفه في علم الكلام وأصول الفقه يتبين له ما ذكرت، كما يتبين له منها أنه

(١) انظر البداية والنهاية (١٥١/٣).

كان قوي العارضة كثير الجدل واسع الخيال كثير التشقيقات في تفصيل المسائل، والترديد والسبر والتقسيم في الأدلة إلى درجة قد تنتهي بالقارئ أحياناً إلى الحيرة.

فمن كره من الولاة والعلماء منطق اليونان والخوض في سائر علوم الفلسفة وخاصة مايتعلق منها بالآلهيات، وكره كثرة الجدل والاسترسال في الخيال والإكثار من تأويل النصوص، وذكْر الاحتمالات خشية ما تفضي إليه من الحيرة والمتاهات مع قلة الجدوى منها تارة، وعدم الفائدة أحياناً كالأشرف والذهبي كره الآمدي ديناً. وأنكر عليه ما رآه منكراً، وقد يجد في كتبه ومسلكه في تأليفها ما يؤيد رأيه فيه ويدعو إلى النيل منه.

ومن لم يكره ذلك ولكنه ضاق ذرعاً بالآمدي لعجزه عن أن يصل إلى ما وصل إليه من التبحر في العلوم، وقوة عارضته وحضور بديهته في الجدل والمناظرة، وحسن أسلوبه، وبارع بيانه، في التدريس وصناعة التأليف حسده، حيث لم يؤت مثل ما أوتي في نظره. كما ذكره ابن خلكان عن بعض العلماء في سبب خروجه من مصر مستخفيا.

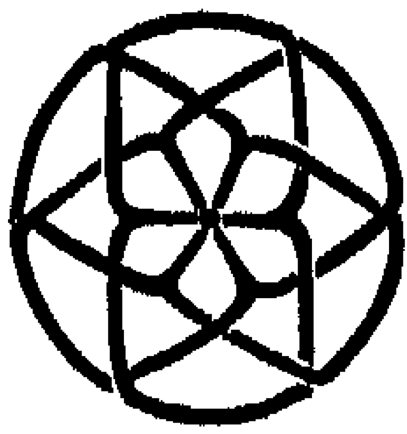
ومن لم ير بأساً بدراسة المنطق وسائر علوم الفلسفة وأَلِفَ التأويل للنصوص وكثرة الفروض والاحتمالات دراسة ومناظرة وتأليفاً رفع من شأن الآمدي وعُني بالذب عنه وانهال بالملامة على من حطَّ من قدره، أو اتهمه في دينه، أو طعن في تأليفه كابن السبكي حيث عاب الذهبي في انتقاصه للآمدي.

ثم يختم الشيخ ترجمته للآمدي بكلمات تكتب بماء الذهب لنفاستها، بل هي في الحقيقة تعتبر منهجاً تربوياً لقاصد الحق، وصادق الهدف، وفي هذه الخاتمة يقول الشيخ:

وقصارى القول أن العلماء لهم منازع شتى ومشارب متباينة، فمن اتفقت نزعاتهم تحابوا وتناصروا وأثنى بعضهم على بعض خيرا، ومن اختلفت أفكارهم ووجهات نظرهم، تناحروا وتراموا بالنبال، إلاّ من رحم الله.

وأسعدهم بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووسعه ما وسع السلف مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء نصوصها، فكلما كان العالم أرعى لذلك وألزم له كان أقوم طريقاً وأهدى سبيلا، والمعصوم من عصمه الله، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وكلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون. وما الآمدي إلاَّ عالم من علماء البشر يُخطئ ويصيب، فلننتفع بالصواب من قوله، ولنرد عليه خطأه، ولنستغفر الله له، وليكن شأننا معه كشأننا مع غيره من علماء المسلمين، وليكن شعارنا مع الجميع:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].



(١) سورة الحشر: الآية (١٠).

نماذج من تعليقات الشيخ عبد الرزاق على كتاب «الإحكام» للآمدي:

لقد علّق الشيخ على كتاب الآمدي تعليقات نفيسة، وهي وإن كانت قليلة المبنى إلاَّ أنها قوية المعنى، وهي تدل بلا شك على سعة علم الشيخ وتبحره في علم أصول الفقه وغيره من العلوم، كما أن هذه التعليقات تحمل ضمناً نقداً قوياً لأبي الحسن الآمدي، وقد يكون النقد لاذعاً أحياناً إلاَّ إنه لا يخرج به عن الإنصاف، ولا يتجاوز به حد الأدب في المناقشة.

ومن هذه التعليقات، تعليقه على قول الآمدي: «وكهف الراغبين» واصفاً بذلك الله تعالى، فعلّق الشيخ على هذه العبارة قائلاً:

لو قال: غوث اللاجئين لكان أرعى للأدب مع الله، وأبعد عن وحشة العبارة فيما يُنسب إليه سبحانه[1].

قلت: وهذا يدل على عناية الشيخ بالألفاظ، وعلى أنه صاحب منهج سلفي، يتجلى هذا المنهج الحق في كثير من تعليقات الشيخ وتعقباته للآمدي. ومن هذا تعليقه على قول الآمدي: «وهو -أي علم الله- ينقسم إلى قديم لا أول لوجوده» فعلّق الشيخ على مقولة

(١) انظر كتاب الإحكام في أصول الأحكام (١/٥).

الآمدي قائلاً: وصف علم الله أو غيره من صفاته بالقدم، لم يرد في نصوص الشرع وهو يوهم نقصاً[1]، وفي موضع آخر يُعلِّق على قول الآمدي «لاستحالة خلق القديم الواجب لذاته» فيعلق الشيخ قائلاً: أسماء الله وصفاته توقيفية، ولم يرد في كتابه سبحانه ولا في سنة رسوله ﷺ تسميته بالقديم، ولا إضافة القِدم إليه، أو إلى صفة من صفاته سبحانه، فيجب ألاَّ يُسمَّى سبحانه بذلك، وألاَّ يضاف إليه، وخاصة أن القِدم يُطلق على ما يُذَم كالبِلي وطول الزمن وامتداده في الماضي، وإن كان لمن اتصف به ابتداء في الوجود[2].

وفي تعليق آخر يدمغ به الشيخ منهج الاستدلال العقلي للمتكلمين، ويوضح فيه خطأ نسبة الجهة إلى الله نفياً أو إثباتاً، حيث ذكر الآمدي «أن العقل يثبت رؤية الله تعالى لا في جهة». فعلق الشيخ على قوله «لا في جهة» قائلاً:

لم يرد في النصوص نسبة الجهة إلى الله نفياً ولا إثباتاً، ثم هي كلمة مجملة تحتمل حقاً وباطلاً، فإن إثباتها لله يُحتمل أن يراد به أنه تعالى فوق عباده مستو على عرشه، وهذا حق. ويُحتمل أن يراد به أنه يحيط به شيء من خَلْقه، وهذا باطل، ونفيها عن الله يحتمل نفي علوه على خلقه واستوائه على عرشه، وهذا باطل. ويحتمل تنزيهه عن أن يحيط به شيء من خلقه، وهذا حق.

وإذن، لا يصح نسبة الجهة إلى الله نفياً ولا إثباتاً لعدم ورودها ولاحتمالها الحق والباطل.

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام (١٢/١).

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام (٣١٤/٢).

ثم مقابلة العقلي بالشرعي تشعر بأن رؤية الله وتنزيهه عن الشريك ونحوهما إنما ثبت بالدليل العقلي لا بدليل الشرع، وهذه طريقة كثير من المتكلمين، فإنهم يرون أن أدلة النصوص خطابية لا برهانية لا تكفي لإثبات القضايا العقلية والمسائل الأصولية، اللهم إلا عن طريق الخبر كتاباً وسُنَّة بعد الاستقراء وبعد ثبوت أصل الشرع بالعقل، وهذا غير صحيح، فإن نصوص الشرع كما جاءت بالخبر الصادق في القضايا العقلية وغيرها، جاءت بتقرير الحق في ذلك بأوضح حجة وأقوى برهان، لكنها لم تجيء على أسلوب الصناعة المنطقية المتكلفة بل على أسلوب من نزل القرآن بلغتهم بأفصح عبارة وأعلى بيان وأقرب طريق إلى الفهم وأيسره لأخذ الأحكام.

ومن تتبع أدلة القرآن في إثبات التوحيد والرسالة والبعث وغير ذلك من أصول التشريع واستقرأ السُّنة في ذلك تبين له خطأ أولئك الذين وصموا ربهم وكتابه ونبيَّه وسنته بما لا يصدر إلا من عدو للمسلمين يريد الكيد لهم في أصول دينهم ومصادر تشريعهم ليردهم بذلك إلى ما يزعمه أصولاً عقلية وغالبها شكوك ومحارات وإن كان فيها شيء من الأدلة الحقة فقد جاء به الشرع، فاللهم اغننا بكتابك وسُنَّة نبيِّك عن مراد الوهم ومزالق الضلال[1].

وفي تعليق آخر على ما ذكره الآمدي من أن أعلام شعيب وغيره من الأنبياء إنما لم يُنقل لأنهم لم يدَّعوا الرسالة حتى يستدلوا عليها بالمعجزات، فتعقبه الشيخ قائلاً: انظر هذه الدعوى مع قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ عطفاً على معمولي الإرسال في قوله في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، وعطفاً على معمولي

(١) انظر كتاب الإحكام في أصول الأحكام (١/٢٨٣، ٢٨٤).

الإرسال أيضاً في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ وانظرها أيضاً مع قصة شعيب في سورة الشعراء وفيها ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فإن في ذلك الكفاية في إبطال هذه الدعوى، ولو أجاب بأنها لم تُنقل اكتفاءً بشهادة النبي الصادق، والقرآن المعجزة برسالته لكان أبعد له عن المزالق[1].

ويُعلِّق الشيخ أيضاً على قول الآمدي: وأما نقل باقي معجزات الرسول ﷺ غير القرآن فإنما تولاه الآحاد، لأنه لم يوجد شيء من ذلك بمشهد من الخَلْق العظيم، بل إنما جرى ما جرى منها بحضور طائفة يسيرة، ولاسيَّما انشقاق القمر، فإنه كان من الآيات الليلية، وقعت والناس بين نائم وغافل في لمح البصر. فعلّق الشيخ على ذلك قائلاً: ليس ذلك بصحيح، فإن حنين الجذع كان بحضرة جمع عظيم في المسجد، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، كان بحضرة الجيش، وقد انتفعوا بالماء شرباً وطهارة وتزودوا منه، وزالت به شدتهم، ومع ذلك نُقل آحاداً، ومتى سَلِم أن القمر انشق وأنه آية قصد بها إقامة الحجة أو تقويتها استحال في حكمه الله أن يفعل ذلك والناس بين نائم وغافل مدة لمح البصر دون دعوة لرؤيته ولا تنبيه لمشاهدته، فلا بد أن يكون شاهده كثير،ويؤيد ذلك أنه نُقل نقلاً مستفيضاً بل متواتر المعنى وإن لم يتواتر لفظاً ومع ذلك قد يُقال إن كثيراً من العلماء استغنى بذكره في القرآن عن نقله[2].

وفي موضع آخر من مسألة جواز التعبد بخبر الواحد عقلاً ووجوب العمل به يقول الآمدي: ولقائل أن يقول: وإن سلمنا تنفيذ

(١) انظر كتاب الإحكام في أصول الأحكام (٢/٤٣).

(٢) المصدر السابق.

الآحاد بطريق الرسالة، والقضاء وأخذ الزكوات، والفتوى وتعليم الأحكام، فلا نسلم وقوع تنفيذ الآحاد بالأخبار التي هي مدارك الأحكام الشرعية ليجتهدوا فيها وذلك محل نزاع. فعلّق الشيخ على ذلك قائلاً: يكفي في رد هذا الاعتراض أنه دعوة يكذبها الواقع، فقد أرسل ﷺ الآحاد من أصحابه لإبلاغ الأخبار بل لتحفيظ القرآن، ومن استقرأ بعث الولاة والدعاة كفاه دليلاً على بطلان تلك الدعوى[1].

وفي مسألة أخرى يقول الآمدي: إذا ورد خطاب خاص بالنبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا يعم الأمة ذلك الخطاب عند أصحابنا خلافاً لأبي حنفية وأحمد بن حنبل وأصحابهما في قولهم إنه يكون خطاباً للأمة إلا ما دلّ الدليل فيه على الفرق، ودليلنا في ذلك أن الخطاب الوارد نحو الواحد موضوع في أصل اللغة لذلك الواحد، فلا يكون متناولاً لغيره بوضعه.

وقد علق الشيخ عبد الرزاق على هذا الكلام قائلاً: قد يُقال أن الخطاب، وإن لم يتناول بوصفه في أصل اللغة غير المخاطب، إلا أنه قد يتناوله عرفاً، أو لقرائن أخرى، ككونه ﷺ رسولاً، فإن ذلك يقتضي أنه ليس مقصوداً بالخطاب لذاته، بل ليعمل وليبلغ الأمة ما شرع الله عن طريقه، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ونحوه من النصوص والإجماع. وإذاً فالأصل العموم إلا أن يدل دليل على الخصوص، وذلك فيما يختلف فيه حال أمته وبه يندفع ما ذكر بعد من الاستدلال باختلاف الأحكام لتفاوت أحوال الناس[2].

(١) انظر كتاب الإحكام (٢/٦٣).

(٢) انظر كتاب الإحكام (٢/٢٦٠).

المبحث السادس

تدريسه وقدرته الهائلة على إيصال المعلومات

إنَّ من المقطوع به أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان يتمتع بمزايا فريدة لا تكاد تتوافر إلا في القليل من الرجال الذين وهبهم الله ذكاءً وفطنة وعلماً وإخلاصاً.

كان الشيخ -رحمه الله- مضرب الأمثال في تدريسه ، وفي قدرته الهائلة على إيصال المعلومات.

لقد أُوتي عقلاً كبيراً، وقدرة فائقة على الإقناع كان عالماً مشرق العبارة حسن الأداء يشد انتباه من يستمع إليه.

ويشهد لذلك أحد كبار تلامذته ومعاصريه فيقول:

إنني منذ طفولتي وإلى هذه اللحظة لم ألق عالماً مثله في سعة علمه واطلاعه ودقة استحضاره وحفظه، وسلامة منهجه واستقامة حياته وجولان ذهنه، وقدرته على إعطاء الحكم الدقيق في المسألة المطروحة ومعاصرته لأحداث زمانه.

كان مفسراً عظيماً، وإن أنسى لا أنس دروسه الرائعة في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في (دُخْنه) في الرياض لقد كان يغوص في المعاني الدقيقة في الآية، ويذكر ارتباطها بما قبلها وما بعدها، ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس،

ويشير إلى أسرار البلاغة ونواحي الإعجاز فيها[1].

ويقول آخر: لقد تميز الشيخ في دروسه بتأصيل المسائل العلمية وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها. [2]

ويقول ثالث: كان رحمه الله ذا باع طويل في علوم الشريعة، وله القدح المعلّى في التفسير وعلوم القرآن، وقلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد، وعلوم العقائد والملل والنحل[3].

ويؤكد هذا كله أحد تلامذته بقوله: لقد درَّسنا الشيخ عبد الرزاق في معهد الرياض العلمي، وفي كلية الشريعة وفي المعهد العالي للقضاء، في التفسير والتوحيد، وفي الفقه، وفي البلاغة وفي النحو والأصول، وما درّس مادة إلا أبدع فيها. وكان إذا درَّس مادة أتمها[4].

لقد كان تدريسه يمتاز بوضوح الكلام وقلته، وتكييف المادة بحيث تصل إلى الأذهان من أول وهلة.

ويؤيد هذا ويقويه ما ذكره أحد أبرز تلامذته قائلاً:

لقد تشرفت بتلقي العلم عن سماحته في جميع المراحل الدراسية، في المرحلة الثانوية، وفي المعهد العلمي، وفي المرحلة الجامعية في جامعة

---

(١) انظر كلمة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ (الشيخ عبد الرزاق من بقية السلف) في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) انظر كلمة فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان في الفصل السابع.

(٣) انظر كلمة فضيلة الدكتور صالح بن سعود آل علي والتي عنوانها (العفيفي المفتي والعالم والمربي) الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

(٤) انظر ما كتبه فضيلة الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- عندما كانت تعرف بالمعاهد العلمية والكليات، وكذا في الدراسة العليا في المعهد العالي للقضاء في الرياض.

فكان -رحمه الله- في المعهد العلمي شيخاً جليلاً يعطي دروسه لطلاب علم في مستوى الابتدائي، يحاول أن ينقل العلم إلى نفوسهم وقلوبهم بما يستطيعون فهمه وإدراكه ،وقد أصاب، فقد كانت المعلومات في المواد التي ندرسها عليه جزلة ومركزة ومفيدة، وقد تلقيناها من سماحته بطريقة منطقية رسخت في نفوسنا وعقولنا، وكان -رحمه الله- في الكليات شيخاً ذا مقام متميز على زملائه في التدريس، وقد رأيناه عالماً كبيراً خلاف ما رأيناه في المعهد يعطي دروسه لطلاب علم في مستوى متمكن من الفهم والإدراك.

وفي المعهد العالي للقضاء رأينا شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- عالماً متميزاً في علمه في الأصول والتفسير والحديث لا يجاريه من زملائه أحد، لا سيما في القدرة العجيبة على جذب أنظار طلابه إليه بما يستنبطه من المسائل العلمية في الاعتقاد والفقه، وبما يعطيه من تحليلات علمية في مسائل الخلاف والنظر والاعتبار، وكنا معشر الطلاب نتابع التساؤل والاستغراب من قدرة شيخنا -رحمه الله- على التمثل طبقاً لمستويات طلابه الفكرية، ومستويات قدراتهم على التحمل والاستيعاب وهذه موهبة ومكرمة من الله تعالى[١].

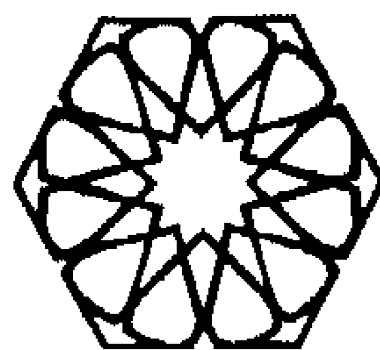
قلت: وقد ذكر لي جم غفير ممن تتلمذوا للشيخ وأخذوا عنه[٢] أنه كان جاداً في أدائه، فلا يترك فرصة للعب، وإلى جانب حديثه كان

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) ومن هؤلاء فضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي ـ حفظه الله.

صاحب ملحة مؤدبة، وكان ينظر إلى طلابه بمنظار العدل، فكان يتعاهد الطالب الخامل والمجد على السواء.

لقد أُعطي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- قدرة فائقة على التعبير، وقوة في العقل، ولم يكن يمسك كتاباً في يده، وكان حفظه من صدره وكان كثيراً ما يُعلّق على الكتب التي في أيدي طلبته ،وكان إذا تكلم عقل عنه، وكان لا يتردد في كلامه وكان يبدع في شرح العبارات العويصة والمعاني الغامضة، ويضع لدرسه بداية ووسطاً ونهاية، وكان يلتزم بالموضوع محل البحث ولا يخرج عنه، فإذا انتهى من شرحه وجّه الأسئلة إلى طلابه فيما شرح لهم وكان يلزم العربية في جميع دروسه ومجالسه كتابةً ومحادثة -رحمه الله.



المبحث السابع

علو همته وغزارة مادته العلمية واحترامه لطلابه

قال الماوردي -رحمه الله- بعد استشهاده على علو الهمَّة بقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

قال: والداعي إلى استسهال المصاعب وتحمل المشاق أمور منها علو الهمة وشرف النفس أما علو الهمة، فلأنه باعث على التقدم، وداع إلى التخصيص، أنفةً من خمول الضعة واستنكاراً لمهانة النقص[1].

وعلو الهمة: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور[2].

إن معالي الأمور وعرة المسالك، محفوفة بالمكاره، والعلم أرفع ما تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد ويحتمل متاعب، ولا يستهين بالشدائد إلا كبير الهمة ماضي العزيمة.

إنَّ عظيم الهمَّة يستخف بالمرتبة السفلى أو المرتبة المتوسطة من معالي الأمور، ولا تهدأ نفسه إلا حين يضع نفسه في أسمى منزلة وأقصى غاية ويعبر عن هذا المعنى النابغة الجعدي بقوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص(٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) انظر رسائل الإصلاح لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، ص٥٧.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ماضي العزم عالي الهمة له نفس تواقة ما بلغت شيئا إلا وتاقت إلى ما هو أعلى منه، إن شغفه بمعالي الأمور وذُرا الفضائل دفعه منذ صباه إلى طلب العلم والنصب في ذلك، وكأن لسان حاله يقول:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يُدرك المجد المؤثل أمثالي

لقد كان (للمترجم له) القدح المعلّى في كثير من العلوم والفنون، ولقد اتفقت كلمة العلماء على إمامته وفضله وتضلعه وتقدمه في كثير من المعارف حتى وصفه بعض العلماء بأنه دائرة معارف متحركة.

كان إذا تكلم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وأنه متخصص فيه وحده، وقد قصده الطلاب من كل حدب وصوب لينتفعوا من علمه وليصيبوا عنده ما لم يصيبوه عند غيره.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- آية في تقديره لطلابه واحترامه لهم، اختلف يوماً مع أحد طلابه بالمعهد العالي للقضاء وكان الشيخ مديراً لهذا المعهد ومشرفاً على بحث الطالب فقال له الطالب: إذا كنت ستتمسك برأيك في هذه المسألة عند مناقشة رسالتي وتعتبر رأيي خطأً تؤاخذني عليه فسآخذ برأيك بصفة مؤقتة حتى ينتهي أمر مناقشة هذه الرسالة، ثم أعود إلى رأيي المخالف لرأيك، فما كان من الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إلا أن قال له: يا عبد الله أنا أحترم الرأي العلمي وإن كنت لا أراه، ما دام مبنياً على اجتهاد، وإني لا أعتقد العصمة في الإصابة لنفسي ولا الخطأ لمخالفي وعليك أن تجتهد في الاستزادة من تبرير رأيك المخالف، وسأعتبر تمسكك برأيك منقبة علمية أكافؤك عليها.

لقد كان الشيخ -رحمه الله- لين الجانب طلق الوجه، حسن الملاحظة، فهو أمام الطلاب والزوار يُظهر الفرح والسرور والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة، بدون غضب أو ملل، أو تبرم أو ردٍ شديد للسائل.

فالطالب في مجلسه يلقى منه كلَّ التقدير والمؤانسة والتبسم، بحيث لا يمل جليسه منه كما أنه يكرم من زاره ولا يتكلف في كرمه.

يقول أحد تلامذته[1]: كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي يتميز بطيب المعشر والزهد في الدنيا، وكان يقدر من يفد إليه في منزله وعمله ابتغاء مرضاة الله سبحانه ورغبة فيما عنده.

ويذكر أحد ممن جلسوا منه مجلس العلم والتحصيل: أنه كان لا يحب أن يكون تلميذه فاقد الوزن، لذلك كان همه الأول وشغله الشاغل أن يولد في نفس الطالب ثقة تقيم صلبه، وتجلو مداركه، وتذلل له وعثاء الطريق، وكان يجاور الطالب وعلى شفتيه ابتسامة توحي له أنه حاز الإعجاب ووافق الصواب[2].

وبعد هذه النقول عن تلامذة الشيخ يتقرر عندنا أن ثمة علاقة قوية كانت تربط الشيخ بطلابه، وكل الواردين ورده من قاصدين يتتبعون خطاه، ويتحرون دروسه، ومن باحثين وعلماء يستهدونه ويلتمسون صواب رأيه فيما يعرض لهم من مشكلات. وكانوا جميعاً عنده محل التقدير والاحترام.

(١) هو الأستاذ عبد الله الشهراني وانظر كلمته في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).
(٢) انظر كلمة الأستاذ بخاري عبده في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

المبحث الثامن
جهوده الدعوية ودروسه العلمية

جهوده الدعوية في مصر:

قضى الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- حياته في خدمة العلم والدين، مجاهداً في سبيل الدعوة إلى الله، وطلب العلم وتعليمه.

لقد أمضى الشطر الأول من حياته في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان داعية من أبرز دعاة جماعة أنصار السُّنة المحمدية في مصر والأسكندرية ومن المؤسسين لها.

كان داعية متميزاً في علمه ودعوته، وكان لسعة اطلاعه وقوة حجته وثباته على الحق أبلغ الأثر في نجاح دعوته.

يتحدث عنه أحد زملائه بالأزهر وأحد رفقاء دربه (يوسف الضبع) فيقول: «وفي الأسكندرية وضواحيها المترامية بسط نطاق دراسته الدينية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[1] فكان الشيخ يُلقي فيها عظات ودروساً دينية حسبة لله وابتغاء وجهه، وكانت هذه العظات وتلك الدروس إلى جانب جدوله الدراسي في المعهد الديني بالأسكندرية، وقد تتلمذ له وآوى إلى حلقاته كثير من شيوخ الأسكندرية وشبابها،وأشهد أنه بلغ من الورع والتقوى والكرم والشجاعة وأصالة الرأي

---

(١) سورة النور، الآية (٣٦).

ورسوخ القدم ما جعله أشبه بعلماء السلف الصالح، لقد كانت دروسه اليومية في الأسكندرية وضواحيها بمثابة مدرسة كبرى يجتمع فيها الجم الغفير من الناس على اختلاف مستوياتهم للاستماع والنقاش والحوار مع عالم مُبرَّز، وفقيه ثقة، إذا تكلم أسمع، وإذا جادل أقنع، ولم تقتصر دروسه ومواعظه على مكان بعينه في الأسكندرية، بل كان يغشى معظم مساجد هذه المدينة الكبيرة وغيرها من المدن من وقت لآخر لإلقاء دروس في التوحيد والعقيدة الإسلامية التي كان حريصاً أشد الحرص على تنقيتها وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والخرافات والخزعبلات وما أكثرها في مجتمعه».

لقد عُرِف الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من خلال دروسه بسعة علمه، وعمق فهمه، وصحة معتقده، فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعاً أميناً لهم.

وفي رحلته العلمية وجهوده الدعوية، كانت له عناية خاصة بتربية تلاميذه على العقيدة السلفية، ونبذ البدع والضلالات والأخذ بأيديهم إلى هدْي الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة، فاحتضن نخبة متميزة من هؤلاء التلاميذ وتعهدها منذ الطفولة واصطحبها معه حتى نمت وشبَّت عن الطوق، ونهجت نهجه. وغدا هو وهم يجوبون القرى والنجوع ويتجولون في الضواحي والأحياء المتعددة لأداء رسالة هي من أعظم الرسالات، ألا وهي رسالة الدعوة إلى الله وهداية الناس(١).

وحيث كانت معظم المساجد لا تخلو من البدع، ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة، فقد ركَّز -غفر الله له- على الجوانب

---

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ مناع القطان في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

العقدية والعودة إلى منابع أصولها الصافية والتمسك بالسُّنة الصحيحة وما كان عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لهم فيها بالخير، وكان إذا تعذَّر عليه تغيير المنكر سعى في إقامة مسجد خاص يقوم عليه من هداهم الله لدعوته، ويتخذون منه منطلقاً للدعوة.

ويتحدث فضيلة الشيخ مناع بن خليل قطان منوِّهاً بجهود الشيخ الدعوية في محافظة شبين الكوم بمصر قائلاً:

١- عُيِّن شيخنا مدرساً بالمعهد الديني بشبين الكوم التابع للأزهر سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م.

٢- استأجر بيتاً لسكناه (وهو عزب) فأسكن معه طلاب بلدته (شنشور- منوفية).

٣- ثم تزوج وسكن في بيت مستقل، ولكنه كان يدعو طلابه بالجامعة ويرعاهم كما يرعى الأب أبناءه.

٤- قام بتدريس مادة الحديث المقررة في المرحلة الثانوية «صفوة صحيح البخاري» فكان أستاذاً متميزاً بترتيب الموضوع، وجودة العرض، وحسن التعليق، ورجاحة العقل، ويسجل النابهون من طلابه إضافاته العلمية على هامش الكتاب المقرر.

٥- يهاب الطلاب شخصيته، وينصتون لسماع درسه، ويحرصون على الاستفادة منه.

٦- اتفقت معه الجمعية الشرعية بشبين الكوم برئاسة الشيخ أحمد الزيات على أن يلقي درساً أسبوعياً منتظماً في مسجدها، فكان هذا الدرس مدرسة يجتمع فيه الجم الغفير للاستماع والنقاش والحوار.

٧- كان يغشى المساجد الأخرى من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها.

٨- كان منهجه السلفي سمة بارزة فيه بأسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة، ولا يمس أحداً بتجريح، مما جعل استجابة الناس عن حب وقناعة.

٩- توثقت علاقته بمدير المعهد آنذاك (الشيخ عبد الجليل عيسى) فكان موضع شوراه.

١٠- كان يزن طلابه بميزان دقيق في الجوانب المتعددة، ولا يخفي حبه لمن يتوسم فيهم الخير، فيعاملهم -وهم بمنزلة أبنائه- معاملة الأخ الأكبر لإخوته الصغار.

١١- عرف بسعة علمه، وعمق فهمه، فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعاً لهم.

١٢- أضفى عليه تواضعه حلة من زيادة التقدير والاحترام لدى كل من عرفه.

وفضلاً عن ذلك كلّه، فقد كان له القدح المعلّى في تخليص قريته (شنشور) من العادات الجاهلية التي هدمها الإسلام، كالنياحة على الموتى ولطم الخدود وزيارة النساء للقبور، وتعظيم الأضرحة، وإقامة السرادقات ...إلخ.

لقد كانت جهوده في هذا الميدان لها أبلغ الأثر في نفوس العامة، فضلاً عن المتعلمين لما يعلمونه عن الشيخ من علم واسع، ورفق في الدعوة وحرص على هداية الناس، وقد تحقق له ما أراد بإذن الله

وتوفيقه، فهدى الله على يديه آلافاً من الناس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن حياة الشيخ عبد الرزاق وجهوده الدعوية المباركة جديرة بالتأمل، فقد أوقف حياته على نشر العلم، والدعوة إلى هذا الدين وإظهار محاسنه، والدفاع عن ساحته، وترسيخ مبادئه، وتعميق التوعية بمعانيه.

والواقع الذي لا يماري فيه أحد من دعاة هذا الدين وحملته في مصر وغيرها، هو إجماعهم على أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق قد بلغ من العلم والفضل والفقه في الدين منزلة عظيمة لا يجحدها إلا حاسد أو حاقد، وفي هذه الكلمات المشرقة، والنصائح القيِّمة التي يوجِّهها الشيخ إلى الدعاة أكبر شاهد على ما ذكرت، فقد قال- رحمه الله:

وخير طريق يحتذيه الدعاة في القيام بمهمتهم، وأمثل منهاج يسلكونه في استمالة قلوب الناس إلى الخير، والإعذار إلى من لم يستجب للحق بعد بيان الحجة، وإقامة البرهان هو طريق الرُسل عليهم الصلاة والسلام ومنهاجهم في دعوتهم إلى الله بقولهم المفضَّل، وسيرتهم الحميدة.

وعقب ذلك يُلقي الشيخ الضوء على سيرة رسول الله وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول:

كان إبراهيم الخليل (عليه الصَّلاة والسلام) مثلاً أعلى في صدق اللهجة، والإيمان بما يدعو إليه من التوحيد وشرائع الإسلام والتصديق به على وجه اطمأنت به نفسه ورسخ في سويداء قلبه، وقد أثنى الله عليه بذلك في محكم كتابه في مطلع الحديث عنه حينما قام يدعو أباه إلى التوحيد، فقال:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[1].

فعلى الداعي إلى الحق أن يكون مؤمناً به، مخلصاً لما يدعو إليه صادق اللهجة فيه، وإلا انكشف سره، وافتُضح أمره، فإن ثياب الزور تشف عما وراءها، وعند ذلك يكون وبالاً على الدعوة.

بدأ إبراهيم الخليل بأبيه في الدعوة إلى التوحيد، فإنَّه أقرب الناس إليه وألصقهم به فكان أولى بمعروفه وبرِّه وإحسانه، وإلى جانب ذلك يكون ردأً له إذا استجاب لدعوته، وظهراً له يحميه بدافع أخوة الإيمان وعصبية النسب.

قال تعالى في وصفه لإبراهيم في دعوته: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[2].

وقد تلطَّف معه في الدعوة فذكَّره بما بينهما من الرحم ووشائج النسب استمالة لقلبه وتنبيهاً له إلى أنه لو كَذَب الناس جميعاً ما طابت نفسه بالكذب عليه، وأنه لو غشَّهم جميعاً لم يكن منه إلا النصح له لما بينهما من أواصر القربى والنسب.

وبدأ دعوته لأبيه بالتوحيد الذي هو أصلُ الدِّين وجوهر الشرائع السماوية وعليه تقوم فروع الإسلام وبه صلاح القلب، وبصلاحه تصلح سائر الجوارح، وتستقيم أحوالها.

«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[3] وسلك في دعوته إلى

---

(١) سورة مريم: الآية (٤١).

(٢) سورة مريم: الآية (٤٢).

(٣) جزء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو مخرَّج في الصحيحين.

التوحيد طريق الاستدلال عليه بأن ما يعبده أبوه وقومه لا يسمعهم إذا دعوه لكشف غمة أو تفريج كُربة ولا يراهم إذا عبدوه وتضرّعوا إليه، ولا يجلب لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضُراً، وإذا كان لا يُرجى نفعه، ولا يُخشى بأسه، فكيف يستحق أن يُعبد أو يُتقرب إليه، وبذلك أقام عليهم الحُجّة وقطع عذرهم.

فيجب على مَنْ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر أن يقتفي أثر إبراهيم الخليل في دعوته فيتلطف مع مَنْ يدعوهم ويسوسهم حسب ما تقتضيه أحوالهم، ويبدأ بأقرب الناس إليه وأولاهم بإرشاده ويُقدِّم الإرشاد إلى عقيدة التوحيد، ويُركّز الحديث فيها، ويقيمُ على ذلك الدليل ليقنعهم بالحجة ويسقط أعذارهم.

ادّعى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أنَّ الله آتاه من العِلْم ما لم يؤت أباه، لا ليفخر بذلك أو يتعالى على أبيه حتى يكون خُلُقاً ذميماً، يُنَفِّرُ الناس مِن حوله ويمقتونه من أجله، بل ادّعى ذلك ليلفت النظر إلى وجوب الإصغاء إليه واتباعه فيما جاء به من الحق المبين، ليهديهم به إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى في وصفه لإبراهيم في دعوته: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾[1].

نهى إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أباه عن طاعة الشيطان في وسوسته واتباعه فيما يسوِّله ويزيِّنه له من الشرك بالله وسائر المنكرات فإنَّ طاعته له وإسلام قيادِهِ إليه عبادة له من دون الله، ونبّه أباه إلى عصيان الشيطان لربِّه وتمرده عليه، وإذنْ فليس على هدىً في وسوسته ولا يُزيِّن للنّاس إلا ما هو شر وضلال.

---

(١) سورة مريم: الآية (٤٣).

قال تعالى في وصف دعوة خليله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ﴾[1] فعلى الداعية إلى الحق أن يكشف الغطاء عن معنى العبادة ويزيدها إيضاحاً حماية لعقيدة التوحيد وبياناً لأصولها، ويستعمل أسلوب التنفير من عبادة غير الله اقتداءً بخليل الرحمن (عليه الصلاة والسلام).

أنذر إبراهيم أباه إنذار المتلطف معه المشفق عليه بأنه يخشى عليه مغبة شِركه وعاقبة عبادته للشيطان وطاعته له، فيعذبه الله على ذلك ولا يجد ممن تولاهم بالعبادة من يدفع عنه بأس الله وعذابه.

قال تعالى في وصف إبراهيم في دعوته: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾[2].

فعلى الداعية أن يستعمل أسلوب الإنذار والتخويف من سوء العواقب، والتذكير بعذاب الله وأليم عقابه يوم يتبرأُ دعاة السوء ممن غرّروا بهم، ويتمنى المخدوعون بزخرف القول أن لو عادوا إلى الدنيا فيتبرأوا مِن دعاة السوء كما تبرؤوا منهم يوم القيامة، وأنَّى لهم ذلك.

لا تأثير للدعوة إلى الحق وإن كانت صادقة إلا إذا وجدت آذاناً صاغية، وقلوباً واعية، وفطرة سليمة لم تفسدها الأهواء، ولذا لم يستجب لإبراهيم أبوه بل أنذره لئن لم ينته ليرجمنه وأمره بهجره مليّا، فصبر إبراهيم على أذاه، وقابل سيئته بالحسنة وقال له: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾[3].

واعتزلهم وما يدعون من دون الله، بُعداً عن الفتنة، إذ لم يستطع

(١) سورة مريم: الآية (٤٤).
(٢) سورة مريم: الآية (٤٥).
(٣) سورة مريم: الآية (٤٧).

القضاء عليها، وأملاً في أن يجد لدعوته أرضاً خصبة، فوهب الله له إسحاق ويعقوب، وجعل كُلاً منهما نبياً، جزاءً وفاقاً لصدقه في الدعوة، وإخلاصه فيها وصبره على الأذى في سبيل نشرها وهجره للشرك وأهله، إتقاءً للشر وبُعداً عن مواطنه ومظاهره.

فعلى الدعاة أن يتذَّرعوا بالصبر وسعة الصدر، وأن يقابلوا السيئة بالحسنة، وأن لا ينتقموا لأنفسهم ما استطاعوا إلى العفو سبيلا، لكن إذا انتهكت حُرمات الشريعة انتصفوا لها، وأخذوا على أيدي العابثين، وعليهم أن يهجروا الشر وأهله إذا لم يمكنهم إزالته أو تخفيفه، خشية أن تصيبهم الفتنة أو يعمهم البلاء، أو تكون مخالطتهم حُجَّة عليهم أو معرَّة لهم وذريعة للنيل منهم وعدم الاستماع لنصائحهم، وعليهم أن يتحروا المجالس التي يُرجى فيها قول الحق وقبوله والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل[1].

جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية:

وأما جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية فهي بحر لا ساحل له، وهي جديرة بأن يفرد لها دراسات ومؤلفات خاصة بها.

قدم العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -غفر الله له ورحمه- إلى المملكة العربية السعودية -بلاد الحرمين الشريفين- سنة ١٣٦٨هـ بعد أن قضى شطر عمره في ميادين العلم والدعوة والتربية في مصر.

لقد جاء إلى المملكة العربية السعودية على سجيته، لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب، لم يأت إلى المملكة ليكون سلفياً، بل كان

(١) انظر مذكرة التوحيد وهي من إملاءات الشيخ، وقد قام المكتب الإسلامي في بيروت بطبعها.

سلفياً قبل مجيئه إليها وأدل دليل على هذا أن نشر الكتب السلفية التي تُعنى بأمر المعتقد كان شاغله الشاغل وعمله الدؤوب ومن أوائل هذه الكتب التي قام على تحقيقها ونشرها في مصر: كتاب «العلو» للذهبي[1].

والشيخ عبد الرزاق عفيفي يعتبر من أوائل من جاؤوا للتدريس في هذه المملكة المباركة قبلة العلماء العاملين وملاذ الأئمة المصلحين والدعاة المخلصين جاء الشيخ إلى هذه البلاد استجابة لرغبة كريمة من مؤسس هذه الدولة الغراء الملك عبدالعزيز آل سعود -يرحمه الله- فقد وجَّه أمره الكريم إلى صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، معتمد المعارف السعودية آنذاك، وأحد أبرز رجال التعليم في المملكة العربية السعودية بأن يذهب إلى مصر لترشيح واختيار نخبة ممتازة من العلماء الذين عرفوا بصحة المعتقد وسلامة المنهج، وهدفه من ذلك تنفيذ سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذوره بعد أن خيَّم ردهاً من الزمن على أجزاءٍ من هذه الجزيرة. وفي مصر وقع الاختيار على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليكون في طليعة مَن يذهبون إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في النهضة العلمية بها، وإزاء تلك الثقة الغالية من الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- والأمراء من أبنائه آثر الشيخ عبد الرزاق الاستقالة من الأزهر، وقدم إلى هذه البلاد مع كوكبة من علماء الأزهر منهم فضيلة الشيخ محمد على عبدالرحيم وفضيلة الشيخ محمد خليل هراس، وفضيلة الشيخ محمد عبدالوهاب بحيري، وفضيلة الشيخ حسين

---

(١) انظر كلمة (إنما كان إماماً) لأبي عبد الرحمن بن عقيل، الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

محمد مخلوف، وفضيلة الشيخ محمد حسين الذهبي، وفضيلة الشيخ عبدالمنعم النمر، وفضيلة الشيخ يوسف الضبع، والشيخ أحمد القط، والشيخ محمد عبد الدائم وغيرهم، وقد امتاز - رحمه الله - عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية بشدة متابعته لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ويشيد معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بجهود فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله- فيقول:

لقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد العلمية بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -عليه رحمة الله- ثم في مجال الإفتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. وقد أفنى عمره في نشر العلم والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه[1].

لقد أدى الشيخ عبدالرزاق عفيفي -غفر الله له ورحمه- على مدار تسعة وأربعين عاماً دوراً مهماً وفاعلاً في الحياة العلمية والاجتماعية يمكن إجماله فيما يلي:

(١) جهوده التعليمية والتربوية والدعوية في دار التوحيد بالطائف (١٣٦٨-١٣٧٠هـ).

(٢) محاضراته القيمة ودروسه العلمية في معهدي عنيزة العلمي والرياض(١٣٧٠-١٣٧١هـ).

(٣) تأسيسه وتدريسه في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض.

---

(١) انظر الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٤) معاصرته لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ نواتها الأولى واستمرار عطائه لها إلى أن توفاه الله.

(٥) جهوده المخلصة وعمله الدؤوب إبّان إدارته للمعهد العالي للقضاء (١٣٨٥-١٣٩٠) وتخريج أفواج من طلبة العلم والدعاة على يديه.

(٦) مشاركته في اللجان العلمية التي كان من ثمرتها إنشاء الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة.

(٧) عضويته الفاعلة وجهوده المتواصلة في وضع مناهج ومقررات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٨) تحريره وصياغته لآلاف الفتاوى والبحوث التي تتسم بالعمق والأصالة والدقة وذلك خلال عمله نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

(٩) دروسه العلمية ومحاضراته وندواته المفيدة في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وفي منزله وفي بعض المعاهد التربوية ودور العلم.

يقول أحد تلامذته: كان الشيخ -رحمه الله- ذا باع طويل في علوم الشريعة، وقل أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد، أما في علم أصول الفقه فإليه فيه المنتهى، وقد شرفت بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة، ثم في المعهد العالي للقضاء وخبرته عن قرب، ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم والفقه في الدين، والتحلي بمبادئ هذا الدين من تواضع وتُقىً وزهد وورع وصبر وحب لهذه الأُمّة، وحرص على أن تظل كما هو مؤمل منها منارة هدى ومصدر إشعاع وموئل عز للإسلام والمسلمين[1].

---

(١) انظر كلمة الدكتور صالح بن سعود آل علي في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

ويقول آخر[1]: كان الشيخ عبدالرزاق -يرحمه الله- مسار إعجاب طلبة العلم، وكان الطلاب ينقلون أخباره لأهاليهم وذويهم، موضحين مواقفه وجهوده في التعليم والتربية وتفوقه في علم الشريعة، ودقة فهمه لأحكامها، وحسن تنزيله للأحكام على الوقائع في التدريس والفتوى، وقوة شخصيته، وسداد توجيهه، وحُسن ترتيبه، وعرفته الساحة في المملكة في كل مجال من مجالاتها، في التعليم، والتربية، والتوجيه، والوعظ والإرشاد، وفي الفتوى، والمجالس العلمية، ذا علم غزير ورأي متميز، وأدب جم، جمع الله له بين العلم النافع والعمل الصالح والقبول عند الناس والاحترام في المجتمع.

١٠- إشرافه على عشرات الرسائل العلمية (دكتوراه وماجستير) ومناقشته للمئات منها، فضلاً عن مئات البحوث والدراسات المتخصصة التي قومها وأبدى رأيه الصائب فيها، ومن هذه الرسائل العلمية التي أشرف عليها:

* رسالة الدكتوراه للشيخ عبدالقادر بن حبيب الله السندي وموضوعها (ابن قدامة وتخريج أحاديث كتاب «الكافي»).

* رسالة الدكتوراه للشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان وموضوعها (تحقيق ودراسة كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل لابن خزيمة).

* رسالة الدكتوراه للشيخ صالح الفوزان، وموضوعها (الأطعمة مايحل منها ومايحرم).

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان، وانظر كلمته في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

* رسالة الدكتوراه للشيخ سعود بن عبدالله الفنسيان وموضوعها (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره).

* رسالة الدكتوراه للشيخ محمد بن سعيد القحطاني وموضوعها (دراسة وتحقيق كتاب السُّنة للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن حنبل الشيباني).

* رسالة الدكتوراه للشيخ محمد لقمان السلفي وموضوعها (اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً).

وأما رسائل الماجستير والبحوث الشرعية الأخرى فهي لاتُحصى كثرة.

١١- تقويمه للأعمال العلمية والأبحاث التي تتسم بالأصالة والابتكار لكثير من الأساتذة طلباً للترقية إلى الدرجة العلمية التي يستحقونها.

١٢- إلقاؤه للعديد من المحاضرات والندوات والكلمات وعقد مئات المجالس العلمية في المساجد وفي بيته.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير فيما يتعلق بجهود الشيخ رحمه الله.

والحق يقال: لقد أفنى الشيخ حياته في العلم والتعليم والإفتاء وانتفع بعلمه ودروسه أُمم لا يحصون كثرة واعترفوا له بالفضل بعد فضل الله سبحانه وتعالى وافتخروا بالانتماء إلى تعليمه وما تلقونه عليه من خلال دروسه في المعاهد العلمية والمساجد وغيرها.

دروسه العلمية:

لقد كان الشيخ عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله وغفر له- من أعلام العلماء علماً وتقى، وزهداً وفصاحة، مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه

ترسخ في الأذهان، كان منظره وفق مخبره، وعلانيته وزن سريرته، يجمع مجلسه ضروب الناس، وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التفسير، وآخر يتعلم منه اللغة وهو في كل هذا كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج تألقاً.

كان في دروسه عف اللسان، لايتعرض لأحد بأذى ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحداً في مجلسه وسواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة وفي حلْقة الدرس يقرر العلم، ويحقق المسائل، ويوضح الغامض ويحل المشكل، ويقدم البراهين والأدلة على صحة قوله، ولا ينتصر لرأيه، وكان ذا هيبة ووقار، يفرض احترامه على جالسيه، كان كثير من طلبة العلم ومحبي المعرفة يحرصون أشد الحرص على مجالسته وحضور دروسه.

وكان في مجلسه صاحب روح خفيفة، قلّما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة تنشط السامع وتسره، وتؤدي في نفس الوقت غرضاً توجيهياً، وكان بعيد النظر، عميق الفكر، له جولات نقدية موجزة، يدركها الواعي من جلسائه. كما كان بعيداً عن التكلف والتشدق، فتم له إحكام الضبط وإتقان الأداء فجاء لفظه مشبعاً، ولسانه ذرباً، ومنطقه عذباً.

يقول أحد تلامذته[1]: كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في أخلاقه محل القدوة والأسوة، شديد التواضع، تغلب عليه البساطة في مجلسه ودروسه. صحبته ما يزيد على اثنين وثلاثين عاماً، وما تركت مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحدنا مسافراً، ولقد تعلمت في هذه

---

(١) هو فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، وانظر كلمته في الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

الصحبة أموراً كثيرة، منها ما يتعلق بالناحية السلوكية ومنها مايتعلق بالناحية الشخصية، ولقد أكرمه الله بالعقل المسدد والعلم الواسع والرأي الحكيم.

قلت: وكانت له دروس منتظمة في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في «دُخْنة» بالرياض وكان يحرص على حضور هذه الدروس أكابر طلبة العلم والعلماء، وعندما انتقل الشيخ إلى (حي الوشام) كانت له عدة دروس بين المغرب والعشاء بالمسجد المجاور لداره وكان يُعرف بمسجد العفيفي، هذا فضلاً عن إمامته للمصلين في هذا المسجد مدة خمسة عشر عاماً.

كما كان له رحمه الله درسٌ أيام الملك العالم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود -تغمده الله بواسع رحمته- كل يوم أربعاء، وكان الملك يحضره معجباً بعلم الشيخ وفقهه وحسن نصحه وطيب كلامه[1]، فضلاً عن ذلك فقد كان الشيخ يعقد دروساً مكثفة في بيته يخصص بعضها لطلبة العلم المتميزين في فهمهم وإدراكهم، ومن الكتب التي قام بشرحها وتدريسها كتاب «إيضاح المبهم من معاني متن السُلّم» تأليف أحمد الدمنهوري وهو في المنطق.

وكتاب «روضة الناظر» لابن قدامة. وكتاب «الوصية الكبرى» لابن تيمية، و«الفَرْق بين الفِرَق» لابن طاهر. و«العقيدة الحموية»، و«الواسطية»، و«الرسالة التدمرية» لابن تيمية و«إحكام الأحكام» للآمدي وغيرها.

وقد كان في موسم الحج مقصد الناس من كلِّ مكان، يجيب على أسئلتهم ويحل مشكلاتهم.

---

(١) أفادني بذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (حفظه الله).

وصفوة القول أن الشيخ -رحمه الله- جمع علماً وفضلاً، وانتفع بعلمه أُمَمٌ لا يحصون كثرة، واجتمع في دروسه ما لم يحدث عند غيره.

ويصف ولد الشيخ عبد الرزاق -وهو الأستاذ محمود- مجلس أبيه فيقول:

كان مجلس الشيخ مهيباً، لا مجال فيه للهو الحديث ولا الخوض في الأعراض وانتهاك الحرمات، وكثرة القيل والقال وانتقاص الناس.

مجلس يغلب فيه التوجيه والإرشاد والنصيحة وحُسن المشورة، والبحث العلمي فيما يعرض من مسائل، والإجابة عما يقدَّم من استفتاءات، فإذا ما أخذوا في الحديث عن الدنيا كان الحديث بريئاً، كالحديث عن الأمطار والزروع والثمار وأمثال هذه الأمور من الكونيات التي يثير البحث فيها العبرة ويعرف الإنسان نِعَم ربه عليه.

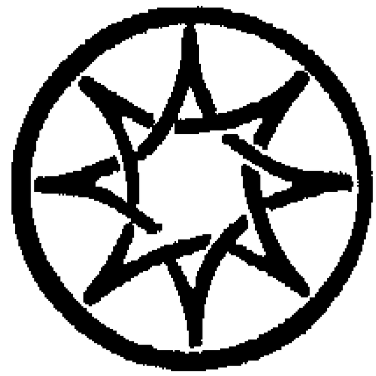
وقد طُبع الشيخ على الخلال الحميدة والأخلاق والصفات الكريمة، فكان -رحمه الله- صادق اللهجة عف اللسان حليماً واسع الصدر كثير الصمت أميناً على السر، متمهلاً في حديثه، متأنياً في البحث وإبداء الرأي مع بُعد نظر، يحب أن يسمع أكثر مما يقول، يرى أن ما يفوت بالتأني أخف خطراً وأقلّ ضرراً مما ينجم في الغالب من سوء عاقبة العجلة ووخيم مغبتها.

يسعى في الخير للفرد والجماعة ويجتهد في تحصيل ما يراه محققاً للمنفعة دون أن يعلن عن عمله أو يتحدث عن نفسه حديث فخر وإعجاب بما له من محامد ومآثر.

قلت: ومن ثمار هذه المجالس العلمية المباركة ما قام به طلبة الشيخ من تسجيل بعض دروسه ومحاضراته حتى يعمَّ بها النفع وتعظم

بها الفائدة، وقد قمت بحمد الله وتوفيقه بتفريغ أشرطة هذه الدروس وتلك المحاضرات وقد استغرق ذلك وقتاً كبيراً رغبة في نشر العلم النافع إن شاء الله.

وفيما يلي نماذج من هذه الدروس وتلك المحاضرات التي أُلقيت في مناسبات مختلفة، وفي أماكن متعددة، وبعضها في منزل الشيخ. وكلُّها تدور حول بيان بعض مقاصد سور القرآن الكريم، ووجوه الإعجاز في هذه السور، فضلاً عما اشتملت عليه هذه السور من فوائد وآداب وأحكام.



تأملات في سورة الكوثر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾

هذه السورة أنزلها الله جلّ شأنه على رسوله عليه الصلاة والسلام، حينما رماه قومه المشركون، بأنّه أبتر، وذلك أنّ الله جلّ شأنه ابتلاه في أولاده الذكور فماتوا جميعاً فقالوا أنه أبتر لانقطاع نسله، وكانوا يعتبرون الذكور هم النسل وهم الأساس وهم العُصبة. الذين يُحيون ذكراه بعد وفاته. والذين قالوا هذا عِدّة من كبار المشركين ووجهائهم، كأبي لهب، والعاص بن وائل وكعب بن الأشرف وغير هؤلاء، القصد أنهم جملة اتفقت كلمتهم على أن ذكرى رسول الله ﷺ ستموت بموته، لأنه لم يُعقب ابناً بل ماتوا جميعاً، فالله سبحانه وتعالى كذّبهم في هذا وبشّره بأنّه قد أعطاه فضلاً منه وإحساناً الخير الكثير، الذي منه الكوثر الذي أخبر به رسوله ﷺ، وورد على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام ذكره في الأحاديث الصحيحة ومنها أحاديث النُبوة، ومن ذلك ذِكْره عليه الصلاة والسلام في الأذان والإقامة، ذِكْره بالرسالة كذِكْر الله عزّ وجل بالوحدانية وأعطاه غير ذلك من الخيرات التي لاتُحصى ولا تُعد، منها ما عجّله له في الدنيا، من نصرٍ وتأييد وكثرة أتباع وانتشار دينه وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

فكذبهم بما أعطاه من البُشْريات العديدة العاجلة والآجلة، وأمره أن

يشكر هذه النعمة بإخلاص العبادة له، فلا يُصلِّي إلا له، ولا ينسك النسك إلا له وحده لا شريك له، ولا يذبح إلا له سبحانه وتعالى مُخلصاً له قرباته، وبيّن له أيضاً أنَّه إلى جانب هذه البُشْريات وإلى ما أمره به من الشكر بإخلاص القربات له. فإن أعداءه وخصومه هم البُتر الذين تنقطع ذكراهم ويخسرون الدنيا والآخرة، وأما البشرى بالخير الكثير فهي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾:

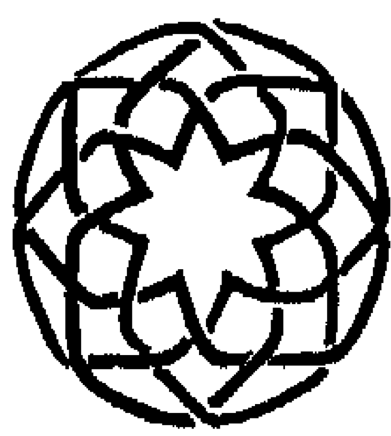
والكوثر: هو الخير الكثير، ومنه الحوض المورود الذي يُعطاه النبي ﷺ يوم القيامة. وأما الشكر على نعمة هذه البُشْريات التي بشَّره الله بها، فقد تضمنتها الآية الوسطى من هذه الآيات الثلاث ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾.

وأمَّا النعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليه ،فهي العقوبة التي عاقب بها خصومه من أبي جهل وأبي لهب والعاص بن وائل وكعب بن الأشرف وعقبة بن أبي معيط وأمثالهم، من الذين جرت على ألسنتهم الكلمة الرديئة الخبيثة (وأنَّه سينقطع ذكره بوفاته) فذكر الله جلَّ شأنه أن شانئه وأن مبغضه هو الأبتر المنقطع ذكره في الدنيا الخاسر في الدنيا والآخرة فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

فالآيات الثلاث: آية في البشرى بالخير الكثير وآية فيما أوجبه الله عليه من الشكر بالإخلاص في القربات لله سبحانه وتعالى، وهي قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ والآية الثالثة: هي ما أصيب به خصومه من انقطاع الذكريات بعد وفاتهم وخسرانهم في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

وهذا أمر عام وسُنَّة لله في خلْقه، القائم بالحق ينصره الله وتحيا

ذكراه، وإن لم يكن له أولاد، والذكرى المعتبرة ترجع إلى الإصلاح في الدنيا وإلى السعادة في الآخرة. إصلاح العمل في الدنيا ظاهراً وباطناً عقيدة وعملاً بدنيًّاً وسعادة عاجلة وسعادة آجلة[1].



(١) نقلًا عن شريطٍ سُجِّل للشيخ أثناء إلقائه بعض الدروس في بيته (رحمه الله).

تفسير سورة الفاتحة(١)

تفسير إجمالي لسورة الفاتحة مع بيان فضائلها

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

هذه السورة تُسمَّى سورة الفاتحة: وتسمى أم القرآن لاشتمالها على مطالب كثيرة مجملة، تشتمل على توحيد الأسماء والصفات في مطلبها في الآيات الثلاث الأولى، وتشتمل على توحيد العبادة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وفي الدعاء الذي في ختام السورة، وتشتمل على الولاء والبراء في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

---

(١) أصل هذه المادة العلمية محاضرة للشيخ عبد الرزاق، وقد تم تسجيلها في حينها، وقمت بتفريغ أشرطتها مع تصرف يسير وتقديم وتأخير، مراعاة للترتيب، والتنسيق، وبعداً عن التكرار.

وهي على قصرها تشمل المطالب التي جاء القرآن بتفصيلها، وفي مطلع هذه السورة يُعلِّمنا الله -جلَّ شأنه- كيف نحمده ونُثني عليه الثناء كلَّه، فقال سبحانه: الحمد لله ربِّ العالمين الرحمن الرحيم، ثم علَّمنا كيف نُمجِّده، بقوله سبحانه: مالك يوم الدِّين، ثم علمنا أن نخصه بالعبادة لا نصرف منها شيئاً إلى غيره سبحانه، فنعبده بما شرع، ونُخلص له في ذلك كما أمرنا سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

فقال سبحانه مُعلِّماً لنا أن نقول: إياك نعبد وإياك نستعين. بمعنى أنَّا لانعبد إلا إيَّاك ولا نستعين إلا بك، ثم علَّمنا كيف ندعوه ونضرع إليه ونطلب منه ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، وما يصلنا به ويقوي الصلة بين المؤمنين به، وكيف نتبرأ ممن حَادَ عن طريقه فغضب عليه وأضله عن سواء السبيل، فأمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

والمغضوب عليهم: هم كلُّ مَن عَلِمَ وكان على بيِّنة من أمر دينه وعلى بينة من الحق وبصيرة منه إلا أنه حاد عنه ولم يسلك طريقه، فكل من كان على هذا النحو فهو ممن غضب الله عليهم، ومن أوَّل هؤلاء اليهود الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، وقد سئل بعض اليهود عن الرسول عليه الصلاة والسلام فيما بينه وبين جماعته، فقال: إنَّا نعلم أنه رسول أكثر مما نعرف عن نسبنا لأبينا، فنسبه لأبيه قد يكون مدخولاً، أما البينة الصريحة الصحيحة فهي مثبتة لرسالة نبينا محمد ﷺ، فهو على بيِّنة من رسالة النبي ﷺ ومعرفته بذلك أقوى من معرفته بنسبه لأبيه،

ومع ذلك حاد عن الطريق المستقيم، هؤلاء الذين كانوا على بيِّنة من الحق ومعرفة به ثم حادوا عنه يقال لهم: المغضوب عليهم، ومن الأَصِيلين في هذا اليهود - عليهم لعائن الله- أما الضالون: فهم كل جماعة جهلت الحق وطريق الصواب، وكان في أمْرِ عملها على غير بصيرة من دينها: ويمثل هؤلاء النصارى فهم الضالون كما ورد هذا في حديثٍ عن النبي ﷺ: بيَّن أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى: وهذا من التفسير الجزئي: يعني من باب التمثيل لمن غضب الله عليهم، والتمثيل لمن أضلَّهم الله عن سواء السبيل.

الآيات الأخيرة بيَّنت الطائفة التي تجب موالاتها والسير في طريقها ومؤاخاتها: وهم الذين سلكوا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهؤلاء رفقاء الخير: وطريقهم طريق الحق والصواب، وهم الذين يجب على المسلم أن يواليهم وأن ينشد طريقهم وأن يسلك سبيلهم رجاء أن يرحمه الله جل شأنه في الدنيا والآخرة.

أما الفريق الثاني فهو الذي يجب البراء منه: وهم الفريق المغضوب عليه والفريق الضال عن سواء السبيل. هؤلاء وهؤلاء هم الذين يجب على المسلم أن يتبرأ منهم عقيدة وعملاً، وأن يمتلئ قلبه بالحَنَقِ عليهم والحقد لهم إلا بمقدار ما يدعوهم إلى الحق ويبين لهم الصواب لأن البلاغ واجب، ولا بد منه إقامةٍ للحجة حتى يعذر إليهم وحتى لا يكون لهم على الله حجة بعد البلاغ والبيان.

هذه السورة جاء في فضلها حديث قدسي وأحاديث نبوية. أما الحديث القدسي الذي قسَّمها أقساماً وأشار إلى معناها إجمالاً، وبيَّن

الكثير من فضلها ومكانتها من الإسلام. فقد قال فيه النبي ﷺ عن ربه: «قال الله تعالى: قَسَمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يريد بالصلاة الفاتحة: قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله تعالى: مَجَّدَني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى: هذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»[1]، يريد النصف الأول خطابه تعالى عباده بقوله: إياك نعبد وإياك نستعين، علَّمهم أن يقولوا: إياك نعبد، فهذا حق الله على عباده، ويريد بالنصف الثاني الذي لعبده وإياك نستعين، لانستعين إلا بك، فهذا حق العبد على ربه: أن يستجيبه إذا دعاه، وأن يحقق رجاءه فيه في حدود مصلحته وما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة، وإذا قال العبد: إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: قال الله تعالى: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل، فسمَّى الله سبحانه هذه السورة -سورة الفاتحة- سَمَّاها الصلاة: إيذانا بأنها ركن من أركان الصلاة، ولذلك لا تصح صلاة المسلم إلا إذا قرأ الفاتحة في الجهرية والسِّرية، إمامًا ومنفرداً ومأموماً، هذا هو الرأي الصحيح عند فقهاء المسلمين وأئمتهم، لاتجزئ الصلاة ولا تصح من المصلِّي إذا لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب، فإنَّ الله -جل شأنه- سمَّاها الصلاة فجعلها نفس الصلاة إيذاناً منه سبحانه بأنَّ لها شأنها في إقام الصلاة وإجزائها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٥)، ومالك في الموطأ (١/٨٤، ٨٥). وأخرجه أيضاً أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه وغيرهم.

هذه السورة فيها إثبات لأسماء الله وصفاته وإلى ذلكم الإشارة في الآيات الأولى. فقد سمَّى الله نفسه باسمه الذي لايُسمَّى به غيره، وهو كلمة الله ثم وصف لفظ الجلالة، وصفه بأنَّه الرَّب، رب العالمين جميعاً: الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات والجمادات من سموات وأرضين جميعاً، ثم وصف نفسه بأنه الرحمن الرحيم وسمَّى نفسه بذلك ثم وصف نفسه سبحانه بأنه مالك يوم الدين، ويوم الدين هو يوم القيامة، فكما ملك الدنيا وصَرَّفها ودبرها على مقتضى حكمته وعلى وفق علمه سبحانه وتعالى ملك الآخرة- وهي دار الجزاء ليجزي فيها كلَّ نفس بما عملت من خير أو شر، فهذا فيه إشارة إجمالية إلى صفات الجلال والكمال التي وصف الله تعالى نفسه بها، ثم ذكر حق عباده عليه وحقَّه على عباده، ثم ختم السورة بالولاء والبراء ليبيِّن لنا من يجب علينا أن نواليه وأن نؤاخيه، ومن يجب علينا أن نعاديه وأن نتنكب طريقه فإنه طريق السوء والشر طريق الهلاك والنَّار.

هذه السورة ورد في فضلها عن النبي ﷺ أنه دخل المسجد يوماً ما، فوجد أبا سعيد بن المُعلا يُصلِّي نافلة فنادى، فحار أبو سعيد بن المعلا هل يجيبه أو يستمر في صلاته؟ وغَلَّب جانب الاستمرار في صلاته طاعة لله -جل شأنه- وإيثاراً لجانبه، ولمَّا انتهى من صلاته جاء إلى النبي ﷺ استجابة لندائه، وإن كان بعد فترة، فقال له: «يا أبا سعيد ألم أُنادِك ألم أدْعُك؟» فقال: بلى..ولكنِّي كنت أصلي، قال له: «إن الله تعالى قال في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(1)».

---

(1) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

فبيّن له أنه كان يجب عليه أن يجيب النبي ﷺ، ولكنه آثر جانب الاستمرار في صلاته اجتهاداً منه فله الأجر عند الله على عمله واجتهاده، ثم قال له: «يا أبا سعيد لأُعلِّمنك سورة من القرآن، هي أفضل القرآن وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم»، ثم سكت النبي ﷺ ولم يعلمه: لم يعجل بتعليمه السورة، وأخذ في طريقه إلى باب المسجد، فلمّا كان عند باب المسجد قال له أبو سعيد: ألم تقل لأعلِّمنك سورة هي كذا وهي كذا ؟ فقال: «بلى»، ثم قال له: «هي سورة الفاتحة»[1]، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الآيات التي تكونت منها سورة الفاتحة، وسُميت مثاني لما فيها من الثناء على الله جل شأنه أو لأنها تتكرر قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة: فَلِتكَرُّرِها في الصلاة في كل ركعة، ولاشتِمالها أيضا على الثناء على الله سُمِّيت في نص القران السبع المثاني ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[2].

وهذا من عطف العام على الخاص ويدخل فيه سورة الفاتحة، فهي بعض آيات القرآن، هي سبع آيات من آيات القرآن: فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ وهي أفضل القران، فهذا بيانٌ من النبي ﷺ لفضل الفاتحة ومكانتها عند الله -جلَّ شأنه- مع كونها كلام الله، وكلام الله خير الكلام، وفضل كلام الله على كلام البشر كفضل الله على عباده، وشتَّان ما بين الله وبين عباده، فالفرق شاسع، وكذلكم

---

(١) وفي لفظ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم الذي أوتيته والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢١١) والبخاري في صحيحه (الفتح ٨/ ٤٤٧٤) وأبو داود في سننه (١٤٥٨).

(٢) سورة الحجر، الآية (٨٧).

الفضل، الفضل واسع، ولا يقدر قَدْره إلا الله، كما لا يقدر قدر الله إلا الله، فلا يقدر قدر كلامه إلا هو، ولا يَقْدر قدر الفاتحة خاصة إلا الذي تكلم بها وأنزلها على رسوله ﷺ، فهذا من فضائل الفاتحة التي بينها الرسول ﷺ، كما بيَّن فضلها الله سبحانه في الحديث القدسي الذي سبق ذكره، ومما جاء في فضل الفاتحة والانتفاع بها الرُّقية بها حتى ولو كان من رُقِيَ بها كافرا، فقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري أن سريَّة من سرايا النبي ﷺ طائفة أرسلها الرسول ﷺ في مهمة، فنزلت في طريقها على قوم من الكفار عتاة فاستضافوهم فأبى أولئك الكفار أن يضيفوا صحابة رسول الله ﷺ لما بينهم وبين أولئك الصحابة من العداوة والبغضاء. وما في قلب الإنسان يظهر في أعماله وعلى جوارحه وفي فلتات لسانه، فهؤلاء قابلوا استضافة الصحابة رضي الله عنهم لهم بالبخل وبالتنكر لهم، فذهب عنهم صحابة رسول الله ﷺ. وجزاءً لهم على موقفهم السَّيِّء من الصحابة رضوان الله عليهم أن سلَّط على سيِّدهم حشرةً لدَغَتْه، فطلبوا له العلاج بكل ما يستطيعون فلم يفلحوا واضطروا أن يذهبوا إلى صحابة رسول الله ﷺ في منزلهم الذي نزلوا فيه، ليستعينوا بهم على علاج لديغهم، وقالوا لهم القصة: إنا طلبنا له العلاج في كلِّ شيء فلم نصل إلى شيء، فهل عندكم من علاج؟ فقال أبو سعيد الخدري وهو أصغرهم سِنّاً ومع صغر سِنِّه كان يحفظ الكثير من القرآن. قال: والله إنَّ عندي له علاجاً، ولكني لست بفاعل حتى تجعلوا لنا جُعْلا فإنا استضفناكم فلم تضيفونا، فجعلوا لهم جعلا على أن يأتي أبو سعيد إليه ليقوم بعلاجه- والشفاء بيد الله لا بيد أبي سعيد الخدري، ذهب معه إلى اللَّديغ وقرأ عليه سورة الفاتحة قرأها مرة، فقام كأنما هو جمل نشِطَ من عقال، كأنما هو جمل حُلّ عقاله، والجمل

معروف عنه، إذا حُلَّ عِقاله لو كان أمامه أقوى رجل دفعه بصدره فوقع على ظهره، قام هذا اللديغ بعدما كان به من مرض كأنه جمل حُل عقاله وليس به بأس، كأنه لم يلدغ، فأعطوه الجُعل وكان قطيعاً من الغنم، وكان يكفي الصحابة وحدات قليلة من الغنم لكن رزقهم الله هذا الرزق الواسع، فأكلوا ثم ارتابوا، وقالوا فيما بينهم: قد يكون هذا غير حلال، قد يكون كسبًا غير حلال، والصحابة رضوان الله عليهم عُرف عنهم التحري للكسب الحلال، عُرف فيهم الصلاح وتقوى الله سبحانه، فقالوا: لا نأكل أحْجِموا عن الأكل حتى نسأل رسول الله ﷺ، فلما رجعوا سألوه، فقال لأبي سعيد: «ما يدريك أنها رُقية؟» فقال: شيء ألقاه الله في رُوعي، الرّوع القلب، والروع -بالفتح- الخوف، فإبراهيم لما جاءته الملائكة وأوجس خيفة منهم أخذه روع وأخذته المخافة، ثم ذهب عنه الرّوع. لمَّا عرف حقيقة الأمر، القصد أن الرّوع الخوف والروع هو القلب، فقال أبو سعيد: هذا شيء ألقاه الله في رُوعي، وهذا مثل ما يلقى في قلب بعض الطيبين مجيء فلان من السفر، إحساس باطني لا يفيد اليقين، لكنه يدفع الإنسان إلى أن يتحدث عما جال في خاطره، وإن كان لا يُسمَّى عِلْما لكنه هواجس وخواطر تجول في صدره، ولا يُسمَّى عِلْم غيب، فالرسول ﷺ قال لهم جواباً عن سؤالهم: هل هذا من الكسب الحلال أو الكسب الحرام؟ قال: «إنَّ أحق ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله»[1] يريد بهذا أن العلاج قد يكون بالكي، وقد يكون بسحب

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (الفتح ٥٧٣٧/١٠) باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب. وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فقد أخرجه البخاري أيضاً (الفتح ٥٧٣٦/١٠) في الطب. باب الرقي بفاتحة الكتاب وفيه «فضحك النبي ﷺ وقال: وما أدراك أنها رُقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم».

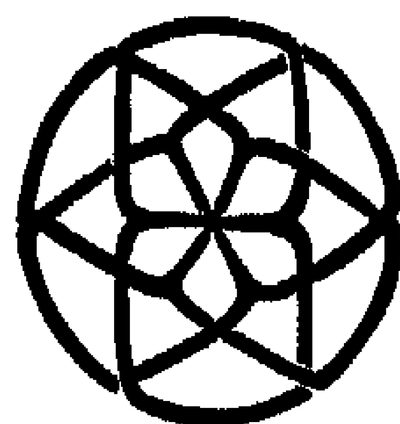
السُّم من اللديغ من المكان الذي لُدغ فيه، وسحب السُّم منه يُشَرَّط جلده ويَخرج الدم أو يمتص طبياً، وقد يكون بِرُقية، وقد يكون بدعوة له، أنواع كثيرة، فقراءة الرُّقية بقراءة القرآن التي ترتب عليها الشفاء لصاحبها أحق بالأجر من الشخص الذي يعالج علاجاً مادياً- دكتوراً أو غيره. فهذا بيان من النبي ﷺ لمشروعية الرُّقية بالفاتحة، وهذا بيان لنتيجة الرقية بها شفاء هذا وإن كان كافراً، وليس المراد بهذا الحديث أن يأخذ الإنسان أجراً على تلاوة القران مثل الصَّبيت[1]، أو أن يأخذ أجراً على قراءة القرآن على الأموات فإن هذا لم يفعله الرسول ﷺ وهو معلم البشر وهو المبلِّغ عن الله عز وجل، فقراءة القرآن على الأموات، رجاء أن يرحمهم الله بِدْعة من البِدَع. وأخذ أجرٍ على مجرد تلاوة القرآن أيضاً لا يجوز والكفار الذين أعطوا الصحابة قطيعًا من الغنم ما أعطوهم إيَّاه حباً للقرآن أو حُبَّاً فيه أو حباً للقارئ وللمسلمين وللإسلام، بل القرآن أبغض إليهم مِن كلِّ شيء، والصحابة أبغض إليهم من كل شيء، ورسولهم أبغض إليهم مِن كلِّ شيء، ومع ذلك دفعوا الأجر، فالأجر ليس للتلاوة: إنما هو للعلاج ولَمَا تمَّ بعده من الشفاء فهم جاعلوه على الشفاء لا على التلاوة، وعلى هذا دفعوا الأجر، فالاستدلال بهذه الجملة من الحديث على جواز تلاوة القرآن على الأموات رحمةً لهم أو الاستدلال بها على مجرد تلاوة القرآن وأخذ أجر عليه لإسماع الناس التلاوة أو القرآن، الإستدلال بها على هذا لايجوز ولا يصح وهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وهذا من فوائد هذا الحديث إلى جانب الفائدة الجليلة التي بيَّنها النبي ﷺ، بيَّن بها منزلة القرآن ومكانته من

(١) وهو الذي يقرأ القرآن في المناسبات ويُدفع له أجر تلاوته.

غيره من القربات، بل مكانتها[1]، من سائر القرآن، هذا بيان لجانب آخر من جوانب فضيلة سورة الفاتحة، وأن من فضيلتها أنها جُعلت فرضاً في كل ركعة من ركعات الصلاة، بخلاف السورة التي بعدها فإنها من سنن الصلاة، لو تركها الإنسان تكون صلاته صحيحة، أما الفاتحة فلو تركها فصلاته باطلة والقرآن كله خير، وفضله على كلام البشر كفضل الله على عباده.

وأسأل الله جل شأنه أن يبصرنا بديننا وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وأن يجعله غذاءً لأرواحنا وأن يجعله مصدر تشريعنا- يستميل قلوبنا إليه حتى لانُحكِّم سواه وسوى سُنَّة رسول الله ﷺ فإن من أخذ بهما أخذ بالحق وكان على بيِّنةٍ وبصيرة مِنْ أمر دينه مع ربه ومع المخلوقات وكان حبيباً لله في الدنيا والآخرة سعيداً في دنياه وفي آخرته.

والحمد لله رب العالمين.



(١) وللإمام البغوي كلام نفيس ونُقُول له في هذه المسألة في كتابه شرح السنة فلتراجع.

من وحي قصص القرآن الكريم
قصة يوسف عليه الصلاة والسلام

بيَّن سبحانه لرسوله محمد ﷺ في كثير من قَصص القرآن الطريقة المُثلى التي يثبت بها رسالته ويحاج بها أمَّته. وأرشده إلى كون ذلك القصص آيةً بيِّنةً تُوجب عليهم أن يستجيبوا لما دعاهم إليه من التصديق برسالته والإيمان بسائرِ ماجاءهم به من عند الله.

من ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام. إنَّ هذه القصة فيها كثير من العجائب والعِبَر، والعظات والأحكام والأخلاق وألوان الابتلاء والامتحان والفضل والإحسان. والذي أقصد إليه من مباحثها أمرين لمزيد اتصالهما بما أنا بصدد الكلام عليه، الأوَّل: كيف كانت هذه القصة معجزة لرسول الله محمد ﷺ. الثاني: كيف كانت دليلاً على أن الله يُعِدُّ رُسلَه في حياتهم الأولى قبل الرسالة لتحمل أعبائها حين إرسالهم إلى أممهم.

أما الأول: فإنَّه تعالى ذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في القرآن مفصَّلة لتكون آيةً بل آياتٍ على نبوة رسوله محمد ﷺ، وبيان ذلك أنَّه كان أُمِّياً لم يقرأ شيئاً من كتب الأولين ولا درس شيئاً من تاريخهم ولا خط من ذلك شيئاً بيمينه حتى يُرتاب في أمره ويُتهم بأنَّه تكلَّم بما قرأ أو درس قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ

وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[1].

بل كان من الغافلين عن قصة يوسف وأمثالها لم تخطر له ببال ولم تقرع له سمعاً قبل أن يُوحي الله بها إليه ويذكرها له في محكم كتابه قال تعالى في مطلع سورة يوسف: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

وقال بعد ذكر يوسف لرؤياه وعرضها على أبيه ووصية أبيه له: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[2].

ولم تكن قصة يوسف بالأمر الذي اشتهر في العرب، وتناولوه بالحديث فيما بينهم، بل كانت غيباً بالنسبة إليهم، ولا كان محمد مع يوسف وإخوته ولا شهد مكرهم به، ولا كيدهم له، فيتهم بأنَّه تكلّم بأمرٍ شهده أو انتشر بين قومه قال تعالى لنبيِّه محمد في ختام قصة يوسف عليهما الصلاة والسلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[3].

ولا يسع أحد أن يقول إنَّه عرف تفاصيل القصة مِن اليهود. فإن السورة مكيّة واليهود كانوا يعيشون بالشام والمدينة وما حولها. ولم يُعرف عنه أنَّه اتصل بهم قبل الهجرة ولا دارسهم شيئاً من العلوم. ولو كان تم شيء من ذلك لانكشف أمره لطول العهد وكثرة الخصوم وحرج قومه من دعوته، وسعيهم جهدهم في الكيد له والصدِّ عنه وحرصهم على

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٨).

(٢) سورة يوسف: الآية (٧).

(٣) سورة يوسف: الآية (١٠٢).

تشويه سمعته والقضاء عليه وعلى دعوته حتى رموه بالسحر والكهانة والجنون واتهموه زوراً بالكذب وهو في قرارة أنفسهم الصادق الأمين. وتبادلوا الرأي فيما يوقعونه به من حبسه أو طرده من بيتهم وتشريده، وانتهى أمرهم بالاتفاق على قتله فأنجاه الله من كيدهم وكتب له الهجرة إلى المدينة حيث عز الإسلام وقامت دولته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

فقوم هذا شأنهم معه لا يخفى عليهم أمره وهو يعيش بين أظهرهم وهم له بالمرصاد. فلو وجدوا سبيلاً إلى الطعن عليه باتصاله باليهود والأخذ عنهم لسارعوا إلى فضيحته، والتشنيع عليه بذلك، ولم يضطروا إلى الافتراء عليه، ولا إلى التفكير في قتله أو تشريده، ولا إلى نشوب الحرب بينه وبينهم سنين طويلة، ولم يلجئوا إلى اتهامه تهمةً تحملُ ردَّها في طيِّها فقد اتهموه برجل أعجمي بمكة وادعوا أنَّه يُعلِّمه، فسفَّهَ الله أحلامهم وألقمهم الحَجَر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

وليست قصة يوسف خبراً مقتضباً عبَّر عنه بالجملة أو الجملتين فيقال: إن صدقه في الحديث عنها وليد الصدفة والاتفاق. بل هي قصة كثيرة العجائب متشعبة الموضوعات. وقعت بين أطراف مختلفة في أزمان متباعدة. فمن رؤيا صادقة إلى مؤامرة ثم نجاة يتبعها بيع ثم إيواء. إلى مراودة يتبعها هم ثم عصمة من الفحشاء. إلى سجن فيه دعوة إلى التوحيد مع رفق وحُسن سياسة وتأويل للرؤيا أصدق تأويل، يتبع ذلك

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠٣).

خروجه عليه السلام من السجن بريئاً من التهمة وتولِّيه شؤون الدولة واجتماع إخوته به مع معرفته لهم وإنكارهم إياه وما أكثر ما دار بينه وبينهم من الأحاديث وماجرى من الأحداث. إلى أن انتهى ذلك بتعريفه لهم بنفسه وعفوه عنهم وحضور أبويه إليه على خير حال إلى غير ذلك من التفاصيل التي يعرفها البصير بكتاب الله. وقد سيقت القصة مفصَّلة في جميع نواحيها مستوفاة في جميع فصولها في أدق عبارة وأحكم أسلوب. أفيعقل بعد ذلك أنْ يُقال: إن صدْقه ﷺ فيما سرده من قضاياها ووقائعها وعجائبها على هذا النهج الواضح والطريق السَّوي وليد الصدفة والاتفاق!!.

ختم سبحانه سورة يوسف بمثل ما بدأها به من الإرشاد إجمالا إلى القصد الذي من أجله سيقت القصة، وهو أن تكون آية على نبوة محمد ﷺ وصدْقه فيما جاء به من التشريع، وأن قصة يوسف ونحوها مما نزل به الوحي مستقى من المشكاة التي أخذ منها الأنبياء، فليس حديثاً مفترى، ولكنه تصديقٌ لما بين يديه من كتب المرسلين وتفصيلٌ لما يحتاج إليه المكلفون من التشريع في معاشهم ومعادهم. وجماع الهداية والرحمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. أفيمكن أن تكون هذه القيادة الرشيدة بهذا التشريع المستقيم من إنسان أُمِّي عاش في أمَّة أميَّة من عند نفسه دون وحي من الله. كلا إنها العناية الربانية والرسالة الحقة والوحي الصادق المبين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون رحمة للعالمين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

وأما الثاني: فإنَّ في تفاصيل القصة كثيراً من الأسرار والعجائب التي يعد الله بها رسله ويهيء بها أنبياءه لقيادة الأمم وسياسة الشعوب، من أخلاق سامية وآداب عالية وحكمة بالغة وقوة عزيمة وعقائد صحيحة،وبيان ذلك من وجوه كثيرة.

أ- منها صفاءُ روح يوسف ونقاءُ سريرته وهذا واضح من الرؤيا الصادقة التي رآها في صِغَر سِنِّه وأوَّل نشأته فتحقق تأويلها بسجود أبويه وإخوته له في كبر سنه وختام حياته ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾(1).

وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾(2).

ب- ومنها ماخصَّه الله به من الميزات التي زادت تعلُّق والده به وحبّه له وحملتْ إخوته على التآمر عليه، والكيد له، فأشار بعضهم بقتله ليخلو لهم وجهُ أبيهم وتطيب لهم الحياة مع أبيهم من بعده. ورأى آخرون إن في إبعاده عن أبيه الكفاية فلما أجمعوا أمرهم على ذلك، ورموه في غيابة الجب، أوحى الله إليه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(3).

إيناساً له وإزاحة للغُمَّة عن نفسه وهيَّأ له مَنْ أخرجه من البئر لكنَّهم باعوه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة. فرعاه الله، وجعله عند مَنْ يُكرم مثواه ومكَّن له في الأرض وعلَّمه من تأويلِ الأحاديث، ﴿وَٱللَّهُ

(1) سورة يوسف: الآية (٤).
(2) سورة يوسف: الآية (١٠٠).
(3) سورة يوسف: الآية (١٥).

﴿غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

ح - ومنها عِفَّة فرجه، ونزاهة نفسه، مع توافر دواعي الشهوة وتهيء أسباب الجريمة، من دوام الخلوة، ومزيد الخُلطة ودعوة إمرأة العزيز له ومراودتها له عن نفسه، وأخذها الحيطة في إغلاق الأبواب. قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾[2].

لقد كان يوسف عليه السلام من المخلصين لله. فاستعاذ به ولجأ إليه، وفزع إلى من بيده مقاليد الأمور والقلوب يُصرِّفها كيف يشاء، وتبرَّأ مِن حوله وقوته إلى حول الله وقوته، واستقبح أن يُقابل جميل مَن أحسن مثواه بخيانته في عرضه، وذكر ما يصيب الظالمين في العواقب من الخسارة والدمار، ولم يأبه بالسجن والوعيد بالأذى إن لم يكن عند رغبتها

---

(١) سورة يوسف: الآية (٢١).

(٢) سورة يوسف: الآيات (٢٣ ـ ٢٩).

ويُحقِّق لها ما تريد ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(1).

ثم قصَّ الله على رسوله ﷺ خبر يوسف مع صاحبيه في السجن فقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(2).

فانظر إلى سلامة فطرته، وصحَّة عقيدته، وتناسيه البلاء، وذكْره لأسلافه وأجداده الطاهرين المصلحين، إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ليتخذ منهم قدوةً له في التوحيد والدعوة إليه والحذر من الشرك وبيان فساده

---

(1) سورة يوسف: الآيتان (٣٣ ـ ٣٤).

(2) سورة يوسف: الآيات ٣٦ ـ ٤١).

بالأدلة والبرهان. وانظر إلى كرم خُلُقه مع صاحبيه حتى شهدا له بالمعرفة والفضل والإحسان وإلى حسن سياسته معهم في الدعوة إلى الله حيث انتهز حاجتهم إلى تأويل ما رأياه فعرَّفهم بنفسه وبيَّن لهم مكانته لُيقبل منه قوله ويُنتفع بنصحه فدعاهما إلى التوحيد وزيَّنه، وحذرهما من الشرك وقبَّحه وإيثاره ذلك على ما سألاه عنه دون تضييع لما تعلَّقَتْ به نفوسهما من تأويل الرؤيا ولا مجابهةٍ بالمكروه لمن دلَّت رُؤياه على سوء عاقبته، بل أبهم الأمر فقال: أمَّا أحدكما فيسقى ربه خمراً وأمَّا الآخر فيُصلبُ فتأكل الطير من رأسه. وقد حقَّق الله ما قال فصار كلٌ منهما إلى ما ذُكِر له في تأويل رؤياه.

د- ومنها أنَّ يوسف مع ثقته بربِّه وتوكله عليه، أراد أن يأخذ بأسباب الخلاص مما أصابه من البلاء وليس في ذلك ما يُعيبه أو يغض من توكله على الله فإنَّه قد زُجَّ به في السجن ظُلماً وعدواناً بشهادة خصومه. ودفْع الظلم مشروع بل قد يكون واجباً ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾.

ولكن الله أراد أن يزيده تمحيصًا وصدقاً في التوكل عليه وحده وقوةً في الصبر على البلاء، فأنسى الشيطان ذلك الفتى ان يذكر يوسف لربِّه[1] بالخير فلبث في السجن بضع سنين. ثم اختار الله له طريقاً إلى الخلاص خيراً من الطريق التي رسمها لنفسه كما سيأتي بيانه.

هـ- ومنها إن الله سبحانه شاء أن تكون نجاته بما آتاه من العلم والحكمة وبما علَّمه مِن تأويل الأحاديث، لا بشفاعة أحد، ولحاجة الأُمَّة راعيها ورعيَّتها إليه دون حاجته إليهم، ليكون ذلك أكرم لنفسه وأعزَّ لها،

(١) سيِّده (الملِك).

ولئلا يكون لأحدٍ عليه سوى الله مِنَّة، فهيَّأ له السبيل لذلك،ورأى ملك مصر رؤيا هاله أمرها وعجز أشراف قومه عن تعبيرها ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾[(١)].

ولمَّا انتهى أمر الرؤيا إلى يوسف أوَّلها أصدق تأويل وبيَّن أنها كشفت للأمة عن مستقبلها في رخائها وشدتها أربع عشرة سَنة ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[(٢)].

فأخذ ذلك التعبير من قلب الملك مأخذه، ولم يسعه إلا أن يرسل بإحضار يوسف إليه فأبى حتى ينظر في قضيَّته مع النسوة. فإنَّه قد زُجَّ به في السجن من أجلهنَّ ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[(٣)].

ففعل الملك وظهرت براءة يوسف ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[(٤)].

---

(١) سورة يوسف: الآيتان (٤٣ ـ ٤٤).
(٢) سورة يوسف: الآيات (٤٧ ـ ٤٩).
(٣) سورة يوسف: الآية (٥٠).
(٤) سورة يوسف: الآيتان (٥١ ـ ٥٢).

ولما طلبه الملك بعد ذلك وحضر عنده ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ثقة منه بنفسه وعِلماً منه بأنّه ليس في الأمّة مَنْ يصلح لتدبير شؤون الدولة الاقتصادية وتصريف أمورها على وجه يحفظ كيانها سواه، فطلب ذلك لمصلحة الأمة لا لحظ نفسه فاستجاب له الملك لعِلْمه وصدْقه وأمانته، وأتمَّ الله ليوسف ماشاء من نعمته ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

وبذلك يتبين أنَّ الله محص يوسف ورعاه بتتابع البلاء والإنجاء. ابتلاه بكيد إخوته له ورميهم إيَّاه في الجب ثم أنجاه. وابتلاه ببيع السيَّارة له ثم هيَّأ له مَنْ أحسن مثواه. ابتلاه بتسليط امرأة العزيز عليه، وبالنسوة اللاتي قطعن أيديهن ثم عصمه وحماه، وابتلاه بالسجن ثم أخرجه منه بريئاً من التهمة عليماً بربه وبشؤون الأُمَّة في وقت اشتدت فيه حاجة البلاد إلى حفيظٍ عليم يُدبر أمرها، ويقودها في حياتها خير قيادة، فتولىَّ أمرها واستسلم له أهلها. وفي قصة يوسف سوى ما ذكر شيء كثير يدل على أن الله سبحانه تعهد يوسف برعايته، وتولاه في أطوار حياته ليتخذه رسولاً يضطلع بأعباء الرسالة. وليجعل مِن سيرته الحميدة أياتٍ بينات على صدقه فيما جاء به وأمانته في البلاغ عن ربِّ العالمين.

---

(١) سورة يوسف: الآية (٥٥).

(٢) سورة يوسف: الآية (٥٦).

قصة موسى عليه الصلاة والسلام

ذكر الله سبحانه وتعالى في أوّل سورة القصص بياناً عن نشأة موسى عليه الصلاة والسلام وحاله قبل الرسالة، وأتبع ذلك بياناً عن رسالته إلى أن أنجاه، ومَن آمن معه، وأهلك أعداءه ليكون ذلك القصص في جملته آية على نبوّة محمدٍ ﷺ، وصدقه فيما أُنزل عليه من الوحي، ودعا إليه أُمّته، كما يرشدنا إلى ذلك، بقوله تعالى في مطلع السورة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: عند انتهاء ما أراد ذكره من القصة: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

أما ما ذُكر في هذه السورة من تفاصيل القصة فآياتٌ بيّنات تدلُّ على كمال رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام، في جميع شؤونه: في رضاعته، وكفالته، وعلمه، وحكمته، وإعداده بالقوة، والأخلاق الفاضلة، من نصرة المظلوم، وإعانة الضعيف، وعزّة النفس، وصدق التوكل على الله، والأمانة وحُسن المعاملة، ليكون رسولاً ينقذ به -سبحانه-

(١) سورة القصص: الآيتان (٢ ـ ٣).

(٢) سورة القصص: الآية (٤٦).

الشعوب من الاستعباد، ويُخلِّصها من الطغيان والاستبداد، ويهدي به القلوب، وينير به البصائر، وإليك شيئاً من تفصيلها ترى منه ما ذكرت:

١- قدَّم الله بين يدي هذه القصة جملة من الآيات بيَّن فيها سُنَّته العادلة، وحكمته البالغة في القضاء على من علا في الأرض وأفسد فيها. ومِنّة على المستضعفين والتمكين لهم وإدالتهم من عدوهم، فضلاً منه ورحمة، والله عليم حكيم. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[1].

ثم فصَّل ذلك فيما ذكره بعد من القصة.

٢-ولد موسى بن عمران عليه السلام في مصر، وكان ملكها إذ ذاك جباراً جائراً، يقتل ذكران بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في اليم إذا خافت عليه من فرعون وجنوده، ووعدها وعداً صادقاً أن يرده إليها ففعلت وأنجاه الله والتقطه آل فرعون، وتداولوا الرأي فيه.

وعند ذلك مر موسى بطَورٍ آخر من أطوار الخطر، ثم كتب الله أن ينتهي بهم التفكير في أمره إلى أن يتخذه الفرعون ولداً، وأن ينشأ في بيت ملك يتربى فيه على العزة، وشدة البأس، وقوة العزم، والأخذ بالحزم، ولا يصاب بما أصيب به قومه من العذاب والذل والهوان. وبذلك يصلح لحمل أعباء الرسالة. ومواجهة فرعون في جبروته وطغيانه. ثم أولاه الله نعمة أخرى فكتب عليه ألا يُرضع إلا من أمه حتى اضطر فرعون ومن معه إلى أن يردوه إلى أمه، وهم لا يشعرون، وبهذا التدبير الحكيم واللطف الخفي أنجز الله لأم موسى وعده. فرجع

(١) سورة الفتح: الآية (٢٣).

إليها ولدها لتكفله ويتمتع بعطفها وينعم بحنانها وتقر به عيناها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق.

٣- هذه الحلقة من حياة موسى كلها عِبَر وآيات: منها:

أن الله سبحانه وتعالى جعل نجاته مما أصاب غيره من أبناء قومه فيما يراه الناس دماراً وإلقاءً بالنفس إلى التهلكة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾(١).

ومنها: أنه سبحانه وتعالى كتب لموسى الحياة السعيدة في بيت من يخشى عليه منه، فعاش بين أظهرهم عيشة الملوك.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٢).

ومنها: أن الله حرم عليه تحريماً كونياً أن يرضع من امرأة سوى أمه، فكان ذلك فيما يرى الناس، بلاءً أصابه، وهو في الأمر نفسه كمال اللطف من الله، والرحمة بموسى ليرجعه إلى أمه وهم لا يشعرون، فاجتمع له إلى السلامة والنجاة عطف الأمهات وعز الملوك.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص: الآية (٧).

(٢) سورة القصص: الآية (٩).

(٣) سورة القصص: الآيتان (١٢ - ١٣).

ومنها: حفظ الله سبحانه وتعالى على موسى صفاء روحه وسلامة فطرته، فمع أنه عاش في بيت ملك، وأوساط ظلم وطغيان، فإنه لم يتأثر بما تأثر به من قضى أيامه الأولى من حياته في بيئة إستشرى فيها الفساد، وطبعت بطابع الجبروت والاستبداد، ولم يصب بما يصاب به أبناء الملوك، ومن يتقلب في النعمة ورغد العيش حين تهمل تربيته من جهل ومن استهتار أو رخاوة وخلاعة ومجون، بل صانه الله من كل ما يشينه وآتاه العلم النافع، والحكمة البالغة وسداد الرأي، كما حفظ عليه نعمته من قبل في بدنه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(1).

٤- جبل الله نبيه موسى على الحزم والأخذ بقوة في نصرة المظلوم والضرب على يد الظالم وذلك يتجلى في الخصومة التي كانت بين إسرائيلي وفرعوني، فإن موسى لم يلبث أن أغاث من استغاث به فوكز القبطي فقضى عليه، إقامة للعدل وإنصافاً للمظلوم كما طبعه على الرفق بالضعيف والعطف عليه، ومد يد المعونة إليه ويتجلى ذلك منه في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾(2).

فجمع له بين شدة البطش على الظالمين، وكمال الرفق بالمستضعفين.

---

(1) سورة القصص: الآية (١٤).

(2) سورة القصص: الآيتان (٢٣ ـ ٢٤).

٥- كان من آثار عناية الله بموسى ورعايته له أنه قوى فيه الوعي الديني واستحكمت الصلة بينه وبين ربه. فأحب ما يحبه الله من العدل والإنصاف، وكره ما يبغضه الله من الظلم والعدوان، لذلك فزع إلى ربه، واعترف بظلمه لنفسه حينما قضى القبطي نحبه من وكزته وأسرع إلى الاستغفار لله تعالى من ذنبه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾(١).

وفاض قلبه إيماناً بالله فعظمت ثقته وتوكله عليه، لذلك قصد إليه وحده في غربته وحيرته رجاء أن يهديه سواء السبيل.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(٢).

ولما استبدت به الحاجة وأخذ منه الجوع مأخذه توجه إلى ربه فسأله من فضله، فأبت عليه عزة نفسه أن يشكو حاجته لغيره، أو يعرض لمن سقى لهما بطلب الأجر.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٣).

وقد استجاب الله دعاءه. وهيأ له بيئة صالحة يحيا فيها حياة طيبة، فقد عرض عليه شعيب لما عرفه عنه من القوة والأمانة أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يرعى له الغنم ثماني حجج وإن أتم عشر سنوات كان ذلك مكرمة منه، فالتزم موسى بذلك، ولم يمنعه ما كان فيه أولاً من

---

(١) سورة القصص: الآيتان (١٦ ـ ١٧).

(٢) سورة القصص: الآية (٢٢).

(٣) سورة القصص: الآية (٢٤).

رغد العيش، وحياة الملوك أن يكون أجيراً، يأكل ويتزوج من كسب يده، وأشهد ربه على ذلك: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾(١).

وقد ثبت أنه أتم أبعد الأجلين.

فهذه سلسلة من حياة موسى عليه السلام قبل الرسالة، تضمنت شيئاً مما حباه الله به من العلم والحكمة والمروءة والنجدة ونصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم والعطف على الضعيف وقوة الإيمان بالله والصدق في الالتجاء إليه والتوكل عليه والتواضع مع عزة النفس وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي يعد بها الله من اختاره للرسالة وقيادة الأمم.

٦- طلب موسى من ربه أن يشد أزره بأخيه هاورن، فأرسله معه ليكون عوناً له في الحجاج، وخاف أن يبطش بهما فرعون وجنوده، وأن يقتلوا موسى بالقبطي الذي سبق أن قتله، فقال الله له: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٢).

وجعل لهما سلطاناً من الآيات تقوم به الحجة، وتنخلع به قلوب الجبارين، وتمتلئ بالوهن والضعف، وبذلك يثبت موسى في ميدان الدعوة إلى الله، فبات واثقاً بربه مؤمناً بما يدعو إليه من الهدى والنور، وتجلى في حجاجه صولة الحق، وأحس في نفسه بالعزة والقوة، وبذلك ذل جبروت فرعون وتلاشى عنده تألهه وتعاليه، ولم يعد يملك لموسى من الكيد إلا أن يرعد ويبرق، ويموه ويخدع ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ

---

(١) سورة القصص: الآية (٢٨).

(٢) سورة طه: الآية (٤٦).

﴿أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾(1).

ولم يكن ليأخذ على يديه أحد، ولا هناك من الأسباب الداعية ما يمنعه من أن يبطش بموسى، فإن الدولة دولته، والجنود جنوده، لكنها عناية الله برسوله وما آتاه من آيات، وسلطان قد بهر فرعون، وقطع نياط قلبه، ولم يملك -أيضاً- ملأ فرعون سوى أن يثيروا حفيظته، ويغروه بموسى ومن آمن به: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾(2).

أفلا يرى العاقل أن موسى وهو وحيد غريب، وقومه مستعبدون، لم يقف هذا الموقف من فرعون ومَلئِه. والدولة دولتهم إلا وهو مؤيد من ربه، صادق في دعوته، وإن هذا لهو الحق المبين.

٧- جرت سنة الله العادلة أن يفتح بالحق بين رسله ومن آمن بهم من الأمم، ومن سار سيرهم، ويجعلهم خلفاء الأرض، ويهلك من كذَّب بهم، وانحرف عن طريقهم، ليكون ذلك من آيات الله التي يفصل بها بين الصادق والكاذب، والحق والباطل، والشريعة العادلة، والقوانين الجائرة.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾(3).

---

(1) سورة غافر، الآية (٢٦).

(2) سورة الأعراف، الآية (١٢٧).

(3) سورة غافر، الآية (٥١).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(1).

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(2).

وهذا هو ما انتهى به أمر موسى وقومه مع فرعون وملئه.
﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(3).

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾(4).

فانظر كيف اتحدت وسيلة النجاة للأولياء، والهلاك للأعداء، إنها آية الله الباهرة، لقد أهلك فرعون وجنده بما جعله طريقاً لنجاة موسى وقومه، هذا إلى جانب انفلاق البحر، وتماسك مائه، وخروجه عن طريق السيلان بضربة عصا.

وفي قصص موسى من الآيات سوى ذلك ما يبهر العقول، ويأخذ بمجامع القلوب ولا يدع مجالاً للريب وقولاً لقائل إلا من سفه نفسه وسعى في هلاكها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(1) سورة القصص: الآية (٣٧).
(2) سورة الأعراف: الآيتان (١٢٨ ـ ١٢٩).
(3) سورة القصص: الآية (٤٠).
(4) سورة الشعراء: الآيات (٦٣ ـ ٦٦).

نماذج من مقاصد
بعض سور القرآن الكريم[1]

هذه سورة من سور القرآن الكريم، ومنها يتضح وحدة السورة والمقصد الذي تدور آيات هذه السورة حوله، من أجل هذا أحببت أن أتكلم عن نماذج من مقاصد بعض السور تكون فاتحة لبعض معرفة مقاصد السور وتكون معينة للإنسان على فهم المحور الذي تدور عليه أحكام السورة واخترت لهذا: أولاً سورة العقود، وثانياً سورة الأحزاب وإن اتسع الوقت فإلى جانب هذا سورة الصافات، أو أخرى أقصر منها.

يذكر الله جل شأنه في مطلع سورة العقود هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[2]

هذه الآية تشير إشارة واضحة إلى ما تدور حوله الآيات وتدور حوله الأحكام التي تضمنتها هذه السورة، فالله يأمرنا في هذه الآية بالوفاء بالعقود، والعقود المواثيق، والعهود كلها ترجع إلى معنى واحد هو الاتفاق الذي يكون بين العبد وربه، ميثاق يأخذه الله جلَّ شأنه على

---

(١) أصل هذه المادة العلمية محاضرة للشيخ عبد الرزاق، وقد تم تسجيلها في حينها، وقمت بتفريغ أشرطتها مع تصرف يسير.

(٢) سورة المائدة: الآية (١).

عبده، وتكون للاتفاقات التي تجري بين إنسان وآخر في بيع وشراء، في مواعيد، في جهاد وحروب، في أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر. فكلمة العقود كلمة جامعة عامة شاملة، تشمل كل الاتفاقات التي تكون فيما بين العباد على خير، وتشمل ما أخذه الله جل شأنه على عباده من عهود التكاليف التي كلَّف بها خلقه، وما سيأتي في السورة يدور حول هذا، كل ما في السورة من التفاصيل دائر حول قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1].

وحول مذمة من نقض العقود وجزاء من وفَّى وجزاء من نقض وخان، ويتبين هذا بالتفاصيل الآتية أو بذكر شيء من التفاصيل الآتية بقوله تعالى في الآية الثانية من هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[2].

فهذه الآية فيها عقد عهد وميثاق على المسلمين بعد أن تمكنوا في الأرض وصارت لهم دولة، وبعد أن أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ،وصاروا بإمكانهم أن يثأروا لأنفسهم، وأن ينتقموا ممن سبب لهم أذى، يأخذ الله تعالى عليهم أن لا يقابلوا السيئة بالسيئة، وأن لا يعتدوا على القاصدين لبيت الله الحرام إلى غير هذا مما ذكره الله في هذه الآية،

---

(١) سورة المائدة: الآية (١).

(٢) سورة المائدة: الآية (٢).

وخاصة ما تُحدِّث العبدُ به نفسه من أن يثأر لنفسه ممن ارتكب جريمة في شأنه واعتدى عليه في سابق حياته، يبين الله جل شأنه في العهد الذي أخذه على عباده الموحدين أنه لا ينبغي لهم أن يحملوا ماسبق من الكفار من صدهم المسلمين في السنة السادسة من الهجرة عن بيت الله الحرام، ومن موقفهم السيِّئ مع المسلمين سنة الفتح عند دخول مكة، يبيِّن لهم أنه لا ينبغي أن يحملهم ماسبق من أولئكم الكافرين على أن يعتدوا على الكافرين وأن يثأروا لأنفسهم منهم وليجعلوا نعمة الله بإقدارهم لهم على الانتقام من عدوهم، ونعمة الله لهم بتمكينه إياهم من رقاب خصومهم سبباً في شكر نعمة الله جل شأنه على هذا الإقدار بالعفو عن أولئك الذين سبقت منهم السيئات وتقدم منهم الأذى والضرر للمسلمين في صدهم عن بيت الله الحرام، وهذا منتهى العدل الإسلامي وهو تناسي ما سبق من السيئات بعد أن تمكن المسلم من إقامة العدل، فلا يرعى حظ نفسه بل يقف موقفاً يرضي به ربه ويتألف به قلوب من سبقت منهم إساءة له فيقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾.

لا تحملكم عداوة قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ثم أمرهم بأن يتعاونوا عموماً على البر والتقوى وحذرهم من أن يتعاونوا على الإثم والعدوان، وحذرهم شديد بأسه وأليم عقابه إن هم نقضوا عهده وخانوا ما أخذه عليهم من هذا التكليف وأمثاله فيشتد بهم بأسه، حذرهم في ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ثم بيَّن لهم تفصيل أشياء مما حرَّم عليهم، واستثنى من هذا أشياء فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

﴿ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾[(1)].

فكان هذا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[(2)].

فالآية الأولى إجمال وهذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[(3)]، وآية ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[(4)]. إلى آخرها

فيهما تفصيل أو بعض التفصيل لما أجمل في الآية الأولى، فهذا من الأدب أو من المقاصد التي اشتملت عليها الآية الأولى من هذه السورة، ثم ذكر سبحانه وتعالى عهداً آخر أخذه على عباده الموحدين من إحكام الوضوء وإحكام الغسل وذكر تفصيل هذا في آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[(5)].

ثم قال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾[(6)]

فأوجب عليهم أن يتذكروا مواثيق الله سبحانه التي أخذها عليهم إجمالاً في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾.

وتفصيلاً فيما ذكره من تفاصيل القرآن، في هذه السورة وغيرها وما بينته سنة رسول ﷺ.

(1) سورة المائدة: الآية (٣).
(2) سورة المائدة: الآية (١).
(3) سورة المائدة: الآية (٢).
(4) سورة المائدة: الآية (٣).
(5) سورة المائدة: الآية (٦).
(6) سورة المائدة: الآية (٧).

ميثاق ثالث ذكره جل شأنه في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

فأوجب عليهم سبحانه أن يرعوا العدالة وأن يوفوا بالعهد والميثاق، وأن لا تكون الخصومة متسلطة على نفوسهم تسلطاً يجور بهم عن الجادة ويحملهم على نقض ما أخذه الله عليهم من عهد وميثاق، ولا يجرمنكم شنآن قوم -أي عداوة قوم- على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى، وأنذرهم وحذرهم من نقض هذا العهد والميثاق بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكر العِدَة الطيبة والجزاء الكريم، العِدَة الطيبة لمن وفّى بالعهد والميثاق والوعيد الشديد لمن لم يف بذلك بل خان ونقض فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

هذه منزلة أخرى، أو مرحلة أخرى ثالثة في تفصيل قوله تعالى في مطلع السورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾.

ميثاق رابع ،فيه تفصيل لمطلع السورة يذكّر الله عباده نعمته عليهم برد كيد خصومهم، ومكر أعدائهم في محاولة سفك دم رسول الله ﷺ وإيذاء المسلمين في شخص رسول الله ﷺ، فكف أيدي هؤلاء جميعاً وأبطل كيدهم، وأحبط سعيهم، وشردهم عن بلادهم فقال جل شأنه:

---

(١) سورة المائدة: الآية (٨).

(٢) سورة المائدة: الآيتان (٩ ـ ١٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(١).

بنو النضير دبروا لرسول الله ﷺ تدبيراً سيِّئاً وذلك حينما جاء إليهم يطلب منهم شيئاً من المال يستعين به في بعض المصالح فوعدوه خيراً وهم يضمرون الفتك به وأجلسوه تحت جدار وصعد بعضهم فوق البيت ليرمي عليه حجراً يقضي به عليه، فأوحى الله إليه أن يقوم فقام وقد أرسل بعض أصحابه إلى المدينة فذهب إلى جهة المدينة وبلغ أصحابه وجمعوا جموعهم، وجاء إلى بني النضير محارباً لهم إستجابة لأمر الله جل شأنه ثم رضوا بأن يخرجوا من ديارهم فأذن لهم في ذلك بأمر من الله جل شأنه وأذن لهم في أن يأخذوا من أموالهم ما حملت حمولاتهم وفي ذلك أنزل الله سورة الحشر ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾. هم بنو النضير ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾(٢).

هذا وما سواه من آيات سورة الحشر فيه تفصيل لما ذكر الله في هذه الآية التي أخذ الله فيها العهد والميثاق على المؤمنين أن لايعتدوا بل عليهم أن يلزموا العدالة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١).

(٢) سورة الحشر: الآية (٢).

(٣) سورة المائدة: الآية (١٣).

يعني بسفك دم رسول الله ﷺ بهذا التدبير الذي دبره بنو النضير، واليهود كما هو مشهور عند العالم لا عند المسلمين فقط هم سوسة تنخر في عظام الأمم فهم في كل دولة من الأمم يسعون فساداً في الأرض ويدبرون التدبير السيِّئ ويمكرون المكر السيِّئ ويعيشون كالنباتات الطفيلية في سائر الدول، ومن تدبيرهم السيِّيء ما دبروه من هذا الحادث لرسول الله ﷺ رغبة منهم في القضاء عليه ثم بدا الله جلَّ شأنه بدءاً جديداً، وذكر لنا لوناً آخر من العهود والمواثيق ليست عهوداً أخذها على المسلمين كالعهود التي مضى تفصيلها بل هذه عهود أخذت على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعلى أمثالهم فلم يكن منهم إلا التبرمُ لها والتنكر لها ونقضها شر نقض، فنزل بهم بأس الله وعذابه فهذا مما يتصل بمبدأ السورة أولاً، يتصل بها من جهة أنه نقض للعهود والمواثيق نقضاً أفسدوا به الأرض واستوجبوا به مقت الله وغضبه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1].

فالآية في العهود والمواثيق التي هي في الآية الأولى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

وقال الله جل شأنه: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

هذا هو العهد ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾[2].

أي عظمتموهم وأيدتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

(١) سورة المائدة، الآية (١٢).

(٢) سورة المائدة، الآية (١٢).

هذه العِدَة الجميلة التي وعدها من وفّى بهذا العهد الذي فصّله في الجملة السابقة، ثم هدد وأنذر مَنْ نقض العهد والميثاق فقال: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

وقد نقض هؤلاء العهد والميثاق فأصابهم الله شر إصابة وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[2].

وهذا شأن السيئات وهذه هي عدالة الله جل شأنه مَنْ كسب سيئة نُكت في قلبه نكتة سوداء وبقدر تلك السيئة، فإذا ما تكاثرت منه السيئات طبع الله على قلبه وجعل عليه الران حتى يصير قلبه متبلداً أو كالحجر الصلب لا يتأثر بموعظة ولا يعتبر بعبرة ولا تنفذ إليه نصيحة، بل يكون منه الصدود والإعراض عما يوجَّه إليه من آيات القرآن ومن الحجج والبراهين والمواعظ والعبر، فلا أدلة تُناجى بها العقول، ولا مواعظ وعبر تؤثر في عواطفه ووجدانه وذلكم لما طُبع على قلبه وكان عليه من الران والحجاب الذي يحول بينه وبين الدلائل والبراهين فلا ينصاع لها والذي يحول بين قلبه، وبين وجدانه وعاطفته، وبين المواعظ والعبر حيث قد مسخ الله فطرته فجعل قلبه قاسياً يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[3].

ثم ذكر الله جل شأنه الصنف الثاني بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾[4]. أيضاً أخذ على الطائفة

---

(١) سورة المائدة: الآية (١٢).
(٢) سورة المائدة: الآية (١٣).
(٣) سورة المائدة: الآية (١٣).
(٤) سورة المائدة: الآية (١٤).

الأخرى، طائفة النصارى عهداً وميثاقاً ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ نقضوا أيضاً العهد والميثاق، القصد أن الله ذكر في هذه الآيات أنه أخذ عهوداً ومواثيق على اليهود والنصارى بتكاليف كلفهم بها فوقفوا منها موقف الخائن، وقفوا منها موقف الغادر المستهتر الذي لا يبالي لعهد الله وميثاقه بالاً ولايلفت له نظر وليس لله وقار في قلوبهم فأصابهم الله باللعنة وقساوة القلوب، وأصابهم بنسيانهم الكثير من حظوظهم، ثم ذكر الله جل شأنه أنه بيَّن لهم ما أخفوا من التكاليف وما حرَّفوا من نصوص كتبهم التي أنزلها الله عليهم، أنزلها الله على موسى وعيسى وعلى داود بيَّن أنه أرسل إليهم رسولاً فجاءهم هذا الرسول وبيَّن ما كانوا يخفون من كتاب الله فإنهم كانوا يجزأونه أجزاء فيخفون بعضه ويبدون بعضه تبعاً للهوى، فما رأوه في مصلحتهم ومتفقاً مع هواهم أعلنوه ونشروه بين الأميين والرعية ﴿العوام﴾ وما كان مخالفاً لأغراضهم وأهوائهم أخفوه، يقول تعالى في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[(١)].

إلى آخر الآيات فذكر جل شأنه أن هذا الذي جاءهم على يد رسول الله محمد ﷺ من العهود والمواثيق التي تكشف أحوالهم فيجب عليهم حينئذ أن يعتبروا وأن يخشوا الفضيحة من كشف الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ لما دبروه ولما خانوا فيه، كان عليهم أن يرتدعوا وأن يعملوا بالحق وأن يتبعوا رضوان الله جل شأنه ويسيروا على

(١) سورة المائدة: الآيتان (١٥ ـ ١٦).

الصراط المستقيم لكنهم أبوا إلا اللجاج والعناد وإلا نقض العهد والميثاق فنقضوا عهد الله في وحدانيته وفي كماله وانتقصوه بنسبة الولد له كما قال الله عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

ورد عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

عيسى لا يملك شيئاً من الوجود، لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ومريم أُمّه لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، عيسى يحتاج إلى الطعام والشراب وإلى أن يقضي من شأنه ويتخلص من فضلات طعامه، ومريم أيضا صدِّيقة إنسانة تأكل وتشرب وتحتاج إلى أن تتخلص من الفضلات، فضلات الطعام الذي تناولته فيقول تعالى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾.

من يملك لعيسى ولأُمّه التخلص من مقت الله وغضبه إذا أراد أن يهلكهما وأن يقضي عليهما في هذه الحياة فكيف يصلحان لأن يكونا آلهةً مع الله أو من دون الله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

شيئاً ما قليلاً أو كثيراً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

ويبيِّن أن ملك السماوات والأرض إليه سبحانه فإنه يخلق ما يشاء،فمن يخلق ما يشاء كيف يحتاج إلى ولد يولد منه وله مَنْ في السماوات والأرض، وكيف يتخذ صاحبة وكيف يكون له منها الولد ﴿لَّوْ

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٧).

﴿أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا﴾.

أي ولداً وزوجة ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾[2].

القصد أن نسبة النصارى الولد إلى الله في قولهم عيسى ابن الله، أو ولد الله، والزوجة لله في قولهم إنه اتخذ مريم زوجة له هذا من نقض العهد والميثاق في أصل من أصول الدين وهو أصل التوحيد وإثبات الكمال لله وحده وتنزيه الله سبحانه عن الصاحبة والولد، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[3].

فهذا نوع من أنواع نقض العهود والمواثيق وقد ردَّ الله عليهم إجمالياً وتفاصيل القرآن فيها تفاصيل الردود لمثل هذا.

الله سبحانه وتعالى ذكر نقضاً أيضاً للعهود عن اليهود والنصارى فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[4].

فنسبوا إليه أنفسهم على أنهم أبناء الله ويقول اليهود: نحن أبناء الله، ويقول النصارى: نحن أبناء الله هذا أكثر من دعواهم بنوة عيسى لله، جعلوا كل النصارى على كثرتهم وكل اليهود على كثرتهم أبناءَ لله وزادوا أن قالوا وأحباء لله فهذا من نقضهم للعهود والمواثيق فالله

(١) سورة الزمر: الآية (٤).
(٢) سورة الأنبياء: الآيتان (١٧ ـ ١٨).
(٣) سورة الجن: الآية (٣).
(٤) سورة المائدة: الآية (١٨).

تعالى منزه عن الولد كما تقدم في الآية ذكراً أو أنثى فهو سبحانه منزه عن الولد على الإطلاق ثم ميزان محبة الله لعباده الاستقامة على الجادة والطريق السوي واليهود والنصارى قد انحرفوا عن الجادة وغيّروا وبدّلوا فيما أنزل عليهم من الكتب السماوية فكيف يدّعون زوراً وبهتاناً أنهم أحباء الله سبحانه وتعالى ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

قال تعالى في الرد عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

إلى آخر ما ذكرنا من الآيات، هذا أيضاً من نقض العهود والمواثيق التي تتضمن أصلها ما أمر الله به من الوفاء في الآية الأولى من مطلع السورة، بعد هذا ذكر الله جل شأنه شيئاً من جنس ما مضى يقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1].

رسول جاء لإسقاط المعاذير ولإقامة الحجة حتى لا يقولوا ماجاءنا بشير ونذير حتى نتعرف منه الحق فنحن معذورون، يقول جاءكم الرسول على فترة من الرّسل فهذا تكذيب للعهود والمواثيق التي أمر الله بالوفاء بها في مطلع السورة في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾.

ثم ذكر جلَّ شأنه أن بني إسرائيل مهما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون وملائه وما أنعم الله عليهم من إرسال موسى إليهم وإنجائهم من الضلالة، ومع ما أنعم الله عليهم من إهلاك خصومهم، نجاتهم نعمة، وإهلاك خصومهم نعمة أخرى، فإن الإنسان إذا نجى من خصمه، وخصمه لا يزال حياً فتوسوس له نفسه بأنه سيأتي عليه يوم من الأيام يفتح له الطريق إلى التسلط عليه وإلى التمكن منه فيسومه

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٩).

سوء العذاب في مستقبل حياته كما سامه من قبل سوء العذاب، فبيَّن الله جل شأنه أنه أنعم على اليهود، أنعم على بني إسرائيل الذين هم قوم موسى لأنه جعلهم أئمة وأنه مكنهم في الأرض وأنه جعلهم ملوكاً بعد أن أنجاهم من عدوهم وخصمهم، بيَّن سبحانه وتعالى أنهم لما أمرهم موسى أن يدخلوا البيت المقدس، وهذا أمر من الله وعهد وميثاق أخذه على قوم موسى فأمر موسى أن يدخل قومه البيت المقدس وأن يجعلوه وطناً لهم، وأن يقيموا دولة فتية لهم في بيت المقدس، يعملون فيها بشرع الله جل شأنه فلم يكن من هؤلاء إلا أن تنكروا لموسى وتبرموا بأمره لهم بالجهاد ليدخلوا بيت المقدس، وجاءهم رجلان قد عرفا أخبار سكان بيت المقدس من الجبارين جاءوا إلى قوم موسى وقالا لقوم موسى لو أنكم تجمعتم وتعاونتم وتآزرتم ثم هجمتم هجمة رجل واحد على أولئكم الجبارين لفتح الله عليكم بيت المقدس ومكنكم من رقاب هؤلاء ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾[1].

فأبوا أيضا بالرغم من هذه البشارة المباركة فموسى قال، وهارون قال، وبعض الجماعة من بني إسرائيل قالوا، فانتهى أمر بني إسرائيل إلى أن يقولوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[2].

وماذا يصنع موسى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢٣).

(٢) سورة المائدة: الآية (٢٤).

(٣) سورة المائدة: الآية (٢٥).

هذا شأن بني إسرائيل مع موسى أرادوا أن يتحكموا فيه ويقولون: نريد أكل طيب فجاءهم بالمن والسلوى، فقالوا: هذا لا يصلح لنا، نريد عدساً وبصلاً وثوماً، قال هذا أزين لكم أتتبدلون الطيب إلى الخبيث، قالوا: ما نريد إلا هذا، قال: اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم، ثم يضرب الحجر فتخرج منه العيون على عدد الأسباط، إثنا عشر سبطاً، كل سبط له عين حتى لا تتزاحم كل جماعة متقاربة تشرب من العين حتى تتعاطف فيما بينها ثم بعد ذلك يتنكرون لموسى ،لذلك ابتلى الله هؤلاء على نقضهم العهد والميثاق بأن شردهم أربعين سنة يتيهون في الأرض قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[1].

وليست محرَّمة عليهم أربعين سنة فقط، بل إلى جانب ذلك عدم الاستقرار يتيهون في الأرض. القصد أن هذه القصة من عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[3].

يذكرهم بفضل الله عليهم حتى إذا ذكروا هذا انبعثت نفوسهم بالوفاء لأوامره، ولكن قلوبهم صلدة لم تتأثر ولم تتذكر فضل الله عليها فلذلك تنكروا لموسى عليه السلام، هذه القصة إلى آية (التيه) التي

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢٦).

(٢) سورة المائدة: الآية (١٩).

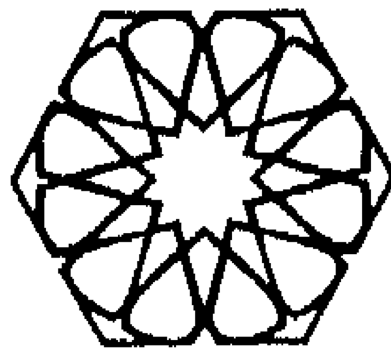
(٣) سورة المائدة: الآيتان (٢٠، ٢١).

أمضاها الله فيهم وعذبهم بعذابها هذه كلها فيها عهد أخذه الله على اليهود عن طريق موسى ونقض للعهد فهي تفسير وتفصيل جزئي لقوله تعالى في مطلع السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾.

نوع آخر.

أولاد آدم من صلبه كانوا على الفطرة ولم يداخلهم شر، وقتل النفس معروفة حرمته عند أولاد آدم وعند آدم عليه السلام وجميعهم يعرفون شريعة الله في عصمة الدم ووجوب حفظ النفوس، ومع ذلك نقض أحد الأخوين هذا العهد فقتل أخاه، هذا من نقض العهد والميثاق باعتداء أخ على أخيه وسفك دمه، فهذا نقض للعهد والميثاق راجع إلى الآية في مطلع السورة.

والله أعلم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



بناء البيت الحرام
وجعله مثابةً للنَّاس وأمناً

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

أمر الله جلَّ شأنه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يبني الكعبة المشرفة في البلد الأمين لتكون قبلة للناس، يستقبلونها في صلاتهم ودعائهم ويحجّون إليها ويطوفون حولها، وأعلن المكان الذي يقيم بناءها فيه بما شاء من الآمارات والعلامات، فذهب إبراهيم من الشام إلى مكة المكرمة حيث يقيم ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بولده والولد بوالده، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك، قال: وتعينني قال: وأُعينك، قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أَكَمةٍ مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك بدأ يرفعان القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء وضعف إبراهيم جاءه إسماعيل بحجر فوضعه له ليقوم عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة[2]، وهما يقولان:

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٦).
(٢) حديث بناء الكعبة مطولًا في البخاري (الفتح ٦/٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(١)].

فاستجاب الله دعاءهما وأراهما مناسك الحج، وأمر إبراهيم أن يُؤذِّن في الناس بالحج ليفدوا إلى حج بيت الله الحرام رجالاً ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[(٢)].

وكما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ببناء البيت أمرهما أن يُطهِّراه مِن كلِّ رجس معنوي وحِسِّي، يبنياه خالصاً لوجهه الكريم ويُجنِّباه الأصنام وعبادتها والأزلام والاستقسام بها وكلّ شائبة من شوائب الشرك بالله، ويصوناه من الأوساخ والأقذار، ومن غشيان الكفار ومن الضجيج ورفع الأصوات وكل ما تأباه النفوس الطاهرة والفطرةُ السليمة، تعظيماً لحرمات الله، وليكون أدعى لإخلاص الطائفين به، والعاكفين فيه والمُصلِّين إليه، وأجمع لقلوبهم على عبادة الله وحده ولجئهم إليه دون سواه.

اتفق العلماء على أن الكعبة شرَّفها الله أوّلَ بيت وُضع للناس في الأرض للعبادة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة: الآيات (١٢٧ ـ ١٢٩).
(٢) سورة الحج: الآيتان (٢٧، ٢٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٩٦).

واختلفوا في أول من بناه، فذكر ابن كثير عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين أن أوَّل مَنْ بناه الملائكة قبل آدم، وروي عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب أن آدم بناه من خمسة أجبل ثم عدَّها، ثم حكم بأنَّ كُلّاً من الأثرين غريب، ورُوي عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة ووهب بن منبه أن أوَّلَ من بناه شيث «ثم قال: وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يُصدَّق ولا يُكَذَّب، ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح الحديث في ذلك فعلى العين والرأس»..أهـ.

والحق أنَّ هذا الاختلاف مما لا تنبني عليه فائدة في شعائر الحج ولا في أحكام مناسك الحج- فلا ينبغي قطع الوقت وشغل البال في زيادة الاشتغال به، وإنمَّا ينبغي الوقوف عند ظاهر ما ثبت في الكتاب والسُّنة مِن أنَّ أوَّل مَنْ بناه ورفع قواعده بإذن الله إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

جعل الله سبحانه وتعالى للبيت الحرام مزايا كثيرةً فجعله مباركاً كثير الخير في الدِّين والدنيا، فيضاعف ثواب الأعمال الصالحات فيه والقصد إليه لأداء النسك أو التعبد به، وتعزف النفوس الطيبة وهي به عن الدنايا والفواحش أكثر ممَّا لو كانت في غيره، مهابة له وتعظيماً لحرمانه وخُصَّ بالوفود إليه للحج والعمرة واستجاب دعوة خليله إبراهيم فيه فجعل أفئدةً من الناس تهوى إلى ذريته في الحرم ورزقهم من الثمرات وقضى أن تُجبى إليه ثمرات كلِّ شيء رزقاً من لدنه، وفضلاً منه ورحمةً بسكان بلده الحرام ومن يفد إليهم تعظيماً للبيت، وبارك لهم في طعامهم وشرابهم وبعث فيهم رسولاً منهم إلى الناس كافة وختم به النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»، وجعل له في البلد الحرام آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً، فمن دخله معظِّماً له، وقَصَده مُحتسباً وأدّى المناسك كما شرعت كان آمناً من عذاب الله.

لقوله ﷺ: «مَنْ حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[1]، وقوله: «الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة»[2].

ومَنْ دخله كان آمناً من التشفي والانتقام، كما كان معهوداً عند العرب فيمن أناب إلى الحرم، مِن تركُها الحق يكون لها عليه، فقد كان يلقى الرجل فيه مَن له عنده ثأر فلا يتعرض له بالقتل والقتال اللّهم إلا في القصاص ونحوه وفيما لو قاتل في الحرم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾[3]، بل حرّم الصيد فيه وأن تُقطع أشجاره، وأن يختلي خلاه، إلا ما استثناه الرسول ﷺ.

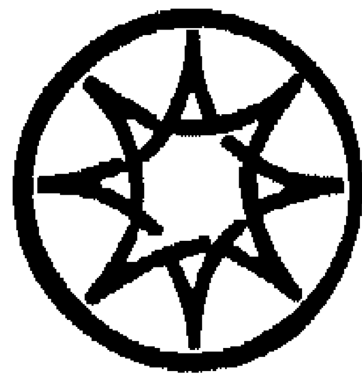
وفي بيان مزايا هذا البيت وأنه بُني للناس جميعاً للعبادة فيه، واستقباله في الصلاة والحج إليه ،وأنَّ الذي بناه إبراهيم الخليل بأمر الله، ردٌّ على اليهود والنصارى. مع أنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويعلمون أنه إنما بَنى هذا البيت للحجِّ إليه والاعتكاف فيه والصلاة عنده وإليه، ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك.

فكيف يزعمون أنهم أولى بإبراهيم وأنهم على مِلّته ولا يفعلون ما شرع الله له، وبهذا تعرف المناسبة بين هاتين الآيتين وقوله تعالى قبلها:

---

(١) رواه البخاري (الفتح ١٨١٩/٤) ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (الفتح ١٧٧٣/٣) ومسلم (١٧٧٣/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) سورة البقرة: الآية (١٩١).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] فكذبهم فى زعمهم أنهم على ملته ووبخهم على صَدِّهم وإعراضهم عن معالم شريعته من التوحيد، وتعظيم حرمات الله وشعائر بيته الحرام، وبيَّن ما بين قولهم وعملهم من اختلاف واضح وتناقض فاضح.



(1) سورة آل عمران: الآيات (٦٥ ـ ٦٨).

المبحث التاسع

مكتبته وعمل يومه وليلته

مكتبته:

إنَّ مما لا شك فيه أن المكتبات في كلِّ أُمَّة عنوان وعيها وتطورها، كما أنها هي المقياس لتقدم تلك الأمم ونهوضها، إذ هي من أهم ركائز المعرفة وأقوى دعامات العلم، فهي زاد لا ينضب، ومعين لا يجف، تُتحف القارئ والباحث والطالب والمعلم ورواد العلم والمعرفة بروافد ثرة، وينابيع متدفقة من الفوائد والمعارف والعلوم.

إن جمع الكتب وإدامة النظر فيها والغوص في أعماقها من أهم الأسباب المعينة على تحصيل العلم.

قال عبد الله بن المبارك: من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه[1].

ولقد صدق من قال:

نعم المؤانس والرفيق كتاب ... تخلو به إن ملَّك الأصحاب
لا مفشياً سراً ولا متكبرا ... وتفاد منه حكمةٌ وصواب[2]

وقال ابن الأعرابي يصف الكتب:

---

(١) انظر تقييد العلم ص١٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٠٣).

لنا جلساء ما نملُ حديثهم ... ألبّاءُ مأمونون غيباً ومشهداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرةٍ ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا(١)

وقال ابن الجوزي:

ومع ما في الكتب من المنافع العميمة، والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمن جليس وآسر أنيس، وأسلم نديم وأفصح عليم(٢).

لقد كان السلف الصالح -رحمهم الله ورضي عنهم- يحرصون على إدامة النظر في الكتب لأنها خزائن العلم، وكان الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- من هذا الطراز الموفق من العلماء، موسوعي المعرفة، له نفس طلعة لا تمل من القراءة ولا تكل من المعرفة، ربَّى نفسه بنفسه، وجمع من العلوم فأوعى، ولم تكن له مكتبة ضخمة كما عند غيره، ولكنه جمع نفائس المصادر والمراجع العلمية التي لا يستغني عنها عالم فضلاً عن طالب علم، وكان -رحمه الله- حَسَن الاختيار للكتاب، فلا يقتني من الكتب إلا ما كان مفيداً ونافعاً، ولقد كانت له عناية خاصة بالكتب السلفية التي تُعنى بأمر المعتقد وتوضح عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم يكن جمعه لأمهات الكتب والمراجع العلمية على سبيل المباهاة والمفاخرة كما هو الحاصل عند كثير ممن ينتسبون إلى العلم اليوم. بل كان جمعه لها لرغبة أكيدة وغاية نبيلة هي الوقوف على مصادر العلم الثرة، ومراجع المعرفة المختلفة وإرواء ظمأه

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٠٢).
(٢) صيد الخاطر (٤٤٠ ـ ٤٤١).

منها حتى ينفع نفسه أولاً، وينتفع الناس بعلمه ثانياً.

وإني لأعجب للشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من كثرة إهدائه للكتب من مكتبته، وظنّي به أنه كان يقرأ كتبه التي تُهدى إليه أو يقوم بشرائها قراءة فهم وتدبر حتى إذا انتهى من قراءتها أهداها إلى أحد طلابه ومحبيه،وهذا إن دلَّ فإنما يدل على متانة علمه وقوة حافظته،وقدرته الهائلة على الاستيعاب، كما يدل هذا التصرف النبيل على سخاء نفسه وصفاء سريرته، وحبه للبذل والعطاء،ومن مآثره الأثيرة عليَّ أنه أهداني كتاب الحافظ ابن رجب الحنبلي «شرح علل الترمذي»، في مجلدين، فجزاه الله خير الجزاء وتغمده بواسع رحمته.

إن من يتأمل أحوال الناس اليوم بصفة عامة، وطلبة العلم بصفة خاصة يجد العجب العجاب، فكثير من هؤلاء خزائنهم مترعة بنفائس المخطوطات،ورفوفهم مثقلة بأنواع المعارف والعلوم، وهم مع ذلك-إلا القليل منهم- لا يقرأون كتبهم، ولا يفتشون خزائنهم، وشعارهم ودثارهم، جمعت كذا واقتنيت كذا.

وإذا سألته عن علمه ... قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جياد أحكمت ... وبخط أيّ خط أيّ خط
وإذا سألته عن مشكل ... حك لحييه جميعاً وامتخط(1)

وقال بعضهم:

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع
وتحضر بالجهل في موضع ... وعلمك في الكتب مستودع

(1) انظر الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/١٢٤).

ومـن كـان في عـمـره هـكـذا يـكـن دهـره الـقـهـقـري يـرجـع[1]

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي- رحمه الله:

ببيت الشيخ كتب قد شراها وجمّعها ولكن ما قراها
وطابت نفسه منها بسلوى إذا فتح المكان بأن يراها
وينظر في قطائعها ويمضي وهل تدري القطائع ما وراها
فوا أسفى على الأيام ضاعت هباءً وقضى على نفس كراها
وقد قنعت من الدنيا بدون وباعتها ببخس في شراها[2]

عمل يومه وليلته

يذكر أبناؤه أن يوم الشيخ كان يبدأ مع آذان الفجر حيث يُلبِّي نداء الله متوجهاً إلى المسجد القريب من بيته سيراً على الأقدام مع أبنائه، وكانت الصلاة في المسجد وحضور الجماعة أحبَّ شيء إلى قلبه، ومن توفيق الله لفضيلته أنه حافظ على أداء الصلوات الخمس كلها في المسجد حتى آخر أيام حياته، تغمده الله بواسع رحمته.

وبعد أن يفرغ من آداء الصلاة يعود إلى بيته، وفي غرفته الخاصة به والتي أُعِدَّتْ للقراءة والاطلاع وإعداد الفتاوى والبحوث، في هذه الغرفة يُقبل على الله تعالى بكليته، قارئاً للقرآن متدبراً آياته، والقرآن معجزة الله الخالدة، وحُجته الدامغة، وهو عمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا سعادة إلا به.

(١) انظر المرجع السابق (١/١٢٦).

(٢) انظر حافظ بن أحمد الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص٧٨.

ولذا فإن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان يحرص كلَّ الحرص على أن يخلو بكتاب ربه في بضع ساعات من ليلٍ أو نهار، تالياً له وحافظاً وعاملاً بأحكامه قدر استطاعته. ثم يذهب إلى عمله مبكراً، وكان -رحمه الله- منظَّماً في عمله، محافظاً على وقته، أميناً في مهنته، يحرص كل الحرص على استثمار وقته فيما يعود بالنفع على المسلمين، وكان يقضي جُلَّ وقته في عمله بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في مراجعة المستفتين، ويستمر عمل فضيلته الدؤوب حتى حلول موعد آذان الظهر حيث يذهب للصلاة في المسجد القريب منه،ثم يعود إلى عمله فيخص ما بقي من الوقت في قراءة المعاملات والاستفتاءات الرسمية، واستقبال بعض الزائرين الذين يقصدون فضيلته للسلام عليه -رحمه الله- وبعد انتهاء العمل يعود الشيخ إلى بيته ليتناول طعام غدائه، ثم يأخذ قسطاً من الراحة قبل صلاة العصر.

وبعد صلاة العصر- يقول ولده الأكبر[1]: كان يجلس والدي -رحمه الله- في كثير من الأحيان بعد صلاة العصر في المنزل يقرأ ويطالع، وينظر في الفتاوى والبحوث العلمية. أما بعد صلاة المغرب فيستقبل طلبة العلم والزوار إلى صلاة العشاء،حيث يؤدي الصلاة جماعة ثم يدخل غرفته الخاصة به للقراءة والاطلاع ومن ثمَّ الراحة بعد ذلك.

(١) الأستاذ محمد نبيل المراقب المالي للإدارات المالية وإدارة شؤون الموظفين بالخطوط السعودية.

المبحث العاشر

تعليقاته القيمّة ونقده الهادف البنَّاء

لقد أشرت سابقاً إلى أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان مشرق الأسلوب محرر العبارة تتسم كلماته بالجزالة ،وألفاظه بالأصالة، لا لذَّة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه،ولعل من نافلة القول ومكرور الكلام أن (المترجم له) عُرف بدقة فهمه وأمانته العلمية، واستيعابه الواسع لجوانب المباحث المطروحة، ومن ثمّ كان -رحمه الله- نقاداً، وصيرفياً محنكاً، يُميِّز بين صحيح الكلام وسقيمه، وجيده ورديئه، يتناول الموضوع بالتحليل والشرح والتمييز والحكم، ويعلق على فقراته بتعليقات موجزة قليلة المبنى غزيرة المعنى، محققة للمقصود، وقد قضى حياته في تأصيل المسائل العلمية، وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها فحياته كلها عمل وجد ومثابرة، فلا تراه إلا معلقاً على كتاب أو مصححاً لأثر أو مقوماً لمؤِّلف، أو مصوِّباً لنتاج علمي، أو مفنداً لحادثة أو راداً لشبهة، كل ذلك في أدب جم وخُلُق محمود، ونقد بناء إلى جانب ذلك كان له -رحمه الله- جولات نقدية في دروسه لا يدركها إلا الصفوة من تلاميذه، وكان إذا نقد أحداً أو موقفاً أجمل في الكلام.

وأما تعليقاته فتمتاز بوضوح الكلام وقلته، ودقة معانيه، والرغبة في الوصول إلى الحق من أقصر طرقه، مع البعد عن التكلف المذموم، والإسهاب المخل ،ومن أنفس تعليقاته، تعليقه على كتاب «الإحكام في

أصول الأحكام» للآمدي، وتعليقاته على «تفسير الجلالين»، و«العقيدة الواسطية»، و«الحموية» و«الرسالة التدمرية»، وتعليقاته على كتاب «الاعتقاد» للبيهقي، و«الكافي» لابن عبد البر، و«الرسالة التبوكية» لابن القيِّم، وغيرها من الرسائل والكتب والبحوث مما يصعب حصره واستقصاؤه.

والحق يقال: أن هذا الرجل ظل طيلة حياته داعياً إلى الخير، صادق العزم، حسن التوجه، الحكمة ضالته، والحق وجهته، والصبر معوَّله ، وإنكار الذات صفته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دأبه.

وفي الصفحات التالية صور مشرقة، ونماذج كثيرة من تعليقاته القيِّمة ونقده الهادف البنَّاء الذي كان يتسم بالموضوعية والجدية بعيداً عن الإثارة والغلو. ولاشك أن هذه النماذج النقدية والتعليقات القيمة تدل دلالة قاطعة على أنه كان - رحمه الله- مثالاً حياً لما كان عليه السلف الصالح من تُقىً وإخلاصٍ وتجردٍ وإيثارٍ للحق ونفرة من الباطل، فعاش -رحمه الله- محمود السيرة، مرضي الفعال عزيز النفس قوي الإيمان، لا يخشى في ذات الله لومة لائم وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس»[1].

ومن هذه النماذج النقدية النيِّرة نقده لكتاب: «تأملات وكشوف حديثة في القرآن الكريم» وقد نقد الشيخ هذه الكشوف الزائفة وبيَّن عوارها، وجلَّى ضلالها فقال:

-أولاً: ذكر المؤلف تفسيراً عن ابن كثير لسورة الكوثر وقال: هذا

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه (٢٤١٤) وصححه الألباني. وانظر صحيح الجامع (٦٠٩٧).

هو التفسير المعروف لهذه السورة، ثم بدأ يفسرها برأيه تفسيراً منكراً مدخولاً لا يمت إلى الموضوع بصلة ولم يبيِّن ما فيها من أحكام، ولم يحم حول المقصود منها من أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بإخلاص العبادة له صلاةً ونحراً شكراً لربه على عظيم عطائه ووفاءً بحق إنعامه.

- ثانياً: تكلّف تكلُّفاً كريهاً في محاولته إظهار الترابط بين آيات السورة الواحدة بما اكتشفه من فكرة واحدة تسري في آياتها جميعاً، بل أساء إلى نفسه وإلى كتاب الله تعالى والمسلمين ويا ليته ما اكتشف تلك الفكرة فإنها محض وهم وخيال، ومجرد قراءتها أو سماعها يُغني عن نقدها وينادي بسوئها وفسادها.

- ثالثاً: ذكر أمثلة تطبيقية في سورة من القرآن لفكرته التي اكتشفها فكشف بذلك عن وهم باطل وخيال كاذب وإلحاد في آيات الله يتبيَّن ذلك مما يأتي في الفقرة الرابعة.

- رابعاً: جعل النهر المفهوم من كلمة الكوثر- فكرةً واحدة محوراً يدور حوله جُمَل «إنا أعطيناك الكوثر» وكلماتها.

فالصلاة كنهر يغتسل فيه الإنسان فيُطَّهر مِن ذنوبه، ويسبقها وضوء وهو من النهر، وتنهى عن الفحشاء والمنكر وهذا من الطهارة التي تكون بالنهر، والنهر في النحر هو دم الأضحية إذا نحرت فسال دمها كالنهر وجرى متدفِّقاً في الجسم فأشبه النهر العادي في صفات الثقل والتغذية والتطهير، ويتجلى هذا في تجميعه لسموم الجسم ثم طرحها في الكليتين للتخلص منها عن طريق الجهاز البولي، وهناك طهارة أخرى وهي تزكية النفس من الشح بدفع ثمن الأضحية.

وأما النهر فيتجلّى في استمرار الذكرى العطرة للنبي ﷺ على مر

الزمان وفي بتر ذكرى خصومه ومبغضيه مدى الدهر.

ثم رتب المعنى الإجمالي لسورة الكوثر على ذلك فقال: «وهكذا تتجلى فكرة النهر في جميع أجزاء السورة مما يدل على أن هناك هندسة إلهية خاصة لهذه السورة الكريمة وضعت لتفيد معنى إجماليًا رائعاً متكاملاً متناسقاً ؛فكأن الله تعالى يخاطب رسله ويخاطب كلَّ مسلم من أتباعه قائلاً: «طهر نفسك في نهر من أنهار الدنيا تنل نهرين خالدين لا ينقطعان أبدا: اغتسل في نهر الصلاة مطهراً جسمك ونفسك، وفي نهر الأضاحي مطهراً روحك من أدران الشح تنل نهر الذكر المرفع الدائم في الدنيا والآخرة، كما تنال نهر الكوثر الخالد العظيم في الآخرة»أ.هـ.

- أقول:

- أولاً: إن القرآن نزل بلغة العرب وله مقاصد سامية وأهداف عالية، فيجب أن يفسَّر باللغة التي بها نزل، وأن يراعي في تفسيره مقاصده وأهدافه، وما كتبه مؤلِّف الرسالة أقول لا يتفق مع لغة العرب وأساليبها، ولا يمت إلى مقاصد القرآن وأُسس التشريع بصلة، بل هو تحريف للكلم عن مواضعه وإلحاد في آيات الله اتباعاً للهوى والظنون الكاذبة فليكف عن التأليف وليتعلم اللغة العربية وأصول الإسلام أولاً حتى إذا بلغ أشده في العلم أخذ في تمرين نفسه على التأليف فيما يقواه.

- ثانياً: زعم أن فكرة النهر تدل على هندسة خاصة بهذه السورة، أقول: هل يفهم من الخرط والخوض هندسة أو حُسن تنسيق، وهل يجني من الشوك العنب فيالله العجب العجاب.

- خامساً: سلك ذلك المسلك في سورة العصر، فذكر تفسيراً لها عن ابن كثير رحمه الله تعالى، وقال هذا هو التفسير المألوف للسورة،

وكأنه لم يرق في نظره ولم يحُزْ قبولاً، ولذا بدأ يفسِّرها بما زعمه متناسقاً تناسقاً عجيباً، فزعم أنَّ العصر وهو الزمان قد سرى في آيات السورة وكلماتها، فإنَّ الإنسان قد سرى فيه الزمان حتى إنه لا يمكن أن ينفك عنه في جميع أطواره مِن حَمْل أُمِّه به إلى مماته، فهو الإطار الذي يحدد بدايته ونهايته، بل ليس الإنسان إلا عمره وسرى الزمان أيضاً في الخسارة والربح، فكل منهما لا ينفك عن الزمان عملاً ناجحاً لتحصيل الكسب، أو فاشلاً للوقوع في الخسارة. أو حساباً لكل منهما، والمراد بالخسارة ما قبل الاستثناء -إلا- وبالربح ما بعد -إلا- وسرى الزمان في الإيمان، فإنه كالشجرة تبدأ بذرة ثم تنبت وتنمو وتزهر وتثمر، وكذا الإيمان في نموه، فيحتاج كل منهما إلى زمان.

وسرى الزمان أيضاً في التواصي بالحق، فإن التواصي بذلك يتوقف على تعلمه والتمييز بينه وبين الباطل، والتعلم يحتاج لزمن طويل، كما أن التواصي بالحق نفسه يحتاج إلى زمان، فتعلمه والتواصي به كلاهما لا ينفك عن الزمان.

وسرى الزمان أيضاً في التواصي بالصبر، فإنه لابد للصبر من قياسين لتقويم حقيقته:

الأول: شدة الألم وخفته، والثاني: الزمان الممتد مع الألم طولاً وقصرا والممتد مع الصبر كذلك بهذا يتبيَّن أنَّ الزمان يسري في سورة العصر فيصبح معناها الإجمالي:

إن سورة العصر آي الزمان إذ يتصدرها القَسَم بالعصر لتلفت النظر إلى أهمية الزمان العظمى، إن الحضارة التي نعيشها اليوم تحسب للزمن أعظم حساب.. وكأن السورة تريد أن تقول: أيها الإنسان إن رأس

مالك هو الزمان هو عمرك الذي في نهايته ستحسب أرباحك وخسائرك، وإنك لخاسر إلا إذا أنفقت عمرك في أعمال معيَّنة، إن زمناً تقضيه في نمو إيمانك زمن رابح، وإن زمناً تقضيه في الأعمال الصالحة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر زمان رابح.

أقول: إن هذا تفسير يكشف عن عوار نفسه تكلُّفاً وتحريفاً وزيغاً وإلحاداً ولا يحتاج إلى تقرير، والغريب أن المؤلِّف يزعم أنَّه بيَّن به هندسة إلهية في السورة، وهذا مما يضحك الثكلى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد استمر المؤلف في تفسيره سُوراً أخرى على الأسلوب الكريه، الذي لا يتفق مع عقلٍ ولا نقل، نسأل الله العافية والهداية إلى سواء السبيل.

وأخيراً لا أجدني في حاجة إلى إبداء عوار الرسالة والحكم عليها بالعقم والفساد فإنها تنادي على نفسها بما هي له أهل وقديماً قيل: حسبك من شرٍ سماعه. نسأل الله السلامة والتوفيق.

عبد الرزاق عفيفي



وفي الصفحات التالية نماذج أخرى من كتاباته وتعليقاته القيِّمة، وتقريراته الوافية، وجولات في أعماق كتب التراث، ونظرات وتأملات في عدد من الكتب والمصنفات، وكل هذه التعليقات والتقريرات والجولات النقدية لتقدم البرهان الساطع، والدليل القاطع على أنَّ الشيخ غير مدافع في سعة علمه واطلاعه ووقوفه على مناهج العلماء وإحاطته الواسعة بمصنفاتهم ومؤلفاتهم وتمييز الصحيح من السقيم منها، وإيراد ما يؤخذ عليها في أسلوب رائع وعبارات سهلة واضحة.

نظرات وتأملات
في كُتب ومؤلفات فضيلة الشيخ العلامة
محمد الخضر حسين شيخ الأزهر
بقلم فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي

كتب فضيلة الشيخ العلامة الجهبذ عبدالرزاق عفيفي -يرحمه الله- تقريراً وافياً وبياناً كافياً تناول فيه عدداً من كتب ومؤلفات العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر في زمنه، موضِّحاً في تقريره وبيانه ما تُمثِّله هذه الكتب وتلك المؤلفات من قيمة علمية عالية، مع الإشادة بالمكانة العلمية والأدبية التي تبوَّأها المؤلف، وذلك واضح جلي من خلال تصويبه وتعليقه على ستة من هذه الكتب والمؤلفات، وقد جاء تعليق فضيلته مجملاً ومفصلاً مبتدئاً ببيان الخصائص العامة والمجملة لهذه الكتب وما تشترك فيه مِنْ أمور، ثم أعقب ذلك بكلمة مختصرة عن كل كتاب من هذه الكتب الستة فجاء تعليقه على النحو التالي:

أولا: بيان عن هذه الكتب جملة في أمورٍ مشتركة بينها:

أ- تشترك هذه الكتب الستة في قوة الأسلوب وعلوِّه مع سلاسة العبارة ووضوحها، وسمو المعاني ودقتها وإصابة الهدف من قرب فلا تكلف فيها ولا غموض ولا حشو ولا تكرار.

ب- تشترك في الدلالة على سعة عِلْم المؤلف وتضلعه في علوم شتى في العلوم العربية والاجتماعية والدينية واستقصائه في بحثه وفي نقاشه لآراء مخالفيه وأدلتهم واعتداله في حكمه وفتاويه.

جـ- يتمثل فيها نزاهة قلم المؤلِّف وحُسن أدبه ونبل أخلاقه. لكن لم يمنعه ذلك أن ينقد الملحدين ومن انحرف به هواه عن الجادة والصراط المستقيم نقداً لاذعاً لا يخرج به عن الإنصاف ولا يتجاوز به حد الأدب في المناقشة رعايةً لحق مخالفيه وصيانةً لعلمه ولسانه عما يشينه وسيراً مع الكتاب والسُّنة وآدابهما في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا جهل ولا سفاهة إنما يقابل سيئة خَصمهِ وسبِّه بالحسنة أو غض الطرف عنها.

د- يتمثل فيها الصدع بالحق والكفاح عنه بُحسن البيان وقوة الحجة ما استطاع إلى ذلك سبيلا لا يخشى في ذلك لومة لائم، عماده في ذلك كتاب الله وسُنَّة رسوله ودليل العقل وشاهد الحس والواقع مع ذكر الشواهد من اللغة والقضايا التي جرت في العالم.

ثانيا: كلمة مختصرة عن كلِّ كتابٍ مِن هذه الكتب الستة:

أ - تونس وجامعة الزيتونة:

في هذه الرسالة كلمات تأريخية عن تونس وفقهائها وشعرائها، وعن جامعة الزيتونة، وجملة من الأحكام الإسلامية، ونماذج من الشعر الأدبي الرفيع وتراجم لجملة من الفقهاء والأدباء، وفي هذا قيام من الشيخ بشيء من حق بلاده عليه، وحق مشايخه وعلماء بلاده، ويتجلى في هذه الرسالة حنين الشيخ المتغلغل في سويداء قلبه إلى تونس ومَنْ فيها، وكأن ما كتبه من ذلك استجابة لهذا الحنين، وصدى للخواطر التي تخالج نفسه، ولاتزال تساورها.

والرسالة فيها خير كثير من الفوائد الفقهية والتاريخية والأدبية. غير أنّي ألمس فيها نوعاً ما من الغلو في بعض المشايخ بتسييدهم وزيادة إجلالهم، وفيها غض الشيخ طرفه على خلاف عادته عن أبيات فيها غلوٌّ في مديح صاحب تونس لابن خلدون منها ص٥٦.

ورضاك رحمتي التي اعتدها تحيى منى نفسي وتذهب بؤسي

ب- بلاغة القرآن:

تشتمل هذه الرسالة على مجموع محاضرات ومقالات، أهمها بلاغة القرآن وإعجازه في بلاغته، وعلو أسلوبه وفي تشريعه وقصصه وإخباره بالمغيبات، وفي حِكَمه وأمثاله، ولهذا سُمِّيتْ الرسالة بهذا الاسم وإن كانت مشتملة على كثير من الموضوعات الأخرى النافعة، مثل حكم ترجمة القرآن، والردود القوية على من حرَّف آيات الحدود، وتأوَّل قصص القرآن على غير وجهه تأويلاً تنكره اللغة العربية، ويأباه الواقع العملي في زمن النبي ﷺ وأصحابه إلى يومنا هذا، وإن تقلص ظل تطبيق هذه الآيات في كثير من الأمم التي تنتسب إلى الإسلام لتفريطها ونوم علمائها وغفلتهم عن أداء الواجب الإسلامي، واتباع حكام تلك الأمم لهواها وتأثرها بالدول الكافرة أو تسلط الدول الكافرة عليها تسلطاً غيَّر عليها معالم دينها، ولبَّس عليها حتى زعمت أن شريعة الله غيرُ صالحةٍ لكل زمان ومكان، وقد فصَّل المؤلِّف الرد على أولئك، وخاصة من تأول حد السرقة وحد الزنا، ومن تأول قصة أيوب عليه السلام، مثل الشيخ جان محيسن أو قصص القرآن جملة فزعم أنه تمثيل خيالي لا واقع له، أو ليس بلازم أن يكون له واقع يحكيه، مثل الدكتور خلف في رسالته التي قدَّمها لنيل الدكتوراه من إحدى الجامعات. وقد أجاد المؤلِّف وأفاد في كل ما تعرض له من مباحث هذه الرسالة غير أنه خالف مذهب

السلف في مبحث المُحكَم والمتشابه (ص٣٨-٤٤) فجعل نصوص المحكم والمتشابه في الكتاب والسنة من المتشابه، وتأولها متبعاً في ذلك مذهب الأشعرية ومن سلك طريقهم في تأويلها بحملها على معنىً مجازي معين سوى المعنى الحقيقي أو التفويض في أصل المعنى مع أن إمامهم أبا الحسن الأشعري لا يرى التأويل لهذه النصوص ولا التفويض في أصل المعنى بل يثبت نصوص الأسماء والصفات المنصوصة التي في الكتاب والسنة على حقيقتها ويفوض في كيفيتها كما هو مذهب السلف من الصحابة ومن تبعهم من أئمة المسلمين المحققين قديماً وحديثاً، فلو سلك مسلك المحققين في نصوص الأسماء والصفات لكان أرشد له وأسلم، ولكن لمذهب جمهور العلماء من المتأخرين سطوة لايكاد يسلم منها إلا من عصم الله، والله المستعان.

جـ- رسائل الإصلاح:

رسائل الإصلاح هي أيضاً مجموع محاضراتٍ ومقالاتٍ تحدَّث فيها المؤلف عن جملة من الأخلاق الكريمة وأثرها في النهوض بالأمة وتماسكها وعن عناية الإسلام بها وحثه على معالي الأمور والترفع عن سفسافها، وبيّن فيها معنى المساواة في الإسلام، ونوّه بشأن القضاء العادل في الإسلام، وأفاض القول في بيان ضلالة فصل الدِّين عن السياسة، ومضرة الانحراف عن الإسلام.

وبيّن سماحة الإسلام وعدالته في معاملة غير المسلمين في السلم والحرب، ومضرة محاكاة المسلمين للكفار إلى غير هذا من الموضوعات النافعة.. وهذه الرسائل من خير ما كتب المؤلف وقد أفاض فيها وأجاد وجاء بما لا غنى لطالب العلم عنه. إلا أنه سلك مسلك المؤولين لنصوص الأسماء والصفات فأوّل حديث «إن المقسطين عند الله على

منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» فخالف في ذلك مذهب السلف الذين أثبتوا صفة اليمين للرحمن حقيقة مع قولهم بالمعنى الكنائي الذي فسره الشيخ أيضاً ولكن المؤلِّف كما تقدم لم ينفرد بذلك بل تبع فيه مذهب الأشعرية ومن سلك مسلكهم كما تقدم والله الموفق.

د- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:

هذه الرسالة كسابقتها مجموع محاضرات ومقالات في جوانب متنوعه من الشريعة الإسلامية وفي فقهائها، ولكن سُمِّيت باسم الأولى منها لأنها أهمها، وقد أفاض المؤلف القول فيها وفصلَّه تفصيلاً يحتاج إليه كل طالب علم، فقد تكلَّم كلاماً حسناً عن الفقهاء وطبقاتهم وعن صلتهم بالحكام ونصيحتهم لهم، وبين أسباب انتشار مذاهبهم وجملة من أسباب اختلافهم في المسائل الفقهية، وتكلم في مسائل اجتماعية وأفاض القول في تعدد الزوجات والسحر ورد على شبهات المشبهين وفصّل آراء العلماء في التصوير وبين مضار الطِّيرة والتشاؤم في العقيدة، والكد في الحياة والنشاط في الأعمال وخُتمت المجموعة بجملة من الفتاوى والأحكام غير أنه - فيما أرى - لم يحالفه الصواب في قوله بإحياء ليلة النصف من شعبان بالعبادة، رجاء أن يكون لها مزية في استجابة الدعاء وقبول العبادة، مع اعترافه بأن ماورد فيها من الأحاديث لم يبلغ درجة الصحيح في نظره وهي في نظر غيره لم تصح بل هي مردودة إذ لو صحّت لكان خير الخلْق صلّى الله عليه وسلم هو وأصحابه أولى بإحيائها ولكن لم يثبت ذلك إذ لو ثبت لنُقل فكان إحياؤها بدعة وترك احيائها سُنَّة وكلامه في مبحث السُّنة والبدعة ص(٩٨) من «مجموعة الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان» يشهد لما ذكرته من أن إحياءها

بدعة وتركها سُنَّة، وقد حاول المؤلف في صفحة (١٧٤-١٩٠) من هذه المجموعة أن يجعل للتصوف أصلاً صحيحاً مع الاحتياط منه في ذلك، وإنكاره لبعض أعمالهم، وردِّه على طوائف منهم، إلا أنه بالرغم من هذا الاحتياط جعل من المتصوفة جماعة من أهل الزندقة والإلحاد وترجم لهم في نهاية مبحث التصوف منهم عمر بن الفارض ومحيي الدين بن عربي، وعلى كلٍّ حال فكل إنسان يؤخذ من قوله وعمله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ فله العصمة مِن ربه فضلاً وإحساناً.

هـ- محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين:

هذه أيضا مجموع محاضرات ومقالاتٍ أُلقيت ونشرت في مناسبات مختلفة كالهجرة النبوية والمولد النبوي والرد على مايراه الشيخ خطأً في مقالات كتبها بعض العلماء والكُتَّاب، وقد تكلَّم فيها الشيخ عن الأُمم قبل إرسال الرسل إليهم، وما كانت عليه مِن جهلٍ وضلالةٍ وشرك فاضح وفوضى مُهلكة، وبيّن موقف الرُّسل منهم، حتى فصل الله بهم بين الحق والباطل، وأفاض القول في سيرة نبيِّنا محمد ﷺ، وفي معجزاته الكونية والروحية، فجمع فيما كتبه خيراً كثيراً. غير أنه لما عرض للمولد النبوي في محاضراته ومقالاته قرر مشروعية الاحتفال به، ورضي بذلك لنفسه وللمسلمين ديناً، وامتدح من عنى بذلك بحجة أن من احتفل به إنما يُقِّدم مُثلاً عُليا من سيرة رسول الله ﷺ أو يسمع ذلك، وأنهم لم يفعلوا إلا مِثل ما فعله حسان بن ثابت وعلي بن أبي طالب والبراء بن عازب وأنس بن مالك رضي الله عنهم ممن يتحدثون عن محاسن رسول الله ﷺ في جماعة.

وهذا الذي قرره الشيخ هو في نظري ونظر الكثيرين من أهل السُّنة

بدعة منكرة باعتراف المؤلف نفسه في مبحث السُّنة والبدعة في صفحة (٩٨) من المجموعة التي عنوانها الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ،حيث قال: «والتَّرك الذي يدلُّ على عدم الإذن، هو ما يروى في لفظ صريح كتركه عليه الصلاة والسلام الأذان والإقامة في صلاة العيدين وتركه غسل الشهداء والصلاة عليهم، ويلحق بهذا تركه الذي لم ينقل بلفظ صريح، ولكنه يفهم من عدم نقلهم للفعل الذي من شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لو وقع. فيصح لنا أن نقول: من السُّنة ترك رفع الأصوات بالذكر أمام الجنازة ويكفي في الاستشهاد على أن السنة ترك هذا الرفع عدم نقلهم لفعله، وهو من الأمور التي لو فُعلتْ لتوفَّرت الدواعي على نقلها».

وأقول تطبيقاً لهذه القاعدة الصحيحة التي يجب التسليم لها من كل منصف، أنَّ النبي ﷺ لم يحتفل بمولد نفسه، ولا بمولد غيره من الرُّسل والصحابة، مع امتداد حياته بعد الرسالة، ولا احتفل بمولده أحد من الصحابة، وهم خير القرون المشهود لها بالخير، ورسول الله ﷺ أكرم الخلق على نفوسهم، وأحب العالمين إلى قلوبهم، ولو احتفلوا بمولده لنقل لتوفر الدواعي على نقله. فيكفي في الاستشهاد على أن ترك الاحتفال بمولده سُّنة وأن فعله بدعة عدم نقلهم لفعله.. أما ما ذُكِر عن حسان وغيره من الصحابة من الثناء على النبي ﷺ فإنهم لم يلتزموا فيه وقتاً مُعيَّناً يتخذونه موسماً ومجتمعاً، وهذا متفق عليه ومندوب إليه لشرح سيرة النبي ﷺ تدريساً أو دفاعاً عنه عند وجود الدواعي لذلك، دون التزام حال معينة أو زمان أو مكان معين، وإنما البدعة التزام زمن أو مكان بعينه يعتبر موسماً ويعتاد الناس الاجتماع فيه شأنهم فيه كشأنهم في الأعياد، بل هذا رُبَّما أدَّى إلى الغلو في إعظام النبي ﷺ وإطرائه وقد

نهى عن ذلك فقال: «لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»[1] بل حصل الغلو والإطراء بالفعل حتى ممن ينتسبون إلى العلم وشغلوا مناصب كبيرة لها شأنها في دولتهم، يضاف إلى ما تقدم قوله في ص(٥٤) من نفس المجموعة، وأذكر بهذه المناسبة أي مناسبة الاحتفال بالمولد بيتين ينسبان إلى صاحبنا الأستاذ السيد فلان:

سيِّد الرُّسل ومن بِعْثَتُه كستْ الكونَ بهاءً وفخاراً
قم إلى النور الذي جئت به افترضي أن يصير النور ناراً

ثم شطر البيتين بما يدل على رضاه بما فيهما، وإنْ ادعى أحد تأويل هذا بحمله على التحسّر على أحوال المسلمين والتباكي على ما هم فيه من ضعف وجهل وتأخّر، فهو تأويل بعيد، إذ الظاهر الاستنجاد بالرسول والاستعانة به لإنقاذ المسلمين مما هم فيه من النار والشقاء إلى النور والسعادة، فهو مما يفتح باب شر وشرك على المسلمين، وخاصة إذا حصل ممن ينتسب الى العلم. فعلى العلماء أن يمسكوا عن مثل هذا، وإلا فتحوا على المسلمين أبواب فتنة لايُطفأ أوارها، ولا يُسد بابها، والله الموفق.

و- الخيال في الشعر الجاهلي:

هذه الرسالة تكلَّم فيها الشيخ عن الخيال عند الناس على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم، وعن أنواع الخيال وأطواره وتفاضله، ثم عن الخيال في الشعر الجاهلي وهو المقصود، وذكر إلى جانبه مباحث الخطابة عند العرب وما يتصل بها من أبحاث ومحاضرتين ألقاهما في نشأة علوم البلاغة «المعاني والبيان والبديع» وقد أبدع المؤلف في هذه الرسالة أيمَّا إبداع، وأخذ فيها بأطرافٍ كثيرةٍ من علوم اللغة العربية، ولا عجب فللمؤلف

---

(١) رواه البخاري (الفتح ٣٤٤٥/٦) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الباع الطويل في هذه العلوم كما أن له قدماً راسخة أيضاً في العلوم الدينية وخاصة الفقة وأصوله. وقد تجلّى في هذه الرسالة جمال خُلُق الشيخ وكمال أدبه، واعتداله في ميوله ودوافع نفسه. فإنه لم يُعرِّج فيما ذكره من النماذج الشعرية على شعر ماجنٍ أو قولٍ تجاوز حد الأدب واللياقة. غير أنه على خلاف عادته سكت عن أبيات قليلة فيها غلوّ كثيرٌ وكذب واضح منها قول أبي العتاهية في قصيدته التي هنَّأ بها المهدي بالخلافة:

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب ... لما قَبِل الله أعمالها

ومن ذلك قول أبي الفضل:

لم يبق للجور في أيامهم أثر ... غير الذي في عيون الغيد من حور

وقد دافع عن حسان بن ثابت رضي الله عنه فيما نُسب إليه من الأحاديث المُشينة دفاعاً يدل على سعة علمه بأحوال الشعراء، ووزنهم بما عُهِدَ منهم في حياتهم الشعرية، وما هم عليه من أخلاق.. كما يدل على صدق حبه للصحابة ووفائه لهم وانزالهم منازلهم رضي الله عنهم.

وبالجملة فهذه الرسائل جمة الخير، كثيرة النفع، لايغض من قيمتها تلك المآخذ، ولاينبغي أن يحول دون الانتفاع بما فيها هذا النزر اليسير الذي لا تكاد تسلم منه كتابة كاتب أو تأليف مؤلِّف.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عبد الرزاق عفيفي
نائب رئيس
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

التقرير الوافي عن كتاب (الكافي)

لابن عبد البر رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد..

فبناءً على ما أشار به سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، من الاطلاع على كتاب «الكافي» للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رحمه الله، وكتابة تقرير عنه.

فقد قرأت منه أبواب الطهارة والصلاة والحج، وأبواباً من المعاملات، وأبواباً من الجنايات ومسائل من المواريث فوجدته كما يلي:

أولاً: سلك المؤلف في كتابه «الكافي» مذهب مالك بن أنس - رحمه الله- وجمع فيه من المسائل أُصولاً يُبنى عليها كثير من الفروع، واستقى ذلك من كُتب المالكيين ومذهب المدنيين وتعهّد في مقدمة كتابه أن يقتصر على الأصحِّ عِلْماً، والأوثق نقلاً، وعوّل على كتاب «الموطأ»- رواية يحيى بن يحيى، وكتاب «المدونة»، وكتاب «المختصر الكبير» لعبد الله بن عبد الحكم، وكتاب «المبسوط» للقاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي، وكتاب «الحاوي» لأبي الفرج القاضي، و«مختصر أبي مصعب» أحمد بن أبي بكر الزهري و«موطأ» عبد الله بن وهب القرشي، وكتاب «الموازين» لأبي المواز، وكتاب «الواضحة» لعبد الملك بن حبيب.

ثانياً: التزم المؤلِّف طريقة المتقدمين في تأليفهم من عدم التكلف في التعبير، فكان كتابه سهل العبارة، قوي الأسلوب، حسن التنسيق والترتيب، قريب المأخذ، يستفيد منه الطالب دون عناء.

ثالثاً: كثيراً ما يُعبِّر المؤلِّف في كتابه «الكافي» عن المسألة بلفظ الحديث أو الأَثر أو بما يُقارب ذلك وقد يستدل بالآيات والأحاديث والآثار أحياناً بعد ذكر المسائل، إلا أنه لا ينسب ذلك إلى ديوان من دواوين السُنَّة ولا يُبيِّن درجته، وإنما يعني ببيان وجه الاستدلال والترجيح، وأقرب الكتب شبهاً به في طريقته من حيث السهولة والاستدلال كتاب «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني، وكتاب «المقدِّمات الممهِّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات»، وكتاب «الكافي» لابن قدامة.

رابعاً: قام محقِّق هذا الكتاب بإصلاح الأخطاء الإملائية، وبيان معاني المفردات الغامضة، وخرَّج الأحاديث التي استدل بها المؤلف في كتابه «الكافي»، وبيَّن درجتها باختصار معتمداً في ذلك غالباً على ما ذكره أبو البركات ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه «المنتقى وشرحه» للشوكاني، وعلى ما ذكره ابن حجر -رحمه الله- في كتابه «بلوغ المرام»، وكتابه «التلخيص الحبير»، كما أنه بيَّن مواضع الآيات من سِوَرها، وذكر نبذة من اختيارات المؤلف ليدل على أنَّه حرَّر المسائل ودقَّقها وعقَّب عليها، وليس مجرد ناقل لها، ونقل هذه الاختيارات في الفصل الثامن من القسم الأول من رسالته ابتداءً من (ص٢٣١ إلى ص٨٤١)، وترجم للأعلام المذكورة في الكتاب، وعرَّف المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في جميع مسائل كتابه «الكافي»، والتي أشار إليها في مقدمة «الكافي» وفي خاتمته.

خامساً: ذكر محقِّق الكتاب أثناء التعريف بعمله فيه (ص٧٥١)، أنَّ أبا عمر أشار في مقدمة كتابة خاتمته إلى مصادره التي استقى منها كتابه.

وذكر في تعليقه على كتاب «الكافي» ص (١٧١-٣٧١) أن أبا عمر سيذكرها في الخاتمة بأسانيدها إلى مؤلِّفيها.

وبرجوعي إلى النسخة الأصلية الموريتانية التي اعتمد عليها محقق الكتاب وجدت الإشارة إلى المصادر أو الدواوين بآخر صفحتين ذكر المحقق أنهما من النسخة الفارسية التي كان يرجع أيضاً إلى ما وجده من صفحاتها.

سادساً: وجدت غلطات مطبعية كثيرة في النسخة المكتوبة على الآلة وتفاوتاً يسيراً في حروفٍ أو كلمات بينها وبين النسخة الأصلية المخطوطة لكن يمكن تدارك ذلك عند الطبع بالرجوع إلى الأصل.

سابعاً: في الكتاب ثروة علمية مع سهولة تناولها والانتفاع بها، وقد خدم به المؤلف مذهب المالكية، وسهل على روّاده معرفة أحكامه والانتفاع به فلو طُبع كان فيه إحياء للتراث العلمي، ولذكرى المؤلِّف، وخدمة لطلاب العلم.

وينبغي أن يُرجع عند الطبع إلى الأصل وإلى نسخة أخرى أو أكثر، وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه
عبد الرزاق عفيفي

مقدمة وتعليق
على كلمة
(الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن سعدي، رحمه الله)

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه.

أما بعد: فإنَّ العلماء في هذا العصر كثير، ولكن قَلَّ منهم من يستقي الحكم من منبعه، ويسنده إلى أصله، ويُتْبع القول العمل، ويتحرَّى الصواب في كل ما يأتي ويذر، وإنَّ مِن ذلك القليل فيما أعتقد، الشيخ الجليل عبدالرحمن بن ناصر بن سِعْدي[1] -رحمه الله- فإنَّ مَنْ قرأ مصنفاته وتتبع مؤلفاته وخالطه وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً، ووقف منه على حُسن السيرة، وسماحة الخُلُق واستقامة الحال، وإنصاف إخوانه وطلابه من نفسه، وطلب السلامة فيما يجر إلى شرٍّ أو يفضي إلى نزاع أو شقاق فرحمه الله رحمةً واسعة.

---

(١) ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي ذكر له يوماً أنه كان يحضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عندما كان يقوم بالتدريس في عنيزة، وأنه أعجب بعلمه، وكان يثني عليه ثناءً عطراً في علمه وورعه وأسلوب حياته وتنظيم وقته، ويقول: إنه كان سابقاً لعصره، بحراً في علمه، سديداً في توجيهاته، وانظر جريدة «الرياض»، الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

وإن من مؤلفاته تلك، الكلمة الوجيزة الجامعة التي كتبها جواباً عن سؤال الأخ الكريم علي الحمد الصالحي في حكم شرب الدخان، فهي على قِصرها قد أصابت الهدف، وصدعت بالحق، وقامت بها الحجة، على من عاند واتبع هواه بغير هدى من الله.

حيث استند فيها المؤلف إلى عموم نصوص الكتاب والسُّنة الدالة على تحريم شرب الدخان، وإلى ما ينشأ عن شربه من الأضرار المالية والبدنية والاجتماعية. وليس لأحد أن يتشبث بالمطالبة بذكر دليل خاص على تحريم الدخان بخصوصه غير قانع بعموم النصوص، إلا أن يكون قصير النظر ضعيف الفكر جاهلاً بمصادر الشريعة والاستفادة منها. فإن الأدلة الشرعية كما تجيء جزئيةً أحياناً تجيء كثيراً قواعد كلية يتعرف منها أحكام الجزئيات التي تتضمنها وتندرج تحتها، وإن طالب الحق الباحث عنه لايقف في سبيله مثل هذه الشبهة. إنما يتعلل بذلك من غلبته نفسه واستمكنت منه العادة فكان أسيراً لها، واستهواه الشيطان فاتخذه إماماً له يزيِّن له الخبائث ويحببها إلى نفسه، ويزيغ قلبه بما يلقيه من الوساوس والشُّبه الزائغة.

ولقد ظهر في شرب الدخان مِن الخطر والضرر، وقرر علماء الطب ذلك. وسأذكر لك شيئاً من المنقول عنهم لا لأستدل بذلك على حُكم شرب الدخان فإن الغني في دينه مَنْ أغناه الله بكتابه وسُنَّة نبيه، فهما المنهاج الواضح والطريق المستقيم وفيهما المقنع لمن رزقه الله سداداً وكان على نور من ربه. إنما أذكر ذلك لأولئك الذين ابتلوا بتقليد مَنْ يرون أنهم رجال العلم والحضارة، وأهل الذوق والمدنية، ليتبيَّنوا أن مَنْ يدينون لهم قد اعترفوا بضرره فيرجعون عن شربه وإن رأوهم يدمنون شربه.

وإليك النقول من كتاب «البيان» للشيخ إبراهيم عبدالباقي

رحمه الله. قال في «أدب المحلى» ص١٢٢ التنباك هو نبات سمَّته العرب الطباق وبتحليله اتضح أنه يحتوي على مادة سامَّة إذا وضع منها نقطتان في فم كلب مات في الحال، وخمس نقاط منها تكفي لقتل جمل والأمم المتوحشة تمضغه.

وهذه أكثر الطرق ضرراً لدخوله في المعدة مع الريق. وقد فشا استعمال الطباق بين الأمم على ما به من ضرر.

وقد أثبت الأطباء أن الطباق يؤثر في القلب فيُحدث فيه الخفقان، وفي الرئتين فيُحدث سعالاً، وفي المعدة فينشئ فيها ضعفاً في شهوة الأكل، وفي العينين فيُحدث فيهما رمَداً، وفي المجموع العصبي فتوراً.ا.هـ.

وقال الدكتور (دمرداش أحمد):

لا أظن الجنس البشري منذ بدء الخليقة ضعف واستكان أمام عدو من أعدائه كما فعل أمام تدخين التبغ، كما أسرته هذه العادة وأوثقته وأذلَّتْ كبرياءه، استوى في ذلك صغار العمال الكادحين الذين يقتطعون من أقواتهم وأقوات عيالهم وكبار الأطباء والفلاسفة المفكرين الذين أضاءت الكون عبقرياتهم ،وكشفوا هذه الآفاق البعيدة في مختلف العلوم والفنون، وقد كان السائد المعروف أنَّ التدخين باعتدال قليل الضرر أو عديمه للشخص السليم، ولكن البحوث العلمية المتصلة بالسنين الأخيرة أثبتت أن الضرر الذي يحدثه التدخين لم يخطر أبداً على بال مدخن. وإليك الحقائق التي أثبتتها هذه البحوث.

قام الأستاذ (ديموند بالمير) بتتبع عشرين ألف حالة منهم مسرفون ومعتدلون وممتنعون، أنشأ لكل منهم سِجلاً خاصاً بجامعة جون (هويكنز)

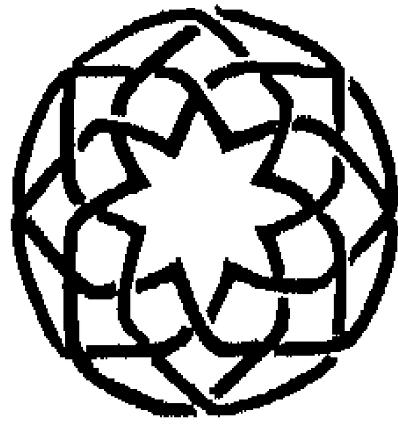
أثبت فيه كل مايتعلق بصحتهم وأمراضهم وعوائدهم وبدأت أبحاثه سنة ١٩١٩م وانتهت سنة ١٩٤٠م بالنتيجة الآتية:

يؤثِّر تدخين التبغ على حياة الإنسان أثراً بالغاً فتقصر هذه الحياة قصراً بيِّناً يتناسب مع كمية التبغ، والممتنعون أطول أعماراً من المعتدلين والمعتدلون أطول من المسرفين. أ.هـ.

وأسأل الله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل وأن يرزقنا قبول النصيحة ويُجنبنا كلَّ ما فيه خطر ومضرة، وأن يرحم المؤلف وينفع بتأليفه ويجمعنا به في دار كرامته.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبد الرزاق عفيفي



مقدمة كتاب الولاء والبـراء[1]

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فموضوع هذا الكتاب له شأنه وله أهميته في نفسه، وبالنسبة لكتابته في هذا الوقت، فبين كتابته وبين الوقت الذي نعيش فيه الآن مناسبة قوية.

أما أهميته في نفسه: فذلك لأنه في أصلٍ من أصول الإسلام هو: «الولاء والبراء».

وهما مظهران من مظاهر إخلاص المحبة لله، ثم لأنبيائه وللمؤمنين.

والبراء: مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله، وهذا أصل من أصول الإيمان وأما أهميته بالنظر للوقت الحاضر: فأنه قد اختلط الحابل بالنابل!، وغفل الناس عن مميزات المؤمنين التي يتميزون بها عن الكافرين، وضعف الإيمان في قلوبهم حتىٰ ظهرت فيهم مظاهر يكرهها المؤمن.

والولاء للكافرين أمماً ودولاً، وزهدوا في كثير من المؤمنين، وحطوا من قدرهم وساموهم سوء العذاب.

---

(١) وهو في الأصل رسالة ماجستير تأليف فضيلة الشيخ محمد بن سعيد بن قبيل القحطاني.

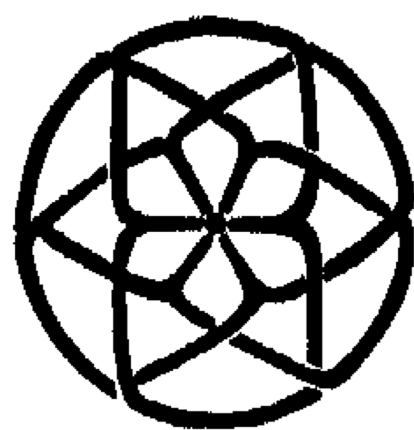
ومن هنا: تأتي أهمية نشر هذا الكتاب في هذا الوقت الحاضر بالذات.

ولقد جاء المؤلِّف على جانب الولاء والبراء، ونقل في ذلك كثيراً من كلام العلماء، وقدّم له ومهّد، وعقَّب عليه وعلَّق، واستدل على ما جاء به من مبادئ الولاء والبراء بآيات من القرآن، وبأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ وبكثير من أقوال الصحابة ومَن تبعهم من السلف.

وبيَّن وجه الاستشهاد بهذا وبهذا، ورقَّم للآيات وبيَّن سورها، وخرَّج الأحاديث والآثار وبيَّن درجتها في الغالب الكثير.

وأسأل الله جلَّ شأنه أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، وأن يُهيِّئ لمؤلفه إخواناً ينهجون نهجه، فالأمل كبير، الأمل في الله عظيم أن ينشأ كثير من شبابنا الحاضر على هذا المبدأ القيِّم، مبدأ نصرة دين الإسلام وإحياء ما اندرس منه فإن ربيّ مجيب الدعاء.

عبد الرزاق عفيفي



مقدمة لكتاب
المقاصد العليَّة من القصيدة النونية[1]

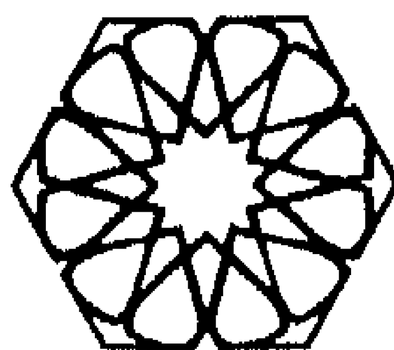
الحمد لله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن نبيّنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وهدى للمتقين، ففتح به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم من ربهم لعلهم يتفكرون، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وحافظوا على شريعته الغراء، وعلى سنته المطهَّرة، حتى ورثها عنهم من جاء بعدهم من التابعين، إلى أن وصلت إلينا غضة طرية، ورضي الله عنهم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فقد كتب فضيلة الأخ الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد تعليقًا موجزاً مفيداً بعبارات واضحة، على «القصيدة النونية في التوحيد»،

(١) تفضل بكتابة هذه المقدمة بعد مراجعة الكتاب فضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ وذلك عام ١٤١٢هـ، ولعل الله تعالى يُيسِّر طبعه ونشره قريباً إن شاء الله.

المسمّاة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيِّم الجوزية ناصر السُّنة وقامع البدعة - وقوته وطول باعه في شتى العلوم، وفصاحة لسانه وحُسن بيانه نثرًا ونظماً غني عن الحديث عنه. وقد سمَّى فضيلته التعليق - (المقاصد العلية من القصيدة النونية في بيان عقيدة أهل الحديث وسلامة منهجهم وأنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة) بيَّن في تعليقاته معاني المفردات، والمراد من الأبيات بعبارات واضحة دقيقة على طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، وذكر شواهد الأحكام من الآيات والأحاديث التي أشار إليها الإمام ابن القيِّم في قصيدته، مع بيان رقم الآية وسورتها، ونسبة الأحاديث إلى دواوينها من كتب السُّنة، فجزاه الله خيراً، ونفع المسلمين بما كتبه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الرزاق عفيفي



تقرير عن رسالة الدعوة الحموية
في مرآة الطريقة الأحمدية

١- ألَّف هذه الرسالة الأستاذ طاهر بن أبي بكر لنب دكري التجاني بأسلوب قوي في الجملة مع نوع من التكلف في التعبير حمية للتجانية ودفاعاً عن محمد بن سيده حمى الله الشريف إمام الدعوة الحموية (فرقة تجانية).

٢- ذكر المؤلف نبذة تاريخية عن أحمد محمد التجاني وأخرى عن محمد بن سيده حمى الله وآخرين من التجانية، وغلا في الثناء عليهم وذكر انتشار الدعوة الحموية في كثير من الدول رغم وضع الحساد الكثير من العقبات في سبيلها.

٣- بيَّن ما جرى من الأحداث على حمى الله، وما حيك له من مؤامرات دبَّرها خصومه حسداً له وبغياً عليه غير أنها فشلت واستمرت دعوته في طريق الانتشار، وأصيب من كاد له وآذاه. وسمَّى ذلك معجزة.

٤- تعرض المؤلِّف في هذه الرسالة أثناء حديثه عن الأطوار التي مرَّ بها حمى الله لمسائل خطيرة تعلن عن الضلال الفاضح والخطأ الواضح منها ما يأتي:

أ- رؤية كل من أحمد بن محمد التجاني وحمى الله التجاني

محمداً ﷺ يقظة وأخذهما الأوراد وسائر التشريع عنه يقظة، وأن كتاب جواهر المعاني ألفه علي حرازم بأمر المصطفى ﷺ واستدل لما زعم من الكشف والرؤية والأخذ عن النبي ﷺ يقظة بحديث «من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة». انظر ص٨- ١٣- ١٤- ١٩- ٥٨- ٨٥- ٨٨- ٨٩.

ب- ما زعمه محمد سيده حمى الله من القصر الحموي، وهو قصر الصلاة الرباعية بأدائها ركعتين في الحضر عند خوف المسلم على نفسه من خصومه، واستدل لذلك بآية ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟...﴾[1] الآيات.

وذكر عن ابن قيم الجوزية رحمه الله ما يشهد لمقالته في زعمه وهو كاذب في ذلك. انظر ص٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦.

جـ- زعم أن عمل أهل فاس من التجانيين كعمل أهل المدينة فيستدل به كما استدل مالك وأتباعه بعمل أهل المدينة وأنه ينسخ ما قبله من الأحكام المخالفة له - انظر ص٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠.

٥- مرجعه كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم ونحوه من كتب المبتدعة غالباً.

وكتبه

عبد الرزاق عفيفي

(١) سورة النساء، الآية (١٠١).

تقرير عن كتاب بغية المهتدي
في رد شبـهات المعتدي

١- ألَّف هذا الكتاب أبوبكر بن محمد بن عثمان حوص المرجي للرد على طاهر دكري فيما زعم من مسائل ضل فيها عن طريق الهدى والصواب وللدفاع عن جده محمد بن عمر المرجي.

٢- قسم المؤلف كتابه قسمين: الأول رد فيه ما زعمه طاهر دكري من رؤية كل من أحمد بن محمد التجاني ومحمد بن سيد حمى الله النبي ﷺ يقظة وأخذهما التشريع والأوراد عنه يقظة وناقشه في استدلاله على زعمه بحديث «من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة...» انظر ص ٦-٢٦.

الثاني في مهاجمة طاهر دكري ورد المؤلف عليه انتصاره لجده وقد ضمنه الرد على القصر الحموي- قصر عدد ركعات الرباعية في الحضر من أجل الخوف من الخصوم والرد على جعل عمل أهل فاس كعمل أهل المدينة فيستدلون به كما يستدل المالكية بعمل أهل المدينة ويجعلونه ناسخاً لغيره وذكر أنواعاً أخرى من بدع طاهر دكري وعلق عليها.

٣- موقف أبي بكر بن محمد في كتابه من طاهر دكري في رسالته موقف المحق من المبطل إلا أنه ضعيف في تعبيره، مسرف في شتائمه مقذع فيها، كثير النقل من كتب المبتدعة مثل أحمد الصاوي، وغيره.

وبالجملة فهذه خصومة بين حمى الله التجاني وأتباعه وبين من خرجوا عليه، وفيها عصبية من الطائفتين إلا أن من خرجوا على حمى الله أقرب إلى الحق وإلى نصرته.

والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الرزاق عفيفي



نماذج من بدع التجانية

وإتماماً للفائدة فقد رأيتُ أن يُلحق بهذين التقريرين ما كتبته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في هذا الخصوص وما صدر عنها من فتاوى توضح جملة من عقائد التجانية المبتدعة. وقد كتبت اللجنة ما يلي:

نلخص فيما يلي جملة من عقائد التجانية المبتدعة مأخوذة من أوسع كتبهم وأوثقها في نظر علمائهم مثل كتاب «جواهر المعاني» لعلي حرازم، وكتاب «رماح حزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوتي:

١- غلو أحمد بن محمد التيجاني مؤسس الطريقة وغلو أتباعه فيه غلواً جاوز الحد حتى أضفى على نفسه خصائص الرسالة بل صفات الربوبية والإلهية وتبعه في ذلك مريدوه.

٢- إيمانه بالفناء ووحدة الوجود وزعمه ذلك لنفسه بل زعم أنه في الذروة العليا من ذلك وصدَّقه فيه مريدوه فآمنوا به واعتقدوه.

٣- زعمه رؤية النبي ﷺ يقظة، وتلقين النبي ﷺ إياه الطريقة التجانية وتلقينه وِرْدها يقظة والإذن له يقظة في تربية الخلْق وتلقينهم هذا الورد واعتقاد مريديه وأتباعه ذلك.

٤- تصريحه بأن المدد يفيض من الله على النبي ﷺ أولاً ثم يفيض منه على الأنبياء ثم يفيض من الأنبياء عليه ثم منه يتفرق على جميع

الخلق من آدم إلى النفخ في الصور ويزعم أنه يفيض أحياناً من النبي ﷺ عليه مباشرة ثم يفيض منه على سائر الخليقة، ويؤمن مريدوه بذلك ويعتقدونه.

٥- تهجمه على الله وعلى كلِّ وليٍّ لله وسوء أدبه معهم إذ يقول قدمي على رقبة كل ولي -فلما قيل له أن عبدالقادر الجيلاني قال: فيما زعموا قدمي على رقبة كل ولي- قال صدق ولكن في عصره أما أنا فقدماي على رقبة كل ولي من آدم إلى النفخ في الصور- فلما قيل له أليس الله بقادر على أن يوجد بعدك وليّاً فوق ذلك. قال: بلى ولكن لا يفعل كما أنه قادر على أن يوجد نبيّاً بعد محمد ﷺ ولكنه لا يفعل ومريدوه يؤمنون بذلك ويدافعون عنه.

٦- دعواه كذباً أنه يعلم الغيب وما تخفى الصدور وأنه يُصرِّف القلوب وتصديق مريديه ذلك وعدُّوه من محامده وكراماته.

٧- إلحاده في آيات الله وتحريفها عن مواضعها بما يزعمه تفسيراً إشارياً كتفسيره قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1].

ببحر الألوهية وبحر الوجود المطلق وبحر الخليقة، وهو الذي وقع عليه كن، وهو البرزخ بينهما ﷺ ولولا برزخيته ﷺ لاحترق بحر الخليقة كله من هيبة الذات..الخ. ويعتقد مريدوه أن ذلك من الفيض الإلهي.

٨- تفضيله الصلاة على النبي ﷺ على تلاوة القرآن بالنسبة لمن يزعم أنهم أهل المرتبة الرابعة وهي المرتبة الدنيا في نظره.

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان (١٩، ٢٠).

٩- زعمه هو وأتباعه أن منادياً ينادي يوم القيامة والناس في الموقف بأعلى صوته يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان منه مددكم في الدنيا...الخ. يريدون بالإمام أحمد التيجاني.

١٠- زعمه أن كل من كان تجانياً يدخل الجنة دون حساب ولا عذاب مهما فعل من الذنوب.

١١- زعمه أنه من كان على طريقته وتركها إلى غيرها من الطرق الصوفية تسوء حاله ويخشى عليه سوء العاقبة والموت على الكفر.

١٢- زعمه أنه يجب على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي المغسِّل لا اختيار له بل يستسلم لشيخه فلا يقول: لِمَ ولا كيف ولا علام ولا لأي شيء..الخ.

١٣- زعمه أنه أوتي اسم الله الأعظم، علَّمه إيَّاه النبي ﷺ ثم هول أمره وقدر ثوابه بالآلاف المؤلفة من الحسنات، خرصاً وتخميناً ورجماً بالغيب واقتحاماً لأمر لا يُعلم إلا بالتوقيف.

١٤- زعمه أن الأنبياء والمرسلين والأولياء لايمكثون في قبورهم بعد الموت إلا زمناً محدوداً يتفاوت بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم ثم يخرجون من قبورهم بأجسادهم كما كانوا من قبل إلا أن الناس لايرونهم كما أنهم لايرون الملائكة مع أنهم أحياء.

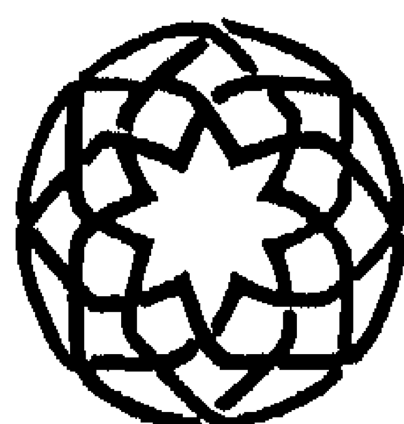
١٥- زعمه أن النبي ﷺ يحضر بجسده مجالس أذكارهم وأورادهم وكذا الخلفاء الراشدون..الخ.

إلى غير ذلك مما يخالف أصول الإسلام ويعتبر شركاً وإلحاداً في الدين افتراءً على الله ورسوله وتشريعه وتضليلاً للناس وتهجماً منه

بعلمه الغيب والله الموفق- وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز



التعليق على
«مختصر تفسير ابن جرير»

قال رحمه الله: راجعتُ مختصر تفسير ابن جرير الطبري للقرآن الكريم فوجدته كما يلي:

١- ليس دقيقًا في التعبير عما فهمه واختصره من تفسير ابن جرير كما في تفسيره الرحمة بالرقة في بسم الله الرحمن الرحيم وقد يقتصر على بعض المعنى المطلوب كما في سورة الفاتحة.

٢- لم يستوعب تفسير الكلمات الغريبة بل اكتفى بتفسير جملة من الكلمات.

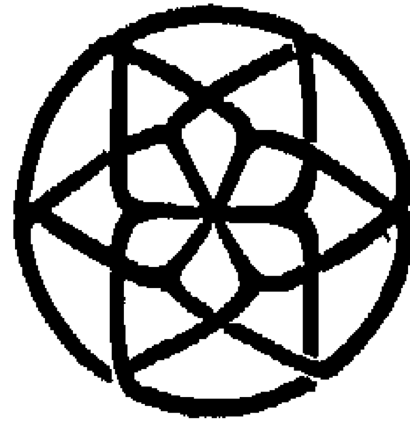
٣- قد يخطئ في اختياره كقوله في قصة زينب بنت جحش كان رسول الله ﷺ قد رأى زينب بنت جحش زوجة زيد فأعجبته. فأوقع الله في نفس زيد كراهتها فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» وهو في ذلك يجب أن تكون قد بانت منه لينكحها «وتخشى الناس» أن يقولوا أمر رجلاً أن يطلق امرأته ثم نكحها حين طلقها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة منها وهي الوطء ﴿لِكَيْ لَا﴾ لئلا، «حرج» إثم.. وكقوله في تفسير سورة النجم ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو منظر حسن أو ذو قوة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي ارتفع واعتدل، ومعنى الكلام فاستوى جبريل ومحمد عليهما السلام وهو بالأفق

الأعلى. وكقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل علا عليها.

٤- وضع الكلمات القرآنية في الهامش على شكل مربع بالرسم اللاثملائي وقد حافظ على رسمها العثماني في المصحف. وعلى كل حال لا يمتاز في تفسيره للكلمات عن غيره. فالجميع فيه مأخذ.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم وأرى أن يكتفى بشراء مصاحف مجردة من التفسير وتوزع على الفنادق.

نائب رئيس اللجنة الدائمة
للبحوث العلمية والإفتاء
عبد الرزاق عفيفي



من أسباب الإنحراف والصدود عن الحق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين وبعد.

فللصدود عن الحق أسبابٌ عديدة وموانع كثيرة، منها الغرور الفكري، والتقليد عن غير بيِّنة وبصيرة، وتحكم العادات السيئة في النفوس، والأنفة والاستكبار، والحسد الممقوت، وطاغوت الافتتان بالمركز والجاه وكثرة المال، وما إلى ذلك، وكُلُّها أمراض أخلاقية وبيلة، وأدواءٌ مستعصية فتاكة، والحديث عنها يطول، فليكن حديثي في هذه الحلْقة عن الغرور الفكري:

الغرور الفكري هو إعجابُ الإنسانِ بعقله، وافتنانه برأيه، وإنزاله فوق منزلته وإعطاؤه من القداسة ما ليس بأهلٍ له، حتى يدخل فيما لايعنيه، وما ليس في وسعه وحدود طاقته، فيعارض العبد به ربه في خلْقه وتشريعه، فضلاً عن معارضته لنظرائه ومَنْ هو أوسع منه فكراً وأكثر تجربة من العلماء.

لقد وجد الشيطان منفذاً لوسوسته في اغترار قومٍ بعقولهم وعلومهم فاستهواهم وزيَّن لهم أن يخوضوا فيما ليس من شأنهم، وأن يهجموا على بحث ما ليس في وسعهم بحثه.

من ذلك تفاصيل القضاء والقدر، وكُنه الله وصفاته وكيفيات ذلك،

فاضطربت أفكارهم، وتفرقت بهم السُّبل عن الجادة والصراط المستقيم، فمنهم من غلا في نفي ذلك، زعماً منه أنه سلك مسلك العدل والتنزيه لله عن الظلم والجور، وعارضوا بذلك نصوص الإثبات للقضاء والقدر، ومنهم مَنْ غلا في الإثبات حتى سلب المكلفين اختيارهم وأعمالهم، زعماً منهم أن نصوص عموم مشيئة الله واقتداره تنافي ثبوت الاختيار والكسب للمكلفين، فعارضوا بذلك الحس وأدلة الشرع والعقل، ولم يكن -من أقتحم باب البحث في كُنه الله وكيفيات صفاته فغلوا في ذلك نفياً- أو إثباتاً بأهدى سبيلاً مِن هؤلاء، بل وقع الجميع في حيرة ومتاهات لا نجاة لهم منها إلاّ بمعرفتهم قدر أنفسهم، والحدود التي يجب أن تنتهي إليها أفكارهم، ويعلمون أنهم لم يؤتوا من العلم إلاّ قليلاً، ويلتزموا بما جاء في شريعة الله، فما تبيَّن من ذلك وجب اعتقاده، وما لم يتبيّن من التفاصيل والكيفيات وجب التسليم له، والقول بما قال به الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1]. وحرم الخوض فيه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

واستهوى الشيطان من هؤلاء المغرورين طائفة أخرى، فزيَّن لها أن تسنَّ قوانين من عند أنفسهم لتتحاكم إليها، وتفصل بها في خصوماتها، وسوّل لها أن تضع قواعد بمحض تفكيرها وهواها، تنُظِّم بها اقتصادها وسائر معاملاتها، محادةً لكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، وانتقاصاً لتشريعهما، وزعماً منها أن تشريع الله لايصلح للتطبيق والعمل به في عهدهم، ولا

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

يكفل لهم مصالحهم ولا يعالج ما جدَّ مِن مشاكلهم، حيث اختلفت الظروف والأحوال عما كانت عليه أيام نزول الوحي واتسع نطاق المعاملات، وكثُرت المشكلات، فلا بد لتنظيم المعاملات والفصل في الخصومات مِن قواعد وقوانين جديدة، يضعها المفكرون من أهل العصر الواقفون على أحوال أهله، المطلعون على المشاكل العارفون بأسبابها وطرق حلِّها لترتكز على واقع الحياة، وتتناسب مع أحوال الناس وظروفهم الحاضرة، ومع مستوى ثقافتهم وحضارتهم الراهنة.

فهؤلاء لم يقدروا عقولهم قدرها، ولم ينزلوها منزلتها، ولم يقدّروا الله حق قدره، ولم يعرفوا حقيقة شرعه، ولا طريق تطبيق منهجه وأحكامه، ولم يعلموا أن الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ علْما، فعلم ما كان وما سيكون من اختلاف الأحوال وكثرة المشاكل، وأنه أنزل شريعة عامة شاملة، وقواعد كلية محكمة، وقدَّرها بكامل علمه، وبالغ حكمته فأحسن تقديرها، جعلها صالحة لكل زمان ومكان، فمهما اختلفت الطبائع والحضارات، وتباينت الظروف والأحوال فهي صالحة لتنظيم معاملات العباد وتبادل المنافع بينهم، والفصل في خصوماتهم، وحل مشاكلهم، وصلاح جميع شؤونهم في عبادتهم ومعاملاتهم.

إن العقول التي منحها الله عباده ليعرفوه بها، وليهتدوا بفهمها لتشريعه إلى ما فيه سعادتهم في العاجل والآجل قد اتخذوا منها خصماً لدوداً لله، فأنكروا حكمته وحسن تدبيره وتقديره، وضاقوا ذرعاً بتشريعه وأساءوا الظن به فانتقصوه وردوه، وقد يصابون بذلك وهم لايدرون،

لأنهم لغرورهم بفكرهم عميت عليهم معالم الحق والعدل، فكانوا من الأخسرين أعمالاً ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

وكـانـوا ممن ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[2].

إن الله سبحانه كثيراً ما يُذكِّر الناس في القرآن بأحوال المعتدين الهالكين، ويحثهم على أن يسيروا في الأرض لينظروا ما كانوا فيه من قوة ورغد عيش وحضارة وبسطة في العلم نظر عظة واعتبار، ليتنكبوا طريقهم، اتقاءً لسوء مصيرهم، ولفتَ النظر في بعض السور إلى جريمة الغرور الفكري، لشدة خطره، وبيَّن أنه الفتنة الكبرى التي دفعوا بها في صدور الرُّسل وردُّوا بها دعوتهم، ليعرفنا بقصور عقول البشر وأنها لا تصلح لمقاومة دعوة الرسل، وليحذرنا من خطر الغرور الفكري الذي هلك به من قاوم المرسلين. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

---

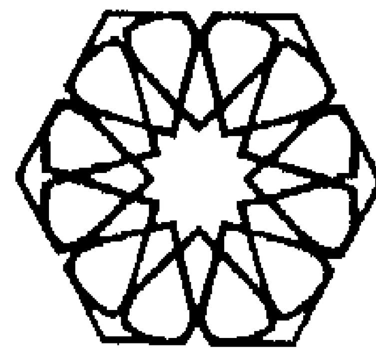
(١) سورة الكهف: الآية (١٠٤).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).

(٣) سورة غافر: الآيات (٨٢ ـ ٨٥).

إن اعتبار الإنسان لفكره واعتداده به درجات، منها المحمود ومنها المذموم فما جاوز الحد، وبلغ درجة الإعجاب بالرأي والعصبية له ودفع الحق به بعد أن يتبيَّن على نحو ما مضى من الحديث عنه فهو المحقوق، وما وقف بالمفكر عند حده فاعتقد ما فهم من الدليل عن بيِّنةٍ وبصيرة واعتز به لكونه الحق في نظره دون أن يعارض به صريح كتابٍ ولا صحيح سُنَّة ولا إجماع أُمَّة فليس بممقوت، بل هو الواجب عليه، وعلى تمسكه به يُحمد، لكن ينبغي له أن ينصف مناظره من نفسه، ويحترم فكر صاحبه كما يجب أن يقابله بمثل هذا الاحترام ليستمر البحث والمناظرة، ويتبين الحق من قريب مع المحافظة على الأخوة وأواصر المحبة والوئام[1].

والله الموفق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.



(1) انظر مجلة التوعية الإسلامية ـ عدد ذي الحجة سنة (١٣٩٦هـ).

المبحث الحادي عشر

فتاواه وبحوثه

لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد على العلم بما يُبلِّغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفُتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يُبلّغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله، ولا يُجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات،فكيف بمنصب التوقيع عن ربِّ الأرض والسماوات، فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعدَّ له عدته، وأن يتأهب له أُهبته وأن يعلم قدر المقام الذي أُقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾[1].

وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفاً وجلالة، إذ يقول سبحانه في كتابه ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٧).

(٢) سورة النساء: الآية (١٧٦).

وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله.

وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين ﷺ، وإمام المتقين وخاتم النبيين، محمد عبد الله ورسوله ﷺ، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين، فكانت فتاويه ﷺ جوامع الأحكام ومشتملة على فصل الخطاب، وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم إليها ثانية الكتاب، وليس لأحد من المسلمين العدول عنها ما وجد إليها سبيلاً، وقد أمر الله عباده بالردِّ إليها حيث يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

ثم قام بالفتوى من بعده بركُ الإسلام، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، ألين الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، وأعمّها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر فيها ومُقلٍّ ومتوسط. ثم صارت الفتوى من بعدهم في التابعين وتابعي التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا[2].

وممن قام بهذا العمل الشريف «الإفتاء» في عصرنا الحاضر، كوكبة من الأئمة الأعلام، الذين حفظوا على الأمّة معاقد الدين ومعاقله وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، ومن هؤلاء الحملة العدول والعلماء الفحول الذين عنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، وخُصّوا باستنباط الأحكام فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- فقد كتب كمّاً هائلاً من الفتاوى والبحوث، وقد بلغ عدد الفتاوى التي قرأها ووقّع

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) نقلًا عن كتاب إعلام الموقعين (١/١٠ ـ ١٢) لابن القيم رحمه الله ـ بتصرف.

عليها وشارك في صياغتها قرابة خمسة عشر ألف فتوى وذلك من خلال عمله في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

لقد كان الشيخ -رحمه الله- مثالاً يحتذى في الفتاوى، دقّة في النقل والتزاماً في السلوك، وكان يختار من الألفاظ المعبرة ما يتضح به المعنى، ولقد بلغ مبلغاً عظيماً في احترام وتقدير أقوال العلماء، فإذا صدرت فتوى في مسألة وله رأيٌ مخالف فيها،وسأله أحد عن هذه الفتوى، أفتى بقول جماعة العلماء، وقد يحبس رأيه أحياناً عن المستفتي إذا وجد أن هذا الرأي قد يُحدث شقاقاً بينهم، ولا يبرزه إلا لطلبة العلم الذين يلتزمون الأدب عند الاختلاف، ويوقرون العلماء وينزلونهم منازلهم اللائقة بهم.

يقول فضيلة الشيخ يوسف المطلق[1]: «لقد نما إلى علمي أنه كان يقرأ كثيراً ولا يبت في الجواب على الفتوى إلا بعد تريث وسؤال عن دقائق الموضوع حتى يستوعب ويقوم عنده تصور صحيح دقيق للموضوع».

ويصفه أحد المستفتين- ممن نهلوا من علمه واستفادوا من فتاواه فيقول:

لقد كان -رحمه الله- رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك، عالماً بعصره وما يدور فيه، ولهذا كانت فتاواه وإجاباته عن أسئلة تلاميذه أقرب للواقع والعصر الذي نعيشه،وكان يستشيره عدد من كبار علمائنا الأفاضل ويأخذون برأيه في المسائل المختلفة وخاصة تلك التي لها

(١) انظر كلمة (هكذا عرفنا الشيخ عبد الرزاق) الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

مساس بالتجارب والخبرات والمسائل التي تتعلق بما ظهر في عصرنا وعالمنا من أمور حديثة.

في جلسة حوار دارت حول تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي بينه وبين عدد من خبراء الاقتصاد الذين ينشدون السعي لتطوير النظام الاقتصادي الإسلامي، سُئل الشيخ عبد الرزاق عفيفي عن إمكانات عديدة تسمح بالتدرج في تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي وعدم التشديد والتضييق أول الأمر فأجاب بقوله: يجب ألا نكتفي بالأسئلة النظرية التي ليس لها أي مردود عملي ثم أردف قائلاً: لقد درسنا كثيراً من الأمور النظرية، بل قدمنا فيها الفتوى المناسبة بهدف أن نجد التطبيق العملي لها. وإذا بها تتعثر لعدم وجود الدعم الكافي لها، أو أن الكثير تخطاها بفتاوى تجاوزت الحدود الإسلامية المقبولة. وذهبت مرة أستفتي أحد كبار العلماء الأفاضل في مسألة خاصة واستدعت الفتوى أن أُراجع العالم الفاضل وأستوضح بعض جوانب فتواه، ولم يزد ذلك عن سؤالين أو ثلاثة، وبُهِتُّ عندما هبَّ هذا العالم واقفاً وأقفل الحديث وخرج من المجلس. ذهبت بعدها مباشرة إلى الشيخ عبد الرزاق عفيفي وهو مريض على فراشه في غرفة نومه فأحسن استقبالي، وأحضر لي الشاي، وحاورته في مسألتي حتى اتضحت لي الأمور. وغادرت بيته معجباً بعلمه ورحابة صدره وصبره، وتمثلت فيه العالم القدوة ودعوت الله له بدعوات حارة صادرة من أعماق قلبي.

قلت: ومن هذا يتضح أن الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- لم يكن عالماً متخصصاً يغلق فكره على فرع معين من فروع المعرفة، وإنما كان رجلاً متعدد المواهب، مجيداً في كل ما اقتحمه من ميادين العلم والمعرفة، فهو فقيه، محدِّث، أصولي، اقتصادي، عالم بالتحليل النفسي،خبيرٌ بالمجتمع

وتحركاته الظاهرة والخفية مطلع على مذاهب الفقهاء، ناقد بصير لاسيَّما ما يكتب في أمور العقيدة والتوحيد والفرق والمذاهب المعاصرة.

لقد كان -رحمه الله- ملتزماً بكل ما يقول ويكتب، فلم يكتب بحثاً أو يصدر فتوى إلا التزم بها سلوكاً، ولم يكن يعتمد على عموميات مشهورة في إصدار أحكامه وإنما كان يعتمد على الأدلة الصحيحة الصريحة التي تُبنى عليها فتاواه، فضلاً عن ذلك فإن الشيخ -رحمه الله- لم يكن متسرعاً في فتاواه، ولا يحاول الانتصار لنفسه فيما يقوله ويفتي به، بل كان يود أن غيره يكفيه الفتيا، وهذا والله مسلك الصالحين، ودأب الناصحين، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين.

فقد كانوا يكرهون التسرع في الفتوى ويُحذِّرون من ذلك أشد التحذير فعن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، أراه قال في المسجد، فما كان منهم محدِّث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ كلَّ من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون[2].

وقال سحنون بن سعيد: أجسرُ الناس على الفتيا أقلُّهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه[3].

قلت: وأما بحوثه ورسائله فتتسم بالأصالة والعمق، والبعد عن الحشو والتعقيد فأسلوبه سهل ممتنع، يكاد من يقرأ له يستحضر شخصيته

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (٣٤/١).
(٢) انظر المرجع السابق.
(٣) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (٣٤/١).

من خلال قراءاته له، ويدرك تماماً أنه يقرأ لعالم من الرعيل الأول، فما من مسألة أو بحث إلا ويوفيه حقَّه مع عرض المسائل مقرونة بالأدلة والتعليلات،وإسناد كل قول لصاحبه بأمانة وحسن نية، فمن يقرأ بحوث الشيخ وكتاباته، يعلم أنه يقرأ فقهاً مقارناً ويدرك أنه يطوف بنظره وفكره في مذاهب العلماء رحمهم الله.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر هذه البحوث تُعنى بأمر المعتقد، وفقه البيوع والمعاملات والعناية بمسائل الحلال والحرام، ومن هذه البحوث القيِّمة بحث إثبات خلافة الخلفاء الراشدين، وفي هذا البحث وضَّح الشيخ ما ذكره ابن أبي العز في شرحه على «العقيدة الطحاوية» وضوحاً لا مزيد عليه. فقد ذكر أن الخلافة تثبت أحياناً بالنص من النبي ﷺ أو من الخليفة السابق، وتثبت أحياناً بالبيعة، ثم ذكر اختلاف العلماء فيما تثبت به الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فوضَّح الشيخ هذا الخلاف قائلاً:

اختلف العلماء فيما تثبت به الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، فقيل ثبتت بالأمر الجلي من النبي ﷺ على أنه الخليفة من بعده، وقيل ثبتت بالنص الخفي منه على ذلك، وقيل ثبتت ببيعة ذوي الشأن وأهل الرأي له، واختيارهم إياه خليفة للمسلمين، ولم يتخلف عن بيعته إلاَّ عليّ بن أبي طالب وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فقد تخلفا عن بيعته مدة ثم بايعا بعد ذلك.

وقد استدل من قال تثبت بالنص الجلي أو الخفي بما ثبت أن امرأة أتت النبي ﷺ، وكأنها تسأله عطاءً، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئتُ ولم أجدك، وكأنها تعني الموت، قال: «إن لم تجديني

فأتي أبا بكر وعمر».. رواه أصحاب السنن، واستدلوا أيضاً بما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليٌّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»، وبما رواه البخاري ومسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال على بعيره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدّت إلا خوخة أبي بكر». واستدلوا بقول النبي ﷺ في مرض موته: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، ولما رُوجع في ذلك مرات لم يأمر غيره بالصلاة بالناس، بل كرَّر الأمر بصلاة أبي بكر بهم، فتوفي رسول الله ﷺ وأبو بكر هو الذي يُصلِّي بالناس، قالوا: ارتضاه رسول الله ﷺ في أمر ديننا، أفلا نرضاه إماماً لنا في أمر دنيانا.

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك أدلة من قالوا بثبوت الخلافة بالبيعة لا بالنص ثم ختم كلامه في هذا المبحث بما رجحه ابن تيمية من ثبوت الخلافة لأبي بكر ببيعة الصحابة له، واختيارهم إياه.

وبعد هذه المقتطفات من هذا البحث القيِّم، رأيت أنه من الأكمل أن أضع بين يدي القارئ الكريم نماذج من بحوث الشيخ بصورتها المتكاملة، وما أضيف إليها مما هو منها، وغالب ظني أنها لم تُنشر من قبل، ولعلَّ ذلك راجع إلى عزوفه -رحمه الله- عن النشر، وزهده في الشهرة وإيثاره للظل، ثم أتبعت ذلك كلّه بنماذج مختارة من فتاوى الشيخ وما شابهها من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إتماماً للفائدة وتعميماً للنفع، وقد بدا لي أن أبدأ بإيراد الفتاوى أولاً ثم البحوث ثانياً، مراعاة للترتيب وتمشياً مع العنوان.

العذر بالجهل

سُئل رحمه الله: هل يوجد عذر بالجهالة في أصل التوحيد، علماً بأن بعض أهل السنة ذكر أنه لا عذر لأحد بالجهل في أصل التوحيد.

إن وجوب الإيمان بالله تعالى ورُسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر، وما يتصل بذلك من أصول وفروع والعمل بمقتضاه: يتوقف على البلاغ الصحيح ومعرفة ما تضمنه البلاغ من الحق، وهذا مما يتفاوت بتفاوت الناس في مداركهم وقواهم العقلية، وكثرة العلماء والدعاة إلى الإسلام، وما إلى هذا مما يتيسر معه معرفة الحق وتأييده واستبانة شُبَه الباطل وتمييزها من الحق والقضاء عليها، أو بُعدهم عن ديار الإسلام والدعاة إليه، وما إلى ذلك من الحواجز التي يشق معها الوصول إلى معالم شرع الله تعالى والوقوف على حقيقته جملة أو التبحر فيه.

فيجب أن يُراعى ذلك وأمثاله في الحكم على الناس، فقد يجب على بعض الناس الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وما جاء به من عند الله إجمالاً، إذا لم يبلغه إلاَّ ذلك، ولم يتيسر له سواه مع بذل وسعه في التعرف على الحق، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

ولما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أن رجلاً رزقه الله مالاً، قال لبنيه لما حضره الموت: أي أب كنت لكم، قالوا خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط، فإذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل، فقال: ما حملك، قال: مخافتك، فتلقاه برحمته» متفق عليه، ورواه البخاري عن حذيفة أيضاً ورواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

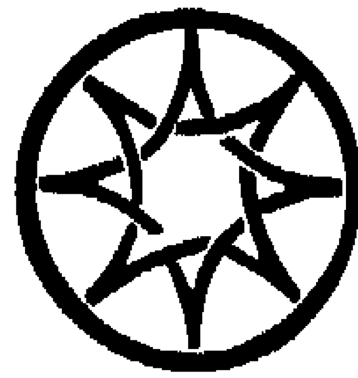
وسُئل -رحمه الله- عن حكم من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، ومن خالف حكماً ثابتاً بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فأجاب رحمه الله:

أولاً: إذا خالف مسلم حكماً ثابتاً بنصٍّ صريح من الكتاب والسُّنة لا يقبل التأويل، ولا مجال فيه للاجتهاد، أو إجماعاً قطعياً ثابتاً، بُيِّن له الصواب في الحكم، فإن قَبِلَ فالحمد لله، وإن أبى بعد البيان وإقامة الحجة وأصر على تغيير حكم الله حُكِم بكفره، وعومل معاملة المرتد عن دين الإسلام، مثال ذلك من أنكر الصلوات الخمس أو إحداها، أو فريضة الصيام أو الزكاة أو الحج إلى بيت الله الحرام، وتأوَّل ما دلَّ عليها من نصوص الكتاب والسنة ولم يعبأ بإجماع الأمة.

وإذا خالف حكماً ثابتاً بدليل مختلف في ثبوته، أو قابل للتأويل بمعان مختلفة وأحكام متقابلة فخلافه خلاف في مسألة اجتهادية فلا يُكفر، بل يعذر في ذلك من أخطأ، ويؤجر على اجتهاده أجراً واحداً، وعمله بهذا الاجتهاد مشروع، ويحمد من أصاب، ويؤجر أجرين، أجراً على اجتهاده وأجراً على إصابته، مثال ذلك: من أنكر وجوب قراءة الفاتحة على المأموم، ومن قال بوجوب قراءتها عليه، ومثاله أيضاً من قال بوجوب العمرة، ومن قال ليست واجبة، بل سُنّة، ومن قال بتوريث

الإخوة مع الجد، ومن خالفهم فقال: بحجبهم بالجد.. فمثل هذا لا يجوز تكفيره ولا إنكار الصلاة وراءه، ولا يحرم الأكل من ذبيحته، بل تجب مذاكرته والتفاهم معه في ذلك على ضوء الأدلة الشرعية، لأنه أخ مسلم له حقوق المسلمين، والخلاف في مثل هذه المسائل خلاف في مسائل فرعية اجتهادية، جرى مثلها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف، ولم يُكفّر بعضهم بعضاً، ولم يهجر بعضهم بعضاً من أجلها.

وفي الصفحات التالية فتوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في هذا الخصوص أحببت أن يطّلع القارئ عليها نظراً لأهمية الموضوع وخطورته وخفائه على بعض طلبة العلم.



فتوى رقم ١١٠٤٣ وتاريخ ١٤٠٨/٥/٢٠هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على السؤال المقدم من جمال بن ضاحي بن عبد رب الرسول بن شاويش إلى سماحة الرئيس العام، والمحال إليها برقم ٣٣٤٠ في ١٤٠٥/٧/٢٠ ونصه:

«عندنا تتفشى ظاهرة عبادة القبور وفي نفس الوقت وجود من يدافع عن هؤلاء ويقول: إنهم مسلمون معذورون بجهلهم فلا مانع من أن يتزوجوا من فتياتنا وأن نُصلِّي خلفهم وأن لهم كافة حقوق المسلم على المسلم، ولا يكتفون بذلك بل يُسمّون من يقول بكفر هؤلاء أنه صاحب بدعة يعامل معاملة المبتدعين بل ويَدَّعوا أن سماحتكم تعذرون عبَّاد القبور بجهلهم حيث أقررتم مذكرة لشخص يدعى الغباشي يعذر فيها عبَّاد القبور. لذلك أرجو من سماحتكم إرسال بحث شاف كافٍ تُبينُّ فيه الأمور التي فيها العذر بالجهل من الأمور التي لا عذر فيها، كذلك بيان المراجع التي يمكن الرجوع إليها في ذلك ولكم منَّا جزيل الشكر».

يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحاً وخفاء، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً.

فمن استغاث بأصحاب القبور دفعاً للضر أو كشفاً للكرب، بُيِّن له

أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة أداءً لواجب البلاغ، فإن أصر بعد البيان فهو مشرك يعامل في الدنيا معاملة الكافرين واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[2].

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم مات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب البيان وإقامة الحجة قبل المؤاخذة، ومن عاش في بلاد يسمع فيها الدعوة إلى الإسلام وغيره ثم لا يؤمن، ولا يطلب الحق من أهله، فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية وأصر على الكفر، ويشهد لذلك عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، كما يشهد له ما قصّه الله تعالى من نبأ قوم موسى إذ أضلهم السامري فعبدوا العجل وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمناجاة الله، فلما أنكر عليهم عبادة العجل قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، فاستجابوا لداعي الشرك، وأبوا أن يستجيبوا لداعي التوحيد فلم يعذرهم الله في استجابتهم لدعوة الشرك والتلبيس عليهم فيها لوجود الدعوة للتوحيد إلى جانبها مع قرب العهد بدعوة موسى إلى التوحيد.

ويشهد لذلك أيضاً ما قصّه الله من نبأ نقاش الشيطان لأهل النار

(١) سورة الإسراء: الآية (١٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٩).

وتخلّيه عنهم وبراءته منهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

فلم يُعذروا في تصديقهم وعد الشيطان مع مزيد تلبيسه وتزيينه الشرك واتباعهم لما سوّل لهم من الشرك لوقوعه إلى جانب وعد الله الحق بالثواب الجزيل لمن صدق وعده فاستجاب للشريعة واتبع صراطه السوي.

ومن نظر في البلاد التي انتشر فيها الإسلام وجد من يعيش فيها يتجاذبه فريقان، فريق يدعو إلى البدع على اختلاف أنواعها شركية وغير شركية ويُلبِّس على الناس ويزين لهم بدعته بما استطاع من أحاديث لا تصح وقصص عجيبة غريبة يوردها بأسلوب شيق جذاب، وفريق يدعو إلى الحق والهدى ويُقيم على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ويبين بطلان ما دعا إليه الفريق الآخر وما فيه من زيف فكان في بلاغ هذا الفريق وبيانه الكفاية في إقامة الحجة وإن قَلَّ عددهم فإن العبرة ببيان الحق بدليله لا بكثرة العدد، فمن كان عاقلاً وعاش في مثل هذه البلاد واستطاع أن يعرف الحق من أهله إذا جد في طلبه وسلم من الهوى والعصبية،ولم يغتر بغنى الأغنياء، ولا بسيادة الزعماء، ولا بوجاهة الوجهاء، وإلا اختل ميزان تفكيره، وألغى عقله، وكان من الذي قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا

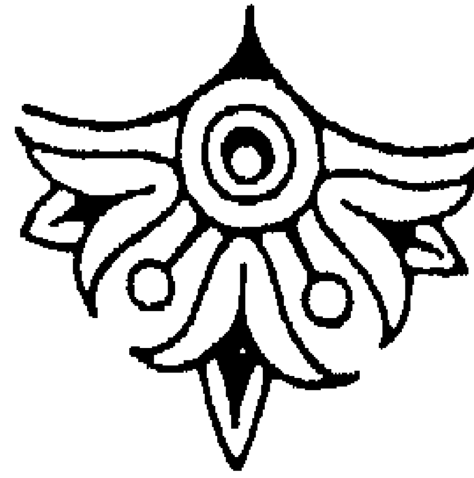
(١) سورة إبراهيم: الآية (٢٢).

يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[1].

أما من عاش في بلاد غير إسلامية ولم يسمع عن النبي ﷺ ولا عن القرآن والإسلام، فهذا على تقدير وجوده، حكمه حكم أهل الفترة يجب على علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً إقامة للحجة وإعذاراً إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنونه أو بلهه أو صغره وعدم تكليفه. وأما ما يخفى من أحكام الشريعة من جهة الدلالة أو لتقابل الأدلة وتجاذبها فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر ولكن يقال أصاب وأخطأ فيعذر فيه من أخطأ ويؤجر.

اللجنة الدائمة

نائب رئيس	اللجنة الرئيس
عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز



(١) سورة الأحزاب: الآيات (٦٤ - ٦٨).

حكم الموسيقى

سُئِل رحمه الله عن حكم الموسيقى بجميع أنواعها ومختلف أدواتها فأجاب:

الموسيقى من أنواع اللهو، وكل لهو باطل لما ثبت من قوله ﷺ: «كل شيء يلهو به ابن آدم باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة زوجته». فهي محرمة أيًّا كانت آلاتها، وكيفما كانت طرق استعمالها سواء كانت مصحوبة بغناء أم لا، والمصحوبة بغناء أشد تحريماً.

وسُئل رحمه الله عن حكم استخدام الطبل والدفوف فأجاب:

الطبل والدف: الطبل يكون ذا أوجه وذا وجهين ويسمى الكوبة فهو أيضاً من أنواع اللهو، وكل لهو باطل لما تقدم من الآية والحديث وكذا الدف إلا أنه رُخِّص في استعماله في إعلان النكاح للنساء خاصة دون الرجال.

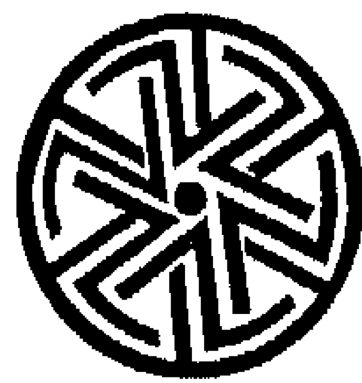
وقد صدر منا فتوى في ذلك هذا نصها: «إعلان النكاح سنة لقول النبي ﷺ (إعلنوا النكاح) رواه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم ومن وسائل إعلانه الضرب بالدف لكنه من النساء دون الرجال لثبوته منهن عملياً دون الرجال في الصدر الأول وقد وردت أحاديث في الضرب بالدف في النكاح منها ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها عن

النبي ﷺ أنه قال: «إعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال» أي الدف وفي سنده عيسى بن ميمون وهو ضعيف، وأخرجه ابن ماجه وفي إسناده خالد بن إياس وهو منكر الحديث وروى من طرق أخرى لا تخلو من مقال، فلا يصح الاستدلال بهما على جوازه للرجال.

وﷺ على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبد الرزاق عفيفي





حكم سماع الأغاني

وفيما يلي فتوى في حكم سماع الأغاني للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء هذا نصُّها:

سؤال وجواب في حكم سماع الأغاني

فتوى رقم ٣٧١٩ وتاريخ ١٤٠١/٦/١٠هـ

س: ما حكم سماع الأغاني؟

جـ: الأصل تحريم استماع الأغاني وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء هذا نصها: الاستماع للصوت يتضمن معنى الميل له والإصغاء إليه فاستماع الأغاني فيه معنى الميل لها والإصغاء إليها، أما السماع فقد يكون عن قصد وإصغاء فيسمَّى استماعاً أيضاً ويأخذ حكمه، وقد يكون من غير قصد ولا إصغاء للصوت فلا يُسمَّى استماعاً ولا يحكم له بحكمه،وعلى ذلك فالاستماع إلى ما ذكر السائل من الأغاني المشتملة على جميع أنواع الطرب محرَّم على كل من أصغى إليها، رجلاً كان أم امرأة، في بيته أو في غير بيته كالسيارات والمجالس العامة والخاصة، لما له في ذلك من الاختيار والميل إلى المشاركة فيما حرمته الشريعة.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

وما ذكره السائل من الغناء هو من لهو الحديث، فإنه فتنة للقلب يستهويه إلى الشر ويصرفه عن الخير ويضيع على الإنسان وقته دون جدوى فيدخل في عموم لهو الحديث ويدخل من غنّى ومن استمع إلى تلك الأغاني في عموم من اشترى لهو الحديث ليصرف نفسه أو غيره عن سبيل الله، وقد ذمّ الله ذلك وتوعد مَنْ فعله بالعذاب المهين، وكما دلّ القرآن بعمومه على تحريم الغناء والاستماع إليه دلّت السُّنة عليه من ذلك قوله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف ولينزلنّ أقوام إلى جنب عَلَم يَروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم -يعني الفقير- رجلٌ لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيُبيِّتهم الله ويضع العَلَمَ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» رواه البخاري[2] وغيره من أئمة الحديث. والمعازف: اللهو وآلاته ومن ذلك الغناء والاستماع إليه فذّم رسول الله ﷺ من يستحلون الزنا ولبس الرجال للحرير وشرب الخمور وآلات اللهو والاستماع لها وقرن المعازف بما قبلها من الكبائر، وتوعد في نهاية الحديث من فعل ذلك بالعذاب. فدل على تحريم العزف بآلات اللهو والاستماع إليها، أما السماع دون قصد ولا إصغاء كسماع من يمشي في الطريق غناء آلات اللهو في الدكاكين أو ما يمر به من السيارات ومن يأتيه وهو في بيته صوت الغناء من بيوت جيرانه دون أن يستهويه ذلك- فهذا مغلوب

---

(١) سورة لقمان: الآية (٦).

(٢) البخاري (الفتح ١٠/٥٥٩٠) في الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحلُّ الخمر ويُسميه بغير اسمه بصيغة التعليق، قال الحافظ في الفتح (١٠/٥٢): والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح.

على أمره لا إثم عليه، وعليه أن ينصح وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسعى في التخلص مما يمكنه التخلص منه وسعه، وفي حدود طاقته فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد جرى جماعة من العلماء على أن يستدلوا على مطلوبهم بالأدلة الصحيحة، ثم يتبعوا ذلك بأحادث فيها شيء من الضعف في سندها أو في وجه دلالتها على دعواهم وهذا لا يضرهم، في ثبوت أصل مطلوبهم فإنهم ذكروا ذلك على سبيل الاستئناس والاستشهاد، لا على سبيل الاحتجاج والاعتماد، من ذلك ما يذكره بعض العلماء من الأحاديث في مقام تحريم الغناء والاستماع إليه بعد إثباته بالأدلة الصحيحة، فلا يضر الطعن فيها فيما ذُكِر تبعاً في ثبوت التحريم بما استدلوا به أولاً وأصالة من الأدلة الصحيحة، فمن ذلك ما رواه الحكيم الترمذي عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع إلى الروحانيين في الجنة»، والثاني ما رواه ابن عساكر عن أنس أن النبي ﷺ قال: «من استمع إلى قينة صُبّ في أذنيه الآنك[1] يوم القيامة» وما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن ابن مسعود عن قول النبي ﷺ: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»، وما رواه البيهقي عن جابر من قول رسول الله ﷺ: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع». وما رواه أبو داود عن سلام بن مسكين عن شيخ شهد أبا وائل في وليمة فجعلوا يلعبون ويتغنون فحلَّ أبو وائل حبوته وقال سمعت عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغناء ينبت النفاق في القلب».

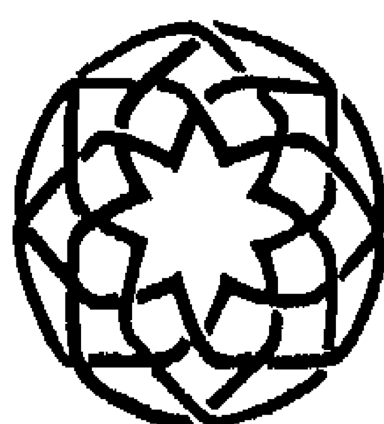
(١) الآنك: الرصاص المذاب.

فهذه الأحاديث ضعيفة لكن لا يُؤثِّر ضعفها في تحريم الغناء والاستماع إليه لثبوت التحريم بأدلة أخرى صحيحة من الكتاب والسُّنة، أما العرضات الشعبية ففيها تفصيل لاختلاف أنواعها والمقتضى لها ويمكن أخذ حكمها مما ذكر في الفتوى.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**



حكم التمثيل

سئل رحمه الله عن حكم التمثيل فأجاب:

أ- إذا كانت أهداف كلٍّ من التمثيل للمواقف التاريخية، وللمواقف المعاصرة الواقعة- نبيلة باعثة على الخير، ولم يكن فيها كذب ولا افتراء، ولا انتقاص لشخصيات إسلامية أو مجتمع إسلامي، ولم يكن مما يتوقع من ورائه حدوث فتنة أو إثارة شر فهو جائز، وإلا فلا.

ب- أما التمثيل الفكاهي غير جائز، لأن المقصود منه مجرد التسلية والترويح عن النفس، مع غلبة اللهو عليه، وعدم المبالاة، وكثرة المزاح الكاذب، والكلمات المبتذلة، والأساليب الساخرة المرذولة وأمثال ذلك مما يتفق مع ذوي الأهواء، ويضحك النفوس المريضة، ويسري عنها الهموم، لكنه من غير شك يثير الفتن ويبعث الشر من مكمنه، ويسيء إلى المجتمع، ويذهب بمكارم الأخلاق، وعملٌ هذا شأنه، وهذه عواقبه ونتائجه يأباه الشرع وتنفر منه الفِطَرُ السليمة.

حكم تربية الحمام والأرانب
بمكة المكرمة وذبحها فيها

سئل -رحمه الله- عن حكم تربية الحمام والأرانب بمكة المكرمة، وذبحها فيها، هل يجوز أم لا؟

الأصل في الطيور وسائر الحيوانات أنها مباح ذبحها وأكلها، إلا ما نص الشرع على تحريمه من كل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[2] ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ..﴾[4].

(١) سورة البقرة: الآية (٢٩).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٤٥).
(٣) سورة المائدة: الآية (٣).
(٤) سورة المائدة: الآيتان (٩٤ ـ ٩٥).

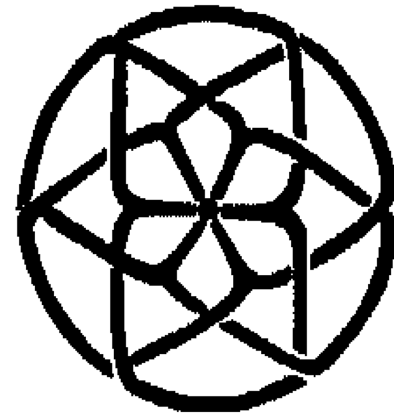
الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[1]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير» رواه مسلم، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام». وقال ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ولم يرد نص في الشريعة بتحريم شيء إلا ما كان منها غير مستأنس وصاده محرم بحج أو عمرة أو صيد بالحرم فهو محرم لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[2]. وقوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

وقول رسول الله ﷺ: «إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أُحلَّت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خلالها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُنفر صيدها..» الحديث رواه البخاري. وقوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عِضاهُها[3] ولا يُصادُ صيدها» رواه مسلم. وعلى هذا فكل ما صاده غير المحرم في الحل ودخل به الحرم أو أخذه منه مُحرم بشراء أو هبة أو إرث فحلال للمحرم ولمن بالحرم ملكه وذبحه وأكله، ومن أحرم وبيده صيدا أو في منزله أو في قفص عنده، وقد ملكه قبل ذلك فحلال له كما كان من قبل، فله ذبحه وأكله وبيعه، وإنما يحرم على المحرم وعلى من في الحرم ابتداءً تصيّد الصيد فقط، فإن فعل فلا يملكه، وإن ذبحه فهو ميتة.

(1) سورة المائدة: الآية (٩٦).
(2) سورة المائدة: الآية (٩٥).
(3) العضاه كل شجر يعظم وله شوك.

قال هشام بن عروة: كان أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بمكة تسع سنين يراها في الأقفاس، وأصحاب رسول الله ﷺ يقدمون بها القماري واليعاقيب لا ينهون عن ذلك، وروى ابن حزم عن مجاهد لا بأس أن يدخل الصيد في الحرم حياً ثم يذبحه، وروي أيضاً أن صالح بن كيسان قال: رأيت الصيد يباع بمكة حياً في إمارة ابن الزبير[1].



(١) انظر المصورات الخطية الفصل الثامن (رسائل ووثائق).

نمـــاذج مـــن بحـــوثـــه

الجنة والنَّار[1]

مبحث في أنَّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما باقيتان لاتفنيان.

هذا المبحث يتضمن أمرين:

الأول: خلْق الجنة والنار ووجودهما في الدنيا.

والثاني: بقاؤهما أبد الآبدين.

وفي كل منهما خلاف بين العلماء، وفيما يلي بيان مذهب أهل السنة ومخالفيهم في الأمرين مع الدليل.

١- **الأمر الأول**: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار موجودتان في الدنيا. ولم يعرف لهم مخالف في صدر الإسلام، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

---

(١) هذا المبحث من المباحث التي كتبها الشيخ عبد الرزاق ـ رحمه الله ـ بيده وهو تلخيص جيد لمبحث من مباحث العقيدة الطحاوية مع شرحها.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(1). فدل التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين بالفعل الماضي على أنها موجودة بالفعل في الدنيا، وقوله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(2).

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(3) وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾(4).

فدل التعبير بالماضي على أن النار وُجدت فعلاً.

وأما السُّنة فالأحاديث الدالة على وجودهما الآن كثيرة، منها مارواه البخارى ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(5).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها

(1) سورة الحديد: الآية (21).
(2) سورة البقرة: الآية (24).
(3) سورة آل عمران: الآية (131).
(4) سورة النبأ: الآية (21).
(5) حديث متفق على صحته رواه البخاري في الجنائز (الفتح 3/1379) ومسلم (2199).

أحد إلاّ دخلها، فأمر بالجنة فحُفَّت بالمكاره، فقال: إرجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها: فنظر إليها فإذا هي نفحة يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحُفَّت بالشهوات، ثم قال: إذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1].

فهذان الحديثان صريحان في إعداد كلٍّ من الجنة والنار لأهلها.

وروى مالك في الموطأ وأصحاب السنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمنين طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»[2].

وجاء في حديث خسوف الشمس أن النبي ﷺ رأى الجنة والنار وهو يخطب أصحابه وأنه حدثهم عنها[3].

وأما الإجماع فإن صدر هذه الأمة لم يزالوا على القول بوجودهما في الدنيا حتى نبتت نابتة من القدرية والمعتزلة فأنكرت ذلك. وهم محجوجون بالنصوص وبإجماع الأمة قبل وجودهم.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٧٤٤) والنسائي (٣/٧) والترمذي (٢٥٦٠) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ولم أجد هذا الحديث في صحيح مسلم كما ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ.

(٢) رواه مالك في الموطأ، والنسائي في الجنائز (٢٤٤٥) وابن ماجه في الزهد (٤٢٧١) وصححه الألباني. وانظر صحيح سنن أبي داود (٢/١٩٦٠).

(٣) حديث متفق عليه، رواه البخاري في الكسوف (الفتح ٢/١٠٥٢) ومسلم (٦٢٦).

شبهة من أنكر وجود الجنة والنار الآن.

* قالوا أولاً: خلق الجنة والنار قبل يوم الجزاء عبث - لأن كُلاً منهما تبقى معطلة مدة طويلة دون أن يجزى بها أحد، والعبث محال على الله.

* وأجيب أولاً: بأنه معارضة للنصوص الصحيحة الصريحة بالفعل في أمر غيبي لا يعرف إلا من قِبَل النقل.

وثانياً: بأن وجودهما في الدنيا فيه فائدة، لأن المؤمنين ينعمون في قبورهم وأرواحهم نسمات تعلق في شجر الجنة، والكفار يعذبون في قبورهم بالعرض على النار ورؤية كل منهم لمقعده فيها إلى أن يبعثه الله كما تقدم بيانه، فوجودهما ليس بعبث.

* واستدلوا ثانياً: بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1] وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2].

قالوا فلو كانتا موجودتين الآن لهلكتا وذاق كل من فيهما الموت عند النفخة الأولى في الصور من أجل إنهاء الدنيا وتخريبها.

* وأجيب: بأن كلا من الجنة والنار مستثنى مما يصيبه الهلاك والفناء عند النفخة الأولى لأنهما خلقتا للبقاء، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] داخلتان في عموم ﴿مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ بقاءه جمعاً بين الأدلة.

وأيضاً المعنى كل شيء كتب عليه الهلاك أو ذوق الموت هالك،

---

(١) سورة القصص: الآية (٨٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٨).

والجنة والنار ليستا مما كتب عليه الهلاك، لأنهما خلقتا للجزاء، وأيضاً معنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ كل عمل حابط إلاّ ما أريد به وجه الله، بدليل قوله في صدر الآية: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

* واستدلوا ثالثاً: بما ذكره الله عن امرأة فرعون من قولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[1]. وبقول رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم بأن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر**»[2].

وقوله ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» رواهما الترمذي في سننه[3].

قالوا: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لما طلبت امرأة فرعون من ربها أن يبني لها بيتاً فيها، وقال ﷺ: «**إنها قيعان، وأنها لا تزال يغرس فيها كلما كان التسبيح والحمد والتهليل والتكبير من العابدين**».

* وأجيب: بأن ما ذكرتم دليل على وجود الجنة الآن لا على عدمها إلاّ أنها لا تزال يخلق الله فيها أنواعاً من النعيم ما ذكره الذاكرون، بل يجدد الله فيها يوم القيامة أنواعاً من النعيم فالإنشاء فيها مستمر اليوم ويوم القيامة والنعيم فيها متجدد أبد الآبدين.

---

(١) سورة التحريم: الآية (١١).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٦٢) وقال: حديث حسن. وحسّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٦٢)، (٣٤٦٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٦٤).

٢-الأمر الثاني: اتفق أهل السنة على أن الجنة لا تفنى، وذهب الجمهور منهم إلى أن النار أيضاً لا تفنى وقالت: طائفة قليلة منهم بفناء النار.

والدليل على بقاء الجنة قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[5].

واختلف السلف فى الاستثناء من خلود المؤمنين فى الجنة ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

* فقيل: إنه استثناء للمدة التى يمكثها عصاة المؤمنين في النار قبل دخولهم الجنة من مدة خلودهم في الجنة، فالمعنى: يخلد المؤمنون في الجنة ما دامت السماوات والأرض إلا مدة شاء ربك أن يقضيها عصاة المؤمنين في النار قبل دخولهم الجنة:

* وقيل: إنه استثناء الرب ولا يفعله، كقولك: والله لا أكرمن إلاّ أن أرى غير ذلك وأنت لا ترى إلاّ إكرامه.

---

(١) سورة الرعد: الآية (٣٥).
(٢) سورة الدخان: الآية (٥٦).
(٣) سورة الحجر: الآية (٤٨).
(٤) سورة ص: الآية (٥٤).
(٥) سورة هود: الآية (١٠٨).

* وقريب منه ما قيل: من أن الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم باستقرارهم في الجنة وتمكنهم فيها خرجوا من مشيئة الله.

ولاينافي ذلك عزمه وجزمه لهم بالخلود، ونظيره:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾[1]. وهو سبحانه بقاء ما أوحى به إلى رسوله، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2] وهو سبحانه لا يشأ الختم على قلب رسوله، بل أراد له استمرار الهداية والإمداد بالنور وصفاء البصيرة.

وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾[3].

وقد شاء سبحانه إعلامهم به، وتلاوة رسوله القرآن عليهم، إلى غير هذا من النظائر التي يقصد بذكر المشيئة فيها اثبات كمال الاختبار، وأن الأمور لم تخرج من دائرة تقديره سبحانه وتصريفه، واختار ابن جرير أن «إلا» بمعنى «لكن» وعليه يكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى خالدين فيها سوى ما شاء ربك من زيادة النعيم، أولكن هنا من زيادة النعيم والإكرام على الخلود ما لا يقدر قدره إلاّ الله. فليس المراد: قطع أمد الخلود ولكن المراد زيادة نعيم إلى جانب خلودهم في الجنة بدليل: ما ختمت به الآية من قوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

والدليل من السنة على أبدية الجنة قوله ﷺ: **«من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت»** رواه مسلم.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (٢٤).

(٣) سورة يونس: الآية (١٦).

وقوله: «ينادي منادياً أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً» رواه مسلم.

وقوله :« يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» رواه مسلم.

* أما أبدية النار: ففيها آراء كثيرة، للسلف منها رأيان:

الرأي الأول: رأي جمهور السلف، قالوا إن النار باقية لا تفنى، ومن دخل بقي مخلدا فيها أبداً إلاّ من دخلها من عصاة المؤمنين فأنهم يخرجون منها على ما تقدم بيانه في مبحث الشفاعة.

واستدلوا على بقائها ومن بها من الكافرين بقوله تعالى :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. وقوله :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. وقوله:﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[4].

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[5].

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٧).
(٢) سورة المائدة: الآية (٣٦).
(٣) سورة الزخرف: الآية (٧٥).
(٤) سورة فاطر: الآية (٣٦).
(٥) سورة النبأ: الآية (٣٠).

وقوله: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

* الرأي الثاني: أن النار تفنى بعد أن يستوفي الكفار نصيبهم من العذاب فيها ونسب القول بهذا إلى: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة من الصحابة رضي الله عنهم- وبه قال ابن تيمية وابن القيم وجماعة.

واستدل لهذا الرأي بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4].

قالوا: استثني من الخلود في الآيتين بقوله في الآية الأولى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وبقوله في الآية الثانية: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ولم يأت بعد الاستثناءين ما يدل على عدم الانقطاع وانتهاء العذاب كما جاء عقب الاستثناء من الخلود فى نعيم الجنة، فإن الآية ختمت بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وهو دال على دوام النعيم واستمراره، فكان قرينة على أن

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٩٧).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٢٨).

(٤) سورة هود: الآيتان (١٠٦ _ ١٠٧).

الاستثناء الذي قبله لا يراد به الإخراج، إنما يراد به إثبات كمال الاختيار.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ فجعل اللبث فى النار مدة محدودة فدل على انتهاء العذاب، واستدلوا أيضاً بأن النار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي»، وفي رواية: «تغلب غضبي»[1].

قالوا: فلو بقي الكفار في النار، ولم تفن النار لكان غضبه قد سبق رحمته وفي هذا خلف لخبر الصادق ﷺ عن ربه، وخلف خبره مستحيل.

قالوا وما ورد من النصوص الدالة على خلود الكفار فيها أبداً وعدم خروجهم منها فلا نزاع فيه، لكنه يقتضي البقاء في العذاب ما دامت النار باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد، وهناك فرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس قائم، وبين من ينهدم حبسه وينقض بناؤه، فيبطل حبسه وينتهي سجنه بانتقاض البناء، وقد يناقش هذا بأنه وإن صلح جواباً عند أدلة الخلود فلا يصح جواباً عن النصوص الصريحة في أن عذابها مقيم، وأنه كان غراما، وأن النار كلما خبت زادها الله سعيراً، وأنهم لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف بل يزيدهم الله عذاباً، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

اللهم إلاّ أن يقال: إن الاستثناء بالمشيئة فى الآيتين السابقتين مسلط على جميع النصوص التى دلت على دوام العذاب واستمراره، وعلى كل حال فالموضوع من شؤون الله، فليترك إلى الله سبحانه. والله أعلم.

---

(١) حديث متفق عليه، البخاري (الفتح ٧٤٥٣/١٣) ومسلم (٢٧٥١).

وجوب الإيمان بالبعث[1]

وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان

أ- البعث: هو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة، ويُسمَّى يوم المعاد لإعادة الأرواح إلى الأبدان فتعود بهذا الحياة إلى الأبدان، ويُسمَّى أيضاً يوم النشور، لانتشار المخلوقات إلى الموقف، ويسمىّ يوم الدين، لأن الناس يدانون فيه بأعمالهم، أي يجزون عليها، وقد دلّ الكتاب والسُّنة والإجماع على وجوب الإيمان ببعث الأبدان بعد نفخ الأرواح فيها، كما جاءت شرائع الأنبياء السابقين بالإخبار عنه ووجوب الإيمان به.

قال الله تعالى مخاطباً آدم وزوجته وإبليس: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[2].

وقال تعالى في بيان دعوة نوح قومه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر:

(١) هذا البحث كسابقه من البحوث التي كتبها الشيخ بيده في حياته وقد زودني به الأستاذ محمود عبد الرزاق عفيفي ـ جزاه الله خيراً ـ وهو تلخيص جيد ومفيد لبعض مباحث العقيدة الطحاوية مع شرحها.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٢٤ ـ ٢٥).

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[1].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[2] ويوم الدين هو يوم الحساب والجزاء، وقال تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾[3].

وأخبر تعالى عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾[4] اعترفوا بأن الرسل تلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم اليوم الآخر، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[5]، وأمر سبحانه نبيّه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يقسم به على البعث والجزاء. فقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾[6] فقد ذم تعالى من يشك في يوم القيامة أو يُكذّب به أو يماري فيه.

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾[7].

---

(١) سورة نوح: الآيتان (١٧ ـ ١٨).
(٢) سورة الشعراء: الآية (٨٢).
(٣) سورة طه: الآيتان (١٥ ـ ١٦).
(٤) سورة الزمر: الآية (٧١).
(٥) سورة الزمر: الآية (٧١).
(٦) سورة التغابن: الآية (٧).
(٧) سورة النمل: الآية (٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[2].

وقال في بيان جزاء الكافرين به وبيان شبهتهم في إنكارهم يوم القيامة: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[3] وردَّ عليهم هذه الشبهة بدليل كوني نقلي بيّن فيه أن من قدر على خلق ما هو أعظم منهم كالسماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وأن يعيدهم بعد موتهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[4] وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5] وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[6].

واستدل على قدرته على الإعادة بقدرته على بدء الخلق.

فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[7].

---

(١) سورة يونس: الآية (٤٥).
(٢) سورة الشورى: الآية (١٨).
(٣) سورة الإسراء: الآيتان (٩٧ - ٩٨).
(٤) سورة الإسراء: الآية (٩٩).
(٥) سورة غافر: الآية (٥٧).
(٦) سورة يس: الآية (٨١).
(٧) سورة الروم: الآية (٢٧).

وقال في بيان غفلة المكذبين عن النشأة الأولى أو تغافلهم عنها، وأنهم لو تذكروها وتبصروا فيها، ما وسعهم إلا أن يؤمنوا بيوم القيامة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى في بيان أن قيام الساعة ومجازاة العباد مقتضى حكمته، وكمال عدله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[2] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[3] أي لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[4].

بالجملة فكمال علمه، يوجب ألا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض. وكمال حكمته يقتضي ألا يترك الناس سدى بلا أمر ولا نهي ولا شرع ولا ثواب ولا عقاب، ومعلوم أن ما حصل في الدنيا لا يكفي للجزاء فلا بد من يوم يتحقق فيه كمال عدل الله وحكمته في الفصل بين عباده، وهو اليوم الذى أعده الله لفصل القضاء بين العباد، وكمال قدرة الله يقتضي ألا يعجز الله شيء، فهو قادر على أن يعيد العظام والرفات والذرات بشراً سوياً ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5] إلى غير ما تقدم من

(١) سورة يس: الآيتان (٧٨ ـ ٧٩).
(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (١١٥ ـ ١١٦).
(٣) سورة القيامة: الآية (٣٦).
(٤) سورة ص: الآيتان (٢٧ ـ ٢٨).
(٥) سورة يس: الآية (٨٢).

نصوص القرآن الصريحة في البعث والأرواح والأبدان.

أما السنة فمنها حديث: «كل ابن آدم يبلى إلاّ عَجْب الذنب، منه خُلِق، ومنه يُركَّب»[1] وستأتي نصوصٌ أخرى في تفاصيل ما يجري على العباد يوم القيامة وهي متضمنة لقيام الساعة.

ب- وأما جزاء الأعمال فقد دلّ على ثبوته قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[2] أي يوم الجزاء على الخير والشر، وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[3].

ودل على ثبوته الحديث القدسي الذي رواه أحمد ومسلم من طريق أبي ذر الغفاري، وفيه: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفِّيكم إيَّاها، فمَنْ وجد خيراً فليحمد الله، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

جـ- وأما العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب فالمراد بذلك عرض العباد على الله وعرض كتب أعمالهم عليهم حين تتطاير صحف أعمالهم فمن آخذ كتابه بيمينه ومن آخذ كتابه بشماله يقرأ كلٌّ ما في كتابه، ويحاسب على عمله، ويثاب المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته، قال الله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ

---

(١) رواه البخاري (الفتح ٤٨١٤/٨) ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ له، والعَجْب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة: عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع قاله الحافظ في الفتح (٥٥٢/٨).

(٢) سورة الفاتحة: الآية (٣).

(٣) سورة النمل: الآيتان (٨٩ ـ ٩٠).

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.... الآيات إلى آخر سورة الحاقة[2].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلت يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4] فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلاّ عذب».

---

(١) سورة الكهف: الآيتان (٤٨ ـ ٤٩).
(٢) سورة الحاقة: الآيات (١٨ ـ ٣١).
(٣) سورة غافر: الآيات (١٥ ـ ١٧).
(٤) سورة الانشقاق: الآيتان (٧ ـ ٨).

فهمت عائشة رضي الله عنها من قوله ﷺ أولاً عموم الهلاك لكل من حوسب، فكان الحديث معارضاً حسب فهمها ليسر الحساب في الآية وانقلاب من أخذ كتابه بيمينه إلى أهله مسروراً، فاستفسرت عن ذلك رسول الله ﷺ، فبين لها أن الحساب الذي ذُكر في الآية مجرد عرض أعمال المؤمن عليه وأن الحساب الذي ذُكِر في الحديث أريد به المناقشة في الحساب، فلا تعارض بين الآية والحديث.

د- وأما الصراط فمعناه في اللغة: الطريق.

ومعناه المقصود منه هنا الجسر الممتد على متن جهنم الذي يمر عليه العباد إذا انتهوا من الموقف إلى منازلهم في الجنة أو النار.

وهناك ظلمة دون الصراط يكون فيها الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، روى مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال: «هم في الظلمة دون الجسر».

وفي هذه الظلمة يكون للمؤمنين نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، فيقول المنافقون لمن صدقوا في إيمانهم: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فإذا ما رجعوا حيل بينهم وبين المخلصين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

والدليل من القرآن الكريم على الصراط قوله تعالى :﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[2].

فإن المراد بالورود في الآية المرور على جهنم فوق الصراط، المضروب على متنها ثم من الناس من يسقط، ومنهم من ينجوا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[3].

فلا يلزم من المرور على الصراط فوقها دخول كل مَنْ مرّ في النار وتعذيبه بها ولا يلزم أيضاً من التعبير بالإنجاء دخول من أنجاهم الله فيها، فإنه يكفي في صحة التعبير بالإنجاء انعقاد أسباب الهلاك مع تخليص أهل الخير منه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾[5]. وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾[6].

فأخبر الله سبحانه بإنجائهم ولم يكن أصابهم ولا أصاب من آمن بهم شيء من العذاب الذي أهلك الله به من كذبهم وكَفَر بهم، فكان توفر أسباب العذاب إجمالاً كافياً لتصحيح التعبير بالإنجاء من الهلاك.

---

(١) سورة الحديد: الآيات (١٢ ـ ١٥).
(٢) سورة مريم: الآية (٧١).
(٣) سورة مريم: الآية (٧٢).
(٤) سورة هود: الآية (٦٦).
(٥) سورة هود: الآية (٩٤).
(٦) سورة هود: الآية (٥٨).

وقال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة... إلى أن قال فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم مَنْ يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر مَنْ يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحَضٌ، مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم. فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرَّحل يَرمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد وتعلق يد، وتجر رِجْل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يُعط أحد». الحديث. رواه البيهقي من طريق عبد الله بن مسعود(١).

هـ- وأما الميزان فقد أخبر الله تعالى عنه وعن وزن الأعمال به لِحِكَم كثيرة منها: ظهور عدله تعالى لجميع عباده قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(٢).

---

(١) حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٧٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في المعجم الكبير من طريق أبي خالد الدالاني عن ابن مسعود مرفوعاً، وقد تابعه زيد ابن أبي أنيسة مرفوعاً أيضاً بتمامه عن الطبراني، قال الشيخ ناصر الألباني: وزيد ثقة فصح بذلك الحديث. وانظر العقيدة الطحاوية (ص٤٧٠) ـ طبع المكتب الإسلامي.

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

وقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[1].

وأخبر النبي ﷺ بوزن الأعمال، روى مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان».

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وجاء في حديث البطاقة المشهور، أن البطاقة التي فيها «أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله» توضع في إحدى كِفَّتي الميزان. وأن سجلات السيئات توضع في الكِّفةِ الأخرى فترجح كفة البطاقة وتطيش كِفَّة سجلات السيئات[2]. ولهذه الأدلة ذكر أهل السنة أن الميزان له كِفَّتان، وأنه توزن فيه الأعمال وصحف الأعمال وأرباب الأعمال، والله أعلم.

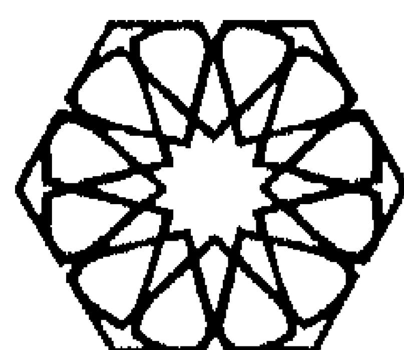
وعلى كل حال يجب الإيمان بالوزن والميزان وأن العبرة بالأعمال لا بالشخص نفسه، ولا بالصحف نفسها، وإنما المعتبر في الوزن هو الأعمال في الرجحان والخفة، وشؤون الآخرة من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها إثباتاً ونفياً، فعلينا أن نؤمن بما صح من النقل في ذلك كتاباً وسنة.

---

(١) سورة القارعة: الآيات (٤ ـ ٩).

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد (٢/٢١٣، ٢٢١) والترمذي (٢٦٣٩) وحسّنه وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (١/٦) وصححه وأقره الذهبي.

ولا نعارضه بعقولنا، لقصورها عن إدراكه، ورحم الله امرأ عرف قدره، ولم يتجاوز حده، ومن أنكر ذلك أو تأول ما ورد فيه من النصوص فقد رام ما ليس إليه، ولا في دائرة تفكيره. والله الهادي إلى سواء السبيل.



الفصل الثالث

أعماله ومناصبه

المبحث الأول: أعماله ووظائفه في مصر.

المبحث الثاني: أعماله ووظائفه في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: علاقاته الطيبة والمتميزة بالعلماء والوجهاء ورجال العلم والسياسة.

الفصل الثالث

أعماله ومناصبـه

المبحث الأول

أعماله ووظائفه في مصر

لقد تسلّم الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مصر وظائف عديدة، وشغل مناصب علمية ودعوية مهمة، وأهم هذه الوظائف وأجلّها: وظيفة الدعوة إلى الله عز وجل، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم، لكونهم يدعون إلى الله ويرشدون إليه، فهم أقوم الناس سبيلاً، وأهداهم طريقاً، وهم الحملة العدول، والأئمة الفحول، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، فهم -على بُعْد الشقة بينهم وبين الضائقين بدعوتهم- يظلون ثابتين على دعواتهم، يشرحون أصولها، ويُبيِّنون حدودها، ويوضِّحون معالمها. إنهم أوفر أحلاماً، وأقوى أركاناً من أن يستخفهم طيش أو ينال منهم مستهزئ.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من هذا الطراز الموفّق من

(١) سورة فصلت: الآية (٣٣).

الدعاة، كان داعية صدق، يدعو إلى الله على بصيرة، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة شرع الله لعباده -بما أنزل من كتابه، وما كان من بيان رسوله- ما فيه استنارةُ عقولهم، وزكاءُ نفوسهم، واستقامة أعمالهم، وسمّاه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة، ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة، وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى.

وأضافة إلى نفسه ليعلموا أنّه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه[2].

لقد ظل الشيخ عبد الرزاق يؤدّي دوراً مُهمّاً وفاعلاً في الحياة العلمية والاجتماعية على نحو مُشرِّف وغاية سامية ونبيلة.

لقد سار في درب الشريعة يافعاً ... يطير به عزم له وإباء
وأنفق في بسط الشريعة عمره ... يسير به خوف له ورجاء

كان عالماً سُنيّاً، وداعية سلفياً، ومجاهداً ربانياً، قضى حياته في ميادين العلم والدعوة والتربية، حارب البدع وهو يحمل لواء التوحيد، يحافظ عليه بكل ما أوتي من قوة، وما حباه الله من عزيمة، لا يصده عن دعوته صاد، ولا تلين له -في محاربة المبتدعين- قناة.

لقد تقلد الشيخ وظائف عديدة وظّفها لخدمة دينه،وتصحيح عقائد المسلمين، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

---

(١) سورة سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) انظر: الدر الغالية في آداب الدعوة والداعية للشيخ عبد الحميد بن باديس (ص٢٥).

ومن الوظائف التي تقلدها:

أ- رئاسته لأنصار السنة المحمدية في مصر خلفاً للشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- مؤسس الجماعة[1].

ب- اشتغاله بالتدريس في المعاهد الدينية الأزهرية، ومنها معهد شبين الكوم سنة ١٣٥٥هـ، ثم معهد الزقازق الديني.

جـ- تقلده لمنصب وكالة المعهد الديني بالاسكندرية، وقيامه بأعباء هذا المنصب خير قيام.

د- إمامته للمسلمين في الاسكندرية وضواحيها، وقيامه بإلقاء الخطب والمحاضرات في المساجد والمحافل العلمية، وقد هدى الله على يديه آلافاً من الشباب والشيبة والرجال والنساء.

هـ- نشره وتحقيقه للكتب النافعة التي تُعنى بأمر العقيدة الإسلامية، ومن ذلك نشره لكتاب «العلو» للذهبي، إلى غير ذلك من الجهود المشكورة، والأعمال المبرورة التي قام بها «المترجم له» رحمه الله.

---

(١) وقد توفي فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٨هـ، ومما تجدر الإشارة إليه، أن الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - كان رئيساً لفرع أنصار السنة بالإسكندرية ثم أصبح نائباً للرئيس العام لأنصار السنة في مصر سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦/٢/٢م. ثم رئيساً عاماً لجماعة أنصار السنة في مصر.

المبحث الثاني

أعماله ووظائفه في المملكة العربية السعودية

في الأيام الأولى من دخول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود -طيَّب الله ثراه- مكة المكرمة، رأى بثاقب نظره، وصواب تفكيره أن يُعقد أول اجتماع تعليمي في تاريخ المملكة، ليكون البداية الحقيقية واللبنة الأولى للنهضة التعليمية الشاملة التي أرسى أُسسها ووطَّد دعائمها بكل ما يملك من قوة، وما أُتيح له من عطاء، ولذا فقد دعا هذا الملك الموفق، والمؤسس الباني، العلماء ورجال التربية والتعليم، إلى اجتماع في مكة المكرمة، وكان ذلك في جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ، وفي هذا الاجتماع، حثَّ العلماء على نشر العلم وتيسير سُبله، ثم أصدر أمره السامي بإنشاء مديرية المعارف العامة في ١٩/١/١٣٤٤هـ للإشراف على جميع المدارس والمعاهد العلمية في البلاد[1]، ويُعد إنشاء هذه المديرية اللبنة الأولى لنظام التعليم الحديث في المملكة، وبعد أن تعددت وتنوعت مهام مديرية المعارف العامة، صدر الأمر الكريم بتحويل هذه المديرية إلى وزارة سُميت (بوزارة المعارف) لتشرف على مختلف شؤون التربية والتعليم والثقافة في البلاد، وقد تم ذلك في اليوم الثامن

---

(١) ومن هذه المعاهد العلمية التي أرسى أُسسها الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، تأسس عام (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) وكان يعرف عند تأسيسه بالمعهد الإسلامي، وكان يهدف إلى إعداد المعلمين للتدريس في المدارس الابتدائية.

عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، حيث صدر الأمر الملكي رقم ٥٣٢٦-٤٩٥٠ وتاريخ ١٣٧٣/٣/١٨هـ، القاضي بتأسيس وزارة المعارف وتعيين صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز (الملك فهد بن عبد العزيز حالياً) أوّل وزير للمعارف بالمملكة[1].

لم يكن الملك عبد العزيز -يرحمه الله- موحِّداً لبناء دولة فحسب، بل كان صاحب دعوة إصلاحية، وعقيدة راسخة مُستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،كما كان -يرحمه الله- ذا بصيرة نافذة، وخلق رفيع ومنهج متميِّز يهدف إلى القضاء على الفساد والجهل بكل صُوره وأشكاله. ومن أجل تحقيق هذه الغايات السامية، والمقاصد النبيلة، أصدر الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أوامره إلى المديرية العامة للمعارف آنذاك لإرسال ممثلين عنها إلى مصر لاختيار نخبة من العلماء ممن يتسمون بالصلاح وصحة المعتقد والمتانة العلمية والمعرفية[2]، وذلك للمشاركة في التدريس ووضع

---

(١) انظر: تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية (١/١٥٥ ـ ١٦٢).

(٢) سبق للملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أن استقدم عدداً من العلماء المصريين ممن عُرفوا بصحة المعتقد وغزارة العلم، والتمسك بالسنة، لإمامة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العلامة محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه (أبو السمح) (١٣٠٠ ـ ١٣٧٠هـ) وقد قدم إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٧هـ، فأكرم الملك عبد العزيز وفادته وعيَّنه إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وفي مكة أسس فضيلة الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح مدرسة دار الحديث سنة ١٣٥٢هـ لتكون منارة للعلم ولتقوم بنشر العقيدة السلفية، والعناية بكتب السنة وتدريسها، وقد ظل فضيلته إماماً للحرم قرابة أربعين عاماً ـ رحمه الله ـ ومن العلماء الذين قَدِموا إلى أرض الحرمين الشريفين بناءً على طلب الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ورغبته، العالم المحقق والسلفي النبيل فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة (١٣٠٩ ـ ١٣٩٢هـ)، التحق بالأزهر وتخرج منه، ثم التحق بدار الدعوة والإرشاد بمصر، وقد ذاع صيت فضيلته باشتغاله بنشر الدعوة السلفية، فدعاه الملك عبد العزيز ليشغل وظيفتي الإمامة والتدريس في المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة.

المناهج والمقررات الدراسية لعدد من المعاهد والكليات في المملكة.

واستجابة لهذه الأوامر الكريمة، توجهت بعثة تابعة لمديرية المعارف سنة ١٣٦٨هـ برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع -رحمه الله- للتعاقد مع عدد من العلماء ورجال العلم والتربية، فكان صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي في طليعة مَن رُشِّحوا للمشاركة في النهضة العلمية السعودية التي وضع لبناتها الأولى الملك عبد العزيز -طيب الله ثراه.

قدم -رحمه الله- إلى المملكة العربية السعودية على علمه وسجيّته، لم يجتذ طمع في مال أو جاه أو منصب، وعلم الله صدق نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي، مع أنه لم يطلبها، فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق، تتلمذ عليه أبناء ما بين السبعين إلى الثلاثين، ولا يزالون مربين للأجيال أهل منابر وحلقات تدريس وتأليف(١).

قلت: وممن قدم مع الشيخ العلاَّمة في تلك السنة (١٣٦٨هـ) أصحاب الفضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ محمد بن حسين الذهبي، والشيخ عبد المنعم النمر، والشيخ يوسف الضبع، وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر.

وأول عمل بدأ به الشيخ عبدالرزاق حياته وجهاده في ميادين العلم وساحات المعرفة، اشتغاله بالتدريس مدة عامين في «دار التوحيد» بالطائف، ابتداءً من عام ١٣٦٨هـ إلى عام ١٣٧٠هـ.

---

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، في الثناء على العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي والتي عنوانها «إنما كان إماماً» والتي نشرتها جريدة الجزيرة يوم السبت ١٢ ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ الموافق ١٧/٩/١٩٩٤م.

وكانت دار التوحيد[1] بالطائف هي أوَّل مدرسة درَّس فيها الشيخ، فضلاً عن كونه عضواً في مجلس إدارتها. وفي شهر المحرم سنة ١٣٧٠هـ، انتقل الشيخ إلى مدينة عنيزة -إحدى مدن القصيم- للتدريس بمعهد عنيزة العلمي، الذي قام بافتتاحه فضيلة الشيخ محمد بن مانع- رحمه الله.

وفي عنيزة عُرِف الشيخ عبد الرزاق بين أقرانه وإخوانه أعضاء هيئة التدريس بالمعهد العلمي، بشدة متابعته للسلف، وتضلعه في كثير من العلوم والمعارف، ودقة فهمه لأحكام الشريعة، فضلاً عن قوة شخصيته، وسداد رأيه، وقد أُعجب بعلمه جمٌّ غفير ممن درسوا على يديه ونهلوا من علمه، وتناقل الناس أخباره، حتى بلغ ذلك سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم مفتي عام المملكة العربية السعودية آنذاك والرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية فرغب سماحته في قدوم الشيخ إلى الرياض ليكون موضع مشورته، وليقوم بالتدريس في المعاهد العلمية التابعة لسماحته.

وبالفعل غادر فضيلة الشيخ عبد الرزاق «عنيزة» متوجهاً إلى الرياض، وكان ذلك في شوال سنة ١٣٧٠هـ.

وفي الرياض واصل الشيخ عبد الرزاق نشاطه العلمي مبتدئاً بالتدريس في معهد الرياض العلمي، وكان -رحمه الله- سابع سبعة هو في مقدمتهم ومعه فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- رحمه الله.

---

(١) وهي إحدى الصروح العلمية المباركة التي تأسست بأمر الملك عبد العزيز وفي عهده - رحمه الله - وكان ذلك عام ١٣٦٣هـ، وافتتحت رسمياً في عام ١٣٦٤هـ، وتولى رئاستها فضيلة الشيخ محمد بهجة البيطار، ومن بعده ولد محمد، وانظر كتاب (دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي) ص٢٨.

لقد أدرك سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس المعاهد والكليات ومؤسسها بثاقب نظره وبقدرته على معرفة الرجال، ما اتصف به هذا العالم الفذ من علم وبُعد نظر وقدرة على معالجة الأمور، فقرّبه وعرف مكانته، ومكّن له لإفادة الباحثين والعلماء.

استمر الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في آداء رسالته وتواصلت نشاطاته العلمية والتربوية وجهوده المكثفة في إعداد الأجيال وبناء الرجال، وذلك من خلال عمله في المعهد العلمي، وفي كُليّتي الشريعة واللغة العربية بالرياض،وكان فضيلته من المؤسسين لهاتين الكليّتين، ومن أبرز وأشهر المدرسين بهما، وذلك بسبب سعة علمه وغزارة مادته وثاقب نظره، وقوة بيانه، وحُسن أسلوبه.

وعندما توفرت الدواعي لإنشاء دراسات عليا، ورفع مستوى القضاء، أُنشئ المعهد العالي للقضاء سنة ١٣٥٨هـ، وأوكل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم إدارته إلى فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ثقة به، وحُسن ظن بإدارته، فقام الشيخ عبد الرزاق بهذا الواجب خير قيام، وتحمل تبعاته بكل صدق وإخلاص، وكان من المخططين لمناهج هذا الصرح العلمي الكبير، ومن المدرسين فيه والمشرفين على رسائل طلابه، ومن هذه الرسائل التي أشرف عليها، وكان له القدح المعلّى في تقويمها:

١- مجمل أسباب اختلاف الفقهاء لفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢- جريمة الحرابة، لفضيلة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم.

٣- الطلاق السني والبدعي، لفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد اسحاق.

٤- الوقف في الشريعة، لفضيلة الشيخ محمد بن حمود الراجحي.

٥- الولاية في الزواج، لفضيلة الشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي.

٦- الخلافة الإسلامية، لفضيلة الشيخ سليمان بن قاسم الفيفي.

٧- حجية أخبار الآحاد، لفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

٨- التملك في الإسلام، لفضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجنيلد.

٩- الإيضاح في شروط النكاح، لفضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان.

١٠- الشركات في الفقه الإسلامي والقانون، لفضيلة الشيخ سعود بن سعد الديب.

١١- تعليل الأحكام، لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح التويجري.

١٢- الموارد المالية للدولة الإسلامية، لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود.

١٣- حقيقة الورق النقدي، لفضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع.

١٤- الإقرار في الشريعة، لفضيلة الشيخ صالح بن لحيدان.

١٥- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الهويش.

١٦- القصاص في الشريعة الإسلامية، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن القفاري.

١٧- تعدد الزوجات، لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد السلام.

١٨- موقف الشريعة الإسلامية من التأمين، لفضيلة الشيخ سفر البحري.

١٩- مباحث القسامة، لفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن الأمير.

٢٠- اقتضاء النهي الفساد، لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الهويش.

٢١- الديّات في الإسلام، لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الراشد.

٢٢- موقف الإسلام من الخمر، لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز المنصور.

٢٣- أحكام الوصية، لفضيلة الشيخ محمد حسن الهلالي.

٢٤- مكافحة الجريمة، لفضيلة الشيخ إبراهيم بن عبدالله الناصر.

٢٥- الجناية على ما دون النفس، لفضيلة الشيخ سعد بن محماس المخيمر.

٢٦- مكافحة جريمة الزنا، لفضيلة الشيخ حمد بن محمد الحناكي.

٢٧- الضمان والكفالة، لفضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن السدحان.

٢٨- الإجارة، لفضيلة الشيخ علي بن محمد التركي.

٢٩- النبراس على مسالك القياس، لفضيلة الشيخ إبراهيم بن حمد السلطان.

٣ الربا وموقف الإسلام منه، لفضيلة الشيخ سعد بن محمد الرشيد.

٣١- الاستفادة من أحكام الشهادة لفضيلة الشيخ محمد بن مرزوق المعيتق.

٣٢- حجية السنة، لفضيلة الشيخ محمد لقمان السلفي.

٣٣- المرأة بين السفور والحجاب، لفضيلة الشيخ محمد أحمد العسكري.

٣٤- مكافحة جريمة السرقة، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم العريني.

٣٥- الاستدلال في الشريعة، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الكليّة.

٣٦- التعارض والترجيح لفضيلة الشيخ علي العنزان.

٣٧- التعزير في الشريعة الإسلامية، لفضيلة الشيخ غيهب بن محمد النهيب.

٣٨- المصالح المرسلة، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الدويش.

٣٩- يسر الإسلام، لفضيلة الشيخ سالم بن محمد السالم.

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إبّان إداراته للمعهد العالي للقضاء- والتي استمرت خمس سنوات (١٣٨٥هـ-١٣٩٠هـ)- مثالاً يحتذى، وقدوة تؤتسى في عمله ونصحه لطلابه، وأدبه وحُسن إداراته، وبهذه الخلال الكريمة، أضحى الشيخ موضع تقدير واحترام الجميع، وبخاصة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- الرئيس العام للمعاهد والكليات آنذاك. فقد كان سماحته يقدر فضيلة الشيخ عبد الرزاق ويستشيره، ويعتمد رأيه في كثير من الأمور، تقديراً لعلمه الواسع، ورأيه الصائب، وإخلاصه الجم، والفضل يعرفه ذووه.

كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي، إلى جانب إداراته للمعهد، مُربّياً ومعلماً ومرشداً، تخرج به أجيال من العلماء والمربين وطلبة العلم، وقد تسنم كثير من هؤلاء مناصب علمية ودعوية مهمة في الوقت الحاضر.

وجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان سبباً في استقدام نخبة من علماء الأزهر للتدريس بالمعهد العالي للقضاء، وكان على رأس هؤلاء فضيلة الشيخ طه الساكت، وفضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب بحيري، وفضيلة الشيخ أحمد لاشين، وفضيلة الشيخ محمد هاشم عبد الدائم.. وغيرهم.

وفي سنة (١٣٨٦هـ)، بلغ فضيلة الشيخ عبد الرزاق سن التقاعد، فكتب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم إلى الجهات المسؤولة بتاريخ ٢٦/١١/١٣٨٦هـ مؤملاً استثناء الشيخ عبد الرزاق عفيفي من قانون التقاعد، وراغباً في تمديد مدة خدمة فضيلة الشيخ عبد الرزاق لمسيس الحاجة إليه، وقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٤١١ وتاريخ ٢٥/٦/١٣٨٧هـ بالموافقة على تمديد خدمات فضيلة الشيخ عبد الرزاق لمدة خمس

سنوات اعتباراً من بلوغه سن الستين وإعفائه من التقاعد[1]. وبهذا ظل الشيخ عبد الرزاق يواصل رسالته المباركة في نشر العلم وتعليم الأجيال بهمة لا تعرف الكلل أو الملل، وقد استمر عطاؤه في المعاهد والكليات في حياة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وبعد وفاته- رحمهما الله.

وفي سنة ١٣٩١هـ انتقل فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى الرئاسة العامة للإفتاء، حيث عُيِّن نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والتي تم تشكيلها عقب صدور الأمر الملكي رقم ١١٣٧ وتاريخ ١٣٩١/٧/٨هـ والقاضي بإنشاء هيئة كبار العلماء، وقد جاء في المادة الرابعة من هذا الأمر ما نصه:

تتفرع عن الهيئة لجنة دائمة متفرغة يُختار أعضاؤها من بين أعضاء الهيئة بأمر ملكي، وتكون مهمتها إعداد البحوث وتهيئتها للمناقشة من قِبل الهيئة، وإصدار الفتاوى في الشؤون الفردية، وذلك بالإجابة على أسئلة المستفتين في شؤون العقائد والعبادات والمعاملات الشخصية، وتُسمى هذه اللجنة «باللجنة الدائمة للبحوث والفتوى».

وجاء في المادة الثامنة من اللائحة المرفقة بالأمر الملكي، لا تصدر الفتاوى عن اللجنة الدائمة، إلاَّ إذا وافقت عليها الأغلبية المطلقة من أعضائها على الأقل، على أن لا يقل عدد الناظرين في الفتوى عن ثلاثة أعضاء، وإذا تساوت الأصوات، يكون صوت الرئيس مرجحاً.

وتنص المادة التاسعة من اللائحة على أن «يُعيِّن رئيس اللجنة فيها وأعضاؤها بأمر منَّا بترشيح من رئيس إدارات البحوث».

---

(١) انظر صورة القرار والمراسلات بين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ومجلس الوزراء في الفصل الثامن (رسائل ووثائق).

وقد شُكلت اللجنة الدائمة بعد صدور الأمر على النحو التالي:

١- فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيساً.

٢- فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي عطية نائباً للرئيس.

٣- فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضواً.

٤- فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع عضواً.

وفي آواخر سنة (١٣٩٥هـ) عُين معالي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ وزيراً للعدل، وعُيِّن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيساً للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، وظل الشيخ عبد الرزاق نائباً للرئيس منذ تأسيس اللجنة وحتى وفاته -رحمه الله- أي ظل قرابة أربعة وعشرين عاماً، أصدرت اللجنة خلالها أبحاثاً قيّمة، وآلاف الفتاوى في شتى المباحث الشرعية والقضايا الإسلامية، وفي نفس الوقت، كان الشيخ عبدالرزاق عضواً في هيئة كبار العلماء بناءً على المرسوم الملكي القاضي بتأليف هيئة كبار العلماء، والصادر برقم ١١٣٧ وتاريخ ١٣٩١/٧/٨هـ، ويتضمن المرسوم تكوين الهيئة من عدد من كبار المختصين في الشريعة الإسلامية من السعوديين ويجري اختيارهم بأمر ملكي، وقد صدر الأمر الملكي بتعيين سبعة عشر عضواً في هيئة كبار العلماء، كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق في مقدمة أصحاب الفضيلة العلماء الذين تم اختيارهم لهذه الهيئة. وقد ظل فضيلته عضواً في هيئة كبار العلماء إلى تاريخ ١٤١٣/٦/٨هـ حيث أُعفي -رحمه الله- من عضوية الهيئة نظراً لمرضه وانحراف صحته، ومع ذلك ظل يواصل عمله في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء إلى أن توفاه الله.

المبحث الثالث:

علاقاته الطيبة والمتميزة بالعلماء والوجهاء ورجال العلم والسياسة

إن المتأمل لتاريخ البشرية يدرك أن السعة والشمول في علاقات العالِم بالمجتمع الذي يعيش فيه مؤشراً حيّاً وبارزاً من مؤشرات اكتشاف مؤهلاته للعمل الخيري، وعاملاً من عوامل وفرة عطائه، وكثرة الانتفاع بعلمه وعمله، ولا يمكن لأحد أن يدَّعي أنها عامل سلبي في الدعوة إلى الله، ولا في العودة إلى دينه الخالص، بل على العكس من ذلك، تعتبر العلاقات المتسمة بالسعة والشمول من أهم أسباب نجاح العالِم إذا كان يقصد بها وجه الله، لا مجرد تحقيق مكاسب وأهداف مادية.

إن الواقف على سيرة وأخلاق وسلوك فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- يدرك للوهلة الأولى أن الشيخ كان يتمتع بمؤهلات عالية من حُسن الخُلق، وطيب المعشر وسعة الصدر والحلم والأناة وحُسن المناقشة، مما كان له أبلغ الأثر في تميُّز علاقات الشيخ وسعتها، وخاصة مع ولاة الأمر وأهل العلم وروَّاد المعرفة ورجال التربية، كما كان -رحمه الله- حسن السمعة ذا علاقات طيبة مع سائر الناس، لا يحقد ولا يحسد، بل كان موضع احترام الناس وتقديرهم وحُسن ظنهم وثقتهم، ولا أدلّ على ذلك من قول أحد كبار معاصريه:

«العلماء نوعان: علماء ينعزلون عن الناس، ويتفرغون لكتابة

الكتب والمصنفات، وعلماء يعنون ببناء النفوس، وتوجيه العامة وإرشادهم، وبالإجابة على أسئلتهم وحل مشكلاتهم، وقد كان فقيدنا العظيم من النوع الثاني، وقد انتفع بعلمه وتوجيهه خَلق كثير»[١].

ويقول آخر، في كلمة رثاء وعزاء: «وقبل أيام توفّى الله رجلاً من أهل العلم والتقوى والحياة المثمرة في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، قد حظي بفضل من الله بمحبة الناس في مصر والمملكة العربية السعودية[٢].

علاقته المتميزة بولاة الأمر في المملكة العربية السعودية:

إن حسن الظن بالمسلمين سُنّة حسنة، وأمر لازم، وأوجب ما يكون ذلك في حق العلماء، والأمراء والحكّام الذين أمرنا الله بطاعتهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.. الآية[٣].

وأولو الأمر: قيل هم العلماء وقيل هم والأمراء قال ابن القيم: والتحقيق أن الآية تعم الطائفتين وإنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ[٤].

إن السلطان هو زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقِوام الحدود، والقطب

---

(١) انظر كلمة فضيلة الشيخ محمد بن لطفي الصباغ (الشيخ عبد الرزاق عفيفي من بقية السلف)، الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٢) انظر كلمة المهندس حبيب مصطفى زين العابدين (الشيخ العفيفي وتواضع العلماء)، الفصل السابع (وفاته ومراثيه).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٥١٨/١) وتيسير العزيز الحميد لفضيلة الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ص٤٨٢).

الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده، به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم.

قال بعض الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(١).

قال ابن عبد ربه: فحُق على مَن قلّده الله أزمّة حكمه، وملّكه أمور خلقه، واختصه بإحسانه، ومكّن له في سلطانه، أن يكون له من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته(٢). قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٣).

فعلى الرعية أن يُحسنوا الظن بولاة أمورهم، والاطمئنان إلى طويتهم، والثقة بحسن نواياهم، فإن ذلك من أهم الأسباب التي توثّق العلاقة بين الحاكم والمحكوم. ومما يؤكد على حُسن الظن بالعلماء والأمراء ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان الإمام جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر(٤).

وقال حذيفة رضي الله عنه: ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلاّ أذلهم الله قبل موتهم(٥).

---

(١) انظر حياة الحيوان للدميري (١/١٤٤) والعقد الفريد لابن عبد ربه (١/٢٠).
(٢) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه (١/٢٠).
(٣) سورة الحج: الآية (٤١).
(٤) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه (١/٢٠).
(٥) انظر المرجع السابق (١/٢١).

وقال ﷺ: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[2]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فارق الجماعة، وخرج من الطاعة فمات فميتته جاهلية»[3].

إن نصح الإمام بالرفق واللين في السرِّ، والدعاء له، واتباع أمره ونهيه في طاعة ربه، فرض لازم، وأمر واجب، لا يثبت إسلامٌ إلا عليه، ولا يتم إيمانٌ إلا به، ولله درّ من قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ... ولا سراة إذا جُهالهم سادوا
والبيت لا يبتني إلاّ له عَمَد ... ولا عماد إذا ما تُرسى أوتاد
فإن تجمع أوتادٌ وأعمدةٌ ... يوماً فقد بلغوا الذي كادوا[4]

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- نموذجاً طيباً يحتذى،وجوهرة وضاءة يهتدى بها في السلوك والأخلاق، وفي تعامله مع الأفراد وعلاقته بالجماعات من الناس، حاكمين ومحكومين.

عاش فضيلته آلام الأمة وآمالها، فكان يدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تغزو العالم وتسود بلاد المسلمين، يعرفها تمام المعرفة، ويدرك ما يتعرض

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٢٥) وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) متفق عليه، البخاري (الفتح ٧١٣٧/١٣) ومسلم (١٨٣٥).
(٣) رواه مسلم (١٨٤٨).
(٤) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٢).

له شباب الإسلام من وسائل خادعة، وأساليب ملتوية، هدفها وغايتها إبعاد المسلمين عن دينهم وصرفهم عن عقيدتهم.

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق حريصاً أشد الحرص على التئام الصف وتوحيد الكلمة، واجتماع الأُمَّة والائتلاف بينها، ونبذ الفرقة والخلاف الذي يهدد كيانها. وكان يدعو بقوله وفعله إلى التزام جماعة المسلمين، والتحذير من الخروج عليها، ودليل ذلك ما سطّره بقلمه في مبحث «إثبات خلافة الخلفاء الراشدين»(١) فكتب ما نصه:

إقامة ولي أمر عام للمسلمين يتولى شؤونهم، وتنتظم به أمورهم، ويجمع شملهم، واجب على المسلمين، فيجب عليهم أن يختاروا من بينهم من يَصلح للقيام بواجب الأمة، وإن لم يكن في الأمة من يصلح لذلك إلاّ واحداً تعيَّن عليهم أن يُقيموه وليّاً عاماً عليهم، وتعيَّن عليه أن يتقبل تولي هذا، حفظاً لكيانها، وتحقيقاً لما ينهض بها، سياسة وتدبيراً وثقافة وعلماً وإنتاجاً وكسباً في السلم والحرب، والشدة والرخاء، وفي جميع الأحوال.

والحكمة في ذلك: رعاية مصلحة الأمة، وصيانتها من أن يدب إليها دبيب الفشل، فتضعف شوكتها، وتذهب ريحها، فيطمع فيها أعداؤها ويستولوا عليها وعلى مرافق حياتها، ويسخرونها لمصالحهم، ويسومونها سوء العذاب.

وقد شهدت الفطرة بضرورة إقامة ولي عام على المسلمين، يسهر على مصالحهم، ويسعى جهده في دفع كيد أعدائهم، ويبذل وسعه في

(١) سبق الإشارة إليه في الفصل الثاني المبحث الحادي عشر (فتاواه وبحوثه).

توحيد كلمتهم، ولم شعثهم، بل عرف الإنسان أن اتخاذ القيادة وضرورتها أمر جبلت عليه الحيوانات العجماوات، فإنا لا نكاد نجد طائفة من الحيوانات على اختلاف أنواعها، كالنمل والنحل في المأوى وجمع الغذاء، وكالطيور في الهواء، والأسماك في الماء، إلاَّ وقد اتخذت لنفسها قيادة تنظم سَيْرها وعملها، ورئاسة تهيمن شؤونها وحركاتها، ولو قدِّر تخلف ذلك كان تخلفه نادراً، وفي أُمَّة من الحيوانات ضربت أطنابها في الفوضى، وصارت يُضرب بها المثل في الهمجية والتهرج والاضطراب كأُمة الجراد.

وقد دلت عناية الكتاب والسنة بالحث الكثير على طاعة ولاة الأمور، والتحذير الشديد من الخروج عليهم ومنازعتهم، والحديث في أصل الولاية بالخبر عنها، وانتظام الأمر بها مبسوط في مصنفات العلماء وهي تنص على أن وجوب تنصيب الولاة والأئمة أمر معروف، طبعت عليه القبائل والأمم، كما دلَّ العمل المستمر من النبي ﷺ، في بعث السرايا على أنه ما بعث سرية إلا وقد أَمَّر عليها أميراً، وأوصاها بطاعته، ودلَّ عمله في البلاد الإسلامية أنه لم يترك بلداً دون أن يؤمِّر على أهلها أميراً، ولم يسافر عن المدينة إلاَّ وقد أَمَّر عليها أميراً، فإذا كان هذا شأنه في الولايات الخاصة، فالولاية العامة ألزم، والعناية بها أتم وأوجب، بل لا تكون ولاية خاصة في أُمَّة إلا عن طريق الولاية العامة ومستمدة منها[1].

وبهذه الكلمات المضيئة التي دلَّل بها فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي على وجوب طاعة ولاة الأمر (في المعروف) وأن طاعتهم من

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ بيده في هذا الخصوص في الفصل الثامن (رسائل ووثائق).

طاعة الله، ومعصيتهم من معصية الله، يتأكد ما ذكرته آنفاً من حرص الشيخ -رحمه الله- على توحيد الكلمة واجتماع الناس على حكامهم وعلمائهم، وبهذا تعز الأوطان، وتصان الأعراض، وتعظم الألفة وتتحقق المحبة والرحمة، ويكبت الأعداء وينتصر الحق ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

ولشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في هذا كلام نفيس، فليُرجع إليه في كتبه ومنها كتابه القيِّم «منهاج السنة النبوية» و«مجموع الفتاوى» التي قام بجمعها فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، وكتاب «السياسة الشرعية»، وفي هذا الأخير يوضح ابن تيمية أهمية الولاية العامة وحاجة الناس إليها فيقول:

يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس... إلى أن قال -رحمه الله:

ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من «الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود» لا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا رُوي «إن السلطان ظلّ الله في الأرض» ويقال: «ستون سنة مع إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان» والتجربة تبين ذلك.

ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان». إلى أن قال رحمه الله:

فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يُتقرب بها إلى الله، فإن التقرب

إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما ينسب فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال بها.أ.هـ.[1]

علاقته بالملك عبد العزيز- طيب الله ثراه:

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- على علاقة طيبة ومتميزة مع موحِّد هذه المملكة ومؤسسها، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، والذي يعتبر بحق شخصية نادرة، وعبقرية قَلَّ من يفري فريها، ويترسم خُطاها، كان مضرب الأمثال في الشجاعة حتى هابه الأبطال، وأذعن له الرجال، وكان عقله يسبق لسانه ولا يقول إلا ما يعتقده صواباً.

كان سلفي العقيدة، داعية إلى التوحيد، يوالي ويعادي من أجله، ومن كلماته التي ألقاها في الحفل الذي أقيم له في القصر الملكي بمكة المكرمة في غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٩/٥/١١م:

«عقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله، وسُنَّة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح، هذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل، خالصة من كل شائبة، منزَّهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعوا إليها وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب. إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة»[2].

---

(١) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية (ص١٧٨).

(٢) انظر المصحف والسيف، مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ جمع محيي الدين القابسي.

لقد كانت عناية الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- واهتمامه بالعلم والعلماء تجسيداً لاهتمام الدولة بالعلم، وتأكيداً لحفاوتها بالعلماء، وأظهر دليل على ذلك أن الملك المؤسس -رحمه الله- كان كثيراً ما يحضر الدروس العلمية التي تُعقد في قصره، ويوجه الدعوة إلى كبار العلماء والدعاة لحضور هذه المجالس العلمية، ومن بين هذه الدروس التي كانت تعقد في قصر الملك عبد العزيز، درسٌ لفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي كل يوم أربعاء، وكان الملك يحضره، وكان الشيخ عبد الرزاق يحرص في هذا الدرس على إفادة الحاضرين، والنصح الطيب للملك، وكان الملك عبد العزيز -يرحمه الله- يسعد بذلك[1].

ويذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان معجباً بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة، ويلمس منه إعجابه في مجال السياسة والقيادة والحكمة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في توحيد المملكة العربية السعودية.

وقد ظل الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- على هذه العلاقات الطيبة مع الملك عبد العزيز، وأبنائه أصحاب السمو الأمراء من بعده، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على تقدير ولاة الأمر -في هذه المملكة المباركة- للعلم والعلماء ابتداءً من الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- وحتى يومنا هذا في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- حفظه الله. ونصر به العلم وأهله.

(١) أفادني بذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وفضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا.

فجزى الله ولاة الأمر في هذه المملكة خير الجزاء، فقد كان هذا العالم الفذ محل اختيارهم، وموضع تقديرهم، وهذا بحمد الله ديدن هذه المملكة حيث تعرف لأهل الفضل فضلهم ويجد في رحابها أصحاب المواهب والقدرات ما يفيدون مجتمعهم وأمتهم.

علاقته بسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمهما الله تعالى:

من العلماء أفذاذ جمعوا أشتات المكارم، وكانوا أعلاماً في كل المعالم، ومن هؤلاء الأفذاذ، الذين أناروا السبيل للسالكين فأرشدوا إلى الهدى خُطى اللاحقين، ومرُّوا على هذه الدنيا مرور الغيث الهامع فاخضلت الأرض غب عبورهم، فحمدهم الوارد، ومدحهم الراقع، فسجَّل التاريخ حديثهم للرواة وجعل أيامهم عبرة للوعاة.

أقول من هؤلاء: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهو عالم من عالم من عالم، وفقيه من فقيه من فقيه، وزعيم من زعيم من زعيم، توارث آباؤه وأجداده الصدارة في العلم والوجاهة والقيادة.

لقد كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إماماً مجمعاً على إمامته، ووفور علمه، وشفوف حسِّه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، وشرف منازعه، وجمعه بين الشمائل الباهية، والمعارف المتناهية. كان من أصحاب الفتيا المشهورين، وكان في تفقهه مثالاً رائعاً للمحدِّث الفقيه الذي يحرص أشد الحرص على اتباع السنة وفهمها والالتزام بها على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

فضلاً عن ذلك فقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- صاحب ألمعية نادرة، ونجابة ظاهرة، وكان ذا هيبة ووقار وقدرة مذهلة على معرفة الرجال، وكان ذا فراسة نادرة في اكتشاف المواهب، وتقييم الكفاءات، وبالجملة فقد كان سماحته -رحمه الله- سابقاً لعصره، بحراً في علمه، سديداً في توجيهه، وقد مكنته مؤهلاته العالية في حُسن الخُلُق من أن يعرف لذوي الفضل فضلهم والفضل يعرفه ذووه.

لقد أدرك سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس الكليات والمعاهد ومؤسسها، أدرك بثاقب نظره، ما يتصف به فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- من علم وبعد نظر، ورجاحة عقل وحُسن معالجة للأمور، فقربه، وعرف مكانته، ومكن له، واعتمد رأيه في المناهج والكتب المقررة واختيار الكفاءات العلمية من المدرسين والمتخصصين للقيام بمهمة التربية والتعليم في الكليات والمعاهد العلمية في جميع أنحاء المملكة.

وهذا إن دلَّ فإنما يدل على توطيد أواصر الأخوة والعلاقة الطيبة بين الشيخين الجليلين والعالمين المبرزين- رحمهما الله تعالى.

ومن جهة أخرى، كان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- يعرف لسماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية في وقته، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- أقول: كان يعرف له فضله، ويُقدِّر فيه علمه ورسوخه في كثير من العلوم والمعارف فضلاً عن حُسن سياسته التعليمية وسداد رأيه وصواب توجيهاته.

والبرهان الساطع على عمق العلاقة الكريمة ورسوخها بين الشيخين الفاضلين -رحمهما الله تعالى- ما ذكره فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان- حفظه الله قائلاً:

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- لا يُخفي إعجابه بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ومنهجه في الدعوة وحُسن معالجته للمشكلات التي تواجهه في دعوته، ويلمس منه إعجابه في مجال القيادة والسياسة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- في توحيد المملكة العربية السعودية، ويظهر بجلاء احترامه وتقديره لكثير من علماء المملكة العربية السعودية، وفي مقدمتهم، الشيخان الجليلان، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- والشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- في علمهما وعملهما[1].

علاقته بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- حفظه الله:

إن من عرف سماحة العلامة المحقِّق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن قرب، وخالطه وجلس إليه، يدرك لأول وهلة ما منَّ الله به على هذا الإمام العالم من عقل ذكي، وقلب نقي، وخُلُق رضي، وعزم أبي، وغيرة على حرمات الله.

لقد عرفتُ سماحة العالم المربِّي، والداعية المصلح، والعلاَّمة المتقن، بقية السلف، شيخ العلماء المحققين، الإمام الرباني والمحدث الجهبذ، الشيخ عبد العزيز بن باز.

أقول: لقد عرفت سماحة الشيخ، فما عرفت فيه إلاَّ الشفقة على هذه الأُمَّة، والنصرة لهذا الدِّين، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. لقد عرفت سماحته منذ خمسة عشر عاماً، عرفته أباً

(١) انظر جريدة الرياض، الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ تحت عنوان «وداعاً أيها الإمام».

رحيماً، وشيخاً كريماً، وعالِماً مسدَّداً جمع أشتات المكارم، وتحلى بفضائل الأخلاق، فهو بحق أئمة في إمام.

لقد عرفته وعرفه غيري من أبناء هذه الأُمَّة، عرفناه، رقيق القلب، قريب الدَّمعة، نقي السريرة، طاهر الفؤاد، صافي الروح، حلو الموعظة، كريم الخُلُق، باسم المحيا، ذكاراً شكاراً، صواماً قواماً، عذب الحديث، هيِّناً ليّناً، متواضعاً، مخبتاً لله، لا يحقد ولا يحسد، ولايتكلف ما ليس عنده، يده بالعطاء ندية، ونفسه بالخير سخيَّة، فهو بحق فريد زمنه وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونُبلاً.

وأقسم بالله أن عيني لم تر مثله، ولا ينكر منصفٌ بعد فضل الله فضله. إنه بحق غرة الزمان، وحصن الفضيلة، وسيف الإسلام، المنافح عن عقيدة التوحيد، والذّاب عن حياض السُّنة، والمكافح ضد البدع والمنكرات.

ووالله لوددت أني أخدم مثله، وإذا ذُكِر الصالحون فحي هلا بسماحة شيخنا عبد العزيز بن باز- حفظه الله.

لقد أدرك فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ما منَّ الله به على هذا العالم العامل من صفات جليلة، وخِلال كريمة كان لها أعظم الأثر في توطيد أواصر الأخوة والمحبة في الله، بين العالِمين الجليلين، والشيخين الفاضلين، فحرص -رحمه الله- على هذه الإخوة المباركة والزمالة التي قَلَّ أن يوجد لها نظير بين الأقران.

وكلمة حق أقولها: إن الشيخ عبد الرزاق كان أبعد الناس عن المدح، وكان يكره أن يُمدح أو يَمدح، وكان إذا مدحه إنسان عُرفت الكراهية في وجهه، وبالرغم من كراهيته للمدح والثناء، إلاّ أنه -رحمه الله-

كان إذا ذُكر أمامه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، أو سُئل عنه، يُثني عليه ثناءً عطراً، ويعدد محاسنه وما عليه من خصال الخير، وقد قال لي يوماً: «إن الشيخ عبد العزيز لا يعمل موظفاً عند أحد، إنما يعمل موظفاً عند ربِّنا».

ولاشك أن هذا كلَّه يبرهن على صدق محبة الشيخ عبد الرزاق لهذا الطود الشامخ الذي زامله ورافقه في العمل الدعوي من خلال اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، على مدى عشرين عاماً، ومن أظهر الأدلة وأقوى البراهين على ما ذكرته -من تميّز هذه العلاقة الطيبة بين الشيخين وصفائها- ما كتبه فضيلة الشيخ عبد الرزاق بخط يده مُعرِّفاً بسماحة الشيخ عبد العزيز، ومنوِّهاً بجهوده فقال:

هو فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، ولد بالرياض في شهر ذي الحجة عام ١٣٣٠هـ، وحفظ فيها القرآن، وجوّده على الشيخ سعد وقاص البخاري بمكة المكرمة، وأخذ علومه في الشريعة واللغة العربية من مشاهير علماء نجد، منهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وكان أكثر ما تلقّاه عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وعليه تخرج في علوم الشريعة واللغة العربية، ورأى أن من الغبن لنفسه أن يكتفي بما حصّله من تلك العلوم أيام طلبه وتلقيه عن مشايخه، لما في ذلك من هضمها حقها وحرمانها من الحظ الوافر في العلم والدين، فتابع الإطلاع والبحث، ودأب في التحصيل وبذل جهده

في تحقيق المسائل بالرجوع إلى نطاقها في أمهات الكتب كلما دعت الحاجة إلى ذلك في تدريسه وفيما يُعرض له من القضايا المشكلة أيام توليه القضاء، وفي إجابته عما يوجه إليه من أسئلة تحتاج إلى بحث وتنقيب، وفي ردِّه على ما يُنشر من أقوال باطلة وآراء منحرفة فازداد بذلك تحصيله ورسوخه، ونبغ في كثير من علوم الشريعة وخاصة الحديث متناً وسنداً، والتوحيد على طريقة السلف، والفقه على مذهب الحنابلة، حتى صار فيها من العلماء المبَرِّزين، وقد ولي القضاء أول عهده بالحياة العملية أربعة عشر عاماً تقريباً ابتداءً من ١٣٥٧هـ، ثم دعي إلى التدريس بالكليات والمعاهد العلمية في الرياض عام ١٣٧٢هـ، فكان مثالاً للعالم المحقق، المخلص في عمله، فنهض بطلابه، واستفادوا منه كثيراً، واستمر على ذلك إلى أن أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فعُيِّن نائباً لرئيسها العام فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فأحسن قيادتها والإشراف عليها.

وإلى جانب ما كُلف به من أعمال، وحمله من أعباء ومسؤوليات، كان ينتهز الفرصة لوعظ الناس، وإرشادهم في المساجد، ويغشى النوادي لإلقاء المحاضرات، ويحرص على قراءة الكتب النافعة مع إخوانه، ويستجيب لمن رغب إليه من طلبة العلم في دراسة بعض الكتب عليه، فيحقق لهم أمنيتهم بصدر رحب ورغبة صادقة، ولم يحرم نفسه من نفع الناس بالتأليف مع قلة فراغه، فألف جملة من الكتب والرسائل في مناسبات وظروف تدعو إلى ذلك.

منها «الفوائد الجلية في المباحث الفرضية»، و«نقد القومية العربية»، و«توضيح المناسك»، و«رسالة في نكاح الشغار»، و«رسالة في التبرج والحجاب»، و«الجواب المفيد في حكم التصوير»، ومقال نُشر في الصحف

تحت عنوان «ما هكذا تعظم الآثار» وهو الرسالة التي طبعت ضمن رسائل وكتب الجامع الفريد.

ويغلب على مؤلفاته وضوح المعنى، وسهولة العبارة، وحُسن الاختيار، مع قوة الحجة والاستدلال، وغير ذلك مما يدل على النصح وصفاء النفس وسعة الأفق والاطلاع، وحدة الذكاء، وسيلان الذهن، وبالجملة فالشيخ قد وهب نفسه للعلم والمتعلمين، وبذل جهده في تحقيق المصالح لمن قصده أو عرف به، مع رحابة صدر، وسماحة خاطر، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأرجو أن أكون صادقاً فيما ذكرت من الحديث عنه، وألاَّ يكون ذلك فتنة لي ولا له، وأن يزيده الله به رغبة في الخير، وقوة في الإقدام عليه، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

قلت: ومن المعلوم الذي لا يخفى على أحد أن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -حفظه الله- كان يعرف لفضيلة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- قدره، ويُقدِّر فيه علمه، وقد قال لي سماحته يوماً: إن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان قليل الكلام، كثير العلم، جم التواضع، مثالاً جيداً في حُسن السيرة والمخاطبة للجمهور ويؤكد هذا فضيلة الشيخ ابن عقيل الظاهري قائلاً:

كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر الناس تعلقاً بالشيخ عبد الرزاق لما جرَّبه من غزير علمه ورجاحة عقله، وعفته وتورعه، ولم يأذن له بالاستراحة وقد شارف على التسعين من عمره، واحتنكته أمراض عديدة، فالتزم الشيخ جانب الحسبة ما دامت قوته العقلية لم

(١) انظر مقدمة الجامع الفريد (ص٧، ٨).

تضعف، فكان يذهب إلى عمله يدف على العجل[1].

وبالجملة فقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- محل الاحترام والتقدير من كبار علماء المملكة وعلى رأسهم سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ومن قبله سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة في وقته، ومرجع علمائها وقضاتها- رحمه الله.

علاقته بالأزهر ودُور العلم والمعرفة في مصر:

لقد كانت علاقة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي بالأزهر علاقة وثيقة ومتميزة على الرغم من وجوده بالمملكة العربية السعودية. فهو من أبناء الأزهر وخريجيه، درس فيه، وتخرج من أعلى مستوياته، وزامل في أروقته جهابذة من العلماء، أمثال: الشيخ محمد حسين الذهبي، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ محمد بن عبد المنعم النمر، والشيخ محمد محمد أبو شهبة، والشيخ محمد أبو زهو، وغيره. وقد تولى تدريسهم نفر من فحول علماء الأزهر، وجماعة كبار العلماء في مصر، وفي طليعتهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية، والشيخ دسوقي العربي، والشيخ عبد المعطي الشرشيبي، والشيخ إبراهيم الجبالي، وغيرهم. وقد أنضجوا فوجاً بل أفواجاً من خيرة العلماء، في مقدمتهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

لقد عايش الشيخ الأزهر جامعاً وجامعة فترة من الزمن، ونهل من

(١) انظر كلمة الشيخ ابن عقيل في الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

علمه، كان أزهري الشارة والمظهر، سلفي المعتقد، محباً للسُّنة، مؤثراً لأهلها، وانتساب الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إلى الأزهر، شرف للأزهريين الذين نهلوا من روافده الثرة، وينابيعه المتدفقة. وكلمة حق تُقال للذين يغضون من قدر الأزهر، ويبخسونه حقه، وينتقصوه بسبب وبدون سبب، أقول: لقد أمضى الأزهر أكثر من ألف عام كفاحاً في ميادين العلم والمعرفة خدمة للإنسانية، وللأمة الإسلامية، حفظ عليها تراثها، ودفع عنها عاديات الزمن، وحماها من العواصف التي هبت عليها في فترات متعاقبة عبر تاريخها الطويل، وأسهم في صنع الحضارة إسهاماً لم يغفله التاريخ في جميع مجالات الحياة[1].

لقد جلس علماء الأزهر على مدى عشرة قرون تعليماً وتدريساً، ووفاءً للأمة الإسلامية، فقهاً في الدين، وتوجيهاً للمسلمين. ومن أجل هذا الدور الرائد للأزهر وجهوده المتميزة في خدمة العلم والدِّين ونظراً لما تخرَّج من أورقته من علماء عاملين منهم ما نحن بصدد ترجمته فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. فقد بدا لي أن أتوسع في الكتابة عن الأزهر ليعرف القارئ الكريم شيئاً موثَّقاً عن تاريخه، وجهاد رجاله وأبرز علمائه ومراكزه العلمية المتخصصة، فينزله المنزلة اللائقة به بلا غلو ولا إجحاف، ودونك -أخي القارئ- ما كتبته في هذا الخصوص مفصَّلاً!

---

(١) انظر الأزهر الشريف في عيده الألفي ص٢٧.

الأزهر وجهوده في ميادين العلم والمعرفة
لمحة تاريخية عن نشأته ومناهجه وجهوده في مجال العلم والمعرفة وأشهر عُلمائه ودعاته.

عُرف الجامع الأزهر في بادئ الأمر بجامع القاهرة نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أنشأها جوهر بن عبد الله الصقلّي (ت٣٥٨هـ) أما تسميته بالجامع الأزهر فيظهر أنها أُطلقت عليه فى عصر العزيز بالله الفاطمي. بعد إنشاء القصور الفاطمية التى كان يُطلق عليها اسم القصور الزاهرة، وقال آخرون إنما سُمّي بذلك لما سيكون له من الشأن العظيم والمكانة الكبرى بازدهار العلوم فيه ولم ينشأ الجامع الأزهر في بداية الأمر ليكون جامعة أو معهداً للدراسة بل أنشأ ليكون مسجداً للدولة الفاطمية ومركزاً لنشر دعوتها.

وقد ظهرت فكرة الدراسة بالجامع الأزهر في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي، وكانت أول حلقة دراسية في الجامع الأزهر هي: حلقة قاضي القضاة الشيخ أبي الحسن علي بن النعمان المغربي حضر فيها جمع من العلماء والأعيان. أما اتخاذه معهداً للدراسة المنظمة فكان أول من فكر في ذلك الوزير يعقوب بن كلس فقد عَيَّن بالأزهر جماعة من العلماء يعقدون مجالس في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر. وكان ذلك في سنة (٣٧٨هـ).

الدراسة الجامعية بالأزهر:

بدأت الحياة الجامعية في الأزهر منذ أوائل العصر الفاطمي ثم تردد إليه طلبة العلم وازدادوا يوماً بعد يوم وهاجر إليه طُلاب العلم وروّاد المعرفة من شتى بقاع العالم الإسلامي، لينهلوا من معينه ومنابعه، وكان نظام الحلقة الدراسية هو نظام الدراسة في الأزهر فيجلس الأستاذ ليقرأ درسه وسط حلْقة من تلاميذه والمستمعين إليه، وتُنَظَّم الحلقات وفقاً للمواد التي تُدْرس، فيجلس الفقهاء في المكان المخصص لهم وأمامهم الطلبة يستمعون لهم، وقد بلغت الحركة العلمية والثقافية في مصر ذروتها من التقدم والازدهار في أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع الهجري حيث كان الأزهر يتمتع برعاية خاصة من الحكام.

لقد أخذ الأزهر يؤدي دوراً هاماً في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية، حتى تبوأ في العالم الإسلامي منزلة هامة من الزعامة الدينية والعلمية والمعرفية، وكان الأزهر يعيش العصر الذهبي له من حيث الإنتاج العلمي والنفوذ الاجتماعي.

مناهج الأزهر وعلومه:

كان يُدَرّس بالجامع الأزهر العلوم النقلية والعقلية، يقول المقريزي: «فلا يزال الجامع الأزهر عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه، والاشتغال بأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره».

ويستدل من نماذج الإجازات العلمية التي أوردها القلقشندي على كتب الدراسة التي كانت تُدرّس في الجامع الأزهر وغيره من مدارس مصر ومنها: كتب الحديث الستة: وهي «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»

و«سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائى» و«ابن ماجه»، و«المسانيد»، و«عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي، و«شذور الذهب» للشيخ جمال الدين بن هشام، و«المنهاج في فقه الإمام الشافعي» لأبي زكريا النووي، «وكتاب الأربعين حديثاً» للشيخ محيي الدين النووي- و«الورقات في الأصول» لإمام الحرمين، و«اللمحة البدرية في النحو» للشيخ أثير الدين أبي حيان وغير ذلك من الكتب.

وقد جرت العادة على تَدريس العلوم النقلية التي عَبَّر عنها ابن خلدون. بأنها مختصة بالملة الإسلامية في الصباح. أما العلوم الأخرى فكانت تدرس بعد العصر.

ومن أشهر العلماء الذين درّسوا بالأزهر:

ابن زولاق -(ت٧٨٣هـ)، ومن تصانيفه: كتاب «فضائل مصر»- وكتاب «قضاة مصر».

ومنهم أيضاً أبو عبد الله القضاعي الذى ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجري وتوفي بها سنة (٤٥٤هـ) وقد ألّف عدة كتب في الفقه والتاريخ منها:

كتاب «مناقب الإمام الشافعي وأخباره»- وكتاباً في خُطط مصر سمّاه «المختار» وكان هذا الكتاب عوناً للمقريزي على كتابه «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار».

الأزهر وجهوده في مجال العلم والمعرفة:

إنَّ الأزهر قد أمضى أكثر من ألف عام في ميادين العلم والمعرفة والثقافة خدمة للأمة الإسلامية خاصة، وللإنسانية عامة.

فقد حفظ على الأمة الإسلامية تُراثها ودافع ونافح عنها وحماها من العواصف والتقلبات حيث كان يُمِّثل القوة الحقيقية في وجه طوفان المادية المتلاطم وشرها المتدافع، فهو أوَّلُ مَنْ يصدم السَّيل بسيل يدفعه ويقذف الباطل بحق يدفعه ويدفع في صدر الشر بخير يصرعه.

إنَّه للأمة الإسلامية نورها ومرشد أمين ومنارة ثقافية يستمد منها علومها على تنوعها وكثرتها.

كان الأزهر على مر القرون هو القلعة الشامخة التي حفظت للقرآن لغته، وللحديث مكانته، وللدين تعاليمه، وللشريعة أحكامها وللفقه أصوله وضوابطه، وللأمة الإسلامية تراثها الحضاري الفريد وأصالتها العلمية الراسخة.

وكلمة الأزهر في حياة الأمة الإسلامية كلها تمثل قمة الهرم وعلماؤه الأفاضل هم اللَّبنات القوية التي قام عليها صرحه، وتشامخ بها علوه حتى غدا مَعْلماً على الطريق.

رسالة الأزهر:

إن رسالة الأزهر ليست من الرسالات المحلية، إنها رسالة تتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والإسلامية بإعتبارها أُمَّةً واحدة تجمعها أخوة الإسلام.

إن رسالة الأزهر في ذاتها تنبعث من تراثها الإسلامي الأصيل، لقد تبوأ الأزهر مكانة عالية في دراسة علوم القرآن والسُّنة وشتى العلوم والمعارف الإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية والدعوة إلى العمل بأحكام الإسلام وتعاليمه ونُظمه وقوانينه.

إن علماء الأزهر قد جلسوا على مدى أكثر من عشرة قرون

تعليماً وتدريساً ووفاءً للأمة الإسلامية فقهاً في الدين وتوجيهاً للمسلمين. وذبّاً عن حرماتهم ودفاعاً عن مقدساتهم.

علماء الأزهر ودعاته:

وإن الأزهر ليذكر من علمائه وأبنائه ودعاته:

عز الدين بن عبد السلام- وابن دقيق العيد- والبلقيني- وابن خلدون- والسّخاوي- والمنذري- والعراقي- وابن تغري بردي- وابن حجر العسقلاني- والمناوي- وابن عبد الوهاب المالكي- وابن الحاجب- والقرطبي- والزيلعي- والكرماني- والحافظ العيني- وابن الهمام- والبهوتي- والسيوطي- والشرقاوي- والدردير- وابن هشام المصري- والخطيب الشربيني.. وغير هؤلاء من العلماء المبرزين الذين قدّموا الكثير فى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب وعلوم اللغة وغيرها.

إنَّ الكثير من تراث الإسلام، حفظه جهابذة صادقون من علماء الأزهر وقدموه للمسلمين في مؤلفات عظيمة، اتخذها ويتخذها المسلمون كمراجع لدراستهم وينتفعون بها فى دينهم ودنياهم.

وهذا مما يؤكد ويدلِّل على أن رسالة الأزهر رسالة سامية فهو يؤدي دوراً فَعّالاً في حياة الأمم والمجتمعات الإسلامية.

وهو يدعو إلى العبادة الصحيحة في أسلوب سهل ومسلك رشيد كما يدعو إلى تنقية التراث الإسلامي مما علق به من الأباطيل والأوهام.

تطوير الأزهر:

في الثاني عشر من شهر محرم سنة (١٣٨١هـ) الموافق (١٩٩١/٦/٧م) أصدرت الحكومة المصرية القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم

الأزهر والهيئات التي يشملها وعرف هذا القانون باسم قانون (تطوير الأزهر).

وقد نص هذا القانون على أن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى، التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره في سعادة البشر وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس في الدنيا والآخرة.

وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالمختصين من العلماء والدعاة فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والعلوم الدينية والعربية ولغة القرآن وتخريج علماء عاملين متفقهين في الدين يَجْمَعون إلى جانب الإيمان بالله وتوحيده كفاية علمية وعملية ومهنية، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك، ومن ثمرات هذا التطوير التي تُذكر فَتُشْكَر. إنشاء مَجْمَع البحوث الإسلامية، ويختص بالبحث العميق الواسع في الفروع المختلفة للدراسات الإسلامية والعمل على تجديد التراث الإسلامي وتنقيته وتجريده من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبى وَتجْليته في جوهره الأصيل الخالص، وتحقيق التراث الإسلامي ونشره،وبيان الرأي فيما يستجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمْل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومعاونة جامعة الأزهر في توجيه الدراسات الإسلامية في مرحلة الدراسات العليا والإشراف عليها والمشاركة في امتحاناته.

وقد أُنشئ مجمع البحوث الإسلامية في سنة(١٣٨١هـ-١٩٦١م). وقد استهل المجمع نشاطه بعقد مؤتمرات قَدَّم فيها مجموعة من البحوث

والدراسات الإسلامية وحرص المجمع على إصدار بحوثه باللغتين العربية والإسلامية، ومجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ورئيسه هو شيخ الأزهر.

ويُعد مجمع البحوث الإسلامية ركيزة للفكر الأكاديمي بين علماء المسلمين وتوحيداً لاتجاهاتهم في رحاب العقيدة الإسلامية.

وقد عُني المجمع بثروة كبيرة من البحوث والدراسات الإسلامية ومنها:

١- بحوث في علوم القرآن والسُّنة.

٢- بحوث في العقيدة الإسلامية.

٣- بحوث في مجال التشريع.

٤- بحوث في مجال الإقتصاد والمال.

٥- بحوث في العلاقات الدولية.

٦- بحوث في الجهاد الإسلامي.

٧- بحوث في الدعوة الإسلامية.

٨- بحوث في شؤون المجتمع والتربية والأسرة.

مكتبة الأزهر:

كان للأزهر مكتبة عامرة، وهناك من الأدلة التاريخية ما يُثبت أن الجامع الأزهر يحتوي على مكتبة كبيرة منذ العصر الفاطمي ما ذكره ابن ميسّر في حوادث سنة (٥١٧هـ) أنه أُضيف إلى أبي الفخر صالح الخطابة بالجامع مع خزانة الكتب.

وفي القرن التاسع الهجري أصبح لكل رواق كبير من أروقة الأزهر مثل «رواق المغاربة، ورواق الشوام» مكتبة عامرة بالكتب وذلك لتيسير البحث والدرس للمجاورين المنتمين إلى كل رواق.

واحتوت خزانة الكتب في بعض الأروقة على بضعة الآف مجلد وقد آلت معظم هذه الكتب إلى الأزهر عن طريق الوقف.

وذكر المقريزي أن الحاكم أمر بنقل نصف الكتب التي كانت بدار الحكمة إلى الجامع الأزهر والباقي إلى مسجده وقد أشار المقريزي في خططه إلى أن عدد الكتب بدار الحكمة بلغت مائة ألف كتاب.

وقد صارت مكتبة الأزهر من أشهر المكتبات في العالم، يعرفه أهل البصر بالكتب والباحثون من الشرق والغرب،ويشيرون إلى ما فيها من نفائس المطبوعات ونوادر المخطوطات في مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات، وهي ثانية المكتبات في مصر من حيث ما فيها من الكتب واحتوائها على كثير من نوادر المؤلفات المخطوطات.

ومكتبة الأزهر-كغيرها من المكتبات العامة- تُزَوِّد روادها على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم بالمواد العلمية في جميع فروعها.

والمكتبة الأزهرية لا تختصر رسالتها على أهل الأزهر من العلماء والطلاب، بل تفتح أبوابها لمحبِّ الاطلاع ورواد المعرفة على اختلاف أجناسهم ودياناتهم، ومعاهدهم، وتعد المكتبة الأزهرية بمثابة المكتبة الأم لمكتبات الكليات والمعاهد في القاهرة والأقاليم.

لقد كان عدد الكتب التي بدأت بها المكتبة الأزهرية فى سنة (١٨٩٧م) عند الشروع في تنظيمها (٧٧٠٣كتاباً) ويبلغ عدد كتبها الآن (٧٩١٢٣) كتاباً تقع في (١٨٣٦٦٨) مجلداً موزعة على فنون العلم المختلفة.

نصيحة للأزهر:

لا بد لعلماء الأزهر إذا ما أرادوا أن تستمر هذه المسيرة المباركة لهذا الصرح العلمي الكبير الذي خرّج أجيالاً من جهابذة العلماء ودعاة الحق ورجال الدِّين، لا بد لهم من الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ والعضّ عليهما بالنواجذ، مع وجوب التمسك بعقيدة السلف الصالح، قولاً وفعلاً والذَّب عن حياضها ونفي الشُّبه عنها إلى جانب تصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وتدريسها لطلبة العلم وحملة الشريعة نقيَّة صافية لا يكدرها شوائب المتكلمين وأقوال المُؤوِّلين، وشطحات الفلاسفة المغرضين.

ذلك أن العقيدة الإسلامية كانت ولاتزال هدفاً لأعداء الإسلام الطاعنين عليه المتربصين به.

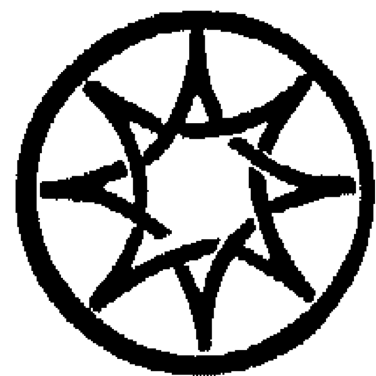
فَحَقٌّ على الأزهر أن يُصحح مسيرة التوحيد، ويقوّم منهج العقيدة، ويُعيد النظر فيما كُتب ويُكتب ويُدرّس في هذا المنتدى العلمي الكبير.

وإنه لأحرى بالأزهر، أن يكون له الحظ الأوفر، والقِدح المعلّى من تدريس كُتُب حُفَّاظ السُّنة، وجهابذة العقيدة، وأئمة الحديث، والعناية بمصنفاتهم وإدامة النظر في مؤلفاتهم.

ويأتي في مقدمة هذه الكتب التي ينبغي أن يُعنى بها وبتدريسها «كتاب السُّنة» للإمام أحمد بن حنبل- و«السُّنة» لابن أبي عاصم- و«شرح السُّنة» للبغوي- و«شرح السُّنة» للبربهاري- و«الشريعة» للآجري- و«شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» للالكائي- و«منهاج السُّنة» لابن تيمية- و«الصواعق المرسلة» لابن القيم..... وغيرها كثير.

وكم هو جميل أن يقترن العلم بالعمل والقول بالفعل والعقيدة مع السلوك مع استقامة في الظاهر وصلاح في الباطن.

إن الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى قيادة الأزهر وجهود علمائه حين تكون له كلمة نافذة، واستقلال صحيح، حتى تعود الثقة إلى الأزهر كما كانت عليه من قبل.



تراجم لبعض علماء الأزهـــــــــر

ومِن علماء الأزهر الذين حملوا رسالة الإسلام وبلَّغوا أمانته ونشروا دعوته وكان لهم قَدَم صدق في الدعوة إلى الله عز وجل.

الشيخ محمد الخراشي:

هو الشيخ محمد بن عبد الله الخراشي، ولد في بلدة أبو خراش، مركز شبراخيت محافظة البحيرة في عام (١٠١٠هـ). كان شيخ المالكيين في عصره ورِعاً تقّياً متقرباً إلى الله بالعلم وخدمة الدين.

تَلقَّى علومه على يد نخبة من العلماء الأعلام منهم والده الشيخ جمال الدين الخراشي والشيخ إبراهيم اللقاني وغيرهما.

درس العلوم المقررة بالأزهر ومكث عشرات السنين يتلقى العلم ويُلقِّنه، ومن تلامذته بعض مشايخ الأزهر كالشيخ عبد الباقي القِلِّيني والشيخ إبراهيم الفيومي.

وقد عُرِف عنه التواضع ودماثة الخُلق وكرم النفس، وكان زاهداً متقشفاً.

من آثاره العلمية: «رسالة في البسملة»، «فتح الجليل»، «الشرح الكبير في الفقه».

الشيخ إبراهيم الفيومي:

ولد الشيخ إبراهيم الفيومي عام (١٠٦٢هـ) وتلقى علومه بالأزهر وتتلمذ على طائفة من علمائه، ويُعد الشيخ الفيومي من علماء الحديث

والمتبحرين في اللغة، تتلمذ عليه الكثير من العلماء الأفذاذ كالشيخ الدمياطي والشيخ الصعيدي. وكان عالماً ورعاً من كبار علماء المالكية المشهود لهم بالورع والتقوى.

تولى مَشْيَخَة الأزهر سنة (١١٣٣هـ) وتوفي سنة (١١٣٧هـ) رحمه الله. من آثاره العلمية: «شرح على العزية في فن الصرف» وهو في مجلدين.

الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي:

هو الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي- ولد بقرية ورَّاق الحضر من قرى محافظة الجيزة سنة (١٢٦٤هـ). وتلقى تعليمه بالأزهر على يد أفاضل العلماء مثل الشيخ عليش وغيرهم.

عُيِّن عضواً في إدارة الأزهر ثم وكيلاً للأزهر ولم يترك التدريس طيلة هذه الفترة.

تولى مشيخة الأزهر سنة (١٣٣٥هـ) وقد عاصر أحداث الثورة المصرية سنة (١٩١٩م) وما تلاها من صراع بين الشعب والمستعمرين وحكامه وقد قاد مسيرة الأزهر في خضم تلك الأحداث حتى توفي سنة (١٣٤٦هـ) من آثاره العلمية:

«الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث»، «حاشية على شرح العضد في أصول الفقه».

الشيخ عبد الرحمن الشربيني:

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني، تلقى تعليمه بالأزهر واشتهر بالتعمق في دراسة المصادر القديمة.

أخذ مكانة في التدريس بالأزهر، وأصبح معروفاً بالعكوف على

القديم من كتب التراث حيث إنه كان من أنصار القديم، وقد كان مشفقاً على الأزهر من الانغماس في العلوم الحديثة وإهماله لعلومه الأصلية.

تولى مَشْيَخَة الأزهر عام (١٣٢٣هـ-١٩٠٥م). وتوفي سنة (١٣٤٤هـ).

من آثاره العلمية: «فيض الفتّاح على شرح المفتاح» في البلاغة.

الشيخ عبد الله الشرقاوي:

هو الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي، ولد في قرية الطويلة من قُرى محافظة الشرقية سنة (١١٥٠هـ).

حفظ القرآن الكريم في قريته، ثم رحل إلى القاهرة، فتلقّى تعليمه في الأزهر على يد أعلام العلماء كالملوي والجوهري والصعيدي والحفني والدمنهوري.

تولى المشيخة عام (١٢٠٨هـ) في مرحلة من أهم مراحل التاريخ المصري، حيث عاصر الثورة ضد الفرنسيين، وكان في مُقدِّمة زعماء الشعب، وواحداً من عشرة هم أعضاء مجلس الشورى الذي تَقَرَّب به نابليون إلى الشعب المصري.

عاش ثورة الشعب المصري وانتفاضته، وأُبلي بلاءً حسناً في حفاظه على الأزهر وحمايته.

توفي عام (١٢٢٧هـ).

من آثاره العلمية: «التحفة البهية في طبقات الشافعية» تراجم فقهاء الشافعية- «فتح المبدى، شرح مختصر الزبيدي» في الحديث- «حاشية على كتاب التحرير» في الفقه الشافعي- «تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين».

الشيخ سليم البشري:

هو الشيخ سليم بن أبي فراج البشري - ولد في محلة بشر من قرى محافظة البحيرة عام (١٢٤٨هـ).

تلقى علومه بالأزهر على يد نخبة من علمائه وذاع صيته وقد تخرَّج على يديه كثير من الأزهريين النابهين، وبجانب تدريسه للعلوم الشرعية واللغوية في الأزهر كان شيخاً في المالكية وعضواً في مجلس إدارة الأزهر.

تولّى مشيخة الأزهر عام (١٣١٧هـ).

كانت له مواقف تشهد بشجاعته وبُعد نظره وحكمته مما رفع من شأن الأزهر ومنسوبيه.

من آثاره العلمية: «الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس» وغيرها.

الشيخ محمد مصطفى المراغي:

ولد الشيخ محمد مصطفى المراغي ببلدة المراغة التابعة لمركز سوهاج سنة (١٢٩٨هـ). حفظ القرآن الكريم. ثم حضر إلى الأزهر فتلقَّى علومه ودرس على كبار علمائه- واتسم الشيخ بسعة الأفق، وأقبل على كل مصادر المعرفة وقد عمل قاضياً بالسودان ثم رئيساً للمحكمة الشرعية العليا عام (١٣٤١هـ) ثم عُيِّن شيخاً للأزهر عام (١٣٤٦هـ)- ثم استقال ثم عاد إلى المشيخة عام (١٣٥٣هـ). وتوفي سنة (١٣٦٣هـ).

ومن جهوده تعديل نظام هيئة كبار العلماء وإضافة شروط جديدة لاختيار أعضائها. وقد أنشأ مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية عام (١٣٦٣هـ) وتختص بالنشر والترجمة والبعوث الإسلامية والدعاة.

من آثاره العلمية: «تفسير جزء تبارك»، و«مباحث لغوية وبلاغية» وتفسير كامل للقرآن الكريم «تفسير المراغي».

الشيخ عبد المجيد سليم:

هو الشيخ عبد المجيد سليم، ولد سنة (١٣٠٣هـ-١٨٨٢م) في قرية (ميت شهالة) من قرى المنوفية، وتلقى تعليمه بالأزهر على يد علمائه.

حصل على العالمية من الدرجة الأولى عام (١٣٢٦هـ) وقد عاصر أحداث وطنه وشارك فيها، وشغل الكثير من المناصب الدينية في الأزهر والقضاء الشرعي والإفتاء. وكان لآرائه الدينية صدىً بعيد في العالم الإسلامي.

أشرف على الدراسات العليا في الأزهر - ورأس لجنة الفتوى وأسهم في تطوير الأزهر، توفي عام (١٣٧٢هـ).

من آثاره العلمية: فتاوى تبلغ بضعة عشر ألف فتوى، وله مقالات ودراسات في الصحف والمجلات.

الشيخ إبراهيم حمروش:

ولد الشيخ إبراهيم بن إبراهيم الحمروش في قرية الخوالد مركز إيتاي البرود - سنة (١٣٠١هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وتلقى علومه بالأزهر ودَرَس على أعلام العلماء وقد حصل على العالمية من الدرجة الأولى سنة (١٣٢٤هـ).

وقد عمل مدرساً بالأزهر، ثم قاضياً بالمحاكم الشرعية،ثم عميداً لكلية اللغة العربية ثم رئيساً للجنة الفتوى، كما كان عضواً في مَجْمَع اللغة العربية منذ أنشائه سنة (١٣٥٠هـ).

تولَّى مَشْيَخَة الأزهر سنة (١٣٦٩هـ) وله مواقف شجاعة، توفي سنة (١٣٧٨هـ).

من آثاره العلمية: «عوامل نحو اللغة»، فصول ودراسات في مجلة المجمع اللغوي- وغيرها.

الشيخ محمد الخضر حسين:

ولد الشيخ محمد الخضر حسين بمدينة نقطة بتونس سنة ١٢٩٣هـ وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بجامعة الزيتونة ونال شهادة العالمية سنة ١٣٢١هـ.

تولى التدريس في الزيتونة وأنشأ مجلة السعادة العظمى ثم ولي قضاء بنزرت إلى جانب التدريس والخطابة بمسجدها، كَرَّس قلمه وبيانه لمحاربة الاستعمار وقد استقر المقام به في القاهرة حيث حصل على العالمية من الأزهر وأصبح من علمائه وأساتذته،وشارك في النشاط العلمي والعملي- وعُيِّن رئيساً لتحرير مجلة الأزهر، ثم عضواً في مجمع اللغة العربية، ثم رئيساً لمجلة لواء الإسلام، وقد تولى مَشْيَخَة الأزهر سنة (١٣٧١هـ)، وقد توفي رحمه الله سنة (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

من آثاره العلمية: «كتاب القياس في اللغة العربية»، «نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم»، «نقد كتاب الشعر الجاهلي».

الشيخ محمود شلتوت:

هو الشيخ محمود شلتوت من علماء الأزهر ولد في (منية بني منصور) مركز إيتاي البارود محافظة البحيرة، حفظ القرآن الكريم، وتلقى علومه بالأزهر وحصل على العالمية سنة (١٣٣٦هـ) عمل مدرساً بمعهد

الاسكندرية الديني سنة (١٣٣٧هـ)، وقد انتقل إلى القاهرة مدرساً بالقسم العالي بالأزهر، وقد حظيت رسالته (المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) بالتقدير والإعجاب.

واكتسبت الشريعة الإسلامية واللغة العربية في عهده ذيوعاً وانتشاراً.

وقد عُيِّن عضواً في مجمع اللغة العربية سنة (١٣٦٤هـ) وفي سنة (١٣٦٨هـ) عُيِّن مراقباً عاماً للثقافة والبحوث الإسلامية بالأزهر وفي عام (١٣٧٥هـ) عُيِّن وكيل للأزهر، ثم تولى مشيخة عام (١٣٧٦هـ). توفي سنة (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

من آثاره العلمية: «فقه القرآن والسنة»، «منهج القرآن في بناء المجتمع»، «القرآن والمرأة»، «القرآن والقتال»، «تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام»، «الإسلام عقيدة وشريعة».

الشيخ محمد شاكر:

ولد الشيخ محمد شاكر بجرجة من أعمال الصعيد عام (١٢٨٧هـ) حفظ القرآن الكريم وتلقى علومه بالأزهر.

عُيِّن أميناً عاماً بالفتوى عام (١٣١١هـ) ثم قاضياً بالمحاكم الشرعية ثم قاضياً لقضاة السودان، ثم شيخاً لعلماء الإسكندرية عام (١٣٢٢هـ) ثم عُيِّن وكيلاً للأزهر عام (١٣٤٧هـ).

وكان عضواً في هيئة كبار العلماء، كما كان عضواً في الجمعية التشريعية وكان عَلَماً من أعلام أحداث عام (١٩١٩م). توفي سنة (١٣٥٧هـ) رحمه الله.

من آثاره العلمية: «القول الفصل في ترجمة القرآن»، «الدروس الأولية في العقائد الدينية».

الشيخ محمد حسنين مخلوف:

ولد الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي ببني عدي مركز منفلوط محافظة أسيوط سنة (١٢٨١هـ) في بيئة علم وصلاح.

حفظ القرآن الكريم ثم تلقى علومه بالأزهر وحصل على العالمية بامتياز سنة (١٣٠٨هـ) ثم عمل مدرساً بالأزهر، ثم أميناً لمكتبة الأزهر. وقد عُيِّن مفتشاً أول للأزهر والمعاهد الدينية ثم عضواً بمجلس إدارة الأزهر.

ثم مديراً عاماً للأزهر والمعاهد الدينية ثم عضواً في مجلس الأزهر الأعلى - ثم عضواً بهيئة كبار العلماء وقد نال احترام الحكام ورجال الدولة. وتوفي سنة (١٣٥٤هـ) رحمه الله.

من آثاره العلمية: «حكم ترجمة القرآن»، «عنوان البيان في علوم التبيان»، «رسالة في مبادئ الفنون»، «القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين»، «رسالة في حكم زكاة الأوراق المالية»، «القرآن تفسير وبيان».

هذا وقد خرَّج الأزهر غير هؤلاء أفواجاً من جهابذة العلماء وأجيالاً من الدعاة والمربين والأدباء وحملة الشريعة وأمماً لا يحصون كثرة ممن دافعوا ونافحوا عن دين الله وحملوا لواء السُّنة ويأتي في مقدمة هؤلاء ممن تخرجوا من الأزهر في القرن الرابع عشر الهجري فضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (المترجم له) وفضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق وغيرهما ممن أبلوا بلاءً حسناً في نصرة هذا الدين وأهله، تغمد الله الجميع بواسع رحمته.

علاقته بالجماعات الإسلامية وموقفه منها:

إن الإسلام دين كامل، وتنظيم شامل، إنه نور في البصائر، وصلاح في الباطن والظاهر، لا خير إلا وقد احتواه، ولا شر إلا وقد نفاه، إنه ينبوع المحلل، وأساس الديانات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

لقد جاء الإسلام فكان أعظم مقاصده توحيد الله وإخلاص العبادة له، ثم العناية بجمع شتات الأجناس والأمم في إطار واحد، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، حتى أفرغ جميع أتباعه في قالب واحد وهو قالب الأمّة الوسط التي جمعت شتات الفضائل، ونبذت كل عوامل الانحطاط.

لقد بلغ المسلمون الغاية عندما كانت صلتهم بهذا الدين قوية، فانتظم أمرهم واجتمع شملهم، وعزَّت دُوَلهم.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾[3].

إن المسلمين اليوم في مسيس الحاجة إلى اجتماع الكلمة، والتئام الصف وتوحيد القصد والهدف، والدعوة إلى ما يؤلِّف بين قلوبهم، ويوفِّق

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٩).

بين مشاعرهم ووجدانهم، وسلوكهم وأعمالهم، ولا يكون ذلك ولن يكون إلا بالاعتصام بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وهو القائل: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ**»[1].

إن حاجتنا إلى التمسك بالكتاب والسُّنة فوق كل حاجة، وضرورتنا إلى ذلك فوق كل ضرورة، خاصة في هذه الأيام التي انقسمت فيها الأمّة الإسلامية إلى فِرقٍ وأحزاب متناحرة أسرت نفسها في ربقة الرمز، وضيق الشعار ومستحدث اللقب الذي يكون في البداية- «كلمة» وفي النهاية «نحلة»، واشتد طمع الأعداء في فرقتها وتناحرها، فكثرت دعوتهم إلى ذلك، وتنوعت الشُّبه التي يزرعونها بين الصفوف[2].

وكان من أثر ذلك أن دبَّ الضعف إلى جسد الأمة الإسلامية وأصيب بنيانها بالتصدع واجتماعها بالتناثر، وطرقت النداءات والنزعات والشعارات أبوب البلاد الإسلامية وعقدت مع الإسلام مصالحة مشبوهة، وهنت معها أواصر الأخوة، وتزعزع فيها الولاء لله ورسوله، واهتزت فيها روابط العقيدة ولم تزل الأواصر تضعف، والخلاف يستشري، حتى أصبح واقعاً ملموساً ومنهجاً محسوساً، أستبيح بسببه الحمى، ونهبت من أجله الديار، ووقع كثير من بلاد المسلمين في أزمات مادية ومعنوية خانقة وتداعت عليها الأمم وأودت بها الأهواء إلى منعطفات خطيرة ومسالك وعرة، وأقبل أبناء الأمة بعضهم على بعض يتلاومون ولعمر الله إنهم لن يزالوا كذلك حتى يطهر الإيمان قلوبهم ويعيد بناءهم وتماسكهم، ويرصهم

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في القدر رقم ٣ باب النهي عن القول بالقدر، والحاكم في المستدرك (٩٣/١).

(٢) انظر حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (ص٦) لفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

في ميادين الإصلاح والجهاد والعمل المثمر البناء أشرافاً كرماء[1].

لقد أدرك فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أنه لا سعادة ولا حياة لأمة الإسلام إلا بالإسلام، بقاؤها مرهون بالتمسك به، وفناؤها راجع إلى التفريط فيه، ولذا كان شغله الشاغل وهدفه الأسمى، جمع الأمة على الكتاب والسُّنة، فحذّر من سلاح الدّس والخديعة للأعداء، وهو سلاح بغيض يلجأون إليه إذا أعيتهم الحِيل للنيل من الإسلام وأهله بالقوة والسيف.

لقد أبان عن هذا كلّه -رحمه الله- تحذيراً للأمة وإعذاراً إليها وذلك في كلمته الضافية في العدد الأول من مجلة الهدى النبوي.

ومما جاء في هذه الكلمة قوله: فلما أعيتهم الحيل للنيل من الإسلام وأهله بالقوة والسيف أو بالحجة والبرهان، عمدو إلى السلاح النسوي سلاح الدس البغيض والتلبيس، فلبسوا لذلك لأمة النفاق، وتدرّعوا بدروع التقيّة خشية الظنون والرِّيب وخشية أسياف الغيورين من المجاهدين، مستبطنين الكفر والعدوان فأوضعوا خلال المسلمين، يبغونهم الفتنة[2].

وفي موضع آخر يقول -رحمه الله-: إن ما ترزح تحته الأمة الإسلامية اليوم من تفرق في الرأي، وضعف في الدفاع، وتأخر إلى الوراء حين يتقدم غيرهم، ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلتهم عن مخططات أعدائهم

---

(١) نقلًا عن كتاب توجيهات وذكرى لفضيلة الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد (ص٤١ - ٤٢) بتصرف.

(٢) انظر كلمته في العدد الأول من مجلة الهدى النبوي والصادرة في ربيع الآخر عام ١٣٥٦هـ - وعنوان الكلمة (أمانة العلم وصفات العلماء).

وبُعدهم عن تراث السلف الصالح وسلوكهم لغير خطتهم علماً وعملاً وفي موضع ثالث يتحدث الشيخ -رحمه الله- عن حقيقة العداوة بين المؤمنين والكافرين وطرق مواجهتها فيقول:

إن العداوة التي بين المؤمنين والكافرين عداوة قديمة مستأصلة، وأن الخصومة التي بين الفريقين خصومة مستحكمة، وأن قلوب الكافرين لم تزل ولا تزال تتوهج فيها جمرات الغيظ، وتشتعل فيها نيران الضغائن والأحقاد، لا يكاد يخبو لهيبها أو تخمد جمرتها، بل لا تزال تزداد يوماً بعد يوم، وتتخذ ألواناً مختلفة من الكيد والتلبيس، وأشكالاً من الحروب الضارية خفية وجهرة، سراً وعلانية، وما خفي منها أشد ضراوة، وأعظم فتكاً بالمسلمين مما ظهر، ولذا حذرنا الله من موالاتهم واتخاذ بطانة منهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(1).

تارة تكون حرباً مادية تدور رحاها في الجو أو البحر أو على بساط الأرض بالطائرات والغواصات والدبابات وأمثال ذلك من الأسلحة الفتاكة، وتارة تكون نظرية تدور رحاها في عالم الأفكار بإلقاء الشُّبه، ونشر نظريات الإلحاد ونحوها لتشكيك المسلمين في دينهم، وبزلزلة

---

(١) سورة آل عمران: الآيات (١١٨ ـ ١٢٠).

العقيدة في نفوسهم، ومحو ما في قلوبهم من حق ويقين، وآونة تكون حرب أعصاب وفتن توهن العزائم، وتبعث الرعب في القلوب، وتحطم وحدة المسلمين وتفرق جماعتهم بما تلقيه في نفوسهم من بذور الأثرة وأسباب العداوة والبغضاء وتجعل بعضهم حرباً على بعض، إلى غير ذلك من ألوان الكيد والحروب، فلابد للمسلمين أن يواجهوهم بمثل أسلحتهم، يواجهونهم بأسلحة مادية يضعونها في نحورهم، ويقضون بها عليهم، ويواجهونهم بأدلة علمية يثبتون بها الحق في قلوب المؤمنين ويمحون الشُّبه حتى لا تكون فتنة ولا إلحاد، ولا حيرة ولا شكوك ويواجهونهم بإيجاد يقظة في الأمة الإسلامية، ونشر الوعي فيها حتى ينكشف لهم ما بخصوصهم من الكيد والدس، وحتى لا يغتروا بالبهرج الكاذب والمظاهر الخداعة، ولا يأخذ التهريج من نفوسهم مأخذه.

وكل هذه المواجهات والمكافحات أنواع من الجهاد في سبيل الله، فيجوز أن يستعان في القيام بها بأموال الزكاة وغيرها من تبرعات المحسنين من أغنياء المسلمين، وبيوت الأموال في الدول الإسلامية عن طريق ولاة الأمور، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفر هي السفلى، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم، والله الموفق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي معرض حديثه عن الفِرَق وثمار التفرق المرة يقول فضيلته:

كان الناس أُمَّة واحدة على الحق بما أودع الله فيهم من فطرة الإسلام، وبما عهد إليهم من الهدى والبيان، فلما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، فاجتالتهم الشياطين عن الصراط المستقيم، وسلكت بهم بُنيَّات الطريق، فمتزقت وحدتهم واختلفت كلمتهم، فبعث الله النبيِّين

مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾(٢).

وقال ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»(٣). الحديث. وقد أمر الله -تعالى- في كتابه وعلى ألسنة رسله بوحدة الكلمة والاعتصام بشرعه، وحذّر من الفرقة والاختلاف، وبين عاقبة ذلك بما ذكر من أحوال الأمم الماضية، وما حاق بها من الدمار، وأصابها من الهلاك، وحثهم على البيان والبلاغ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نُصرةً للحق، وإزالة للشبهة، وإحباطاً لكيد دعاة السوء واستهوائهم النفوس الضعيفة.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

(٢) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٣) رواه البخاري (الفتح ١١/٦٥٩٩) ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة آل عمران: الآيتان (١٠٢ ـ ١٠٣).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1].

وعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة»[2]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

ومع ذلك دبَّ الخلاف بين الناس، فما مِن أُمة من الأمم إلا وقد اختلفت بهم الأهواء حتى وضع كلٌ لنفسه أصولاً يبني عليها مذهبه وإليها يرجع في خصومته. فتناقضت مذاهبهم، وصار كلُّ واحدٍ حرباً على أخيه، وشُغل بذلك عن كتاب الله، وهدْي رسوله ﷺ، إلا أنه -سبحانه- جرت سنته واقتضت حكمته أن يُقيِّض للحق في كل عصر جماعة تقوم عليه، وتهدي الناس إليه، انجازاً للوعد بحفظ دينه، وإقامة للحجة، وإسقاطاً للمعاذير، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[3].

وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٣) سورة فاطر: الآية (٢٤).
(٤) سورة الحجر: الآية (٩).

وقال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كُلّها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». وفي رواية، قالوا: يا رسول الله! مَنْ الفرقة الناجية؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وفي رواية، قال: «هي الجماعة يد الله على الجماعة». رواه أبو داود والترمذي والنسائي[1] وغيرهم. وفي الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...» الحديث[2].

وقد تبيَّن من ذلك أن الفِرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وإن شعارها كتاب الله، وهدْي رسوله عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه سلف الأمة الذين يؤمنون بمُحْكَم النصوص ويعملون بها، ويردون إليه ما تشابه منها، وأمّا الفِرَق الضّالة فشعارها مفارقة الكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة واتباع الأهواء، وشرع ما لم يأذن به الله من البدع والآراء الزائفة بناءً على أصول وضعوها، يوالون عليها، ويعادون، فمن وافقهم عليها أثنوا عليه وقرّبوه، وكان في زعمهم من أهل السُّنة والجماعة، ومَنْ خالفهم تبرّأوا منه ونبذوه وناصبوه العداوة والبغضاء، وربما رموه بالكفر والخروج من ملة الإسلام لمخالفته لأصولهم الفاسدة.

وبعد هذه المقتطفات من مقالات الشيخ وكتاباته يدرك القارئ الكريم حرص الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- على اجتماع كلمة

(١) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه (٣٩٩٣) وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (الفتح ١٣/٧٣١١) ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

المسلمين والتمسك بالإسلام لأنه الدِّين الذي تجتمع عليه القلوب، وتتآلف به الشعوب، جامعة تتضاءل أمامها الشعارات القبلية، والدعوات العنصرية، والانتماءات الحزبية، وبه تتلاشى كل الدعاوى الجاهلية.

ولأجل هذا كرَّس الشيخ حياته، خدمة لدينه، ودفاعاً عن عقيدته، فضلاً عن الدعوة الصادقة والمستمرة في العودة إلى كتاب الله تلاوة له، وتفقهاً فيه والاعتصام بسُّنة رسول الله ﷺ والعضّ عليهما بالنواجز.

وقد حاول -رحمه الله- إرجاع الناس إلى هذين الأصلين العظيمين والمصدرين الكريمين من مصادر التشريع، وبذَل من أجل ذلك كل ما يمكن بذله.

حقاً لقد أحبَّ السُّنة، كيف لا وهو إمام من أئمتها، حَمَل لوائها وذبَّ عن حياضها، ودافع ونافع عنها، وكان عطوفاً حدباً، على المنتسبين إليها، وفضلاً عن ذلك كلِّه فقد كان له القدح المعلى في تأسيس أول جماعة لها تعرف بـ «جماعة أنصار السُّنة المحمدية في الاسكندرية» وهي فرع من جماعة أنصار السُّنة في القاهرة، وقد وضّحت سابقاً أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان وكيلاً لجماعة أنصار السُّنة المحمدية في القاهرة ثم آل به الأمر إلى توليه رئاسة جماعة أنصار السُّنة في مصر كلها خلفاً لمؤسسها الأول فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله.

وكلمة حق أقولها، وشهادة أدين الله بها: إن هذه الجماعة هدفها الأعظم وسبيلها الأقوم؛ إحياء سُنَّة رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً واعتقاداً ومحاربة البدع ومحدثات الأمور، ودحض الأباطيل والأوهام التي لا تمتُّ إلى الدِّين بصلة، وهي اسم على مسمًّى فهي بحمد الله قائمة على

التوحيد داعية إليه مؤثرة له، وقد شهد لها بذلك كبار حملة الشريعة ورواد العلم ودعاة الهدى، وقد ورد استفتاء إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -حفظه الله- يسأل فيه المستفتي عن حقيقة جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان فأجابت اللجنة بقولها:

جماعة أنصار السُّنَة المحمدية في مصر ثم السودان، جماعة إسلامية سُنية سلفية، تدعو إلى الله على منهاج النبوة في التوحيد، والتعبد والسلوك، وتعقد الولاء والبراء على الكتاب والسُّنة، هذا معروف عنها - ولله الحمد- فهي تمثل جماعة المسلمين الحقة في وسط المجتمعات التي تعج بأنواع الفرق والنِّحل، وقد نفع الله بهم خلقاً كثيراً من العلماء وطلبة العلم وعامة الناس.

وهذا الاسم «جماعة أنصار السُّنة المحمدية» إنما صار لتتميز به أمام الجماعات والفِرَق التي داخلتها البدع والأهواء المضلة، وعقد الولاء والبراء ليس على هذا الاسم، وإنما هو على الكتاب والسُّنة والحب في الله والبغض في الله.

ولهذا لا يجوز تفرقهم، ولا تفريق كلمتهم، ومن سعى في هذا أو رماهم بالتحزب المقيت فقد اعتدى عليهم وظلم نفسه[1].

ويمتدح سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية «مجلة التوحيد» التي تصدرها جماعة أنصار السُّنة المحمدية قائلاً: بخصوص مجلة «التوحيد» التي تصدرها جماعة أنصار السُّنة المحمدية في جمهورية مصر

(١) انظر فتوى اللجنة الدائمة رقم (١٦٧٢) وتاريخ ١٣/٣/١٤١٥هـ.

العربية- هي مجلة إسلامية تنشر العقيدة الصحيحة وتدعو إلى الأخلاق الفاضلة، وتحذر من البدع وسائر الأمور المخالفة للشرع المطهر، فهي جديرة بالدعم والمساعدة والاشتراك فيها حتى تستمر في جهادها المبارك في نشر الحق والفضيلة.

ويذكر فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - إمام وخطيب المسجد الحرام- بأن هذه الجماعة ليست جماعة حزبية وإنما هم أناس نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله ولنصرة السُّنة والتركيز على العقيدة الصحيحة، وإلى دعوة الناس إلى الوحيين(١).

ومما يؤكد ما ذكره فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس - حفظه الله- عن هذه الجماعة ماكتبه فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي في كلمته الضافية «مبدأ وميثاق»(٢) موضحاً منهج هذه الجماعة ولب دعوتها قائلاً:

من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السُّنة المحمدية يكثرون من الكلام في التوحيد في دروسهم،وخطبهم وكتاباتهم، ولهم في ذلك خير أسوة، أسوتهم في ذلك أئمة الهدى وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصره أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله وتهتدي بهدي رسوله عليه الصلاة والسلام وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها، عقيدة وقولاً وعملاً لا تُؤثر على

(١) استمع إلى محاضرته القيمة (الشيخ عبد الرزاق عفيفي - حياته وجهوده) والتي ألقيت في المسجد الكبير (ببحرة).

(٢) انظر مجلة الهدي النبوي - عدد ربيع الآخر سنة ١٣٧٩هـ.

ذلك شيئاً ولا ترضى به بديلا من آراء الرجال الضالة، وأهوائهم الزائفة، عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. وما في معناه من الآيات والأحاديث، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وعهدت إلي برئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها بمصر، ورئيسها السابق، فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عن الدعوة إلى الدين، ونشر التوحيد خير الجزاء، فكان لزاماً علي أن أقوم بهذا الواجب وأسير بالجماعة على هدي كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ابتغاء مرضاة الله في نشر دينه، وتحقيقاً لمبدأ التعاون في نصرة الحق.

وأرجو الله أن يهيئ لنا جميعاً من أمرنا رشداً، وأن يلهمنا الرشد، والصواب في القول والعمل، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد هذا التعريف بجماعة أنصار السُّنة المحمدية في مصر وبيان حقيقة دعوتها وثناء العلماء عليها، فإنه يمكن القول بأن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان على علاقة حسنة وطيبة مع سائر الجماعات الأخرى في مصر، مع عدم إقراره -رحمه الله- لمناهج الكثير منها، وكان أبعد الناس عن الغلو، فلم يغلو في أحد أو يجفو أحداً، ومع ذلك لم يألُ جهداً في النصح لهذه الجماعات باتباع سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، والبعد عن التفرق في الدِّين، وأن يكونوا على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله

(١) سورة الحجرات: الآية (١). وانظر مجلة الهدي النبوي المصرية ـ عدد ربيع الآخر سنة ١٣٧٩هـ.

عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان، وذلك بالتزام جماعة المسلمين ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2].

وكان الشيخ -رحمه الله- إذا سُئل: هل على المسلم أن يلتزم جماعة بعينها، قال: من أراد أن يلتزم جماعة مُعينة فليلتزم أسعدها بالحق وأتبعها لكتاب الله وهدْي رسوله محمد ﷺ وأئمة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، رضي الله عنهم أجمعين.

والواجب على كل إنسان أن ينضوي تحت جماعة المسلمين «أهل السنة والجماعة» الذين درجوا على منهاج النبوة ولم ينفصلوا عنها لحظة واحدة، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى النبي ﷺ، وليس لهم منهاج سوى منهاج النبوة «الكتاب والسُّنة».

لقد كان لنصح الشيخ ورفقه بالمنصوحين الأثر البالغ في إقبال الناس على السُّنة وتعظيمهم لها، وتقديم الكتاب والسُّنة على ما سواهما، وهذا والله منهج العلماء العاملين، والدُّعاة المصلحين، فإن غاية الغايات عندهم دعوة الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أصل دينهم، وتعريفهم وتبصيرهم بما يقربهم إلى ربهم وخالقهم ومعبودهم مع الرفق بهم ورحمتهم. ومع الرفق واللين يُقبل الناس على الدِّين. وهذا ما حدث بالنسبة لمن جلسوا إلى الشيخ وقعدوا منه مقعد الدرس والتحصيل، فقد

(١) سورة الروم: الآيتان (٣١ ـ ٣٢).
(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

استفادوا من علمه، وتأثروا بأخلاقه وسعة صدره، وأفادوا غيرهم من طلبة العلم ومحبي المعرفة، وغدوا دعاة وهداة، يدعون إلى الله على بصيرة، لقد غدوا سُنيِّين، ودعاة ربانيين، أحّلوا السُّنة سويداء قلوبهم، فجدُّوا في الدعوة إليها، وصبروا على الأذى في سبيلها، فرحم الله الشيخ عبد الرزاق رحمة واسعة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



الشَّيخُ العلَّامَة

عبد الرزاق عفيفي

حياته العلميّة، وجهوده الدّعويّة، وآثاره الحميدة

تأليف

محمّد بن أحمد سيّد أحمد

المدرّس بدار الحديث الخيريّة بمكّة المكرّمة

تقديم وتقريظ

جماعة من كبار العلماء

بالمملكة العربيّة السّعوديّة

الجزء الثّاني

المكتب الإسلامي

الفصل الرابع

عقيدته السلفية
وجهوده في مجال العقيدة

المبحث الأول: معنى العقيدة وأهميتها.

المبحث الثاني: منهجه في العقيدة وعنايته البالغة بالتوحيد.

المبحث الثالث: إمامته في السُّنة وحثه على التمسك بها.

المبحث الرابع: اهتمامه بكتب العقيدة وتأثره بعلماء السلف.

المبحث الخامس: كفاحه ضد البدع والمنكرات ودعوته إلى الاعتصام بالكتاب والسُّنة.

المبحث السادس: نماذج من كتاباته وتعليقاته وتحقيقاته في العقيدة.

الفصل الرابع

عقيدته السلفية وجهوده في مجال العقيدة

المبحث الأول

معنى العقيدة، واهمَّيتُها

معنى العقيدة، لغة:

العقْد: نقيض الحل، وعقد الحبل والبيع والعهد واليمين يعقده عقداً: أحكمه وشدَّه.

والعقد: العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود، وتعاقد القوم: تعاهدوا.

وعَقَد العهد واليمين يعقدهما عقْداً، وعقدَّهما أكدهما.

وفي القرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ..﴾(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما، المعاقدة: المعاهدة، والميثاق.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾(٢).

قيل العهود، وقيل هي الفرائض التي ألزموها(٣).

---

(١) سورة النساء: الآية (٣٣).

(٢) سورة المائدة: الآية (١).

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور (٢٩٦/٣، ٢٩٧) والمصباح المنير للفيومي (ص١٦٠) مادة (عَقَد)، ومحيط المحيط (ص٦١٨ مادة عقد).

واصطلاحاً: هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك[1].

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات[2].

والعقيدة ليست أموراً عملية، بل هي ما يُصدِّقه العبد ويَدين به، فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رُسله، وأنزل به كُتبه، فهي عقيدة صحيحة سليمة، تحصل بها النجاة من عذاب الله، والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أنزل الله به رُسله، وأنزل به كُتبه، فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

والعقيدة الإسلامية: إيمان راسخ بأن الله ربّ كلّ شيءٍ ومليكه خلْقاً وتقديراً، ومُلْكاً وتدبيراً، وأن العبادة بجميع أنواعها حقٌ له وحده، لا يشركه فيها مَلَك مقرّب ولا نبيٌ مرسل، وله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة.

أهمية العقيدة:

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، أرسله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله سبحانه إلى الإنسانية وهو ﷺ مثالُ الإنسانية الكاملة ـ ليردها إلى وحدة صادقة، في ظل

(١) انظر: مجموع الرسائل (ص٤٢٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٦٩) ط المكتب الإسلامي.

توحيد صادق، وعقيدة نقية راسخة، ذلك لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله،ويكون مع ذلك كلِّه أحبّ إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

إن العقيدة الإسلامية هي الغذاء الواقي لقوى النفس المختلفة، والمداد القوي لحيويتها، وليس على وجه الأرض قوة تساوي قوة العقيدة أو تُدانيها في ضمان تماسك المجتمع، واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، وترجع أهمية العقيدة والعناية بها، ودراسة مصنفاتها إلى الأسباب الآتية:

أولاً: أنها هي التي استطاعت أن توحِّد بين القلوب، وتؤلِّف بين النفوس، وتجمع الأُمَّة على هدف واحد، وغاية واحدة، هي إخلاص العبادة لله، ومحاربة الشرك والضلال، فهي خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد من الإنصاف والعدالة، كما أنها تعمل على نشر الحق والخير بين الناس، وأصدق دليل على ذلك عصر صدر الإسلام، الذي ضرب فيه الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن تبعهم بإحسان، أروع الأمثلة في التضحية والفداء في الدفاع عن هذه العقيدة، وحمايتها، وكان لهم القدح المُعلَّى في العمل على نشرها، حيث كانت حيَّة صافية في نفوسهم لم تتسرب إليها الشبهات، ولم تؤثر فيها الشهوات.

ثانياً: إن العقيدة الإسلامية متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته، ومتى أظلت مجتمعاً إنسانياً انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني. كما أنها تبعث من دان الله بها إلى العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب السامية.

ثالثاً: تميزت عقيدة السلف الصالح بالوضوح، حيث إنها تتخذ من نصوص الكتاب قاعدة لها تنطلق منها في التصور والفهم بعيداً عن شُبه المعطلين والمُحرّفين، والمؤولين والمشبّهين، وتربط المسلم برسول الله ﷺ وبصحابته، وبسلف الأمة الصالح، الذين هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وهي مَنْ كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

رابعاً: ثم إن في التزام عقيدة السلف الصالح اتباعاً لما أمر به القرآن، ودعت إليه السُّنة من ضرورة اتباع سبيل المؤمنين الصادقين، الذين يتلقون كل ما جاء به الرسول ﷺ في إذعان تام، وتسليم مطلق، دون أن يزيغوا بعقولهم عن هذا الصراط المستقيم[1].

خامساً: ليس هناك ما يُوحِّد بين صفوف المسلمين ويجمع كلمتهم دون أن تتوزعها الأهواء، وتتجاذبها الفرق، كالعودة إلى عقيدة السلف، والانطلاق منها للبناء والتربية والتوجيه.

سادساً: إن المتمسك بعقيدة السلف الصالح يحصل له النجاة من عذاب الله وتحصل له السعادة في الدنيا والآخرة، ويحصل له كمال الأمن والاهتداء في الدارين، كما أنه ينجو من مهلكات الخوض في ذات الله، أو الرد لشيءٍ مما صح عن رسول الله ﷺ.

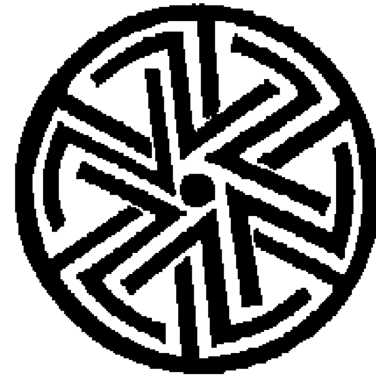
سابعاً: إن العقيدة الإسلامية هي وحدها التي تجيب على التساؤلات التي تشغل الفكر الإنساني وتُحيِّره، ولا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية تجيب على هذه التساؤلات إجابة صادقة مقنعة، وكل

---

(١) انظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (١/١٣).

من لم يعرف هذه العقيدة، ومن لم يعتنقها، فإنه يظل ضائعاً تائهاً، فاقداً لذاته ووجوده.

ثامناً: إنه ليس للعالم -في زماننا الحاضر وفي كلِّ زمان- من سبيل إلى الخلاص من طوفان المادية المتلاطم، وشرِّها المتدافع إلاَّ بعقيدة الإسلام، فالمجتمعات المعاصرة على امتداد العالم في حالة من الصراع والقلق النفسي تنذر بالشرِّ والخطر وتهدد الحياة الإنسانية بالتحلل والضياع، وذلك راجع بلا شك إلى الفراغ الديني والبعد عن الله والإسراف في الملذات والانهماك في الشهوات التي أرهقت الإنسان وحرمته من كل معاني الاستقرار، وجردته من كثير من القيم التي تصله بالله ثم بالحياة والناس.



المبحث الثاني

منهجه في العقيدة وعنايته البالغة بالتوحيد

كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- سلفي العقيدة، من كبار علماء التوحيد، يرجع في أمر المعتقد إلى مذهب السلف الصالح، وقد عُرف بشدة الانتصار له، والدفاع عنه، يعض عليه بالنواجذ، ويحاول إرجاع الناس إليه بكل الوسائل.

لقد كان مدافعاً ومنافحاً عن العقيدة الإسلامية الصافية «عقيدة التوحيد» فقد حارب البدع وهو يحمل لواء التوحيد، يحافظ عليه بكل ما أتاه الله من قوة، وما حباه من عزيمة.

إن عقيدة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- هي العقيدة التي جاء بها الإسلام، فهي عقيدة تتسم بالقوة والوضوح، والبعد عن الشطط والانحراف، وهي عقيدة تقوم أوّلاً وأساساً على الإيمان بالله رباً واحداً له الربوبية المطلقة على الأشياء كلِّها خلْقاً وملكاً وتدبيراً ورعاية وحفظاً لا شركة لأحد معه أصلاً في خلْق شيء، ولا في تدبير أمر، كما قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وأن خلقه للأشياء تم بقدرته وحدها على وفق علمه ومشيئته

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

دون مُعين أو وسيط، وأن تدبيره لها كذلك يجري وفق قوانين ثابتة، وسنن مطردة اقتضتها حكمته، فلا يستطيع أحد لها تحويلاً ولا تبديلاً.

وتقوم على الإيمان به كذلك إلهاً واحداً، لا تنبغي الإلهية إلا له، فهو الإله المعبود الذي تأله القلوب، يعني تعبده محبة ومخافة وذلاً، وإنابة واستكانة، وخضوعاً وتعظيماً، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي يحبها الله ويرضاها والتي أمر عباده أن يتقربوا إليه بها.

وتقوم على الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وتقوم أيضاً على الإيمان بملائكة الله على الوجه الذي ورد في الكتاب والسُّنة من أنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2].

وأن منهم السفراء بينه وبين رسله من البشر، يحملون إليهم وحي الله ورسالاته ليقوموا بتبليغها إلى من أُرسلوا إليهم من الناس،ومنهم من وُكِّل بالأرزاق والأمطار والنطف وقبض الأرواح وكتابة الأعمال..

وتقوم على الإيمان باليوم الآخر وبكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبعث

---

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الأنبياء، الآيات (٢٦ ـ ٢٨).

والجزاء وخروج الناس من قبورهم أحياء، وحشرهم إلى ربهم، وفصل القضاء بينهم ومحاسبتهم على كل ما قدَّموا لأنفسهم وما كسبته أيديهم من خير وشر.

وتقوم أيضاً على الإيمان بقضاء الله وقدره، إيماناً يحمل للنفوس الطمأنينة والرضا، وينفي عنها الهلع والجزع، ويحملها على التسليم لله فيما قدَّره وقضاه.

وتقوم كذلك على أن الدِّين كلَّه لله، فهو الذي يتعبد عباده بما يشاء، ويُشرِّع لهم من الأحكام والحدود والفرائض والآداب ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو فيه، أو يبدل كلماته، أو يحرفها عن مواضعها بتأويل زائغ، أو يُشرِّع ما لم يأذن به الله.

وتقوم أيضاً على أن دين الله واحد وهو الإسلام الذي بعث به رُسله وأنزل به كتبه، وأن الأنبياء كلهم إخوة أبناء علات، أصول دينهم واحدة وشرائعهم شتى، وأن الواجب هو الإيمان بهم وبما أُنزل إليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

وبعد إلقاء الضوء على عقيدة الشيخ والأسس التي قامت عليها يستطيع القارئ والمطّلع على كتابات الشيخ عبد الرزاق وإملاءاته وتحقيقاته وتعليقاته على بعض الكتب والرسائل والبحوث، أن يقف على

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

أبرز سمات المنهج العقدي للشيخ، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التعويل الدائم على الدليل من الكتاب والسُّنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والالتزام بمنهج السلف الصالح في كل قول وفعل.

٢- وضوح العبارات، ودقة المعاني والرغبة في الوصول إلى الحق من أقصر طُرُقه مع البعد عن مصطلحات المتكلمين، وتعقيداتهم وتخرصاتهم.

٣- الفهم الدقيق، والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطرحة مع الإلمام بالأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام.

٤- تكييف الموضوع وتصوره، والحكم عليه وفق الأصول الصحيحة والأسس الثابتة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار، المشهود لهم بالخيرية والأمانة والعلم.

٥- تفصيل المسائل وتأصيلها، وتوضيح الغامض، وحل المشكل، وتقديم البراهين والأدلة على صحة القول.

٦- الإنصاف والتجرد عند عرض الآراء، ومناقشة الأدلة، والرد على الخصوم مع عدم الانتصار للرأي وإن كان صواباً.

٧- الالتزام بالنصوص الشرعية وإقامة الحجج العقلية والأدلة النقلية عند عرض قضايا العقيدة، وطرق الدعوة ووسائلها.

٨- الاهتمام بتقعيد القواعد التي تبنى عليها الأقوال، وضبط الأصول التي يتفرع منها غيرها، مع الإحاطة بمستجدات الواقع، وأحداث العصر.

وفيما يلي تفصيل لهذه السمات وبيان لها.

أولاً: التعويل الدائم على الدليل من الكتاب والسُّنة الصحيحة، والالتزام بمنهج السلف الصالح في كل قول وفعل:

إن المتأمل لكتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ يجد أنهما متظاهران على وجوب امتثال أمر الله وامتثال أمر رسوله ﷺ، وطرح كل قول يخالف الكتاب والسُّنة دون شقاق أو عناد، فإن ذلك من تمام الانقياد، الذي هو قيد من قيود لا إله إلا الله، فلا توحيد إلا بطاعة الله ورسوله ﷺ ولا فوز ولا فلاح إلا بتقديم الكتاب والسُّنة على آراء الرجال، كما أنه لا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

لقد عُرِف فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بشدة متابعته للكتاب والسُّنة والتعويل علىالدليل، وتقديم كل بحث أو قول على ضوء الأسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار، وفيما يلي نماذج من كتاباته، تبرهن وتؤكد على عظم متابعته الإسلامية المرتبطة بكتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ.

فقد ذكر -رحمه الله- في مقدمة كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، أن العلماء لهم منازع شتى، ومشارب متباينة، وأسعدهم بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، ووسعه ما وسع السلف مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء نصوصها، فكلَّما كان العالم أرعى لذلك وألزم له كان أقوم طريقاً، وأهدى سبيلا.

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

وفي كلمة له -رحمه الله- بعنوان «أمانة العلم وصفات العلماء» يؤكد فضيلته على وجوب التمسك بالكتاب والسُّنة، ونبذ كل قول أو رأي أو فعل يخالفهما، ففي هذه الكلمة يقول فضيلته:

لقد راجت شُبه الملحدين من جديد رواجاً مخيفاً جمد إزاءه المسلمون ولو أنهم رجعوا إلى أقوال سلفهم الصالح، وسلكوا طريقهم لردوا كيد الكائدين إلى نحورهم. فإنه ما من شبهة تذاع اليوم إلا وقد سبق لها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى ووقّفها وردها وأبطلها أجلّة علماء السلف، ببراعة فائقة، فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هدْي أقوم مما كانوا عليه.

فالخير الخير في العودة إلى كتاب الله تلاوة له، وتفقهاً فيه، وإلى أحاديث المصطفى صاحب جوامع الكلم ﷺ، دراية ورواية، والفُتيا بهذين الأصلين، وعرض أعمال الناس عليهما. فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد[1].

وفي مقال بعنوان «الحكم بغير ما أنزل الله وأثره على الأفراد والشعوب» يقول فضيلته:

أوصى سبحانه وتعالى من وكل إليه الحكم في خصومة أو الفصل بين الناس في أمر ما أن يحكم بينهم بالعدل، سواء كان مُحكِّماً أو وليّ أمر عام أو خاص، ولا عدل إلا ما جاء في كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، فذلك الهدى والنور والصراط المستقيم.

(١) انظر العدد الأول من مجلة الهدي النبوي والصادر عام ١٣٥٦هـ.

ثانياً: وضوح العبارات، ودقة المعاني، والرغبة في الوصول إلى الحق من أقصر طرقه مع البعد عن مصطلحات المتكلمين وتعقيداتهم وتخرصاتهم:

سبق وأن ذكرت أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان يتمتع بمزايا فريدة، وخلال حسنة لا تكاد تتوافر إلا في القليل من الرجال، ومن هذه المزايا؛ فصاحة لسانه، وقوة بيانه. فقد كان -رحمه الله- ذا أسلوب متين جزل بليغ، تتسم عباراته بالإيجاز والوضوح والإحكام والبيان، وكلماته بالجزالة والفصاحة مع خلوها من الحشو وبعدها عن التعقيد، وكانت كلماته تصل إلى القلوب من أول وهلة، وذلك لأن الحق رائده، والصدق معوّله، وما كان من القلب وصل إلى القلب.

إن الشيخ -رحمه الله- على الرغم من أنه درس بالأزهر، وسبر كتب الأشاعرة، وألمّ بها، وخبر مناهجها، إلا أنه لم يتأثر بشيء منها، وظل على سلفيته، مع بعده عن مصطلحات أهل الكلام وسفسطهم، ويتضح هذا جلياً في كلمته القيمة تحت عنوان «مبدأ وميثاق».

ففي هذه الكلمة، أوضح فضيلته أن الإسلام عقيدة وقول وعمل. فالعقيدة إيمان راسخ بأن الله ربّ كلِّ شيء ومليكه، خلْقاً وتقديراً، وملكاً وتدبيراً، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده لا يشركه فيها مَلَك مقرب ولا نبيّ مرسل، فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة.

ثم وضّح الشيخ أن هذه النصوص تمرّ كما جاءت اقتداءً بسلف هذه الأمة وخير قرونها، وأن تفسر بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي نزل بها القرآن، وكانت لسان النبي ﷺ، مع تفويض

العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

ولا يلزم من ذلك تشبيهاً لله بعباده، وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، وأرحم بهم منهم بأنفسهم، وكلامه أبلغ الكلام وأبينه، وله سبحانه الحكمة البالغة، فيستحيل أن تتوارد النصوص وتتابع الآيات والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة، والمراد غير ما دلت عليه حقيقة، ويقصد الله منها، أو يقصد رسوله ﷺ إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلاً على ما أراد من المعاني المجازية اعتماداً على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر. فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى، وسعة رحمته، وفصاحة كلامه، وقوة بيانه، وبالغ حكمته.

فمن جحد شيئاً من النصوص أو تأولها على معانٍ مجازية من غير دليل يرشد إلى تأويلها عليه، فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته، وحُقّ عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾[2].

وقــولــه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وقد زادت السُّنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء والصفات

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

توكيداً وبياناً فقضت على قول كل متأول يحرف كلام الله عن مواضعه، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها وتلاعبها بشريعة نبيِّها[1].

ومما يدل دلالة قاطعة على أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان سلفي النزعة، بعيداً كل البعد عن شطحات المتكلمين وخزعبلاتهم أنه كان إذا دعته الحاجة إلى أن يتطرق إلى موضوع سبق وأن تطرق إليه المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم، نجد أنه يسلك مسلكاً غير مسلكهم في البحث والمناظرة والاستشهاد، فهو دائماً يعوّل على الدليل من كتاب الله تعالى وسُّنة رسوله ﷺ مع ربط كل مسألة وبحث بالمصدرين العظيمين والأصلين الكريمين، القرآن والسُّنة، فضلاً عن ذلك فإن الشيخ عبد الرزاق عندما يتعرض لمسألة من المسائل العقدية أو حتى العلمية، فإنه يحيط بالمسألة من جميع جوانبها ويوسعها بحثاً واستقصاءً وبأسلوب مركز يتسم بالقوة والموضوعية.

وفي الصفحات التالية نماذج من هذه المسائل التي أملاها الشيخ على طلبته في كلية الشريعة بالرياض، ومنها مسألة إثبات أن العالم ممكن، وأن الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر، وإثبات وجوب الوجود لله سبحانه بالأدلة العقلية والنقلية، وكلها تبرهن وتؤكد على صحة ما ذكرته آنفاً.



(١) مجلة الهدي النبوي عدد ربيع الآخر سنة (١٣٧٩هـ).

المسألة الأولى
إثبات أن العالم ممكن

إنَّ ما شاهدناه في ماضينا من الكائنات، وما نشاهده منها في حاضرنا ممكن: أي جائز الوجود، والعدم ؛ وذلك لأنّا نراه يتحوَّل من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، وهذا التغير والتحول دليل إمكانه، إذ لو كان واجباً لما سبق وجوده العدم، ولما لحقه فناء، ولو كان مستحيلاً لما قبل الوجود لأن المستحيل لذاته لا يوجد، وحيث إننا شاهدناه موجوداً بعد عدم ثبت أنه ممكن.

المسأله الثانية
الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر

وحيث ثبت أن العالم ممكن، والممكن ما استوى طرفاه -الوجود والعدم- بالنسبة إلى ذاته، فوجوده ليس من ذاته، وعدمه بعد وجوده ليس من ذاته، إذن لابد له من سبب يرجح وجوده على العدم، إذ لو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته للزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر بلا مرجِّح، وهو باطل؛ ولو أوجد الممكن نفسه للزم من ذلك أن يكون متقدِّماً على نفسه باعتباره خالقاً لها، ومتأخراً على نفسه باعتباره مخلوقاً لها، وتقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها محال بالضرورة لما فيه من التناقض الواضح، فثبت أن الممكن لا بدَّ له من موجد غير ذاته وحقيقته، يوجده ويدبر شؤونه في كل أحواله، هذا المغاير: إما المستحيل، وإما الواجب، لا جائز أن يكون موجده هو المستحيل، لأن المستحيل غير موجود فلا يؤثر، ولأن فاقد الشيء لا يُعطيه. فثبت أن موجده هو الواجب، وهو الله- تعالى.

وقد أرشدنا الله -تعالى- إلى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1].

فقد أنكر -سبحانه- أن يكونوا قد خُلقوا بلا خالق، وأن يكونوا قد خَلَقوا أنفسهم، فإذن لا بدَّ لهم من خالق موجود مغاير لهم وهو الله -تعالى.

ومن ذلك يتضح اتفاق الفطرة، والعقل السليم والسمع على أن العالم محتاج إلى صانع، ومستند إلى موجد أوجده.

المسألة الثالثة

في إثبات وجوب الوجود لله- سبحانه وتعالى

إن لفظ الوجود، ومعناه المطلق، يشترك فيهما كل من الممكن الواجب، والحادث والقديم الأزلي. فالله يوصف بأنه موجود والحادث يقال له -أيضاً- إنه موجود، ولكن للممكن وجود يخصُّه، فإنه حادث سبق وجوده عدم، ويلحقه الفناء، وهو في حاجة دائمة ابتداءً، ودواماً، إلى من يكسبه، ويعطيه الوجود، بل يحفظه عليه. ولله-تعالى- وجود يخصُّه، فهو- سبحانه- واجب الوجود لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحقه فناء، ووجوده من ذاته لم يكسبه من غيره.

وذلك لأنه -تعالى- الغني عن كلِّ ما سواه، وبذلك جاء السمع، وشهد العقل. أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[2].

---

(١) سورة الطور، الآية (٣٥).

(٢) سورة الحديد، الآية (٣).

وأما العقل: فبيانه أنه -تعالى- لو كان مستحيل الوجود لم يصح أن يستند إليه الممكن في حدوثه بداهة، لأن المستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولو كان ممكناً لافتقر في حدوثه إلى من يُرجِّح وجوده على عدمه لما تقدم، فإن استمرت الحاجة، فاستند كلٌّ في وجوده إلى نظير له من الممكنات لزم إما الدور القبلي[1]، وإما التسلسل في المؤثرات إلى ما لا نهاية، وكلاهما محال. وإذا انتفى عنه الإمكان. والاستحالة ثبت له الوجوب ضرورة. لأن أقسام الحكم العقلي ثلاثة، وقد انتفى اثنان، فتعين الثالث، وهو الوجوب فالله -تعالى- واجب الوجود.

- وقد أرشدنا الله إلى ذلك في كثير من الآيات.

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

---

(1) الدور السبقي، ويقال له القبلي: هو توقف الشيء على ما توقف عليه، وهو قسمان: مصرح، ومضمر. فالمصرح ما كانت الواسطة فيه واحدة، مثاله كأن يقال مثلًا خالد أوجد بكراً، وبكر أوجد خالداً، فبكر متوقف في وجوده على خالد ثم خالد توقف في وجوده على بكر والواسطة واحدة وهي بكر. ويقال له: هذا دور بمرتبة. فإن تعددت المراتب كانت بحسبها، وهذا الدور باطل لما يلزمه من التناقض، إذ يلزمه أن يكون الشيء سابقاً لا سابقاً مؤثِّراً لا مؤثِّراً إلخ. بل يلزم أن يكون الشيء نقيض نفسه ضرورة المغايرة بين المتقدم والمتأخر، والأثر والمؤثر. أما الدور المعي مثل توقف الأبوة على البنوة، والبنوة على الأبوة، فجائز. لأنه من باب الإضافات، وهي اعتبارية لا وجود لها. والتسلسل هو ترتب أمور بعضها على بعض بحيث يكون كل متأخر منها يتوقف في وجوده على سابق عليه. يكون علة له في وجوده إلى غير نهاية. ويُسمَّى هذا النوع التسلسل في العلل، وفي المؤثرات، وهو باطل باتفاق العقلاء لما يلزمه من عدم وجود شيء من الحوادث، وهذا باطل بالمشاهدة. وقد عرَّف السعد في «شرح المقاصد» الدور والتسلسل بعبارة جامعة لهما فقال: هما أن يتوالى عروض العلية والمعلولية لا إلى نهاية، بأن يكون كل ما هو معروض للعلية معروضاً للمعلولية، ولا ينتهي إلى حالة تعرض له العلية دون المعلولية، فإن كانت المعروضات متناهية، فهو الدور بمرتبة إن كان اثنين، وبمراتب إن كانت المعروضات فوق اثنين، وإلا فهو التسلسل.

وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(1).

-وهذه الآية، وإن سيقت للاستدلال على توحيد الألوهية الذي تقدم قبلها في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(2).

إلا أنها تدل دلالة قاطعة على توحيد الربوبية، فإن استحقاقه -تعالى- للعبادة، واختصاصه بها فرع عن وجوده، وانفراده بالخلق، والتدبير، والتصريف، والتقدير.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾(3).

- فهذه الآيات، وإن ذُكرت لتنزيه الله -تعالى- وتقديسه عما ظنه به منكرو البعث، وسيقت لإثبات قدرته على المعاد. كما يرشد إليه ما قبلها من الآيات، فهي دليل -أيضاً- على وجوب وجوده -تعالى- لاستناد ما ذُكر في الآيات من المخلوقات إليه. وحدوثه بقدرته، ولا يعقل ذلك إلا إذا كان واجب الوجود.

---

(1) سورة البقرة: الآية (١٦٤).

(2) سورة البقرة: الآية (٦٣).

(3) سورة الواقعة: الآيات (٥٨ ـ ٦٥).

- فمن نظر إلى ما ترشد إليه هذه الآيات، ونحوها من سنن الله في العالم نظراً ثاقباً، وفكَّر في عجائب خلقها، وحُسن تنسيقها، وشدة أسرها تفكيراً عميقاً، وبحث في أحكامها، وبديع صُنعها بحثاً بريئاً من الهوى، والحميَّة الجاهلية، وأنصف مناظره من نفسه، فلم يمنعه من فهم ما عرض عليه من الحق، والإذعان له كِبرٌ يرديه، ولا عناد يطغيه، واتضح له طريق الهدى. واضطره ذلك أن يستيقن النتيجة، ويؤمن من أعماق قلبه، بأن للعالم ربًّا خلاقاً فاعلا مختاراً حكيماً في تقديره، وتدبيره أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير.

ومع قيام الدليل، ووضوح السبيل، تعامى فرعون موسى عن الحق، وتجاهل ما استيقنته نفسه، وأنكر بلسانه ما شهدت به الفطرة، ودلَّ عليه العقل من وجود واجب الوجود، فأقام موسى عليه الحُجة، بدلالة الأثر على المؤثر، والصنعة على الصانع، ووجود العالم، وعظم خلْقه على وجود الخالق، وعظيم قدرته، وسعة علمه، وكمال حكمته، فغلبه بحجته.

وذلك بيِّنٌ واضح فيما حكاه الله عنهما من الحوار، والسؤال، والجواب: قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[1].

- فانظر كيف وقف موسى موقف من يصدع بالحق، ويقيم عليه البرهان؟

(١) سورة الشعراء: الآيات (٢٣ ـ ٢٩).

- وكيف وقف فرعون من موسى موقف السفهاء، لا يملك إلا الشتم، والسباب، والسخرية، والاستهزاء، والتهديد بأليم العذاب؟!!.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

إنَّ فرعون حينما أخذته الحجة، وانتصر عليه موسى، لم يبق بيده سلاح إلا التمويه على قومه، وإنذار موسى ومن آمن به أن يذلهم، ويذيقهم العذاب الأليم.

وأنَّى له ذلك! والله من ورائهم محيط؟! وقد كتب على نفسه أن يجعل العاقبة للمتقين.

وقال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾[3].

- وقد ورث ذلك الزيغ، والإلحاد أناس ظهروا في عصور متعاقبة بأسماء مختلفة، واشتهروا بألقاب متنوعة.

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٠١، ١٠٢).

(٢) سورة النمل: الآيتان (١٣، ١٤).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٣).

- فتارة يُسمون بالدهريين: وأخرى برجال الحقيقة ووحدة الوجود. وأحياناً بالشيوعيين، وأخرى بالوجوديين. (اللقب الجديد) وآونة بالبهائيين.

إلى غير ذلك من العبارات التي اختلفت حروفها ومبانيها، وائتلفت مقاصدها، واتحدت معانيها، فكلّها ترمي إلى غرض واحد، وتدور حول محور واحد، هو أنه ليس للعالم رب يخلق ويدبر، وليس له إله يُعبد ويُقصد.

- وبما تقدم من دليل حاجة الممكن إلى موجد، ودليل وجوب وجوده -تعالى- يظهر لك فساد مذهبهم، وخروجه عن مقتضى النظر، وموجب العقل، وما يصدق ذلك، ويؤيده من أدلة السمع.

فإن زعم زاعم منهم بعد ذلك، أن وجود العالم وليد الصدفة والاتفاق.

أو أنه نشأت أطواره عن تفاعل بين عناصر المادة، فتفرقت إلى وحدات بعد اجتماع، أو اجتمعت، وائتلفت بعد تفرق واختلاف. وصار لتلك الوحدات، أو المركبات من الخواص ما لم يكن لها قبل هذا التفاعل، وبذلك تجددت الظواهر، وحدث ما نشاهده من تغيير، وآثار مع جريانها على سُّنة لا تتبدل، وناموس لا يختلف، ولا يتغير.

- قيل له: من الذي أودع تلك المادة طبيعتها، وأكسبها خواصها، فإنها إن كانت لها من ذاتها، ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول، وقد رأيناها تتبدل، فلا بد لها من واهب يهبها، وفاعل مختار حكيم عليم يدبرها، ويضعها في محالها، وليس ذلك من المادة وحدها، ولا من خواصها، أو طبيعتها القائمة بها، فإنها

ليس لها من سعة العلم، وكمال الحكمة، وشمول المشيئة، وعظيم القدرة ما ينتظم معه الكون على ما نشاهده من إحكام تبهر العقول دقته وجماله، ومن إبداع يأخذ بمجامع القلوب ما فيه من شدة الأسر، وقوة الربط بين وحداته، وكمال التناسب، والتكافؤ بين أجزائه، وقيام كل من الآخر مقام الخادم من سيده، والراعي من رعيته.

- ألا إن الطبيعة صماء لا تسمع، بكماء لا تنطق، عمياء لا تبصر، جاهلة لا تعلم، مسخرة لمن أودعها المادة، خاضعة لتصريفه وتقديره، سائرة على ما رسم لها من سنن لا تعدوها، ونواميس لا تخرج عنها، فأنى يكون لها خلق وإبداع أو إليها تنظيم وتدبير أو منها وحي وتشريع؟ !إنما ذلك إلى الله وحده، تعالى الله عما يقول الملحدون: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾(١).

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

- ولا يعيب الحق بعد ذلك أن يتنكب طريقه مَنْ مُسِختْ فطرته، واتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه، وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، ولا يضير الدعاة إلى الحق أن عدل عن طريقه

(١) سورة الإنسان، الآية (٢٨).

(٢) سورة الملك، الآيات (١ ـ ٥).

المستقيم من انحرف مزاجه، أو غلبته شهوته، فخشي أن تحدّ الشريعة من نزغاته الخبيثة، وتحول دون وصوله إلى نزواته الدنيئة. أو أطغاه كبره وسلطانه، وخاف أن تذهب الشريعة بزعامته الكاذبة، وسلطانه الجائر، فوقف في سبيلها، ولجَّ في خصامها بغياً وعدواناً. فإن الله ناصرٌ دينه، ومؤيّدٌ رسله، وأولياءه.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[2]

ثالثاً: الفهم الدقيق والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة مع الإلمام بالأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام:

لقد تميّز فضيلة الشيخ العلاّمة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بدقّة الفهم لمختلف المسائل العقدية والعلمية، واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام مع سرعة استحضاره لكلام أهل العلم، وأدلة الشريعة، فضلاً عن إدراكه لأشباه المسائل ونظائرها، وهذه الميزات وغيرها جعلت الشيخ مرجعاً لطلاب العلم والمستفتين من مختلف الطبقات.

ويؤكد هذا كلّه أحد طلابه وهو فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد العجلان بقوله: لقد عرفت فضيلة الشيخ عبد الرزاق أستاذاً ماهراً، وبحراً زاخراً بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلم الشرعية واللغة العربية، وعرفته كذلك محدثاً واعظاً ومرشداً جم المعرفة غزير العلم.

---

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٢٢٧).

ويقول فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: كان شيخنا يمتاز بسعة علمه، وكان إذا تكلّم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وأنه متخصص فيه وحده، لقد كان موسوعي المعرفة، فضلاً عن أنه كان مفسراً يغوص في المعاني الدقيقة في الآية، ويذكر ارتباطها بما قبلها وما بعدها، ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس.

وبعد هذه النقول عن طلبة الشيخ، يمكن القول أن الشيخ -رحمه الله- تميز بدقة الفهم وجودة العبارة وحُسن العرض ومع أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان يميل إلى الاختصار والإيجاز في معالجة كثير من المسائل العقدية والمباحث العلمية، إلا أن هذا الإيجاز والاختصار في حقيقة الأمر كان مفيداً ومحققاً للمقصود.

ومن قرأ بحوث وتعليقات الشيخ مما حوته هذه الترجمة، يدرك للوهلة الأولى ما مَنّ الله به على هذا العالم الجهبذ من علم ثر، وإلمام بأصول المسائل والقواعد الشرعية التي تصدر عنها الأحكام.

رابعاً: تكييف الموضوع وتصوره، والحكم عليه وفق الأصول الصحيحة، والأسس الثابتة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار المشهود لهم بالخيرية والأمانة والعلم.

كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- واسع الاطلاع، طويل الباع، راسخ القدم في كثير من العلوم، كما كان قوي الحجة، ناصع البرهان، صحيح المعتقد، ذا رأي سديد، وتوجيه رشيد وإحاطة بكثير من المعارف والعلوم، فما من موضوع شرعي أو بحث علمي إلا وله فيه مساهمة مشكورة، وجهد متميز لا يُنكر.

كان -رحمه الله- ذا منهج متميز في كتابة البحوث والموضوعات

العقدية، وكان يضع لكل موضوع يبحثه بداية ووسطاً وخاتمة، مع تصدير كل بحث أو موضوع بمقدمة في تصور الموضوع أو المسألة المراد بحثها، وذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فضلاً عن ذلك فقد كان -رحمه الله- يُصدِّر كل بحث ببيان الأمور التي اشتمل عليها هذا البحث.

خامساً: تفصيل المسائل وتأصيلها، وتوضيح الغامض منها، وحل المشكل، وتقديم البراهين والأدلة على صحة القول.

سبق وأن ذكرت أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- عُرِف بالدقة العلمية، والاستيعاب الواسع فضلاً عن دقة الفهم لمختلف مسائل العلم وتأصيلها وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها، والترجيح السديد بين الآراء المعتمدة. يقول فضيلة الدكتور صالح الأطرم: لقد كانت منهجية الشيخ تمتاز بوضوح الكلام وقلته، وتكييف المادة بحيث تصل إلى الأذهان من أول وهلة، بديع في تفكيك عبارات المؤلفين على اختلاف المواد.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يقرر في حِلَقه الدراسية العلم ويحقق المسائل، ويُوضِّح الغامض، ويحل المشكل، ويدفع الشُبه، ويقرع الحجة بالحجة، ويقيم البراهين والأدلة على صحة قوله، وفي كل هذا ينشد الحق، ويلتزم الأدب فلا يجرح سائلاً ولا يحرج مستفتيا.

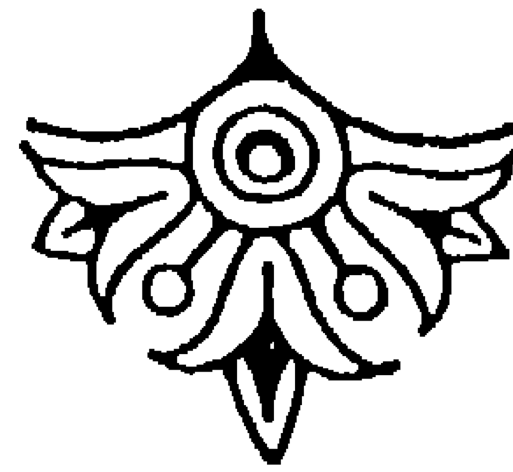
ويؤكد هذا كلّه أحد طلبة الشيخ قائلاً[1]: كان الشيخ -رحمه الله- ذا بيان مشرق متدفق، لا يتلعثم، ولا يتوقف ولا يلحق، وكان مناظراً قوي الحجة، مستحضر الدليل، يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه،

(١) هو فضيلة الشيخ محمد بن لطفي الصباغ.

وكان ينظر إلى العبارة العويصة فيحلها، ويشير إلى مراميها، ومقاصد كاتبها على نحو لا تجده عند غيره.

والحق يُقال: إن الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- كان رجلاً متعدد المواهاب، غاية في معرفة المسائل العلمية العقدية، لا يقلد أحداً، كما كان سريع الاستحضار لأحكام الشريعة، محيطاً بالكثير من أدلتها، عالماً بقواعدها وأصولها.

وفي بحث «العرش والكرسي وما يتعلّق بهما» والذي يتلو هذه الصفحة برهان ساطع على ما ذكرته، وهذا البحث وإن كان منتزعاً من العقيدة الطحاوية مع شرحها إلا أن جمال العرض، وروعة الأسلوب، وتسلسل المسائل، وغزارة الأدلة ودقة النقل، كل ذلك جعل منه بحثاً متميزاً جديراً بالتأمل والمطالعة.



«بحث العرش والكرسي ومايتعلَّق بهما»

العرش والكرسي كلاهما حق، وللعرش حملة من الملائكة يحملونه فوقهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾(٢). وقد ميز الله العرش بنسبته إليه، وخصه باستوائه عليه، قال تعالى ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾(٥)، وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾(٦)، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(٧)، وقال في أكثر من آية: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، فدل ذلك على وجوده وامتيازه واستواء الله عليه، كما دلت الآية الثانية على وجود الكرسي.

واختلف في صفة العرش وموقعه من المخلوقات، فقيل: إن العرش

---

(١) سورة غافر: الآية (٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٣) سورة الحاقة: الآية (١٧).

(٤) سورة البروج: الآية (١٥).

(٥) سورة غافر: الآية (١٥).

(٦) سورة المؤمنون: الآية (١١٦).

(٧) سورة طه: الآية (٥).

مثل القبة فوق المخلوقات، واستدل لهذا بما رواه أبو داود وغيره في حديث الأطيط من قوله ﷺ: «إن عرشه على سماواته لهكذا، وقال بأصابعه، مثل القبة»[1] أي أشار بأصابعه إشارةً تدل على أن العرش يشبه القبة، لكن هذا حديث ضعيف الإسناد، واستدل لذلك أيضاً بما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «إذا سألتم الله فسألوه الفردوس، فإنَّه أوسطُ الجنَّة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن». لكن هذا لا يدل على أنَّ العرش كالقبة فوق السماوات من جانب واحد، فإن السماوات محيطة بالأرض، ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم.

وقيل: إن العرش فلك مستدير محيط بالعالم من كل جهة، وربما سمَّاه أصحاب هذا القول الفلك الأطلس أو الفلك التاسع، ورُد هٌذا بأن للعرش قوائم تحمله الملائكة، لما ورد في حديث بيان النبي ﷺ فضل موسى عليه الصلاة والسلام من قوله ﷺ: «فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقه الطور»[2] فالظاهر أنه كسقف أقيم على قوائم، وأن الملائكة تحمله من هذه القوائم، وأيضاً العرش في اللغة: السرير الذي أُعدَّ للملك ليجلس عليه، ولا تفهم منه العرب إلا ذلك، وقد نزل القرآن بلغة العرب وإذن ليس العرش فلكاً مستديراً، بل هو كالقبة على العالم وسقفٌ للمخلوقات، وقد استُشهد لكونه سريراً بشعر أميّة ابن أبي الصلت:

---

(١) قال الشيخ ناصر الألباني في تعليقه على الطحاوية (ص٣١٠): ضعيف الإسناد، ولا يصح في أطيط العرش حديث.

(٢) حديث متفق عليه على صحته.

مجِّدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوَّى فوق السماء سريرا

واستشهدوا لذلك أيضاً بما ذكره ابن عبدالبر وغيره من الأئمة، من أنَّ عبدالله بن رواحة عرَّض لامرأته بشعر عن القراءة حينما اتهمته بجاريته ليوهمها به أنه قرآن، وأنه ليس بجنب، قال:

شهدتُ بأنّ وعدَ الله حق وأنَّ النار مثوى الكافرينا
وأنّ العرشَ فوق الماء طاف وفوقَ العرش ربُّ العالمينا
وتحمله ملائكةٌ شداد ملائكة الإلهِ مُسوَّمينا[1]

وتأول جماعة العرش فقالوا: إنَّه عبارة عن المُلْك، وهذا تحريفٌ لكلام الله وإخراجٌ له عن المعنى المتبادر منه بلا دليل، فإنَّه يبعد أن يُقال في تفسير الآيات السابقة ويحمل مُلك ربك فوقهم يومئذ ثمانية، وأن يكون معنى «وكان عرشه على الماء» وكان ملكه على الماء، ويكون معنى أخذ موسى بقائمة من قوائم العرش أخذه بقائمة من قوائم المُلْك، فكان تفسير العرش بالملك باطلاً.

أما الكرسي فقيل: إنه موضع القدمين. وأنه بين يدي العرش كالمرقاة إليه، فهو غير العرش لقول أبي ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقِيَتْ بين ظهراني فلاة من الأرض»، ولقول ابن عباس: الكرسي

---

(١) قصة عبد الله بن رواحة مع امرأته، ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣٨/١) والدارمي في الرد على الجهمية، وأعلَّها الذهبي في (العلو) بالانقطاع، وقال النووي في المجموع (١٦٣/٢): إسناد هذه القصة ضعيف ومنقطع، وقال صاحب النهج السديد: وفي المتن نكارة واضحة.

موضع القدمين، والعرش لايقدر قدره إلا الله، وقيل: إن الكرسي هو العرش، ويرده ما تقدم عن ابن عباس، وفُسِّر الكرسي بالعلم، ونُسِب هذا إلى ابن عباس، ولكن المحفوظ عنه التفسير الأول.

هذا والسكوت عن الكلام في العرش وأنه كالقبة أو فلك مستدير محيط بالكائنات خير من الخوض في ذلك، وكذا ترك التعمق في كون العرش هو الكرسي أو خلافه خير من الجدل وكثرة الحديث فيه، فإن الخوض في ذلك والتعمق فيه من شَرَه الفكر، واستشراف العقل إلى إدراك أمر غيبي لا يُعلم إلا بالتوقيف، فينبغي الوقوف عند النقل.

ويجب أن يُعلم أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه، ولا يكون العرش حاملاً له، فإن السماء فوق الأرض ومحيطة بها، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها وتماسكها محتاجة إلى الأرض، ولا أن تكون الأرض حاملة لها، فالله مستوٍ على عرشه، وهو مستغنٍ عنه وعما فيه من الكائنات وهو فوق عباده حقيقة، محيط بهم إحاطة تليق بجلاله لا كإحاطة الفَلك بما فيه من الكائنات، والجميع قائم بحوله وقوته إبتداءً ودواما، محفوظ بعنايته ورعايته، جلت قدرته، وتعالت عظمته علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]. وقال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[3].

---

(١) سورة فاطر، الآية (١٥).
(٢) سورة العنكبوت، الآية (٦).
(٣) سورة النساء، الآية (١٢٦).

وقــال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾[1]. وقــال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾[2].

وهذا هو مذهب السلف في صفة الاستواء، وعلُّو الله على عرشه حقيقة مع التفويض في الكيفية، فقد سُئِل مالك بن أنس رضي الله عنه كيف استوى الله على العرش، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب[3]، وذكر ذلك حسان بن ثابت في شعره، قال:

شهدتُ بإذن الله أنَّ محمداً ... رسول الذي فوق السماوات مَن علُ
وأنَّ أبا يحيى كلاهما ... له عمل من ربه مُتقبلُ

يريد النبيَّين يحيى بن زكريا وأباه زكريا، وسأل مطيع البلخي أبا حنيفة عمَّن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وعرشه فوق سبع سماوات، قلت فإن قال: إنَّه على العرش ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال: هو كافر، لأنَّه أنكر أنَّه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر وفي بعض الروايات عنه زيادة «لأن الله في أعلى علِّيين، وهو يُدعى مِنْ أعلى لا من أسفل ومن أنكر نقل هذا عن أبي حنيفة فهو ممن انتسب إلى مذهبه الفقهي مع مخالفته له في بعض مسائل الاعتقاد كالمعتزلة».

(١) سورة فصلت: الآية (٥٤).
(٢) سورة البروج: الآيتان (١٩ ـ ٢٠).
(٣) ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولا يصح والصواب أنَّه موقوف على مالك ـ رحمه الله ـ.

وشهدت العقول السليمة، والفطر المستقيمة على علو الله على خلْقه وكونه فوق عباده، كما صرَّحت بذلك نصوص الكتاب والسُّنة المتنوعة المحكمة، فمن ذلك التصريح بالفوقية مقروناً تارة بحرف (من) المعينة لفوقيته تعالى بنفسه، ومجرداً منها تارة أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]،. وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]، ومنها التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3].

وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون[4]، وأتيناهم وهم يصلون»، ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه، ويرفعه بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[5]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[6]، وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[7].

وكذا عروج النبي محمد مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السماوات ليلة الإسراء والمعراج، وإخبار النبي ﷺ أنه تردد بين موسى

(١) سورة النحل: الآية (٥٠).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٨).
(٣) سورة المعارج: الآية (٤).
(٤) البخاري (الفتح ٢/٥٥٥) واللفظ له ومسلم (٦٣٢).
(٥) سورة فاطر: الآية (١٠).
(٦) سورة النساء: الآية (١٥٨).
(٧) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام عدة مرات(١)، ومنها التصريح بالعلو المطلق الدال على إثبات جميع مراتب العلو، علو الذات والقدر والشرف(٢).

قال تعالى في آية الكرسي: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣)، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾(٤).، وقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٥). ومنها التصريح في كثير من الآيات بنزول القرآن منه- وتنزيله إلى الأرض يقتضي أنه فوق عباده، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(٦)، وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٧)

وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(٨)، ومنها التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾(٩)، وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾(١٠) ففرّق سبحانه بيّن من له

---

(١) معراج النبي ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة ومنها حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه والذي رواه البخاري ومسلم.

(٢) فالعلو مطلقاً ثابت له سبحانه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

(٤) سورة سبأ، الآية (٢٣).

(٥) سورة الشورى، الآية (٥١).

(٦) سورة غافر، الآية (٢).

(٧) سورة فصلت، الآية (٢).

(٨) سورة النحل، الآية (١٠٢).

(٩) سورة الأعراف، الآية (٢٠٦).

(١٠) سورة الأنبياء، الآية (١٩).

عموماً وبين مَنْ عنده مَنْ ملائكته وعبيده خصوصاً، وقد بين النبي ﷺ أن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش كتب فيه «رحمتي سبقت غضبي»(١)، ومنها التصريح بأنه تعالى في السماء قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾(٢). وبيان ذلك أن «في» بمعنى على.

وتقدير المعنى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن﴾ على السماء، أو «في» على حقيقتها، والسماء معناها العلو، وتقدير المعنى «أأمنتم من في العلو...» لايجوز في معنى هذا النص إلاّ هذان الوجهان، ومنها التصريح بأنه مستو على العرش خاصة مع التعدية بعلى وذكر «ثم» في الأكثر، وهي دالة على الترتيب والمهلة فلا يتأتى مع ذلك تأويل استوائه على العرش بالقدرة أو الاستيلاء عليه، ومنها التصريح بمشروعية رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء فقد رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء وهو يدعو في الاستسقاء وغيره وثبت عنه أنه قال: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» أخرجه الحاكم وغيره(٣).

ومنها أشار ﷺ إشارة حسية إلى جهة السماء وهو يخطب الناس في حجة الوداع يوم عيد الأضحى حينما قال في خطبته: «أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون». قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحتَ. فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء(٤)، مشيراً بذلك إلى

---

(١) حديث صحيح، وبعض ألفاظه عند الشيخين البخاري (الفتح ٦/٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١)، وهو مخرّج في الصحيحة للألباني (١٦٢٩)، وفي السُّنة لابن أبي عاصم (٨١٠، ٨١١).

(٢) سورة الملك: الآيتان (١٦، ١٧).

(٣) حديث صحيح أخرجه الحاكم وغيره.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أن الله فوقها وفوق كل شيء، ومنها سؤاله الجارية بلفظ صريح في ذلك حيث قال لها: «أين الله؟» وشهادته لها بالإيمان حينما أجابته بأن الله في السماء وشهدت له بالرسالة، فقال لسيِّدها: «أعتقها فإنها مؤمنة»، فهذا السؤال والإقرار والحكم بإيمان الجارية منه ﷺ وهو أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عنه للمعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلاً بوجهٍ مِنْ الوجوه، دليل على أن الله فوق السماء وأنّه فوق كلِّ شيء بنفسه، والأدلة المتعلقة بعلوِّ الله على خلقه كثيرة متنوعة، يؤيد بعضها بعضاً، فمن رام أن يتأولها[1] فقد رام باطلا، ومن سلك طريق التأويل لهذه النصوص فتح على نفسه باب شر لا يمكنه إغلاقه فإنه يُسلِّط على نفسه بذلك الباطنية الذين يتأولون نصوص الصلاة والزكاة والصيام وسائر فرائض الإسلام، وبهذا يعود الشرع كله مؤولاً.

ومع هذا فقد تأوّل كثيرٌ مِنْ المتأخرين الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بأنه تعالى خير من عباده، وأنه خيرٌ من العرش وأفضل منه وهو كما ترى تأويل بعيد تنفر منه العقول الرشيدة وتأباه الفطر السليمة، فإنَّه لا تمجيد لله في ذلك ولا تعظيم له، بل هو تأويل سمج مرذول فإنه يشبه قول القائل الجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من اليهود والجوهر فوق قشر البصل أو قشر السمك ونحو ذلك ممّا التفاوت فيه عظيم، ولا شك أن التفاوت بين الله وبين عباده أعظم، ولو أن هذا المتأول أثبت الفوقية مطلقاً، فوقية الذات، وفوقية القهر والغلبة، وفوقية القدر والمنزلة لكان ذلك صواباً، لاتفاقه مع نصوص

(١) هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ لدليل يقترن به مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين، وانظر العقيدة الطحاوية (٢٣٥).

الكتاب والسُّنة مع عدم المحذور، أما أن يخص بتأويله نوعاً منها بلا دليل فذلك باطل. وقد يعبر بالخيرية بين الله وبين بعض خلقه إذا اقتضى المقام ذلك، كمقام الاحتجاج على من أشرك مع الله غيره، ودعوته إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وقال حكاية لمقالة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن، ودعوته إياهما إلى التوحيد ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[2].

وقد دلَّت الأدلة العقلية على ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنة من أن الله بائن من خلقه وأنه فوق عباده بنفسه، وبيانه أن وجود الله إما أن يكون ذهنياً فقط، وأما أن يكون في خارج الأذهان، الأول: ممنوع بإجماع. وإذا تعين أن يكون وجوده خارج الأذهان، فإما أن يكون عين العالم أو صفة قائمة بالعالم وإما ألا يكون عين العالم ولا غيره واما أن يكون قائماً بنفسه بائناً مِنْ خلقه، وكل من الأول والثاني ممنوع فتعيَّن أن يكون الله موجوداً قائماً بنفسه بائناً مِنْ خلْقه.

١- الاستدلال بالفِطْرة على أنَّ الله فوق عباده:

وإذا ثبت ذلك كان سبحانه فوق عباده، مستوياً على عرشه، لأن السفول صفة ذم لا تتضمن مدحاً ولا ثناءً ولا يليق بالله، والعلو صفة مدح وثناءٍ وكمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً ولا سُنة ولا إجماعاً، بل النصوص وإجماع السلف تثبت

---

(١) سورة النمل، الآية (٥٩).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٩).

ذلك وتقتضيه فوجب اعتقاده، وإنكار التأويل وصرف النصوص عن ظواهرها، لكونه عين الباطل الذي لا تأتي به الشريعة، ولا يراه عقل سليم، فإن قيل: إنَّ أكثر العقلاء يتأولون نصوص الاستواء والعلو والفوقية بالاستيلاء والقهر والغلبة، وبعلو القدر والمنزلة، وبالخيريَّة وكمال الفضل، فكان تأويلهم مقتضى العقل، إذ يبعد أن يرمى جمهور العلماء بالجهل والسفاهة وتحريف النصوص الصحيحة عن مواضعها، ولايكون لهم وجه يعتمدون عليه فيما ذهبوا إليه. قيل: ليس الأمر كما زعم، فإن الذين يصرحون بأن خالق العالم شيء موجود خارج الأذهان لكنه ليس فوق العالم وأنه ليس مبايناً للعالم ولا داخلاً فيه طائفة من النظار، وأول من ابتدع ذلك في الإسلام الجعد بن درهم[١]، وتبعه في التحريف[٢] والتعطيل[٣] الجهم بن صفوان[٤] فقام هو وأتباعه بنشر هذه البدعة بين الناس، وهم مسبوقون بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة التفسير والفقه والحديث على إجراء النصوص كما جاءت وإمرارها على ظواهرها إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٥]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦].

---

(١) وهو أوّل من قال بالتعطيل، وأصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وكان الجعد فيما قيل من أرض حرّان، وكان فيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة وقد مات مقتولًا، قتله خالد بن عبد الله القسري.

(٢) التحريف: هو التغيير والتبديل وهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها.

(٣) التعطيل لغة: الخلو والفراغ، والمراد به نفي صفات الله وإنكار قيامها به سبحانه.

(٤) هو الجهم بن صفوان رأس الجهمية، قال الذهبي: لم يزرع خيراً قط وإنما زرع شراً عظيماً وقد مات مقتولًا، قتله مسلم بن أحوز أمير خراسان.

(٥) سورة الإخلاص: الآيات (١ ـ ٣).

(٦) سورة الشورى: الآية (١١).

وقد شهدتْ بذلك الفطر السليمة أيضاً، فإن الخلْق جميعاً يرفعون أكفهم إلى السماء عند الدعاء بمقتضى فطرهم وبدافع قوي من طباعهم التي لم يداخلها إلحاد ولم ينحرف بها عن جادة الحق تمويه ولا تلبيس، ويتصدون جهة العلو بقلوب كلها خشوع وضراعة إلى الله راجين أن يتقبل أعمالهم، ويستجيب دعاءهم، ويسبغ عليهم نعمه، ويعمهم بفضله وإحسانه.

وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي، أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط: يا ألله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لايلتفت يمنة ولا يُسرة، فكيف تدفع بهذه الضرورة عن أنفسنا، قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل. وأظنه قال: وبكى، وقال: حيّرني الهمداني حيَّرني، وكأن الشيخ أبا جعفر أراد أن هذا أمْرٌ فِطري، فَطَر اللهُ عليه عباده من غير أن يتلقوه عن المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يدفعهم للتوجه إلى الله وطلبه في العلو.

فإن قيل: إن رفع الأيدي إلى السماء، وتوجه القلوب إلى جهة العلو إنما كان من أجل أن السماء قِبلة الدعاء، كما أن الكعبة قِبلة الصلاة، لا لأن الله في السماء فوق عباده، ثم منقوض بشرع السجود، ووضع الجبهة على الأرض مع أن الله ليس في وجهة الأرض.

أجيب أولاً: بمنع أن تكون السماء قبلة الدعاء، فإن كون الشيء قبلة لايعرف إلا من طريق الشرع ولم يثبت في جعل السماء قبلة للدعاء

كتاب ولا سُنَّة، ولا قال به أحد مِن سلف الأمة وهو لا يخفى على جميعهم مثل هذا الأمر.

وثانياً: ثبت أن الكعبة قبلة الدعاء كما أنها قبلة الصلاة، فقد كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة فمن ادعى أن للدعاء قبلة سوى الكعبة أو ادعى أنَّ السماء قبلته كما أن الكعبة قِبلةً له فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

وثالثاً: أنَّ القبلة ما يستقبله العابد بوجهه كما يستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح ودفن الميت ونحو ذلك مما يُطلب فيه استقبال القبلة، ولذا سُميت القِبلة وجهةً لاستقبالها بالوجه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجِّه الدَّاعي وجهه إليها لكنه لم يُشرع بل نُهي عنه، وإنما شُرع رفع اليدين، ورفع اليدين إلى السماء حين الدعاء لايُسمَّى استقبالاً لها شرعاً ولا لغة، لا حقيقة ولا مجازاً.

ورابعاً: أن الأمر باستقبال القِبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كالأمر باستقبال بيت المقدس في الصلاة نُسِخَ بالأمر باستقبال الكعبة، ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء والتوجه بالقلب إلى جهة العلو أمر فطري مركوز في طبائع الناس لم يتغير في جاهلية ولا إسلام، يضطر إليه الداعي عند الشدة والكرب مسلماً كان أم كافرا.

وخامساً: أن من استقبل الكعبة لايقع في قلبه أنَّ الله هناك جهة الكعبة، بخلاف الداعي فإنَّه يرفع يديه إلى ربه وخالقه وولي نعمته، يرجو أن تنزل عليه الرحمات من عنده، وأجيب عن نقضهم الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق خلقه بما ذكروه من السجود ووضع الجبهة على الأرض بأنه باطل، فإن واضع الجبهة على الأرض في السجود إنما

قصده الخضوع لله، وإعلان كمال ذل العبودية من الساجد لربه ومالك أمره لا لأنه يعتقد أنه تحته فيهوي إليه ساجدًا، فإن هذا لايخطر للساجد ببال. بل ينزِّه ربه عن ذلك، ولهذا شُرع له أن يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى». تعالى الله عن الظنون الكاذبة علواً كبيراً.

سادساً: الإنصاف والتجرد عند عرض الآراء ومناقشة الأدلة والرد على الخصوم مع عدم الانتصار للرأي وإن كان صواباً.

إن الواقف على سيرة وحياة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - يرحمه الله- يدرك تماماً أنَّه كان رجلاً قوي الشخصية، متميز التفكير، مستقل الرأي، لا يعوِّل إلا على الدليل، ولا ينتصر إلا له ولا يتنقص آراء الآخرين. بل على العكس كان يقَدِّر الرأي الآخر وإن كان مخالفاً لرأيه.

يؤكد هذا أحد كبار طلبة الشيخ[1] قائلاً: اختلفت يوماً مع شيخي فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مسألة، وكان الشيخ مشرفاً عليَّ في مرحلة الماجستير بالمعهد العالي للقضاء، وكان في نفس الوقت مديراً للمعهد، فقلت له: إذا كنت ستتمسك برأيك في هذه المسألة عند مناقشة رسالتي وتعتبر رأيي خطأً تؤاخذني عليه فسآخذ برأيك بصفة مؤقتة حتى ينتهي أمر مناقشة هذه الرسالة ثم أعود إلى رأيي المخالف لرأيك.

فما كان من الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إلا أن قال لي: يا عبد الله أنا أحترم الرأي العلمي وإن كنت لا أراه ما دام مبنياً على

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع.

اجتهاد فيما يجوز فيه الاجتهاد، وإني لا أعتقد العصمة في الإصابة لنفسي ولا الخطأ لمخالفي، وعليك أن تجتهد في الاستزادة من تبرير رأيك المخالف، وسأعتبر تمسكك برأيك منقبة علمية أكافؤك عليها.

وفضلاً عن ذلك فإن من يقرأ للشيخ عبد الرزاق يلحظ إنصاف الشيخ وتجرده عند عرض الآراء ومناقشة الأقوال والترجيح بينها، ومن قرأ مقدمة «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي يدرك صواب ما قلته.

إن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من العلماء الذين عرفوا بالإنصاف والتجرد، لا يخضع لغير سلطان الحق والعلم مع أدب رفيع وفهم دقيق.

سابعاً: الالتزام بالنصوص الشرعية، وإقامة الحجج العقلية والأدلة النقلية عند عرض قضايا العقيدة وطرق الدعوة ووسائلها:

كتب الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- في مقال له بعنوان «وجوب تقديم المنقول على المعقول» ما نصُّه: لقد أنزل الله القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأوحي إليه من الأحاديث ما فيه بيان لما أُجمل في القرآن، وتفصيل لقواعده، وشرح العقائد والشرائع، فضلاً من الله ورحمة والله عليم حكيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

فوجب تصديق ما جاء في كتاب الله، وما صحَّ من الأحاديث عن

---

(١) سورة النحل، الآية (٤٤).

رسول الله ﷺ وتحكيمها في كل شأن، والرضا والتسليم لحكمها دون حرج أو ضيق في الصدر تحقيقاً للإيمان، وتطهيراً للقلوب من درن الشرك والنفاق.

ولم يغفل الشيخ -رحمه الله- في كتاباته وإملاءاته جانب العقل وأهمية إقامة الحجج العقلية التي ترشد إلى معرفة الله والدعوة إلى التوحيد، موضحاً أن هذا هو مسلك الرسل في الدعوة إلى الله ومعرفة الحق فيقول: لقد بدأت الرُّسل دعوتها بالتوحيد، وإثبات الرسالة والجزاء يوم المعاد، فجرت على موجب العقل ومقتضى الفطرة، وقد سلكت في إثبات وجود الله وتوحيده وصدقهم في دعوى الرسالة وخبرهم عن اليوم الآخر، مسلك الاقناع بالحجة والبرهان، وضرب الأمثال، وجمعت في ذلك بين مناجاة العقل والتأثير على العاطفة والتذكير بما جبلت عليه النفوس، وفُطر عليه الخلق من الإقرار بالحق والميل إلى العدل مع لين الجانب والرفق في الخطاب والصفح الجميل في غير ذلة نفس ولا مواربة أو مداهنة في الحق.

وفي موضع آخر يشير الشيخ إلى أن مسلك الإقناع بالحجة والبرهان، هو أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأقربها إلى معرفة الحق فيقول:

وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأسهلها، وأقربها إلى معرفة الحق وأعدلها. وهو الاستدلال بآيات الله وسُننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يُعبد وحده لاشريك له، فذلك أهدى سبيلاً وأقوم دليلا، وأقوى في إقناع الخصم وإلزامه الحجة، فإنه مقتضى العقل الصريح وموجب الفطرة السليمة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

فرتب سبحانه نهيه إياهم عن اتخاذهم شركاء له في العبادة على علمهم وإقرارهم بأنه تعالى وحده هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم، وهو الذي جعل الأرض قراراً وذلّلها لهم ليمشوا في جوانبها وليبتغوا من فضله، ورفع السماء بلا عمد وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، لينعموا بما آتاهم من النعم، وليتمتعوا بما أفاض عليهم من الخيرات لعلهم يتقون ربهم وولي نعمتهم فيعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدين، شكراً له على ما أسبغ عليهم من نِعَمه وأفاض عليهم من بركاته.

وفي القرآن كثير من النظائر لهاتين الآيتين في بيان أسلوب الدعوة ورسم الطريق الناجحة في إقامة الحُجّة وإلزام الخصم.

لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوتهم أممهم إلى الهدى ودين الحق، إهتداء بهدي الله واسترشاداً بإرشاده وهو العليم الحكيم، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل، ومنهم إبراهيم الخليل (عليهم الصلاة والسلام).

أرسل الله جل شأنه خليله إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل فأنكر عليهم عكوفهم لها

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢١، ٢٢).

وتقربهم إليها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1].

ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل وعبادتهم إياها فألغوا عقولهم وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

فسفَّه إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أحلامهم، وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة والضلال المبين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3] وبيَّن لهم أن التماثيل لا تسمع النداء، ولا تستجيب الدعاء ولا تملك نفعاً، ولا توقع ضراً فلا يليق بعاقل أن يتخذها آلهة مع من فطر السماوات والأرض، وإليه مقاليد الأمور، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويضر من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[4].

فلما ركبوا رؤوسهم، وأبوا إلا اللجاج والعناد، والعصبية الممقوتة في تقليد الآباء والأجداد، أعلن براءته منهم، وشدة عداوته لهم ولما يعبدون من دون الله:

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٥١، ٥٢).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٥٣).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٥٤).
(٤) سورة الشعراء: الآيات (٧٢ ـ ٧٤).

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

وجد إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أنه لابد له من سلوك طريق آخر عملي في إقامة الحجة ليكون أقوى في الإبانة عن الحق، وأملك في إلزام الخصم، يضطرهم به إلى الاعتراف بما هم فيه من ضلال وظلم وانحراف، فأقسم بالله أن يكيد لأصنامهم وهم عنها غائبون، انتهز فرصة خروجهم من البلد لبعض شأنهم، وذهب إلى آلهتهم خفية لئلا يراه أحد فيصده عن تنفيذ ما أراد، فجعلهم قطعاً صغاراً إلا كبيراً لهم تركه سالماً، ليكون له ولهم معه شأن عند التحقيق فيما جرى على أصنامهم، فلما عادوا إلى منازلهم وشاهدوا ما أصيبت به آلهتهم:

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[2].

فلما حضر مجلسهم أخذوا يقررونه بما صنع بآلهتهم: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[3] فأجابهم بنسبة ماحدث إلى من لا يتأتى منه، نسبة إلى كبير التماثيل وهو -كما يعلم ويعلمون- جماد لا حراك به، ذلك ليرشدهم إلى مكان الخطأ في عكوفهم على التماثيل،

(١) سورة الشعراء: الآيات (٧٥ ـ ٨٢).
(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٥٩ ـ ٦١).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٦٢).

عبادة لها وتقرباً إليها ويصرفهم عنها إلى عبادة الله وحده لاشريك له، ويوحي إليهم بأنه هو الذي كاد لأصنامهم وأنزل بهم مايكرهون، وقد أكد ذلك بأمره إياهم أن يسألوا التماثيل عمن أصابهم بالتكسير والتحطيم إن كانوا يحيرون جوابا ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1].

وقد نجحت هذه الطريقة إلى حد ما، وأوجدت فيهم وعياً، فثابوا إلى رشدهم وما كان في أصل فطرتهم واعترفوا بأنّهم هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم تماثيل لاتملك لنفسها نفعاً ولا تدفع عنها بأساً، وظلموا إبراهيم (عليه السلام) بصدهم عن دعوته، وإعراضهم عما جاءهم به من الآيات البينات على التوحيد وإخلاص العبادة لله ربِّ العالمين، لكنهم لم يلبثوا أن ركبوا رؤوسهم ونكصوا على أعقابهم وارتكسوا في حمأة الضلال والحيرة عصبية لما ورثوه عن آبائهم من الشرك والبهتان المبين.

قال الله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[2] لقد ازداد طريق الحق وضوحاً وبياناً، واستحكمت حلقات الحجة لإبراهيم على أبيه وقومه، وحق له أن يضيق ذرعاً من صدودهم وأن يتأفف ضجراً من طغيانهم وشركهم، وأن ينكر عليهم ذلك إنكاراً صارخاً، ويرميهم بالخبال وإلغاء العقول، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

(١) سورة الأنبياء، الآية (٦٣).

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان (٦٤ ـ ٦٥).

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان (٦٦ ـ ٦٧).

لقد أخذت الحمية الجاهلية للباطل من نفوس قوم إبراهيم (عليه السلام) مأخذها، وتمكنت منهم العصبية لطاغوت التقليد للآباء فيما أصيبوا به من الشرك والانحراف عن الحق حتى ملكت مشاعرهم ووجهت عقولهم وأفكارهم إلى شر وجهة، وصرفتهم عن الحق المبين والصراط المستقيم، وزينت لهم أن يتخلصوا من إبراهيم (عليه السلام) وينزلوا به أشد العقاب انتصارًا لآلهتهم الباطلة، وانتقامًا منه جزاء له عما صنع بها من تحطيم وتكسير.

ويعلم الله أنه ما أراد بذلك إلا الخير لهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد. ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[(١)].

لكن يأبى الله إلا أن ينصر رسوله وخليله إبراهيم (عليه السلام) وأن يخذل أعداءه وأعداء دينه، ويبطل ماكادوا به لأوليائه فيبوءوا بالخسران المبين، إمضاء لسنته العادلة الحكيمة في أوليائه وأعدائه.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٦٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٦٩ ـ ٧٣).

(٣) سورة غافر: الآيتان (٥١ ـ ٥٢).

وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

ثامناً: الاهتمام بتقعيد القواعد التي تبنى عليها الأقوال، وضبط الأصول التي يتفرع منها غيرها مع الإحاطة بمستجدات الواقع وأحداث العصر:

من أبرز سمات الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- التي تحلّى بها أنه كان يملك عقلاً كبيراً، وعلماً غزيراً وشخصية يجللها الوقار، وتكسوها الهيبة، فضلاً عن ذلك فقد كان غاية في معرفة الخلاف، فقهياً مجتهداً لا يقلد أحداً، ميالاً إلى التقعيد وضبط الأصول، مُغرماً بمناقشة الأدلة والترجيح السديد بينها، وهذه في الحقيقة سمة عامة في كتابات الشيخ وقد وضّحت في الفصل الثاني وعلى وجه التحديد في المبحثين الخامس والسادس الدقة العلمية التي تميز بها الشيخ والرغبة الشديدة في تأصيل المسائل وتفصيلها وتصدير كل بحث بمقدمة ينبني عليها ما بعدها، وأمّا علمه بمستجدات الواقع وأحداث العصر. فهو أمر متفق عليه لا يجحده إلا مكابر، ولعل القارئ للفتاوى التي أصدرتها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في مسائل العقيدة وغيرها من الفتاوى، أكبر شاهد على ما ذكرت من رغبة الشيخ في التقعيد والتأصيل والإيجاز في العبارة مع جزالة اللفظ ووضوح المعنى.

وبعد توضيح وبيان أبرز سمات المنهج العقدي للشيخ، أنتقل إلى الحديث عن عنايته البالغة بالتوحيد:

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٣).

عنايته البالغة بالتوحيد:

التوحيد هو أساس الإسلام، وقوام الدِّين، وهو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها، وقطب رحاها وعُمدتها، ترتكز كلُّها عليه، وتستند في وجودها إليه وتتبدئ منه وتنتهي إليه.

قال العلامة ابن القيِّم -رحمه الله- التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأمَّا أعداؤه فينجِّيهم من كُرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون، عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق، لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سُّنة الله في عباده، فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كُربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا بالتوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها[2].

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- من كبار علماء التوحيد، يقرر مسائله ويعرض قضاياه الدقيقة فيه بأسلوب مميِّز واضح. وكان شرحه لكتاب التوحيد للعلامة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثار إعجاب طلابه الذين شهدوا له بالتمكن والرسوخ في

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٥).

(٢) انظر الفوائد لابن القيم (ص٥١).

العلم وبخاصة علم التوحيد، ويؤكد هذا ويدعمه ما كتبه أحد كبار طلبته قائلاً:

لقد عرفتُ الشيخ عبد الرزاق عفيفي أول ما عرفته عام ١٣٦٩هـ عندما تتلمذت عليه في مدرسة دار التوحيد، فتلقَّيت على فضيلته مادة التوحيد، وكان يُدرِّس لنا كتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، فكان في تفسيره للآيات وتقريبه لمعانيها، وشرحه للأحاديث ولأقوال السلف وبيان مطابقتها للترجمة، ودقته في استنباط المعاني من النصوص، وتقريبها لأذهان المتعلِّمين، آية في ذلك، ومثالاً يُحتَذَى، لا سيما في المواءمة بين المعاني الجليلة وبين عقول ومدارك المتلقين من الطلاب، وهم ما بين مبتدئ في المراحل الأولى من التعليم وما بين متوسط، ومن قطع شوطاً لا بأس به في التعليم.

ولقد كان في أثناء ذلك يُولي عناية بالمسائل التي يختم بها المؤلِّف -رحمه الله- كلَّ باب من أبواب كتاب التوحيد، ويُثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في فقهه للمسائل وغوصه على دقيق المعاني من ظاهر النصوص، مما يضمنه تلك المسائل، وكان ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف، والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله[1].

ويتحدث فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام عن دعوة الشيخ عبد الرزاق إلى التوحيد وتركيزه على العقيدة فيقول:

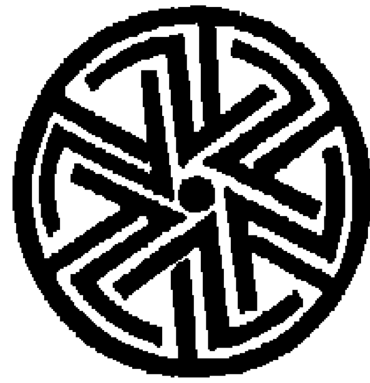
---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

فالشيخ -رحمه الله- اتسمت حياته بالعلم وبالعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإحياء السُّنة والتركيز على العقيدة ونبذ البدع والخرافات كل ذلك بأسلوب حسن وهذا مما يبيّن الأولويات في الدعوة إلى الله. فينبغي على الدعاة إلى الله أن يبنوا دعوتهم على الأولويات التي دلّ عليها الدليل من كتاب الله وسُّنة رسوله عليه الصلاة والسلام وقضية العقيدة هي أم القضايا على الإطلاق، وهي أصل القضايا بالاتفاق وهي دعوة الرسل الذين دعوا أقوامهم إلى التوحيد والعقيدة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ويكفي الشيخ في ذلك شرفاً أنه يصير على منهاج النبوة وعلى مشكاة الرسالة وعلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى[2].

وفي الصفحات التالية، نماذج مشرقة من كتاباته في التوحيد وبيان أنواعه، وحاجة الناس إليه.



(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

(٢) انظر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

أنواع التوحيد

أنواع التوحيد ثلاثة:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات. ويقال له أيضاً: توحيد الخبر، وتوحيد المعرفة والإثبات.

٣- توحيد العبادة ويسمى -أيضاً-: توحيد الإلهية، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب.

توحيد الربوبية

- أما توحيد الربوبية: فهو توحيد الله -تعالى- بأفعاله. والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير.

فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع، ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً إلى غير ذلك مما لا يحصيه العد، ولا تحيط به العبارة. وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة، وقام عليه دليل السمع والعقل، ولم يُعرف عن طائفة بعينها القول بوجود خالقين متكافئين في الصفات والأفعال. ومن نقل عنهم من طوائف المشركين نسبة شيء من الآثار والحوادث لغير الله، كقوم هود، حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم:

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[1].

فإن ما نسبوه إلى آلهتهم إنما كان لزعمهم أنها وثيقة الصلة بالله، وأنها شفيعة لمن عبدها، وتقرب إليها بالقرابين عند الله، في جلب النفع له، ودفع الضر عنه.

ومن أجل هذه الشائبة من الشرك في الربوبية نبّه الله سبحانه على بطلانه، وأنكر على من زعمه فقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

فبين -سبحانه- أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاقه العبادة لكان له: خلْق، وملك، وقهر، وتدبير. إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، ليرجى خيره ونفعه، فيطاع أمره وينفذ قصده، ويخشى بأسه وبطشه. فلا يعتدى على حدوده، ولا ينتهك حماه، ولو كان له خلق، وتدبير، وملك،وتقدير لعلا على شريكه، وقهره إن قوي على ذلك ليكون له الأمر وحده، ولذهب بخلقه، وتفرد بملكه دون شريكه. إن لم يكن لديه القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع. فإن من صفات الرب -تعالى- كمال العلو، والكبرياء، والقهر، والجبروت. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآية (٥٤).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (٩١ - ٩٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٤٢).

- إذا كان المعنى المراد لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته. وقيل: المعنى لاتخذوا سبيلاً إلى عبادته، وتأليهه، والقيام بواجب حقه. وابتغوا إلى رضاه سبيلاً. كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[1].

- وقد استخلص بعض العلماء من ذلك دليلاً سموه: دليل التمانع، استدلوا به على توحيد الربوبية. قالوا: لو أمكن أن يكون هناك ربان يخلقان، ويدبران أمر العالم لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء، ويريد الآخر عدمه، أو يريد أحدهما حركة شيء، ويريد الآخر سكونه. وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما، وهو محال. لما يلزمه من اجتماع النقيضين، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه، والعاجز لا يصلح أن يكون رباً.

توحيد الأسماء والصفات

- وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو أن يسمَّى الله ويوصف، بما سمَّى ووصف به نفسه، أو سمَّاه، ووصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تأويل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ومن تبصر في العالم، وعرف شؤونه وأحواله تبين له كمال تعلقه خلقاً وأمراً بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وارتباطه بها أتم ارتباط، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات، وشواهد واضحات على أسماء الله وصفاته.

---

(١) الإسراء: الآية (٥٧).

وقد ذكر (ابن القيم) في: «مدارج السالكين» طريقين لإثبات الصفات:

١- الوحي الذي جاء من عند الله تعالى على لسان رسوله ﷺ.

٢- الحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة قال -رحمه الله تعالى- في بيان الطريق الأول:

- فأما الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مُفصَّلاً على وجه أزال الشبهة، وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقين ورفع الشك المريب، فثلجت له الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر به الإيمان في نصابه. ففصَّلت الرسالة الصفات، والنعوت، والأفعال، أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير. فما أبلغ لفظه وأبعده من الإجمال، والاحتمال، وأمنعه من قبول التأويل، ولذلك كان التأويل لآيات الصفات، وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد، وأخباره. بل أبعد منه. لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة». بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها، كتأويل آيات الأمر والنهي سواء، فالباب كله باب واحد، ومصدره واحد، ومقصده واحد، وهو إثبات حقيقتها، والإيمان بها.

وكذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم. وقالوا: فعلنا فيها، كفعل المتكلمين في آيات الصفات، بل نحن أعذر. فإن اشتمال الكتب الإلهية على الصفات، والعلوم، وقيام الأفعال أعظم من نصوص المعاد للأبدان بكثير، فإذا ما ساغ لهم تأويلها، فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد!

وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الأمر، والنهي وقالوا: فعلنا فيها، كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها، وتنوعها. وآيات

الأحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية. قالوا: وما يظن أنه معارض من العقليات لنصوص الصفات، فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه، وأقوى منه.

- وقالوا متأولو آيات الأحكام على خلاف حقائقها، وظواهرها، والذي سوغ لنا هذا التأويل القواعد التي اصطلحتموها لنا، وجعلتموها أصلاً نرجع إليه، فلما طردناها كان طردها أن الله ما تكلم بشيء قط، ولا يتكلم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا له صفة تقوم به، ولا يفعل شيئاً.

- وطرد هذا الأصل لزوم تأويل آيات الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والثواب، والعقاب، وقد ذكرنا في كتاب الصواعق أن تأويل آيات الصفات، وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين، وزوال الممالك، وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كان بسبب التأويل. ويعرف هذا من له اطلاع، وخبرة بما جرى في العالم.

ولهذا يُحرِّم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم بصحته، لأنه سبب لفساد العالم، وتعطيل للشرائع. ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسُّنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها، فإنها وردت على وجه لا يحتمل التأويل بوجه. فانظر إلى قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1]. هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب - جل جلاله- بإتيان ملائكته وآياته؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً في أنه إتيانه بنفسه!

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥٨).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، إلى أن قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1].

ففرق بين الإيحاء العام، والتكليم الخاص، وجعلهما نوعين، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرافع لتوهم ما يقوله المحرفون. كذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[2].

فنوَّع تكليمه إلى تكليم بواسطة، تكليم بغير واسطة وكذلك قوله لموسى، عليه السلام: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[3]. ففرّق بين الرسالة والكلام. والرسالة إنما هي بكلامه. وكذلك قول النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بينه سحاب وكما ترون الشمس في الظهيرة صحواً ليس دونها سحاب»[4].

ومعلوم أن هذا البيان، والكشف، والاحتراز ينافي إرادة التأويل قطعاً، ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين.

الطريق الثاني: من طرق إثبات الصفات دلالة الصفة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود خالقه، وعلى حياته ، وعلى علمه، ومشيئته. فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً. فما فيه من

---

(١) النساء الآيتان (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) سورة الشورى: الآية(٥١).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).

(٤) رواه البخاري (الفتح ٧٤٣٤/١٣) ومسلم (٦٣٣)، ولفظه عند مسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته..» الحديث.

الإتقان، والإحكام، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان، والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه، وإحسانه، وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال.

وخالق الأسماع، والأبصار، والنطق أحق أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً.

وخالق الحياة، والعلوم، والقدر، والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب -سبحانه- ومشيئته، وحكمته التي اقتضت التخصيص، وحصول الإجابة عقب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبيده، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم، وعلى رأفته ورحمته بهم، والإحسان إلى المطيعين، والتقرب إليهم، والإكرام لهم، وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه. وعقوبته للعصاة، والظلمة، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب. والسخط، والإبعاد، والطرد، والإقصاء يدل على المقت، والبغض.

- فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل، ولهذا دعا -سبحانه- عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته. فهو يثبت العلم بربوبيته، ووحدانيته، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة، والقرآن مملوء بذلك، فيظهر شاهد اسم الخالق من المخلوق نفسه، وشاهد اسم الرزاق من وجود الرزق والمرزوق، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة

واحدة، واسم الحليم من حلمه على الجناة، والعصاة وعدم معاجلتهم بالجزاء، واسم الغفور، والتواب من مغفرة الذنوب، وقبول التوبة. ويظهر اسم الحكيم من العلم بما في خلقه، وأمره من الحِكَم، والمصالح، ووجود المنافع.

- وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره. يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله. فالخلق، والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته. وكل سليم العقل، والفطرة يعرف قدر الصانع، وحذقه على غيره، وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته فكيف لا تعرف صفاتُ مَنْ هذا العالم العلوي والسفلي، وهذه المخلوقات من بعض صنعه، وإذا اعتبرت المخلوقات، والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت، والصفات، وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمى، ومكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(1).

فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب -جل جلاله- ونعوته، وأسماؤه، هي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى، وحقائقها، وتنادي بها وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت ما بها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يهدي ومن هو قائل

- فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على

---

(1) سورة الذاريات: الآية (21).

صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه. وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها فهي تدل عقلاً، وحساً، وفطرة، ونظراً، واعتباراً. اهـ[1].

توحيد الإلٰهية

- وأما توحيد الإلهية: فهو إفراد الله بالعبادة: قولاً وقصداً، وفعلاً، فلا ينذر إلا له، ولا تقرب القرابين إلا إليه ولا يُدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة. وهذا النوع هو الذي بُعثتْ به الرسل، وأنزلت به الكتب، وبدأ به كل رسول دعوته، ووقعت فيه الخصومة بينه وبين أمته.

وهو الذي من أجله شرع الجهاد، وقامت الحرب على ساقها بين الموحدين والمشركين.

والطريق الفطري لإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليها بتوحيد الربوبية. فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه ومنشأ نفعه وضره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلات بينه وبينه، فتوحيد الربوبية بابٌ لتوحيد الإلهية.

- من أجل ذلك احتج الله على المشركين، وأرشد رسوله إلى هذه الطريقة، وأمره أن يدعو بها قومه، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[2].

---

(١) انظر مدارج السالكين للعلامة ابن القيم ٦٢/١، ومذكرة التوحيد (ص٣٢ ـ ٣٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات (٨٤ ـ ٨٩).

- فقد استدل بتفرده بالربوبية، وكمال التصرف، وحمايته ما يريد أن يحميه، على استحقاقه وحده للعبادة، ووجوب إفراده بالإلهية قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. فأخبر بأن البعث آت لا محالة، ونزه نفسه عما زعمه المشركون من الشركاء، ثم استدل -سبحانه- على قدرته على البعث، وتفرده باستحقاقه الإلهية بآياته الكونية، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[2].

إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، إلى أن قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]. فجعل -سبحانه- تفرده بالربوبية خلقاً للحاضرين والسابقين، وتمهيده الأرض، ورفعه السماء بغير عمد يرونها، وإنزاله الأمطار ليحيي بها الأرض بعد موتها. ويخرج بها رزقاً لعباده باباً إلى توحيد الإلهية وآية بينة على استحقاقه وحده العبادة.

---

(١) سورة النحل: الآية (١).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٤ ـ ٥).

(٣) سورة النحل: الآيات (١٧ ـ ٢٢).

(٤) سورة البقرة: الآيتان (٢١ ـ ٢٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾(١). فقررهم -سبحانه- بما لا يسعهم إنكاره، ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرده بالرزق، والملك، والتدبير، والإحياء والإماتة، والبدء، والإعادة، والإرشاد، والهداية ليقيم به عليهم الحجة في وجوب تقواه دون سواه. وينكر عليهم حكمهم الخاطئ، وشركهم الفاضح، وعكوفهم على من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشوراً.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(٢).

فأنكر -سبحانه- أن يكون معه مَنْ خَلَقَ، ودبر، أو صرَّف وقدَّر، أو يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، أو يولِّي، أو يعزل، وينصر، ويخذل، أو ينقذ من الحيرة، ويهدي من الضلالة، أو يبدئ ويعيد، ويبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر. إلى غير ذلك مما استأثر الله به.

وهذا مما استقر في فطرتهم، ونطقت به ألسنتهم، وبه قامت الحجة عليهم فيما دعتهم إليه الرسل من توحيد العبادة. وما ذكر من الآيات قليل من كثير.

---

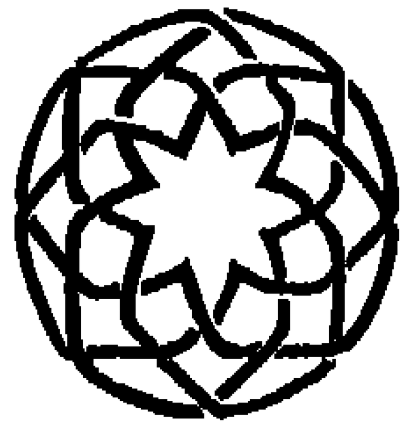
(١) سورة يونس: الآية (٣١).

(٢) سورة النمل الآيات: (٥٩ ـ ٦٤). وتمامها: «أمَّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءِله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون، أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءِله مع الله قليلًا ما تذكرون. أمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، أءِله مع الله تعالى الله عما يشركون، أمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءِله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

- ومن سلك طريق القرآن في الاستدلال، واهتدى بهدي الأنبياء في الحجاج اطمأنت نفسه، وقوي يقينه، وخصم مناظره (أي انتصر عليه). فإن في ذلك الحجة، والبرهان من جهتين:

الأول: أنه خبر المعصوم.

والثاني: أنه موجب الفطرة، ومقتضى العقل الصحيح.



المبحث الثالث

إمامته في السُّنة وحثُّه على التمسُّك بها

السُّنة في اللغة: الطريقة حسنة كانت أو سيئة، ومنه قوله ﷺ: «من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عَمِل بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

وقال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها   فأول راضٍ سُنَّة من يسيرها

واصطلاحاً: ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[2].

والسُّنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، بل هي قطب رحاها، ومصدر شعاعها، وشمس الحقيقة، ومنبع الهداية، وهي السراج الوهاج في ليل داج، فقد كانت البشرية في الجاهلية الأولى تتخبط خبط عشواء، وهي منغمسة في شهواتها، ومنتهية في جهالاتها، ومرتطمة في نزواتها، لا تهتدي سبيلاً، ولا تجد طريقاً حتى مَنَّ الله عليها ببعث نبيِّها الكريم ﷺ

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) انظر قواعد التحديث للقاسمي (ص٣٥ ـ ٣٨)، وحجية السُّنة للسباعي(ص٤٧).

وأنزل عليه كتابه العظيم. ولما كان القرآن الكريم محتوياً للأصول غير مستقص لجميع التفاصيل، وفيه من الإجمال شيء غير قليل، فوّض الله بيانه إلى رسوله الكريم ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فبيّن رسول الله ﷺ أحكامه، ورفع إبهامه، وخصص إطلاقه، وشرح أهدافه.

ومن هنا يظهر جلياً، أنه لا يمكن فهم كتاب الله تعالى والعمل به على مراد الله سبحانه إلا ببيان رسوله النيِّر، وأسوته الحسنة، فمن رام الهداية من غيرهما فقد رام المحال.

ولما كان للسُّنة هذه المنزلة العظيمة، وكان كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قام أعداء الإسلام بالتشكيك في السُّنة وزعزعة الثقة بها، وإثارة الشبهات حولها، ولكن من رحمة الله وتوفيقه أن قيّض لهؤلاء المبتدعة والفرق الضالة، علماء عاملين، نذروا أنفسهم لنصرة الدِّين دعوة وجهاداً، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى، ولم يخشوا في الله لومة لائم، ولم يُبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة، واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السُّنة، وردوا على المبتدعة فبهتوهم بالبراهين القطعية، وصنفوا في رد شُبههم، ودفع باطلهم ودحض حججهم، الكتب المفيدة، ولم تنجم بدعة من الضالين المضلين إلا ويقيِّض الله لها جيشاً من العلماء المخلصين، فحفظ الله عزَّ وجلَّ بعلمهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم ويعلمهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد.

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ولا نزكي على الله أحداً، فقد كان من العلماء الناصحين، والدعاة المصلحين، الذين يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، كيف لا وهو المحب للسُّنة، العاض عليها بنواجذه، الحامل للوائها، المدافع المنافح عنها، الناشر لعلومها، المحيي لما اندرس منها بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب، فلا عجب إذ وُصف بأنَّه إمام في السُّنة وذلك لشدة تمسكه بها والذب عنها، والاعتصام -بعد كتاب الله- بها، وأصدق دليل على ذلك ما كتبه إبَّان رئاسته لجماعة أنصار السُّنة المحمدية بمصر قائلاً:

إن ما ترزح الأمم الإسلامية اليوم من تفرق في الكلمة، وانحراف في الرأي، وضعف في الدفاع، وتأخر إلى الوراء حين يتقدم غيرهم، ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلتهم عن تراث السلف الصالح، وسلوكهم لغير خطتهم علماً وعملاً، ولقد راجت شُبه الملحدين من جديد، رواجاً مخيفاً جمد إزاءه المسلمون، ولو أنهم رجعوا إلى أقوال سلفهم الصالح، وسلكوا طريقهم لردوا كيد الكائدين إلى نحورهم، فإنَّه ما من شُبهة تُذاع اليوم، إلا وقد سبق إليها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى، ووقَّفها وردَّها وأبطلها أجلَّة علماء السلف، ببراعة فائقة، فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هذي أقوم مما كانوا عليه.

فالخير كل الخير في العودة إلى كتاب الله تعالى تلاوةً له، وتفقُّهاً فيه، وإلى أحاديث المصطفى، صاحب جوامع الكَلِم ﷺ دراية ورواية، والفُتيا بهذين الأصلين، وعرض أعمال الناس عليهما، فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد.

هذا وإن جماعة أنصار السُّنة المحمدية، ممن شعر بهذا منذ زمن بعيد، وعرفتْ مصدره وعلاجه، فبدأت الجماعة تكافح الخرافات، لاسيَّما ما كان متعلِّقاً منها بالعقائد، وترجع بأعضائها وكل من يُشرِّفها إلى سُنَّة النبي ﷺ وطريق السلف الصالح، وتنيرهم بالمعارف النبوية، وتنشئهم على حبِّ الكتاب والسُّنة وتُمرنهم على النزول على حكمها من غير عصبية[1].

وبالجملة فقد كانت عناية الشيخ بالسُّنة بالغة، وقد وصفه كثير من طلابه بأنه صاحب سُنّة ورجل عقيدة. فالعقيدة باعتبارها قاعدة الإطلاق، ومركز الانطلاق،والسُّنة باعتبارها الوحي الثاني، والواجهة التي تتعرض للأهباء والأقذاء، كانتا مناط اهتمام الشيخ -رحمه الله- يركز عليهما، أو يُلمح إليهما، أو يُذكِّر بهما ويمسهما مساساً رفيقاً في شتى حديثه، ويتعرض لهما، لأدنى ملابسة بينهما وبين الموضوع الذي يعالجه[2]، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أنه كان من العلماء الذين أسهموا بشكل فعالٍ في نشر السُّنة وإحياء ما اندرس منها، فضلاً عن محاربة أهل البدع والإنكار عليهم، وردِّ شبههم ودحض مزاعمهم الباطلة.

كان -رحمه الله- في جُلِّ مناظراته ينفي عن السُّنة ما عراها من غبرة كما ينفي عنها تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، ولعل محاضرته القيِّمة «شبهات حول السُّنة»[3] أصدق دليل على ما ذكرته، فقد أوضح فيها موقف المسلم الداعية من خصوم السُّنة المنكرين لها قائلاً:

---

(١) انظر العدد الأول من مجلة الهدى النبوي الصادر عام ١٣٥٦هـ.

(٢) انظر كلمة الشيخ بخاري عبده أحمد وكيل جماعة «أنصار السُّنة» بمصر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

(٣) هي في الأصل محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في مجتمع طلابي، وقد تم تسجيل المحاضرة في حينها، وقد قمت بتفريغ أشرطة المحاضرة القيمة مع حذف العبارات المكررة والجمل المعادة خشية الإطالة ومراعاة لتناسب الفقرات.

المسلم الداعية أو المناظر الذي يثبت حُجيَّة السُّنة، والذي يدفع الشُّبَه عنها يختلف موقفه باختلاف خَصمه أو مَنْ يناظره، فتارة يكون مُنكِراً للسُّنة من أصلها، وينكر جميع ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام من الأحاديث قولاً أو عملاً أو خُلُقاً، ينكره ويكتفي بما جاء في القرآن الكريم، موقفه مع هؤلاء أن يثبت لهم حاجة المسلمين في فهمهم للقرآن، وعملهم بالقرآن، أن يثبت حاجتهم في ذلك، إلى السُّنة التي جاء بها النبي ﷺ قولاً وعملاً وصفة، فإذا احتج علينا بالقرآن فقال: إن الله تعالى أغنانا بالقرآن لقوله فيه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

فالقرآن بيّنٌ واضح ومُبين لكلِّ شيء فلا يُحتاج معه إلى سُّنة، فلماذا نتكلف البحث فيها والركون إليها أو الاحتجاج بها، لماذا نتكلف هذا مع أن الله تكفَّل لنا ببيان كل ما نحتاج إليه فى محكم كتابه لقوله ونزلنا عليك الكتاب «وهو القرآن» تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا حاجة إلى أن نكلف أنفسنا عناء البحث في سُّنة رسول الله ﷺ لنعمل بما فيها لغنانا بالقرآن عنها ويقول سبحانه في آية أخرى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾[2]. ويريدون بالكتاب القرآن، فيكون المعنى ما فرطنا في القرآن من شيء ففي القرآن كل شيء فلا حاجة إلى السُّنة، وهذا إنكار للسُّنة بجملتها أو إنكار للحاجة إليها وإلى الاحتجاج بها بالجملة، إكتفاءً بما جاء في القرآن بهاتين الآيتين، وقد أجاب العلماء عن الاستدلال بهاتين الآيتين بأجوبة منها:

---

(١) سورة النحل: آية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام: آية (٣٨).

أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ المراد به اللوح المحفوظ، والسورة مكية ولم يكن نزل من القرآن إلا قليل، سورة البقرة مدنية، براءة مدنية، النساء مدنية، آل عمران مدنية، كثير من آيات الأحكام والفروع، كثير منها مدني، وما يتصل بالصلاة إنما وضح وتبين وتكامل في المدينة.

وأحكام المعاملات إنما نزلت في القرآن بالمدينة، نزلت أصولها في القرآن، بعد الهجرة، وأحكام الجنايات من قِصاص وديات نزلت في المدينة، والسورة، سورة الأنعام كلها مكيّة على الصحيح أنها جميعاً مكية، قد يكون منها آيات مكية تُشبه الآيات المدنية كآيات الذبح وذكر اسم الله على الذبائح، قد يكون مثل هذا نزل بالمدينة، لكن الغالب عليها أنها مكيّة، فكيف يكون في الكتاب الذي هو القرآن بيان كل شيء في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية، مع أن تلكم الأحكام إنما نزلت أصولها بالمدينة لا في مكة. ثم عدد الصلوات وتحديد أوقاتها، وعدد ركعاتها، وسائر كيفياتها لم تُعرف من القرآن، إنما عُرِفتْ من السُّنة.

وأحكام الزكاة من جهة النصاب ومن جهة المستحقين لم تكن عُرفت في مكة، بل لم تكن فريضة الزكاة شُرعت في مكة إنما الذي شُرع الصدقات العامة، وفرْض الزكاة وجبايتها إنما كان في المدينة وبيان المستحقين للزكاة إنّما نزل في المدينة في سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾[1] إلى آخر الآية التي فيها الأصناف الثمانية ثم النصاب، نصاب الزكاة ليس محدداً في القرآن وكذا شرطها وهو حلول الحول ليس محدداً في القرآن ولا مُبَّيناً فيه، فالواقع يدل على

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

أن القرآن اشتمل على الأصول العامة، وأنه لم يكن فيه كل شيء، فتفسير الكتاب بالقرآن في آية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1] تفسير غير صحيح، إنما المراد به اللوح المحفوظ الذي أمر الله تعالى القلم أن يكتب فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

أما الآية الأخرى وهي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2] فيقال فيها مثل ما قيل في الأولى، المراد بالكتاب القرآن، ولكن سورة النحل التي نزلتْ فيها هذه الآية أو هذه الجملة سورة مكيّة، النحل من السُّوَر المكية، ولم يكن نزل التشريع كلّه في مكة، إنما نزلت أصول التوحيد، وما يتصل بمعجزات الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم، إنما نزلت أصول هذا وهذا في مكة وأما الفروع فقد نزلت في المدينة، فكيف يُقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

فالمراد بالكتاب في هذه الآية من سورة النحل القرآن، لكن ليس المراد ببيانه لكل شيء بيان لجميع أحكام الفروع، إنما هو مثل الآية التي قال الله فيها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ إخباراً عن الريح التي أرسلها الله جل شأنه على عادٍ قوم هود أرسل عليهم ريحاً وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[3]. وهي إنما دمرت قوم هود، دمرت عاد، ودمرت ديارهم، فالأمارات الحسية أو الأدلة الحسية، وواقع الهالكين الذين هلكوا وتحدث اللّٰه عنهم في القرآن يدل على أن المراد بالآية الخصوص لا العموم..

كذلكم قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى آخر الآية هي مما

---

(١) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦٠).

أريد بها الخصوص وإلا ففي أيٍّ آية من الآيات بيان عدد الصلوات، أو بيان تفاصيل الزكوات، أو بيان الحج إلى بيت الله الحرام، بأصله وتفاصيله، لم يكن شُرع في هذا الوقت، إنما شُرع في المدينة في السنة التاسعة أو السنة العاشرة على الخلاف بين العلماء، وما كان مِن حجٍّ قبل ذلك، فهو على الطريقة الموروثة عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت هو وابنه إسماعيل وأمره الله أَن يُؤذِّن في الناس، كان الحج مشروعاً وممتداً شرْعه من أيام رسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أيام العرب في زمن النبي ﷺ وبعد زمنه، أما فرضه في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد نزل ضمن آيات سورة آل عمران، وهذا لم ينزل في مكة إنما نزل في السنة التاسعة من الهجرة أو في السنة العاشرة التي حجَّ فيها رسول الله ﷺ.

فكيف يُقال تبياناً لكل شيء وهو لم يتبيَّن فيه أصل فرضية الحج ولا تفاصيل الحج ولا تفاصيل الصيام، والصيام أيضاً فُرِض في المدينة بعد الهجرة بسنة، أين الجهاد وتفاصيله، الجهاد بالسلاَح أين هو وتفاصيله، البيوع أين هي وتفاصيلها وأين تحريم الربا وهو لم ينزل إلا في المدينة، فالآية إما أن يُقال فيها إنها من العام الذي أريد به الخصوص، وإمَّا أن يقال تبياناً لكل شيء أوجبه على المسلمين وهم في مكة لأن السورة مكية بيان لكل شيء مما أوجبه عليهم وشرعه لهم، لا أنها بيانٌ لكل حُكم من أحكام الإسلام.

فهؤلاء الذين أنكروا السُّنة جُملة أو قالوا: لاحاجة إليها جملة أكتفاءً بالقرآن واستدلالاً بهاتين الآيتين قد أخطأوا الطريق، ولم يعرفوا تاريخ التنزيل، ولم يعرفوا واقع التشريع وأن بيان ما في القرآن من العبادات والمعاملات، واقعه في السُّنة، ثم أين تحريم الجمع بين المرأة

وعمتها، والمرأة وخالتها، أين تحريم زواج الإنسان بامرأة أبيه، إنما كان هذا في المدينة، تفاصيل الأحوال الشخصية من وقف ومواريث وهبات ووصايا ونكاح وطلاق، تفاصيل هذا كلّه إنما كان بالمدينة، في الآيات التي نزلت في المدينة وبينّها الرسول ﷺ في سُنّته.

فواقعُ التشريع وعملُ المسلمين جميعاً، برهانٌ واضح يدل ضرورةً أو دلالةً ضرورية على أن السُّنة جاءت بياناً للقرآن، بيّن في مكة ما يحتاجون إليه بقدر ما نزل من أحكام أصول التشريع، وبيّن في المدينة ما طرأت الحاجة إليه من بيوع وغيرها من المعاملات والجنايات والحدود، كل هذا ما نزلت آياته إلا بالمدينة، ولا بيّن الرسول ﷺ تفصيله قولاً وعملاً إلا بالمدينة عليه الصلاة والسلام. فالاستدلال بالآيتين استدلال مردود ولا يقال الدليل مردود.

قلتُ ابتداءً إنَّ موقف الداعية من المدعوين يختلف باختلاف حالهم، فمن أنكر الاحتجاج بالسُّنة جملة اكتفاء بكتاب الله احتج بالآيتين والرد عليه كما علمتم.

موقف آخر يكون لبعض الناس من المسلمين، يردُّ بعض الأحاديث، إما بالنسبة لمعارضتها لفكره فيما يزعم، أو لمعارضتها لما يرونه أن الطب جاء به، وأن الطب قرّر قراراً صحّياً في أمور لا يليق أن يأتي على خلافها حديثٌ عن الرسول ﷺ، فأمثال هؤلاء يردون أحاديث إما لمعارضتها لعقولهم، وإما لمعارضتها لقواعد صحية مثلاً . كحديث الذباب[1] والأمر

(١) ونصُّه: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه كُلَّه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر دواء» رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي رواية: «إذا وقع الذباب في الطعام فامقلوه، فإن في أحد جناحيه سُمّاً وفي الآخر شفاء، وأنه يقدم السمَّ ويؤخر الشفاء» رواه أحمد وابن ماجه، وسنده حسن.

بغمسه إذا سقط في الطعام، أو في الشراب، الأمر بغمسه بالشراب يرده جماعة ممن اقتنعوا بالطب وبالنظريات الطبية، وقدّسوا النظريات الطبيّة ووثقوا بعقول الأطباء وبتجارب الأطباء أعظم وأقوى من ثقتهم بتشريع الله، وبما صحّ عن رسول الله ﷺ،حسّنوا ظنهم بالنظريات الطبية أكثر من تحسين ظنهم بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وفي هذا طعن في أحد أمرين: إما الطعن في المشرِّع وهو رسول الله ﷺ أو تخصيص لوظيفته ومهمته، يقولون إن وظيفته تشريع صلاةٍ وصيامٍ وكذا، وليس له دراية بالطب، ما الذي يدخله في الطب، هو له دائرةٌ محدودة يجول فيها هي دائرة التشريع من صلاةٍ وصيامٍ وبيع وشراء وأمثال ذلك، فما الذي يدخله في هذا، هذا ليس من اختصاصه فالعمل فيه إنما يكون على النظريات الطبية، لا على ما جاء عن الرسول ﷺ.

إن الفنَّ ليس مقاله ولا هو اختصاصه وإمَّا أن يكون ردهم لهذا الحديث من جهة أخرى هي طعنهم في الرواة الذين رووا هذا الحديث، أمَّا من الجهة الأولى فالرسول ﷺ بيّن لهم العلة. قال: إن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وتعليله هذا وهو أُميٌّ لم يدخل مدارس طب ولم يتفنّن بتجارب قام بها، دليل على أنه إنما تكلّم بهذا عن طريق الوحي من الله جل شأنه، والله سبحانه عليم بخواص مخلوقاته فهو عليم بجناح الذباب وما فيه من داء وما فيه من دواء، وأنّ هذا يكون علاجاً لهذا.

ومعروف في الذُّباب وفي كل طائر أنه إذا هبط من أعلى إلى أسفل أنه يهبط بمَيل حتى الطائرات لا تنزل الطائرة رأسية، لابد أن تنزل مائلة إلا إن كانت طائرات خاصة إنمَّا الطائرات العادية المعروفة تنزل هكذا، ثم إذا أرادت أن تنزل للجنب الثاني لابد أن تميل هكذا،

هذا النظام الدولي. والطيور إذا نزلت تنزل بجناح كذا، وإذا أرادت أن تَصُفَ وتقف في الجو تنصب الجناحين إلى الجانبين كذا.

فالقصد أنّ الذُّباب كسائر الطيور إذا نزل نزل بالجناح، فإذا غمسته كان جناحه الثاني وما فيه من شفاء علاجاً لما أصاب الشراب أو الطعام من الداء الذي نزل في الطعام من الجناح الآخر. فهذا التعليل دليل على أنَّ تعليله بهذا ليس تخميناً من عند نفسه ودخولاً فيما لا يخصه، إنما هو بوحي من الله جلَ شأنه، والله عليم بمخلوقاته وما فيها من خواص، فالرسول ﷺ إليه البلاغ عن الله، وقد بلَّغ هذا عن ربِّه.

ويجب على الإنسان أن يثق بوحي الله جل شأنه أعظم من ثقته بنظريات الأطباء، ثم هم لم يتفقوا، الأطباء لم يتفقوا على ما بنى عليه هؤلاء المعترضون على هذا الحديث، هم مختلفون أيضاً فيما بينهم والمسألة مسألة نظرية اجتهادية للأطباء، فكيف يُرد بمسألة نظرية اجتهادية مازالت تحت البحث، يرد بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما من جهة السند، فالسند على طريقة المحدثين سند صحيح مستوفٍ للشروط التي اشترطها علماء الحديث، والناس الذين اعترضوا على هذا الحديث من جهة رجاله ليس عندهم سند يستندون إليه في ذلك، وهم في معاملتهم وقبولهم للأخبار التي تصل إليهم يعتقدون يقيناً أو يظنون ظناً غالباً بما وصلهم من الأخبار، يعتقدون ما دلَّت عليه فيلزمهم أن يقبلوا ما جاء عن رواة هذا الحديث لأنهم أوثق وأضبط وأعدل من الرواة الذين يروون لهم أخباراً في سفر فلان وفي إدانة فلان، وفي شهادة الشهود في قضية يقبلون ذلك من أقل من هؤلاء الذين رووا

عن رسول الله ﷺ هذا الحديث. قلت: إن طعنهم إما أن يكون في الرسول ﷺ من جهة أن هذا ليس من اختصاصه، وأنّه أخبر بشيء يُخطئ فيه ويصيب، وبيّنت الجواب عنه بأن تعليله يشعر بأنه إنما جاء به من عند الله جل شأنه.

الناحية الثانية: الطعن من جهة الرواة، والرواة قلت: إنهم أوثق وأعدل وأضبط من أولئك الذين يقبلون أخبارهم العادية ويقبلون في البيع والشراء، والسفر والحضر، وفي الشهادات في القضايا. يقبلون أخباراً أقل من خبر هؤلاء الذين رووا هذا الحديث، الذين يروون بعض الأحاديث قد يردونها لأنها لا تتفق مع أفكارهم ومداركهم، فإمّا أن يردوها ويكذبوها ويقولون: خالفت صريح العقل إن لم يمكنهم أن يؤولوها، وإما أن يتأولوها على خلاف ما دلّت عليه مع كثرتها، وهذا أيضاً وضعٌ غير سليم واعتراض غير سليم، فإن عقلهم يعتريه الخطأ والصواب.

والوحي الذي جاءت به الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام وثبت عنهم جاء عن الصادق الأمين بوحي من ربِّه وهو لا ينطق عن الهوى فيجب على الإنسان أن يتهم عقله وتفكيره بدلاً من أن يتهم رسوله أو الرواة العدول أو أن يتهم ربّه في وحيه، وليثق بربِّه وبرسوله ﷺ أكثر من ثقته بتفكيره، فإن العقل قاصر وجُرِّبَ عليه الخطأ كثيراً ومداه محدود وما يجهله أكثر مما يعلمه، فعليه أن يعتقد في تفكيره القصور، وأن يعتقد في وحي الله الكمال والصدق، وأن يعتقد في الرواة الذين استوفوا شروط النقل المضبوطة المعروفة عند المحدثين، عليه أن يثق بهؤلاء أكثر من ثقته بتفكيره.

هذا جواب عمن ينكر الحديث لمعارضته لتفكيره، فيقال اتهم عقلك

بالقصور فإن ما يعلمه أقل مما يجهله، إتهم عقلك بالخطأ وبالجهل فى تفكيره، لأنك كثيراً ما أخطأت وجُرِّب عليك هذا، أما هؤلاء العدول الضُبّاط الذين استوفوا النقل، نقل الأحاديث فهؤلاء يندر فيهم أن يُخطئ أحدهم، خطؤه إلى جانب صوابه قليلٌ جداً ونادر، والذين يتأولون نصوص الأحاديث ويحملونها على غير ظاهرها، هم يسلكون أيضاً هذا المسلك في كتاب الله جل شأنه فيتأولون كثيراً من نصوص آيات الأسماء والصفات ومن نصوص الرؤية.

نصوص الرؤية في القرآن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]. آيات الأسماء والصفات، أحاديث عذاب القبر ونعيم القبر وسؤال القبر، عذاب الأبدان، تعذيب الأبدان، ويحملون العذاب على عذاب الأرواح، ويحملونه على ضعف الأرواح، ينكرون عروج الرسول ﷺ ببدنه إلى السماء وإسرائه من مكة إلى بيت المقدس ببدنه، ويقولون هذا إسراء بالروح، وعروج بالروح، تحكيماً للسنن الكونية، والعادات المألوفة في الخلق، فإن الإنسان لا يسر تلك المسافة في جزء ليلة، ولا يعرج إلى السماء السابعة في جزء ليلة ولا ينظرون إلى أنَّ الأنبياء جاءوا بخوارق العادات.

فخوارق العادات بالنظر للأنبياء والمعجزات الكونية والسنن الكونية التي خص الله بها الأنبياء هذه تعتبر عادية بالنظر لخصوص الأنبياء وإن كانت خارقة للعادة، وغير مألوفة بالنظر لغير الأنبياء، فلماذا نقيس الأنبياء فيما أوتوا من الله على الأفراد العاديين هذا قياس باطل، على فَرض أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

(٢) سورة القيامة، الآية (٢٢، ٢٣).

القياس في نفسه صحيح وقامت عليه الأدلة وثبتت حُجيته على فرض هذا فهذا قياس باطل، لا يصح الاحتجاج به، لأن الأنبياء يختلفون عن غيرهم في جريان خوارق العادات على أيديهم معجزة لهم، ثم الإسراء قد ثبت في القرآن وجاء به ، فتأويلهم لا يكون تأويلاً لحديث الإسراء إنما هو تأويل أيضاً للقرآن، القرآن جاء فيه ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[1]

إنَّ النصارى يعتقدون في عيسى أنه يحيي الموتى بإذن الله، وأنه يبرئ الأكمه الذي ولد أعمى يبرؤه بإذن الله، وأنه يصور طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً يمر بإذن الله، وأنه يبرئ الأبرص بإذن الله وليس بطريقة علاج وما فتح مستشفى، إنما هو خوارق عادات. وكذلكم اليهود يؤمنون بخوارق العادات، فما الذي جعل خوارق العادات بالنظر لموسى بانفلاق البحر ونجاة موسى ومَنْ معه إلى الشاطئ الآخر وجعل الممر يَبَسا إثنا عشر طريقاً على عدد الأسباط حتى لا يتنازع سبط مع سبط، جعلها يبساً يمرون فيها في هذه الممرات دون أن يغرقوا والماء متماسك بدون حواجز، ما وضعت صبات من الأسمنت، ثم هذا سلب لخاصية الماء، معجزة لموسى وإكراماً له ولمن معه، حيث انجاهم بإذنه سبحانه وتعالى، ثم ما جعله نجاة لموسى ومَن معه، جعله نفسه دماراً وهلاكاً لخصومه وأعدائه الكفار من اليهود والنصارى وهم يعترفون بخوارق العادات وبهذه المعجزات.

العرب يؤمنون بإبراهيم عليه السلام وبأن الله نجاه من النار، أُلقي في النار فنجاه الله منها فما الذي يجعلهم يؤمنون بسلب الله خاصية النار

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

حتى تكون برداً وسلاماً على إبراهيم ولا يؤمنون بالإسراء بمحمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم العروج به إلى السماء السابعة، يذكرون شُبهاً في هذا أيضاً، في عروجه وفي إسرائه يقولون هذه السرعة إلى هذا الحد تحرق البدن، يعني الاحتكاك بين بدنه وبين الهواء الذي في الجو الطبقات المحيطة به، هذا الاحتكاك يولد ناراً فيحترق، كذلك الصعود بهذه السرعة يولد ناراً فيحترق، شيء آخر إذا صعد هؤلاء إلى أعلى حتى إذا لم يكن هناك هواء ينفجر ويتمزّق، لأن الضغط الخارجي على جلده وعلى جسمه من جميع الجهات بالهواء، فينفجر حيث يوجد ضغط في الخارج وضغط في الداخل فيخرج الدم. يقولون في الطبقات التي لا هواء فيها كيف يتنفس؟

الذين يصعدون في هذه الأيام ويريدون القمر، يأخذون لأنفسهم هواءً، ويأخذون وقايات من هنا ومن هناك. العرب ما كان عندهم هذا الاختراع فكيف صعد هؤلاء إلى أعلى، كذلك الرسول ﷺ كيف صعد وتغلّب على الجاذبية الأرضية، وكيف لم يسقط على الجاذبية التي فوق جاذبية الكواكب (المجموعة الشمسية وأمثالها) كان يهلك، كيف خلص من الجاذبية الأرضية ولا أجنحة له، ولا طيارة ركبها، إنما هو «براق» وأولئك ما يعرفون البراق الذي ركبه كيف صعد وعاكس الجاذبية الأرضية، وكيف تماسك ولم يسقط على سطح الكواكب السماوية. حينما وقع في دائرة جاذبيتها، فهذه شُبه يوردونها على الإسراء ويوردونها أيضاً على المعراج.

وقد ألّف بعض أهل السُّنة في هذا تأليفاً يرد به على أولئك منهم الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي له رسالة صغيرة في الإسراء والمعراج ذكر فيها جميع الشُبه التي ترد على الإسراء والمعراج إن كانت في الحديث أو كانت من جهة السنن الكونية، والرد أمر واحد هو أن خوارق العادات

بالنظر للأنبياء سننٌ عادية تشبه السنن العادية بالنظر لسائر الخلق، فهم في معجزاتهم يسيرون في طريق كوني عاديٍ بالنظر لهم، كما أن الناس يسيرون على سطح الأرض سيراً عادياً، وكما أن الطيور ترتفع إلى أعلى بأجنحتها ارتفاعاً وصعوداً عادياً، فالرد كما ذكرت شيء واحد، هو أن هذا من خوارق العادات والمعجزات التي أجراها الله جل شأنه على يد رسوله ﷺ.

والخلاصة أنَّ الذين يعترضون على الأحاديث أو على بعض الأحاديث، يؤمنون بما تواتر من الأحاديث لفظاً ومعنى وهو عدد قليل من الأحاديث كحديث «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1] أو الأحاديث المتواترة معنى كأحاديث رؤية الله تعالى وأحاديث المسح على الخفين، وأحاديث عذاب القبر ونعيم القبر. يؤمنون بمثل هذا إما لمجيئه في القرآن، وإما لتواتره في السُّنة، وإما لوجوده في الاثنين جميعاً، لكنهم لا يؤمنون بأحاديث الآحاد، وذلك لأنهم يرون أنها لا تفيد إلا ظناً قد يكون ظناً غير غالب، فيردون أمثال هذه الأحاديث ولا يحتجون بها أصلاً أو يحتجون بها في الفروع دون الأصول.

أما شبهتهم في رد أحاديث الآحاد فهم يقولون إن الراوي يخطئ ويصيب، وإنَّ الراوي قد يكون عدلاً فيما يظهر وهو كذاب أو منافق في باطن أمره، ويقولون إن عمر بن الخطاب رد على أبي موسى الأشعري قوله في السلام في الاستئذان وأن الإنسان إذا استأذن ثلاثاً فلم يُؤذن له فلينصرف وقد استئذن على عمر بن الخطاب وهو مشغول بشغله في

---

(١) متفق عليه. البخاري (الفتح ١٢٩١/٣) ومسلم (٤) في المقدمة.

بيته الله أعلم به، سلَّم عند الباب سلام الاستئذان، فلم يسمعه عمر فما أجابه ثم سلَّم فما أجابه أحد ولا أذن له أحد ثم سلَّم فما أذن له أحد فانصرف بعد أن انتبه عمر بن الخطاب أو خلص من شغله الذي شغل باله ولم يمكنه من الإذن أو إجابة من سلَّم عليه. قال كأني كذا، يعني أسمع منادياً يستأذن أو مسلماً يُسلِّم فطلّب مَنْ سلَّم فإذا به أبو موسى فقال له: ما الذي منعك أن تدخل، ما الذي جعلك تنصرف فذكر له الحديث: «إذا استئذن أحدكم ثلاثاً فلم يُؤذن له فلينصرف»[1].

وهذا يؤيده القرآن في الجملة. وليس فيه تحديد للعدد، لكن أصل الانصراف موجود في سورة النور، وربّنا قال في الانصراف ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الإنصراف أزكى لكم، لم يحدد العدد فعمر بن الخطاب قال لأبي موسى إما أن تأتيني بشاهد يشهد معك بأن الرسول ﷺ قال هذا، وإما أن أفعل بك وأفعل، يعني هدده، قال أبو موسى الأشعري في نفسه أنا عبد الله بن قيس أنا أبو موسى أنا كذا، ولم يستجب له وسقط في يده وتعب وقال ماذا أفعل، ذهب إلى مجلس الأنصار وأخبرهم الخبر، فصدقوه، صدقوه في هذا الحديث فقال: ليذهب معي أحدكم فقالوا له: لا يذهب معك إلا أصغرنا فذهب أبو سعيد الخدري وكان أصغر الجالسين وشهد معه عند عمر بن الخطاب بأن رسول الله ﷺ قال هذا الحديث فقبل منه الحديث وأعفاه مما هدده به. فيقولون إنَّ هذا عمر بن الخطاب اتهم صحابياً روى له حديثاً، فهذا مما يدل على أن رواية الواحد لا تقبل وأنه مصار تهمة فلا نعمل به حتى يتأيد بغيره.

---

(١) رواه البخاري ـ الفتح (٥٢٤٢/١١) ومسلم (٢١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

هذا وأمثاله مما ورد عن الصحابة يردُّ عليه بأمرين الأمر الأول: أن عمر بن الخطاب لم يكذبه إنما أراد أن يتثبت من جهة وإلى جانب التثبت أمر آخر، خاف أن يجترئ الناس على سُنة رسول الله ﷺ فأظهر لهم القوة حتى يحتاطوا لأنفسهم عند البلاغ فلا يبلغ إلا وهو واثق مما تكلّم به، هذا جانب، بدليل أنه قبل خبر الواحد في مواضع أخرى: قَبِل خبر الواحد في إملاص المرأة.

ثم الرسول عليه الصلاة والسلام قد اعتمد خبر الواحد فكان يرسل رسولاً واحداً بكتابه، وما أدرَى أولئك بأن هذا صادق في أن هذا كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم ما عندهم بصمة ولا عندهم صورة لخاتمه، ما الذي يدريهم بأن دحية الكلْبي رسول رسول اللّه ﷺ، وكيف لزمهم البلاغ، وكيف أُصيب كسرى بعذاب من عند الله حينما مزّق الكتاب، كيف لزمتهم الحجة فالرسول ﷺ لم يرسل الواحد إلا وهو يعتقد أن الحُجّة تقوم به وهذا أمر معلوم بالضرورة من إرسال الرسول ﷺ أفراداً إلى جهات لنشر الدعوة وإقامة الحجة، وقد أرسل معاذ بن جبل ليقضي ويكون أميراً في اليمن، وأرسل علياً، وأرسل أبا موسى الأشعري.

القصد أن إرسال الواحد من الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد تكرر مرات، وهو لا يرسله إلا إذا كان يعتقد أن الحُجة تقوم به، وأن خبره يجب أن يُصدَّق، والمهم فيه أن يتخيّره عدلاً أميناً ضابطاً لما يبلغه من الخبر وأنه يقوى على البلاغ، عنده لسان يقوى به على البلاغ، المهم أن يتخيره، وليس من المهم أن يكون عدداً، بدليل أنه أرسل فرداً فرداً إلى دول لا إلى أفراد، في أصل الدين وهو العقيدة ليس في الفروع فقط إنما في أصل الدين، فهذا بيان من النبي ﷺ يحتج به على قبول خبر الواحد ضد هؤلاء الذين يتهمون الراوي إذا كان واحداً عدلاً ضابطاً مع

اتصال الإسناد، ومع عدم مخالفة من هو أوثق منه، ومع عدم الوقوف على علةٍ قادحة يُردُّ بها الحديث.

هذا العمل من الرسول ﷺ يرُد عليهم، وعمر بن الخطاب نفسه كان يقبل خبر الواحد قبله مرات، فلماذا يتمسكون بهذه القصة ولا يتمسكون بغيرها وغيرُها أكثر منها، هذا ردّ عليهم.

جهة أخرى في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمر بن الخطاب كان عنده قوة في التثبت وكان يجتهد ويستوثق أكثر، لا لأنه مُتهِم لمن استوثق في خبره. ويدلكم على هذا أنه في حادث التحقيق مع سعد بن أبي وقاص لما كان أميراً جهة العراق أميراً قاضياً قائداً للسرية، إماماً في الصلاة، خطيباً في الجمعة اشتكاه رجل من أولئك الجماعة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب إليه وثيقة كتاباً يقول فيه إنه لا يخرج بالسرية، ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية، ولا يُحسن الصلاة، لا يحسن يصلي، فأرسل شخصاً يحقق في الموضوع مع وثوقه من سعد بن أبي وقاص لكنه ما يريد الفتن ولا القلاقل فأراد أن يستوثق أكثر فأرسل مَن يحقق.

وفعلاً حقق ودخل المساجد ومَر على أنَاس هنا وهناك فكلهم يثنون خيراً على سعد بن أبي وقاص إلا المكان الذي فيه بؤرة الفساد، الرجل الذي بلَّغ سأله الرسول فانتظر له هذا الرجل فحكى نفسَ الكلمة وسعدٌ يسمع فقال: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره، وأكثر عياله، وعرضه للفتن. أربع دعوات نظير أربع تهم وجهها الرجل إلى سعد بن أبي وقاص، فطال عمر هذا الرجل، وكثر عياله، ودام فقره، وكبُرَ في السن حتى صار وهو يمشي في الطريق ينظر للنساء بعين خائنة

وقد سقط حاجبه، فيقال له: ما لك وقد شبت فيقول مسكين أصابتني دعوة سعد.

أقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استخلف ستة عندما طُعن وأيس من أن يبقى وقالوا له: استخلف؟ فقال: لا أحملكم حياً وميتاً، ولما ألحُّوا عليه استخلف ستة ليختاروا من بينهم خليفة يعني استجاب لهم في الجملة، ثم جعل من الستة سعداً ثم قال: اعلموا أني لم أعزله عن شكٍّ فيه ولا اتهام له، يريد أن يطفئ فتنة، وأن يسد أبواب فساد وليس سوء ظن بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، يقول هذا سعد أنا لم أعزله لعدم ثقتي به وبرأيه، فإن أصابته الخلافة فالحمد لله. وإن لم تصبه خلافة فليستشرْه مَن تكون الخلافة إليه. يعني رضي به خليفة وإن لم يُعينه لكن باختيارهم إيَّاه.

فهذا يدلكم على اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. القصد إن هذا جواب في اعتمادهم على طلب عمر من أبي موسى الأشعري أن يأتيه بآخر يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث إذا ستأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف.

وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يشرح صدورنا للعلم النافع وأن يجعل لنا بصيرة في إصابة الحق، وأن يوفقنا للعمل بما علمنا فإنه مجيب الدعاء.

وفي مقالٍ بعنوان: «وجوب تقديم المنقول على المعقول» يوضح الشيخ -رحمه الله- أنه ينبغي على الإنسان ألاَّ يغتر بقوة عقله وسعة تفكيره، ويجعل ذلك حكماً على نصوص القرآن والسُّنة، فيقول:

ولا يغتر إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير

وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسُّنة الثابتة فرعاً، فما وافق منهما عقله قبله واتخذه ديناً، وما خالفه منهما لوى به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوّله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره وإلا ردَّه ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلاً، ثقة بعقله، واطمئناناً إلى القواعد التي أصّلها بتفكيره واتهاماً لرسول الله ﷺ، أو تحديد مهمة رسالته وتضيق دائرة ما يجب اتباعه فيه واتهاماً لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً، فإن في ذلك قلباً للحقائق وإهداراً للإنصاف مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة المفضية إلى القضاء على أصولها، إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء ويشوب تفكيرهم الأغراض فلا يكادون يتفقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيات أو الضروريات.

فأي عقل من العقول يُجعل أصلاً يُحكَّم في نصوص الشريعة، فترد أو تنزل على مقتضاه فهماً وتأويلاً، أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟ أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها؟، أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته، ونصوص القضاء والقدر، وإنكار رؤية المؤمنين أين ربهم يوم القيامة؟، أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال ؟، أو عقل من قالوا بوحدة الوجود.......الخ.

ولقد أحسن العلامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: «المخالفون للكتاب والسُّنة، وسلف الأمة من المتأولين في هذا الباب في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه

مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقيين في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل».

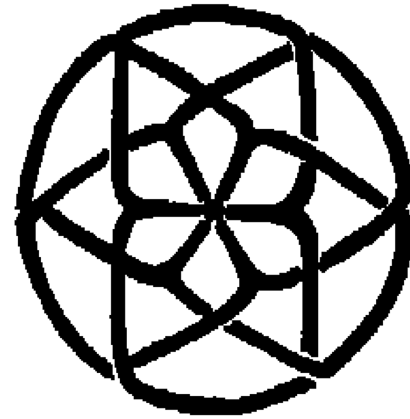
ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله. فياليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسُّنة،فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوكلما جاء رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء، انتهى.

هذا وإن فريقاً ممن قدّسوا عقولهم وخدعتهم أنفسهم واتهموا سُّنة نبيهم قد أنكروا رفع الله نبيَّه عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء حيَّاً بدناً وروحاً، ونزوله آخر الزمان حكماً عدلاً، لا لشيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردِّها إلى المُحكم منها اتباعاً لما ظنوه دليلاً عقلياً،وما هو إلا وهم وخيال، وردوا ما ثبت من سُّنة النبي ﷺ نزولاً على ما أُصّلوه من عند أنفسهم من أن العقائد لا يستدل عليها بأحاديث الآحاد واتهاماً لبعض الصحابة فيما نقلوا من الآحاديث، وفي ذلك جرأة منهم على الثّقاة الأمناء من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان. وتطاولوا على علماء الأحاديث وتناولوا رجال الجرح والتعديل بألسنة حداد جهلاً منهم بما قدموه من خدمة للدِّين وحفظ الأصل الثاني من أصول الإسلام وهو السُنّة النبوية، وعجزاً منهم عن أن يهضموا ما دوَّن أولئك الأمة الأخيار مِن كتب في قواعد علوم الحديث ودواوين

في تاريخ رواة الحديث وبيان درجاتهم ومراتبهم في الرواية وطبقاتهم ومواليدهم ووفاياتهم، ولقاء بعضهم بعضاً أو سماعه تمييزاً لمن تقبل روايته ممن تُرد روايته، وما يُقبل من الأحاديث وما يُرد، وذباً عن السُنّة النبوية وحفاظاً عليها.

ومع هذا اغتر الناشئة من طلبة العلم بهؤلاء المتهمين للسُنّة الصحيحة ورواتها، المفترين على سلف الأمة وأئمتها، وتردد آخرون وتساءلوا بينهم فكتبوا إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء يستفسرون عما أشكل عليهم من ذلك، فأجابتهم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بما يناسب الحال ويقضي حاجة السائلين.

وفيما يلي ذكر ما ورد منهم إلى اللجنة من الأسئلة المتعلقة برفع عيسى بن مريم عليه الصلاة و السلام حيّاً إلى السماء ونزوله آخر الزمان حكماً عدلاً وما أجابت به اللجنة في هذا.



فتوى

عَن المسِيح عَليه السَّلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الأسئلة المقدمة من أحد السائلين، حول المسيح عليه السلام وأجابت عن كل سؤال منها عقبه:

السؤال الأول: هل عيسى ابن مريم حي أو ميت، وما الدليل من الكتاب والسُّنة؟

السؤال الثاني: إذا كان حياً أو ميتاً فأين هو الآن، وما الدليل من الكتاب والسُّنة؟

الجواب على السؤالين: عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حي لم يمت حتى الآن ولم يقتله اليهود ولم يصلبوه، ولكن شُبِّه لهم بل رفعه الله إلى السماء ببدنه وروحه، وهو إلى الآن في السماء، والدليل على ذلك قوله تعالى في فرية اليهود والرد عليها: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

---

(1) سورة النساء: الآيتان (١٥٧ ـ ١٥٨).

فأنكر سبحانه على اليهود أنهم قتلوه أو صلبوه، وأخبر أنه رفعه إليه، وقد كان ذلك منه تعالى رحمة به وتكريماً له، وليكون آية من آياته التي يؤتيها من يشاء من رسله، وما أكثر آيات الله في عيسى ابن مريم عليه السلام أولاً وآخراً ومقتضى الإضراب في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ أن يكون سبحانه وتعالى قد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بدناً وروحاً حتى يتحقق به الرد على زعم اليهود أنهم صلبوه وقتلوه، لأن القتل والصلب إنما يكون للبدن أصالة ولأن رفع الروح وحدها، لا ينافي دعواهم القتل والصلب، فلا يكون رفع الروح وحدها رداً عليهم. ولأن اسم عيسى عليه السلام حقيقة في الروح والبدن جميعاً، فلا ينصرف إلى أحدهما عند الإطلاق إلا بقرينة ولا قرينة هنا، ولأن رفع روحه وبدنه جميعاً مقتضى كمال عزة الله وحكمته وتكريمه ونصره من شاء من رسله حسبما قضي به قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. وسيأتي لهذا زيادة بيان وتأكيد في الجواب عن السؤال الثالث إن شاء الله تعالى.

السؤال الثالث والرابع: إذا كان عيسى عليه السلام حياً فهل سينزل آخر الزمان ويحكم بين الناس ويتبع في ذلك دين محمد ﷺ وما الدليل؟ وبم نرد على من زعم أن عيسى لن يبعث آخر الزمان ولن يحكم بين الناس؟

الإجابة عن السؤالين: نعم سينزل نبي الله عيسى ابن مريم آخر الزمان ويحكم بين الناس بالعدل متبعاً في ذلك شريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام وسيؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً قبل موته بعد أن ينزل آخر الزمان قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ

بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

فأخبر تعالى بأن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى سوف يؤمنون بعيسى ابن مريم عليه السلام قبل موته -أي موت عيسى- وذلك عند نزوله آخر الزمان حكماً عدلاً داعياً إلى الإسلام كما سيجيء بيانه في الحديث الدال على نزوله.

وهذا المعنى هو المتعين، فإن الكلام سبق لبيان موقف اليهود من عيسى وصنيعهم معه عليه الصلاة والسلام ولبيان سُنة الله في انجائه ورد كيد أعدائه فيتعين رجوع الضميرين المجرورين إلى عيسى عليه السلام رعاية لسياق الكلام وتوحيداً لمرجع الضميرين وثبت في أحاديث كثيرة صحيحة من طرق متعددة بلغت مبلغ التواتر أن الله تعالى رفع عيسى إلى السماء وأنه سينزل آخر الزمان حكماً عدلاً وأنه سيقتل المسيح الدجال.. قال ابن تيمية بعد أن ذكر أحاديث رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان من طرق كثيرة: فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ومنها دلالة على صفة نزوله ومكانه.. إلخ.

ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لويشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض الماء حتى لا يقبله أحد».. قال ابو هريرة: اقرؤا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٩).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٩).

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم».. وثبت في الصحيح أيضاً أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة».. فدلت الأحاديث على نزوله آخر الزمان وعلى أنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ وعلى أن إمام هذه الأمة في الصلاة وغيرها أيام نزوله من هذه الأمة لا مجال فيها للشك، وليس هناك منافاة بين نزوله وبين ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ حيث لم يأت عيسى عليه السلام بشريعة جديدة ولله الحكم أولاً وأخراً يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وهو العزيز الحكيم.

السؤال الخامس: بما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء فلم لم يرفع إلى السماء بدلاً من عيسى إذا كان عيسى رفع إليها حقيقة؟ ولماذا اختص عيسى بالرفع دون سائر الأنبياء؟ علل ودلل؟

الإجابة: إن الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً وأحاط بكل شيء قوة وقهراً سبحانه له الحكمة البالغة والإرادة النافذة والقدرة الشاملة اصطفى من شاء من الناس أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين ورفع بعضهم فوق بعض درجات وخص كلا منهم بما شاء من المزايا فضلاً منه ورحمة، فخص بالخُلَّة خليليه إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام وخص كل نبي بما أراد من الآيات والمعجزات التي تتناسب مع زمنه وبها تقوم الحجة على قومه حكمة منه وعدلاً، لا معقب لحكمه وهو العزيز الحكيم اللطيف الخبير.

وليس كل مزية بمفردها بموجبة للأفضلية، فاختصاص عيسى برفعه إلى السماء حياً جارٍ على مقتضى إرادة الله وحكمته وليس ذلك لكونه أفضل من إخوانه المرسلين كإبراهيم ومحمد وموسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أعطوا من المزايا والآيات ما يقتضي تفضيلهم عليه أو بالجملة، فمرجع الأمر في ذلك إلى الله يدبره كما يشاء لا يُسأل عما يفعل لكمال علمه وحكمته ثم إنه لا يترتب على السؤال عن ذلك عمل أو تثبيت عقيدة بل ربما أصيب بالحيرة من حام حول ذلك واستولت عليه الريب والشكوك وعلى المؤمن التسليم فيما هو من شؤون الله وليجتهد فيما هو من شؤون العباد عقيدة وعملاً وهذا هو منهج الأنبياء والمرسلين وطريق الخلفاء الراشدين وسلف الأمة المهديين.

السؤال السادس: لماذا سُمِّي عيسى ابن مريم المسيح؟

الإجابة: سُمِّي عيسى بن مريم بالمسيح لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ بإذن الله. وقال بعض السلف: سمي مسيحاً لمسحه الأرض، وكثرة سياحته فيها للدعوة إلى الدين.

وعلى هذين القولين يكون المسيح بمعنى ماسح، وقيل سمي مسيحاً لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص له، وقيل لأنه مُسح بالبركة، أو طهر من الذنوب فكان مباركاً، وعلى هذين القولين يكون مسيح بمعنى ممسوح، والأظهر الأول والله أعلم.

وعلى كل حال لا يتعلق بذلك عقيدة ولا عمل فالجدوى في ذلك ضعيفة أو معدومة.

مع هذه الأسئلة نصوص يستدل بها القاديانيون على موت عيسى ودفنه. أرجو بيان تلك النصوص وكيف نرد عليهم؟

الآيـــة الأولى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾[1].

الجواب: القصد من هذه الآية الرد على من قال: (إن الله هو المسيح ابن مريم).

ومن قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2].

ببيان أن عيسى المسيح عليه السلام ليس رباً ولا إلهاً يُعبد، بل رسول كرمه الله بالرسالة، شأنه شأن الرسل الذين مضوا من قبله أجله محدود، لكن لم تُبيِّن هذه الآية متى يموت. وقد بينت الأدلة الماضية من الكتاب والسُّنة، أنه رُفع حياً وأنه سينزل حكماً عدلاً، ثم يموت بعد نزوله آخر الزمان وحكمه بين الناس، ثم ذكر تعالى أن عيسى وأمه عليهما السلام كانا يأكلان الطعام، فدل بذلك على أنهما ليسا إلهين مع الله لشدة حاجتهما إلى ما يحفظ عليهما حياتهما من الطعام، والله تعالى فرد صمد له الغنى المطلق يحتاج إليه كل ما عداه ولا يحتاج هو إلى أحد سواه.

يؤيد أن المراد بالآية ما ذكر سابقها ولاحقها من الآيات فقد سبقها آية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾[3].

وآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[4].

وقد ذكر بعدها النهي عن الغلو في الدين وإنكار عبادة غير الله

---

(١) سورة المائدة: الآية (٧٥).

(٢) سورة المائدة: من الآية (٧٣).

(٣) سورة المائدة: من الآية (٧٥).

(٤) سورة المائدة: من الآية (٧٣).

ولعن من فعل ذلك أو سكت عنه ولم ينكره، ويوضح ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾(١).

الآيـة الـثـانـيـة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾(٢).

الجواب: القصد من الآية الرد على من كفر برسالة محمد ﷺ لزعمه أن الرسول إنما يكون من الملائكة لا من البشر، فرد الله عليهم زعمهم ببيان أن سُنة الله سبحانه في إرسال الرسل إلى البشر أن يصطفيهم من البشر وأنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، شأنهم في ذلك شأن البشر وليس في الآية تحديد لأجل عيسى عليه السلام، وقد بينت الآيات الأخرى والأحاديث رفعه حياً ثم نزوله وحكمه بعد نزوله آخر الزمان ثم موته كما تقدم.

الآية الثالثة: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾(٣).

الجواب: ليس في هذه الآية أي دلالة على موت عيسى عليه السلام حينما تآمر اليهود على قتله وصلبه، وإنما فيها الدلالة على أن الأنبياء والمرسلين ومنهم عيسى، ليسوا أجساداً لا تأكل بل يأكلون كما يأكل الناس، وفيها الحكم بأنهم لا يخلدون في الدنيا، وأهل السُّنة يؤمنون بذلك وأن عيسى كغيره من المرسلين يأتي عليه الموت كغيره، إلا أن

---

(١) سورة الأنعام: من الآية (١٤).

(٢) سورة الفرقان: من الآية (٢٠).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨).

الكتاب والسُّنة دلا على أن ذلك بالنسبة له لا يكون إلا بعد نزوله من السماء حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم.

الآية الرابعة: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

الجواب: هذه الجملة وإن كانت عامة، إلا أنها خُصِّصت بالآيات والمعجزات التي أجراها الله على أيدي رسله وكانت حجة لهم على أممهم في إثبات الرسالة، كانفلاق البحر لموسى إثنى عشر طريقاً يبساً بضربة عصا، وكإبراء عيسى الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله، إلى غير هذا مما هو كثير معلوم. فرفع عيسى حياً وإبقاؤه قروناً ونزوله بعد ذلك مما استثنى من هذا العموم كغيره من خوارق العادات التي هي سُّنة الله مع رسله ولا غرابة في ذلك.

الآية الخامسة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2].

الجواب: هذه الآية تثبت العبودية لعيسى عليه السلام، وأن الله أنعم عليه بالرسالة، وليس رباً ولا إلهاً، وأنه آية على كمال قدرة الله، ومثلٌ أعلى في الخير يُقتدى به ويهتدى بهديه فهي شبيهة في مغزاها بالآية الأولى، وليس فيها أي دلالة على تحديد لأجل عيسى عليه السلام وإنما يؤخذ بيان ذلك وتحديده من نصوص أخرى كما تقدم.

الآية السادسة: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية (٦٢).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٥٩).

(٣) سورة المائدة: من الآية (١٧).

الجواب: جاء في صدر الآية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(1).

فكان قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ رداً على زعمهم أن عيسى عليه السلام هو الله، ببيان أن عيسى وأمه عبدان ضعيفان كسائر خلق الله، لو شاء الله أن يهلكه وأمه ومن في الأرض جميعاً من المخلوقات لفعل ولكنه لم يعمهم بالهلاك بل أجرى فيهم سنته بالإهلاك في مواقيت محدودة اقتضتها حكمته سبحانه وكان من حكمته أنه لم يهلك عيسى عليه السلام حينما تآمر عليه اليهود ولا بعد رفعه وإنما رفعه حياً وأبقاه حياً حتى ينزل ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ ثم يميته بعد ذلك كما تقدم.

الآية السابعة: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾(2).

الجواب: حملت مريم بعيسى عليهما السلام بلا أب، بل على خلاف السُّنة الكونية في غيرهما من الآيات البينات الدالات على كمال قدرة الله سبحانه، وقد آواهما الله إلى ربوة مكان مرتفع خصيب فيه استقرار وماء معين ظاهر تراه العيون، والمراد بذلك بيت المقدس من فلسطين رحمة من الله بهما ونعمة من الله عليهما. وكان ذلك في فلسطين، لا في بلد من بلاد باكستان، وكان ذلك قبل ميلاد نبينا محمد ﷺ بأكثر من خمسمائة عام، لا بعد هجرة نبينا محمد ﷺ بأكثر من اثنى عشر قرناً فمن حمل الربوة على مكان بباكستان، أو تأول ابن

---

(1) سورة المائدة: من الآية (75).

(2) سورة المؤمنون: الآية (50).

مريم على غلام أحمد فقد حرف الآية وافترى على الله كذباً وخرج عن واقع التاريخ.

الآية الثامنة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1].

الجواب: استدلال القاديانيين بهذه الآية على موت عيسى عليه السلام فيما مضى مبني على تفسير المتوفى بالإماتة، وهو مخالف لما صح عن السلف من تفسيره بقبض الله رسوله عيسى عليه السلام من الأرض ورفعه إليه حياً وتخليصه بذلك من الذين كفروا جميعاً بين نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة الدالة على رفعه حياً وعلى نزوله آخر الزمان وعلى إيمان أهل الكتاب جميعاً وغيرهم به.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير التوفي هنا بالإماتة فلم يصح سنده لانقطاعه إذ هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه وعلي لم يسمع منه ولم يره، ولم يصح أيضاً ما رُوي عن وهب بن منبه اليماني من تفسير التوفي بالإماتة لأنه من رواية محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب ففيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس وفيه مجهول ثم هذا التفسير لا يزيد عن كونه احتمالاً في معنى التوفي فإنه قد فسر بأن الله قد قبضه من الأرض بدناً وروحاً، ورفعه إليه حياً وفسر بأنه أنامه ثم رفعه، وبأنه يميته بعد رفعه ونزوله آخر الزمان إذ الواو لا تقتضي الترتيب وإنما تقتضي جمع الأمرين له فقط.

وإذا اختلفت الأقوال في معنى الآية وجب المصير إلى القول الذي

---

(١) سورة آل عمران: من الآية (٥٥).

يوافق ظواهر الأدلة الأخرى جمعاً بين الأدلة ورداً للمتشابه منها إلى المحكم كما هو شأن الراسخين في العلم، دون أهل الزيغ الذي يتبعون ما تشابه من التنزيل ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وقانا الله شرهم.

الآية التاسعة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾(١).

الجواب: الاستدلال بالآية على موت عيسى عليه السلام، قبل رفعه إلى السماء، أو بعد رفعه وقبل نزوله آخر الزمان، مبني على تفسير التوفي بالإماتة كما سبق في الكلام على الآية الثامنة، وقد تقدم أن هذا التفسير غير صحيح وأنه على خلاف ما فسره به السلف جمعاً بين نصوص الأدلة من الكتاب والسُّنة الصحيحة.

الآية العاشرة: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٢).

الجواب: هذه الكلمة مما حكاه الله سبحانه في القرآن، من كلام عيسى عليه السلام في المهد، وفيها أنه سبحانه أمره بالصلاة والزكاة ما دام حياً وليس فيها تحديد لحياته ولا بيان لوقت مماته. وقد بينت ذلك الآيات التي تقدم ذكرها، فيجب حمل المجمل على المفصل من النصوص وألا يضرب بعضها ببعض، ولا يوقف عند الذي يتشابه فإن جميع ذلك من عند الله يبين بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً.

الآية الحادية عشرة: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة: من الآية (١١٧).

(٢) سورة مريم: من الآية (٣١).

(٣) سورة مريم: الآية (٣٣).

الجواب: هذه كالتي قبلها، فيها إثبات السلام والأمن له من الله في كل أحواله وليس فيها تحديد لمدة حياته، ولا لوقت موته، فيجب الرجوع إلى النصوص الأخرى التي تبين ذلك كما تقدم بيانه.

الآية الثانية عشرة: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[1].

الجواب: هذه الآية سيقت للرد على من عبد غير الله من الملائكة وعزير وعيسى واللات والعزى، ومناة، ببيان أنهم لا يخلقون شيئاً ما ولا ذباباً، بل هم مخلوقون مربوبون أموات غير أحياء.

لكن الأدلة الأخرى دلت على بقاء عيسى عليه السلام حياً، حتى ينزل ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ ثم يموت.

الآية الثالثة عشرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

الجواب: هذه الآية أمر الله فيها بالإيمان بجميع الأنبياء وما أنزل إليهم من ربهم وبين أنه سبحانه لا يفرق بينهم في وجوب الإيمان بهم، وما أنزل إليهم من الله، وفي هذا رد على اليهود والنصارى الذين قالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا. وبيان لما أجمل من الرد عليهم في قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[3].

---

(١) سورة النحل: الآية (٢٠) وجزء من الآية (٢١).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٣٥).

وليس المراد الأمر بعدم التفريق بينهم في الموت والحياة، فإن هذا لا يرشد إليه سياق الكلام بل يرشد إلى ما ذكرنا. كما أن ذلك مما لم تدع إليه الرسل فحمل الآية عليه تحريف لها عما سيقت له من المعنى وعلى تقدير حمل قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[1].

على عمومه حتى يشمل عدم التفريق بينهم في جنس الموت والحياة، بدليل الواقع والنصوص، فإن ذلك يدل على التفاوت بينهم في كثير من صفات الموت والحياة وأنواعها وزمنها ومكانها وطول العمر وقصره، إلى غير ذلك فلتكن من حياة عيسى وامتدادها طويلاً ومكانها وموته بعد ذلك، مما اختلف فيه عن إخوانه النبيين بدليل النصوص السابقة.

الآية الرابعة عشرة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

الجواب: القصد من هذه الآية بيان أن كل إنسان مجزي بعمله لا يتجاوزه إلى غيره، ولا يُسأل عنه سواه، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4].

فعليه أن يسعى جهده في كسب الخير واجتناب الشر وألا يتعلق على غيره فخراً به أو أملاً في النجاة من العذاب يوم القيامة بقرابته منه أو صلته به وتعظيمه له في دنياه.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٣٤).

(٣) سورة الطور: الآية (٢١).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٦٤).

وعيسى عليه السلام وإن دخل في عموم الأمة الماضية، إلا أن الأدلة من الكتاب والسُّنة قد خصصته برفعه إلى السماء وإبقائه حياً ثم إنزاله آخر الزمان إلى آخر ما تقدم بيانه. ومن الأصول المعلومة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الخاصة يُقضى بها على النصوص العامة فتخصها والنصوص التي نحن بصددها من ذلك.

الآية الخامسة عشرة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

الآية السادسة عشرة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2].

الجواب: تقدم الكلام على هاتين الآيتين في الكلام على الآية الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

وبالجملة فما يتعلل به القاديانيون من الآيات القرآنية لإثبات ما زعموا أن عيسى عليه السلام قد مات ودفن:

١- إما عموميات خصصتها أدلة أخرى من الآيات والأحاديث دلّت على رفع عيسى حياً وبقائه كذلك حتى ينزل آخر الزمان ويحكم بشريعة القرآن.

ووقف القاديانيون عند عموم الآيات بعد تخصيصها، وذلك باطل لمخالفته للقواعد والأصول الإسلامية.

٢- وإما آيات مجملة فسرتها نصوص أخرى يجب المصير إليها فوقف

---

(١) سورة النساء: من الآية (١٥٧)، والآية (١٥٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٩).

القاديانيون عند المجمل يتعللون به لباطلهم، دون أن يرجعوا إلى المحكم، الذي فسره، وهذا شأن من في قلوبهم زيغ ونفاق، الذين يتبعون ما تشابه من نصوص الكتاب والسُّنة، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على ما يوافق هواهم.

٣- وإما كلمات اعتمدوا في تفسيرها على آثار لم يصح نسبتها إلى السلف. وقد تقدم بيان ذلك عند الكلام على الآية الثامنة. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾(١).

ففرح هؤلاء بهذه الآثار لموافقتها لهواهم، وموَّهوا بها على الجمهور، ولم ينظروا إلى أسانيدها. إما لجهلهم وإما تدليساً وخداعاً وترويجاً لباطلهم، وما ذلك إلا لزيغهم ورغبتهم في الفتنة.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(٢).

والله الموفق للصواب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(٣)

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٢) سورة آل عمران الآية: (٧).

(٣) انظر مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) ١٤١٥هـ.

المبحث الرابع

اهتمامه بكتب العقيدة وتأثره بعلماء السلف

سبق وأن وضَّحتُ أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان موسوعي المعرفة، له نفس طلعة لا تملّ من القراءة ولا تكل من المعرفة، ولم تكن له مكتبة ضخمة، كما عند غيره ولكنه كان ينتقي الكتب انتقاءً، فكان -رحمه الله- حسن الاختيار للكتاب، فلا يقتني من الكتب إلا ما كان مفيداً ونافعاً.

ولقد كانت له عناية خاصة بكتب العقيدة وبكل الكتب السلفية التي تُعنى بأمر المعتقد، وتوضح عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

ويؤكد هذا أحد كبار طلبته وهو فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد المنعم[1] فيقول: كان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف، والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لاسيَّما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم -رحمهما الله تعالى[2].

ويقول فضيلة الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي: لقد كان -يرحمه الله- واسع العلم بمسائل العقيدة، شديد التمسك بمذهب السلف الصالح مع المعرفة التامة بالمِلل والنِّحل المختلفة وأصولها التي تصدر عنها،

---

(١) الأمين العام لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٢) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

عالماً بعوارها ومواطن دحضها. لقد كان -رحمه الله- شديد الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيميَّة، كثير الرجوع إلى مؤلفاته، وكان مما سمعته منه: «لم أر لدى أكثر المؤلفين في العصور المتأخرة جديداً، بل تكرار لما ذكره مَنْ سبقهم سوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- فإنك تجد في مؤلفاته الكثير منه ولا يتغير فيه شيء»[1].

ويتحدث فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ عن اهتمام الشيخ بكتب العقيدة وسعة اطلاعه عليها قائلاً: كان -رحمه الله- من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف -رحمه الله- واقفاً على كلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم وقد استطاع أن يرد ما جاء في «شرح الطحاوية» وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه من كتبهما، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات[2].

قلت: ومما لا شك فيه أن كتب العقيدة السلفية كانت أحب الكتب إلى قلب الشيخ، وكانت عنايته بها بالغة ويرجع ذلك إلى زمنٍ بعيد منذ أن كان طالباً بالأزهر، فقد حرص على قراءة واقتناء كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة وتلميذه العلامة ابن القيِّم -رحمهما الله تعالى- وقد أخبرني الثقات ممن زاملوا الشيخ أنه كان حريصاً على شراء كتب الشيخين «ابن تيميَّة وابن القيِّم» على الرغم من ندرة كتبهما والزهادة والتنفير من قراءة مؤلفاتهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر تعليقات الشيخ عبد الرزاق وتصويباته كانت على كتب الشيخين ومن هذه التعليقات النفيسة تعليقه على «العقيدة الحموية»، و«العقيدة الواسطية» و«العقيدة الطحاوية» و«الرسالة التدمرية».. وغيرها.

---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

(٢) انظر كلمة «الشيخ عبد الرزاق من بقية السلف، الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

المبحث الخامس

كفاحه ضد البدع والمنكرات

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- صاحب سُنَّة، ورجل عقيدة كان يهتم بحماية السُّنة والقضاء على البدع والإنكار على أهلها، وكانت تأخذه الغيرة في ذلك، ومع ذلك لم يكن ينتصر لنفسه، ولا يزهو على غيره لقد حارب المبتدعة وهو يحمل لواء السُّنة، يزود عن حياضها، ويدافع وينافح عنها، ويؤكد هذا أحد تلاميذه في مصر قائلاً:

ولقد عاش -رحمه الله- في مصر أياماً اتسع فيها مدّ الصوفية، وراجت أفكارهم التي تزعم في الأنبياء زعماً أقرب إلى زعم النصارى في نبيِّهم. وغالى بعضهم فزعم أن محمداً وربه حقيقةٌ واحدة، وفيهم مَنْ زعم أنهم خُلقوا من نور، وإن أجسادهم شفافة شفافية البلور النقي، وأن.. وأن.. إلى آخر تلك الأباطيل التي باركتها السياسة، ومكن الاستعمار لأقطابها في الأرض.

ولقد تصدّى الشيخ -رحمه الله- لمثل هذه النزعات الضالة، وكان أخشى ما يخشاه أن يفيض المستنقع الصوفي، ويلوث ما حوله، ويتسلل إلى خلد بعض تلاميذه الموحدين. رأيٌ بأن الخطر داهم، وأنَّه يتفجر من مراكز قوة. وأن فصائل الغرب المستعمر يفسحون لهذه الأفكار ويهشون لها باسم حرية الفكر وباسم الفلسفة الإسلامية[1].

---

(١) انظر كلمة الأستاذ بخاري أحمد عبده في الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

وبما يدل على فطنة الشيخ عبد الرزاق وإلمامه بواقع الناس وحُسن معالجته للأمور ما ذكره فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ قائلاً:

وقد حدثني رحمه الله - أنه أراد أن يحذِّر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القصاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين وتمتعهم وتستحوذ على إعجابهم ولا أصل لها، والعامة هذا شأنهم في أغلب البلاد، فألقى عليهم درساً ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأُعجبوا بالدرس واستمتعوا، فلما رأى ذلك بادياً على وجوههم سألهم: مارأيكم: أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا: بل هذا. إنه درس جميل ممتع. فقال لهم: هذا كله غير صحيح، وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب[1].

ويتحدث فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام عن تصدي الشيخ لأهل البدع قائلاً:

ولم يكن -رحمه الله- مقتصراً على العلم فقط، وإنما كان يحرص على العلم والعمل وعلى التعليم أيضاً وعلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهو في قريته وبعد التحاقه بالأزهر، كان -رحمه الله- حريصاً على الدعوة إلى الله مُركِّزاً على ما يحتاج إليه مجتمعه آنذاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقهه لواقعه الذي يعيشه، فالشيخ -رحمه الله- وُجِد في عالم يموج في كثير منه بالبعد عن الله عزَّ وجل والوقوع في معتقدات تخالف العقيدة الصحيحة والوقوع في الشركيات والبدع وعبادة القبور والخرافات، فكان -رحمه الله- داعية إلى التوحيد وهو في مقاعد

---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

التحصيل والعلم والدراسة وكان له في ذلك أسلوب حسن، ومن أساليبه في ذلك -رحمه الله- أنه كان حريصاً على أن يبني المساجد وعلى أن يُسهم فيها وأن يوجد في كل مكان من قريته مسجد يجتمع فيه الناس ويؤدون فيه شعائر الإسلام، ولم يك ينظر إلى أنه يؤدي فيه شعائر الإسلام فقط، وإنما كان يرى أن رسالة المسجد رسالة علم وتعليم ودعوة إلى الله وما المسجد إلا بمثابة قلعة إيمان، وحصن فضيلة، ومحلاً للدعوة إلى الله وإشعاع النور في بيئة تموج فيها الخرافة والعقيدة المخالفة لعقيدة أهل السُّنة رحمهم الله(١).

قلت: ومما يدل كذلك على علمه بواقع عصره، وظروف بيئته ووقوفه على طرق المبتدعة ومناهجهم الخبيثة ما حرَّره بيده موضحاً حقيقة أهل الزيغ والإلحاد والابتداع قائلاً: وقد ورث ذلك الزيغ والإلحاد، أناس ظهروا في عصور متعاقبة بأسماء مختلفة واشتهروا بألقاب متنوعة. فتارة يُسمون بالدهريين، وأخرى برجال الحقيقة ووحدة الوجود، وأحياناً بالشيوعيين وأخرى بالوجوديين وآونة بالبهائيين، إلى غير ذلك من العبارات التي اختلفت حروفها ومبانيها، وائتلفت مقاصدها واتحدت معانيها، فكلها ترمي إلى غرض واحد، وتدور حول محور واحد، هو أنه ليس للعالم رب يخلق ويدبر، وليس له إله يُعبد ويُقصد(٢).

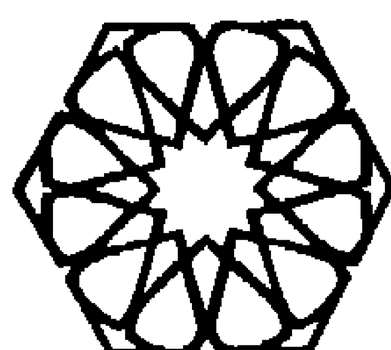
ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبد الرزاق كان له القدح المعلَّى في تخليص قريته «شنشور» من العادات التي تتنافى مع الدين وهي من الأمور المبتدعة والمنكرة ومن ذلك النياحة على الميت، ولطم الخدود،

---

(١) انظر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

(٢) انظر مذكرة التوحيد ص١٧ طبع المكتب الإسلامي.

وزيارة النسـاء للقبور والأضرحة، وبناء المساجد على القبور والطواف بالأضرحة داخل المساجد وخارجها، إلى غير ذلك من البدع والضلالات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت.



المبحث السادس

نماذج من كتاباته وتعليقاته وتحقيقاته في العقيدة

سبق وأن ذكرت في المبحث العاشر من الفصل الثاني أن الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- علّق على كتب كثيرة، ورسائل متنوعة وبعض هذه الكتب والرسائل لم يطبع حتى الآن، وفي هذا المبحث، أوردت نماذج أخرى من كتابات الشيخ وتعليقاته وتصويباته لبعض الكتب التي أُلفت في العقيدة، وأبدأ أولاً بإيراد نماذج نيّرة من كتاباته، ومن ذلك مبحث الرسالة وحاجة البشر إلى الرسالة والحكمة من إرسال الرسل، والطريقة المثلى للدعوة إلى الله، وقد صدّر -رحمه الله- مبحث الرسالة بقوله:

الإيمان بالرُّسل عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الدين، فلا يستقيم لأحدٍ دين ولا يقبل منه عمل إلا إذا أيقن برسالتهم وأذعن لكل ماجاؤوا به من الشرائع كل حسب طاقته وبقدر ما بلغه من ذلك إجمالا أو تفصيلا. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]. وفي الحديث أن جبريل سأل النبي عليهما الصلاة والسلام عن الإيمان فبيّنه بقوله: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومَنْ زعم أنّه آمن ببعض الرُّسل دون بعض لم يقبل منه ذلك، وكان في حُكْم مَنْ كفر بالجميع، وذلك لأمرين الأول: أنَّ من تقدَّم من الرُّسل قد بشَّر بمن تأخَّر منهم وأخذ عليه وعلى مَنْ تبعه العهد والميثاق إنْ أدركهم أن يؤمنوا به وينصروه وإن مَنْ تأخَّر منهم مُصدِّقٌ لما بين يديه منهم. فمن كفر بواحدٍ منهم تقدَّم أو تأخَّر فهو كافر بجميعهم. الثاني أنَّ الأمر الذي ثبتت به رسالة من آمن به منهم ومن أجله صدَّقه وهو «المعجزة» قد أجرى الله مثله على يدِ مَنْ كفر به من الأنبياء تصديقاً لهم في دعوى الرسالة قال ﷺ: «مامن الأنبياء نبيٌّ إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيتُه وحيا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» فكان إيمانه بمن آمن به وكفره بغيره منهم اتباعٌ للهوى لا لدليل النبوَّة وإلا لآمن بالجميع، ومَن كان إيمانه تبع هواه ولو تغير هواه لتغير إيمانه فليس بمؤمن في حكم الشريعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾(1).

والقول في رسالة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، يتشعب شُعباً كثيرة ويرجع إلى مباحث عدة، يرجع الى إمكان أن يُوحي الله إلى بعض مَنْ يصطفيه من عباده بشريعة ليهدي بها أُمّته سواءُ السبيل. ثم إلى حاجة العالم إلى هذه القيادة الرشيدة والشريعة المستقيمة، ليكون إرسالهم على

(1) سورة النساء: الآيتان (١٥٠، ١٥١).

مقتضى الحكمة وموجب العدالة الإلهية. ثم إلى بيان ما يؤيدهم الله به من الآيات البيِّنات، والمعجزات الباهرات التي تدلُّ على صدقهم فيما ادعوه من الرسالة والبلاغ عن الله، لتقوم بذلك الحُجَّة وينقطع العذر، ثم إلى بيان ما يتعلق بذلك من تنوُّع المعجزات وحكمته. وبيان الفوارق بين المعجزات والسحر والكهانة. وبيان ما يعدُّ الله به رسله قبل الرسالة من السيرة الحميدة والأخلاق الفاضلة، ليكون ذلك أقرب إلى أن تستجيب لهم أممهم وتتقبل عنهم ما دعوهم إليه.

وقد تكفَّل الله ببيان ذلك كله خبراً وعقلاً وفطرةً فيما أنزل على رسله فعلَّمهم سبحانه طريق الحجة والبرهان التي يخضع لها العقل الصريح، وسلك بهم الطريقة المثلى التي لا يرتاب فيها إلا من سفه نفسه وأنكر فطرته.

واليك تفصيل ذلك لتعلم أنَّ الشرائع الإلهٰية تعتمد في أصولها الحجة والإقناع، وإن جاء في فروعها وتفاصيل أصولها ما قد يعجز العقل عن إدراك حكمته، فطريق ثبوت مثل هذا الخبر عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

١- إمكان الوحي والرسالة:

لا يبعد في نظر العقل، ولا يستحيل في تقدير الفكر، أن يختص واهب النِّعم ومفيض الخير سبحانه، بعض عباده بسعةٍ في الفكر، ورحابة في الصدر، وحسن قيادةٍ وكمال صبر وسلامة في الأخلاق، ليُعدَّهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة، ويكشف لهم عمَّا أخفاه عن غيرهم، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق وصلاح الكون، رحمة للعالمين وإعذاراً إلى الكافرين، وإقامة للحجة على الناس أجمعين، فإنَّه سبحانه بيده ملكوت كلِّ شيء، وهو الفاعل المختار لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع وهو على كل شيء قدير، وآية ذلك أنَّا

نشاهد الله سبحانه خلَق عباده على طرائق شتى في أفكارهم، ومذاهب متباينة في مداركهم، فمنهم من سما عقله واتسعت مداركه واطلع من الكون على كثير من أسراره حتى وصل بما منحه الله من ثاقب الفكر ويُسّر له من التجارب إلى أن اخترع للناس ما رفع إليه من أجله أولو الألباب رؤوسهم إعجاباً به، وشهادة له بالمهارة، وأنكره عليه صغار العقول وعدوه شعوذة وكهانةً أو ضرباً من ضروب السحر. ولم يزالوا كذلك حتى استبان لهم بعد طول العهد ومرِّ الأزمان ما كان قد خفى عليهم فأذعنوا له وأيقنوا بما كانوا به يُكذِّبون.

ومنهم مَنْ ضعف عقله وضاقت مداركه، فعميت عليه الحقائق واشتبه عليه الواضح منها، فأنكر البديهيات وردَّ الآيات البيِّنات، ومنهم من انتهى به انحراف مزاجه واضطراب تفكيره إلى أنْ أنكر ما تدركه الحواس كطوائف السوفسطائية.

وكما ثبت التفاوت بين الناس في العقول والأفكار بضرورة النظر وبديهة العقل، ثبت التفاوت بينهم أيضاً في قوة الأبدان وضعفها، وسعة الأرزاق وضيقها ونيل المناصب العالية والاستيلاء على زمام الأمور، وقيادة الشعوب والحرمان من ذلك إمَّا للعجز وإما للقصور أو التقصير وإمَّا لحِكَم أخرى يعلمها بارئ الكائنات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، وربما كشُف الغطاء عن كثير منها لمن تدبَّر القرآن وعرف سيرة الأنبياء وتاريخ الأمم وما جرى عليها من أحداث.

فمَنْ شاهد ما مضت به سُنة الله في عباده، من التفاوت بينهم في مداركهم وقواهم وإرادتهم وغير ذلك من أحوالهم، لم يسعه إلا أن يستسلم للأمر الواقع ويستيقن أن الله يُنبئ مَنْ شاء مِن خلْقه، ويصطفي مَن أراد مِن عباده ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

﴿لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3].

بل هذا الحوار وأمثاله مما دار بين الرُّسل وأممهم يدلُّ على أنَّهم لم يكونوا ينكرون أصل الرسالة، ولم يكونوا يستبعدون أن يصطفي الله روحاً طيبة لوحيه أو يختار نفساً طاهرة لتبليغ رسالته وهداية خلقه، لكنهم استبعدوا أن يكون ذلك الرسول من البشر، وظنوا خطأً أنَّه إنما يكون من الملائكة، زعماً منهم أن البشرية تنافي الرسالة، فمهما صفت روح الإنسان وسمت نفسه، واتسعت مداركه، فهو في نظرهم أقل من أن يكون أهلاً لأن يُوحي الله إليه وأحقر من أن يختاره سبحانه لتحمل أعباء رسالتهم. وقد ذكر الله عنهم هذه الشبهة وردَّها بما لا يسع العاقل إلا قبوله والإذعان له، ومَنْ نظر في الكتب المنزَّلة وتصفح ما رواه علماء الأخبار مما دار بين الأنبياء وأممهم من الجدال والحِجاج اتضح له ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٢) سورة القصص الآية (٦٨).

(٣) سورة الزخرف الآيتان (٣١، ٣٢).

نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[1]. الآيات إلى قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2].

فانظر كيف فرُّوا من ميدان المناظرة إلى استعجال الهلاك، وطلبوا ذلك من نوح فبيَّن لهم أنَّ ذلك إلى الله لا إليه إن عليه إلا النصح والبلاغ المبين، وإقامة الحجة والبرهان. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[3]. فذكر شبهتهم ثم ردَّها بما آتاه من المعجزة الدالة على صدقه، وبنصره وإهلاكهم فإنَّ العاقبة للمتقين.

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]. إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة، إنما كان لبعث رسول إليهم من جنسهم.

---

(١) سورة هود: الآيات (٢٥ ـ ٢٧).

(٢) سورة هود: الآيتان (٣٢، ٣٣).

(٣) سورة القمر: الآيات (٢٣ ـ ٢٦).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٩١).

(٥) سورة إبراهيم: الآية (١١).

ولو قال قائل، إنَّ أئمة الكفر، وزعماء الضلالة، كانوا يوقنون بإمكان أن يرسل الله رسولاً من البشر،غير أنهم جحدوا ذلك بألسنتهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وتمويهاً على الطغام من الناس، وخداعاً لضعفاء العقول، وتلبيساً عليهم خشية أن يستجيبوا إلى مقتضى الفطرة، ويسارعوا إلى داعي الدين ومتابعة المرسلين- لو قال ذلك قائل ما كان بعيداً عن الحقيقة ولا مجافياً للصواب: بل بدرت منهم البوادر التي تؤيد ذلك وتصدقه وسبق إلى لسانهم ما يرشد البصير إلى ما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والاستكبار أنْ يؤتى الرُّسل ما أوتوا دونهم، وأنْ ينالوا من الفضيلة وقيادة الأمم إلى الإصلاح ما لم ينل هؤلاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(4).

---

(1) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

(2) سورة الزخرف: الآية (٣١).

(3) سورة النمل: الآيتان (١٣، ١٤).

(4) سورة البقرة: الآية (١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

هذا وليس بدعاً أن يختار الله نبيًّا من البشر، ويبعث إليهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بل ذلك هو مقتضى الحكمة وموجب العقل. فإن الله سبحانه قد مضت سنته في خلْقه أن يكونوا أنواعاً مختلفة على طرائق شتى، وطبائع متباينة، لكلٍّ نوعٍ غرائزه وميوله أو خواصه ومميزاته التي تقتضي الأنس والتآلف بين أفرادِه، وتساعد على التفاهم والتعاون بين جماعاته ليستقيم الوجود، وينتظم الكون، فكان اختيار الرسول من الأمّة أقرب إلى أخذها عنه، وأدعى إلى فهمها منه، وتعاونها معه لمزيد التناسب ومكان الألف بين أفراد النوع الواحد. ولو كان عُمّار الأرض من الملائكة لاقتضت الحكمة أن يبعث الله إليهم مَلَكاً رسولاً وقد أرشد الله إلى ذلك في ردِّه على من استنكر أن يرسل إلى البشر رسولاً منهم. قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾[2].

ولكن شاء الله أن يجعل عمارة الأرض من البشر، فاقتضت حكمته أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلك ليكون أقرب إلى الوصول للغاية وتحصيل المقصود من الرسالة. فكتب على نفسه أن يرسل كل رسول بلسان قومه قال تعالى: ﴿وَمَآ

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٦).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان (٩٤ ـ ٩٥).

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾[1].

ولو قُدِّر أنَّ الله أجاب الكفار إلى ما طلبوا من إرسال مَلَك إليهم لجعل ذلك المَلَك في صورة رجل، ليتمكنوا من أخذ التشريع عنه والاقتداء به فيما يأتي ويذر، ويخوض معهم ميادين الحجاج والجهاد. وإذ ذاك يعود الأمر سيرته الأولى، كما لو أرسل الله رسوله من البشر، ويقعون في لبس وحيرة جزاءً وفاقاً قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[2].

ومن نظر في آيات القرآن وعرف تاريخ الأُمم تبيَّن له أن سُنَّة الله في عباده أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ﴾[4].

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤).
(٢) سورة الأنعام: الآيتان (٨ ـ ٩).
(٣) سورة النحل: الآيتان (٤٣ ـ ٤٤).
(٤) سورة الفرقان: الآية (٢٠).

٢- حاجة البشر إلى الرسالة:

الأفعال الاختيارية: منها ما تحمد عقباه فيجمل بالعاقل فعله، والحرص عليه، ولو ناله في سبيل تحصيله حرج ومشقة، وأصابه في عاجل أمره كثير من الآلام. ومنها ما تسوء مغبته، فيجدر بالعاقل أن يتماسك دونه، وأن يتنكب طريقه، خشية شره، وطلباً للسلامة من ضره، وإن كان فيه ما فيه من الملذات العاجلة التي تغري الإنسان بفعله، وتخدعه عما فيه سلامة نفسه.

غير أن عقله قد يقصر في كثير من شؤونه، عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارِّها، فلا بدَّ من معين يساعده على ما قصر عنه إدراكه، وقد يعجز كلِّياً عن العلم بما يجب عليه علمه، لأنه ليس في محيط عقله، ولا دائرة فكره، مع ما في علمه من صلاحه وسعادته، وذلك: كمعرفته الله، واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى من يهديه إلى الطريق في أصول دينه، وقد يتردد في أمر إما لعارض هوى وشهوة، أو لتزاحم الدواعي واختلافها، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية، فبان بذلك حاجة الناس إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكملهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه، ويدفع عنهم الألم والحيرة، ومضرة الشكوك.

- أضف إلى ذلك أن تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض، والمنازع، ينشأ عنه تضارب الآراء، وتناقض المذاهب، وذلك يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي إلى تخريبٍ وتدمير، لا إلى تنظيمٍ

وحُسن تدبير، ولا يرتفع ذلك إلا برسول يأتي بفصل الخطاب، ويقيم الحجة، ويوضح المحجة، فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله رحمة بعباده، وإقامة للعدل بينهم، تبصيراً لما يجب عليهم من حقوق خالقهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذاراً إليهم، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله. من أجل ذلك أرسل الرُّسل وأنزل الكتب.

- ومما تقدم يُعلم أن إرسال الله الرُّسل مما يدخل في عموم قدرته -تعالى- وتقتضيه حكمته، فضلاً منه، ورحمة، والله عليم حكيم، وهذا هو القول الوسط، والمذهب الحق.

- وقد أفرط المعتزلة فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة على الله -تعالى- إبانة للحق، وإقامة للعدل، ورعاية للأصلح، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وهو أصل فاسد.

- وتطرف البراهمة[1] فأحالوا أن يصطفي الله نبيًّا، ويبعث من عباده رسولاً، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتماداً على العقل في التمييز بين المفاسد والمصالح، واكتفاءً بإدراكه ما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد، وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلى أعمالهم، خيراً كانت أم شراً، إذ هو -سبحانه- لا ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر لمعصيتهم، وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد وحاجة العالم إلى الرسالة تحقيقاً لمصالحهم مع غنى الله عن الخلق وأعمالهم، فليس إرسالهم عبثاً بل هو مقتضى الحكمة والعدالة.

---

(١) البراهمة: قيل: إنهم جماعة من حكماء الهند تبعوا فيلسوفاً يسمى برهام فنُسبوا إليه، وقيل: إنهم طائفة عبدت صنماً يسمى (برهم) فنسبت إليه، والقصد بيان مذهبهم في الرسالة. والرد عليه بما يدفع شبهتهم، مع أن بعضهم قد اعترف برسالة آدم. وآخرين منهم اعترفوا برسالة إبراهيم ـ عليهما السلام.

٣ ـ الحكمة من إرسال الرُّسُل(*)

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ المتقين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيِّين والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنَّ الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً سبحانه له الحكمة البالغة والقدرة الشاملة، والإرادة النافذة، لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سُدى، بل بِعدْله قامت السماوات والأرض، وبحكمته وتشريعه وإرسال رسله قامت الحُجّة، وسعد من اتبعهم وسلك طريقهم في الدنيا والآخرة وخاب وخسر مَنْ سلك غير سبيلهم، واتبع هواه بغير هدى من الله، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(١) وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾(٢)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣).

(*) انظر مجلة التوعية الإسلامية ومحاضرات موسم حج ١٣٩٣هـ.

(١) سورة القيامة: الآية (٣٦).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (١١٥، ١١٦).

(٣) سورة ص: الآيات (٢٤ ـ ٢٩).

لا يليق بعاقل رشيد عرف كمال حكمة الله وسعة رحمته وعرف واقع الناس وما هم فيه من هرج ومرج وفساد وضلالة أن يُنكر حاجة البشر إلى قيادة رشيدة، عِمادها وَحْي الله وشريعته، تعتصم به، وتدعو الناس إليه، وتهديهم إلى سواء السبيل.

فإنَّ الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه عن التمييز بين الحسن من الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارها، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه عِلْمه، لأنه ليس في محيط عقله ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحية وسعادة، كمعرفته بالله واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى معين يساعده في معرفة ما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه. وقد يتردد الإنسان في أمرٍ من شؤون حياته وتتملكه الحيرة فيه، إما لعارض هوىً وشهوة، وإما لتزاحم الدواعي واختلافها، فكان في أشد الحاجة إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية، ويخرجه من الظلمات إلى النور، ويكمِّله بمعرفة ما عجز عنه فكره وفهمه، ويوقفه على حقيقة ما تردد فيه أو عجز عنه عقله، ويدفع عنه غائلة الألم والحيرة ومضرة الشكوك والأوهام(١).

إن تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض والمنازع، ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب وذلك مما يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي بالناس إلى تخريب وتدمير، لا إلى تنظيم وحُسن تدبير،

---

(١) سبق قريباً من هذا الكلام في الصفحات المتقدمة.

ولا يرتفع هذا إلا برسول يبعثه الله بفصل الخطاب ليُقيم به الحُجَّة، ويوضِّح به المحجة، فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق، رحمة منه بعباده وإقامة للعدل بينهم، وتبصيراً لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذاراً إليهم، فإنَّه لا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن سعد بن عبادة قال: لو رأيتَ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غيرُ مُصفح (أي بحده لا بصفحته) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غَيْرة سعد، لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ منِّي، ومن أجل غيْرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحبُّ إليه المِدْحَة من الله، ومن أجل ذلك وَعَد الله الجنة»[1].

بهذا يتبين أن إرسال الله الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين هو مقتضى حكمته، وموجب فضله وإحسانه ورحمته بعباده والله عليم حكيم.

ومن شاهد أحوال الناس وعرف واقعهم المرير الصاخب، وعرف أن الله لم يرسل الرُّسل لمصلحة تعود إليه أو مضرة يدفعها عن نفسه، تعالى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً، بل أرسلهم لمصالح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة، أقول من عرف ذلك عرف فساد مذهب البراهمة، لمناقضته مقتضى الحكمة والرحمة، ومجافاته لواقع الناس.

---

(١) رواه البخاري (الفتح ١٣/٧٤١٦) في التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

إن إرسال الله للرّسل ليس مستحيلاً في نفسه، ولا عبثاً حتى يجافي حكمة الله، بل هو جائز عقلاً، داخل في نطاق قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة، فإنّه سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رادّ لما قضى، وهو على كل شيء قدير، يشد لهذا سُنّة الله في تدبيره لشؤون خَلْقه وتصريفه لأحوالهم في عقولهم ومداركهم وفي أبدانهم وأرزاقهم، وفي وجاهتهم ومراكزهم في الحياة.

فإنّا نشاهد أنّ الله سبحانه خلق عباده على طرائق شتى في أفكارهم ومذاهب متباينة في مداركهم، فمنهم من سما عقله، واتسعت مداركه حتى وصل بثاقب فكره وانتهت به تجاربه إلى أن اخترع للناس ما رفع أولو الألباب إليه أبصارهم من أجله، إعجاباً به، وشهادة له بالمهارة، وأنكره عليه صغار العقول فعدوه شعوذة وكهانة، أو ضرباً من ضروب السحر، ولا يزالون كذلك حتى يستبين لهم بعد طول العهد ومر الأزمان ما كان قد خفي عليهم فيذعنوا له ويوقنوا بما كانوا به يُكذِّبون.

ومنهم مَن ضعف عقله، أو ضاقت مداركه، فعميت عليه الحقائق، واشتبه عليه الأمر الواضح، فأنكر البديهيات ورد الآيات البيِّنات، بل لمنهم من انتهى به انحراف مزاجه وضعف عقله إلى أن ينكر ما تدركه الحواس كالسوفسطائية، وكما ثبت التفاوت بين الناس في العقول والأفهام، ثبت التفاوت بينهم أيضاً في قوة الأبدان وضعفها وسعة الأرزاق وضيقها، ونيل المناصب العالية، والاستيلاء على زمام الأمور، وقيادة الشعوب والحرمان من ذلك إما للعجز أو القصور ليتخذ

بعضهم بعضاً سِخْريًا، وإما لِحَكم أخرى عَلِمها مدبر الكائنات، وربما كشف عن كثير منها الغطاء لِمَن تدبَّر القرآن، وعرف سيرة الأنبياء، وعرف تاريخ الأمم وما جرى عليها مِنْ أحداث.

فمن شاهد ما مضت به سنة الله في عباده من التفاوت بينهم في مداركهم وإرادتهم وسائر قواهم وغير ذلك من أحوالهم، لم يسعه إلا أن يستسلم للأمر الواقع دون جدل أو مَراء، ويستيقن بأن الله الواهب النعم، المفيض للخير له سبحانه أن يختص بعض عباده بسعة الفكر، ورحابة الصدر وكمال الصبر، وحسن القيادة وسلامة الأخلاق ليعدهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة، ويكشف لهم عما أخفاه عن غيرهم، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق، وصلاح الكون رحمة للعالمين، وإعذار للكافرين، وإقامة للحُجَة على الناس أجمعين، فإنه سبحانه بيده ملكوت كل شيء، لا يرد قضاؤه، ولا يمنع عطاؤه، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

إن الفِطَر السليمة التي فطر الله عليها الناس لا تستبعد أيضاً ما مضت به سنة الله في عباده، وقضت به حكمته وعدله في خلْقه من إرساله سبحانه رسلاً مبشرين ومنذرين، بل أذعنت له، وأيقنت به، استجابة لمقتضى العقول الرشيدة، بل اعترف الكفار بذلك مع انحرافهم

---

(١) سورة القصص: الآية (٦٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).

وسلوكهم غير المنهج القويم، ولم ينكروا الرسالة نفسها، ولم يستبعدوا حاجتهم الهداية من الله عن طريق روح طيبة يختارها الله لوحيه أو نفس طاهرة يصطفيها الله لتبليغ شرعه، لكنهم استبعدوا أن يكون الرسل من البشر، وظنوا خطأ أنها إنما تكون من الملائكة، زعماً منهم أن البشرية تنافي هذه الرسالة فإنه مهما صفت روح الإنسان وسمت نفسه، واتسعت مداركه، فهو في نظرهم أقل شأناً من أن يوحي الله إليه، وأحقر في زعمهم مِنْ أن يختاره الله لتحمُّل أعباء رسالته، وإبلاغ شريعته.

ومن نظر في الكتب المنزلة، وتصفح ما رواه علماء الأخبار، اتضح له اعترافهم بإمكان الوحي وحاجتهم إليه حتى الكفار فإنهم إنما استبعدوا أن يختار الله لوحيه رسولاً من البشر، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴿٢٧﴾ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[3] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا

(١) سورة هود: الآيات (٢٥ ـ ٢٨).

(٢) سورة القمر: الآيات (٢٣ ـ ٢٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٩١).

أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ۝١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾[1] الآيات. وقال تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات والأخبار التي تدل على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة ولا لحاجتهم إليها إنما كان لبعث رسول إليهم من جنسهم.

٤ ـ طريقة الرسل في إثبات العبادة:

لم يَدْعُ الأنبياء أممهم الى الإيمان بما جاءوا به من الشرائع دون بينة أو برهان يكون شاهدَ صدقٍ على إثبات أن ما دعوهم إليه وحي من الله وشْرعه الذي ارتضاه لعباده ديناً، ولم يلزموهم بذلك دون إقناع

(١) سورة يس: الآيات (١٣ ـ ١٥).
(٢) سورة إبراهيم: الآيتان (١٠، ١١).
(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٢ ـ ٤).

تقوم به الحُجة ويُسقط به العذر، بل تحدى كل رسول أمته بما آتاه الله من الآيات البينات، والمعجزات الباهرات التي يخضع لها العقل السليم، وتتصاغر أمامها قوى البشر، وطلب منهم أن يأتوا بمثل ما ظهر علي يده من خوارق العادات ـ وأنى لهم ذلك وهو من اختصاص واهب القوى والقدر ـ فلما عجزوا عنه كان دليلًا واضحاً على صدقهم في دعوى الرسالة، وأن ما جاءوا به شرع الله ودينه الحق.

فإن لله سبحانه من كمال الحكمة والعدالة وسعة الرحمة والجود وسابغ الكرم والإحسان ما يمتنع معه أن يؤيد متنبئاً كذاباً يخدع العباد ويفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم: بل يستحيل في حكمه وعدله أن يُبقي عليه أو يهمله؛ لما في ذلك من التلبيس والتضليل وفساد الكون وتخريبه، وهو شر محض، والشر ليس إليه سبحانه، ففي الحديث: «الخير كله بيديك والشر ليس إليك».

وقد بيّن سبحانه أنه بالمرصاد لمن افترى عليه كذباً، أو قال أُوحِي إليّ ولم يوحَ إليه بشيء، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[1].

وإذا أبت حكمة الله وسعة رحمته أن يترك عباده سُدىً، فلا يرسل إليهم رسولًا يأمرهم وينهاهم، ويبيّن لهم معالم الهدى وشرائع الحق، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حَيَّ عن بينة، فأولى في حكمه العدل ورحمته الواسعة أن يقضي علي المتنبئين كذباً وافتراء، وأن يعاجلهم

---

(١) سورة الحاقة، الآيات (٤٤ ـ ٤٧).

بالعقوبة والهلاك رحمة للعالمين وتمييزاً بين رسله الصادقين والمتنبئين الكاذبين.

هذا وأرجو أن أكون قد بيَّنت بهذه الكلمة الموجزة بعض الدواعي التي تقتضي إرسال الرُّسل، وجوانب من حكمة الله في إعدادهم واصطفائهم لتلقي الوحي عنه، وتحمل أعباء البلاغ. وقيادتهم الأمم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، كما أرجو أن أكون قد أوضحت الحكمة في اختيار الرسل إلى البشر من جنسهم، وبلسان أُممهم، والرد على من يخالف في أصل إرسال الرسل، أو يمنع أن يكون رُسُل الله إلى البشر من جنسهم،ويخيِّل إليه اختصاص ذلك بالملائكة والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وإخوانه النبيِّين والمرسلين ومن اهتدى بهديهم وسلك منهجهم القويم.

(أ) الطريقة المثلى للدعوة إلى الله:

لم يرسل الله ـ تعالى ـ رسولًا إلا أمره بالتوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[2]، وقد عُني الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك، فبدأوا البلاغ بدعوة أممهم الى أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، وقطعوا فيه شوطاً بعيداً حتى شغلوا به الكثير من أوقات البلاغ، ولا عجب في ذلك فإن التوحيد أصل الدين وذروة سنامه، وملاك الإسلام ودعامته الأولى،

(١) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

لا تصح من إنسان قربة، ولا يتقبل الله منه عبادة إلا إذا كانت مقرونة بالتوحيد وإخلاص القلب لله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[1]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[2]، وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأسهلها، وأقربها إلى معرفة الحق وأعدلها، وهو الاستدلال بآيات الله وسننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يُعبد وحده لا شريك له، فذلك أهدى سبيلًا وأقوم دليلًا، وأقوى في إقناع الخصم وإلزامه الحُجة، فإنه مقتضى العقل الصريح وموجب الفطرة السليمة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3]، فرتب سبحانه نهيه إياهم عن اتخاذهم شركاء له في العبادة على علمهم وإقرارهم بأنه ـ تعالى ـ وحده هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم، وهو الذي جعل الأرض قراراً، وذللها لهم ليمشوا في جوانبها، وليبتغوا من فضله، ورفع السماء بلا عمد وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، لينعموا بما آتاهم من النعم

---

(١) سورة الزمر، الآيتان (٢، ٣).

(٢) سورة البينة، الآية (٥).

(٣) سورة البقرة، الآيتان (٢١،٢٢).

وليتمتعوا بما أفاض عليهم من الخيرات لعلهم يتقون ربهم وولّي نعمتهم، فيعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدين، شكراً له على ما أسبغ عليهم من نعمه وأفاض عليهم من بركاته، وفي القرآن كثير من النظائر لهاتين الآيتين في بيان أسلوب الدعوة ورسم الطريق الناجحة في إقامة الحجة وإلزام الخصم، لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوتهم أممهم إلى الهدى ودين الحق، اهتداءً بهذْي الله واسترشاداً بإرشاده وهو العليم الحكيم، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل، ومنهم إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام.

أرسل الله جل شأنه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل، فأنكر عليهم عكوفهم لها وتقربهم إليها، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1]، ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل وعبادتهم إياها، فألغوا عقولهم وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2]، فسفَّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أحلامهم، وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة والضلال المبين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[3]، وبيّن لهم أن التماثيل لا تسمع النداء، ولا تستجيب الدعاء، ولا تملك نفعاً، ولا توقع ضراً، فلا يليق بعاقل أن يتخذها آلهة مع مَنْ فطر السماوات والأرض،

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٥٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٥٤).

وإليه مقاليد الأمور، يؤتي المُلك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير قال: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[1].

فلما ركبوا رؤوسهم، وأبو إلا اللجاج والعناد، والعصبية الممقوتة في تقليد الآباء والأجداد أعلن براءته منهم وشدة عداوته لهم ولما يعبدون من دون الله، ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[2].

وجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لا بد له من سلوك طريق آخر عملي في إقامة الحجة: ليكون أقوى في الإبانة عن الحق، وأملك في إلزام الخصم، يضطرهم به إلى الاعتراف بما هم فيه من ضلال وظلم وانحراف، فأقسم بالله أن يكيد لأصنامهم وهم عنها غائبون، وانتهز فرصة خروجهم من البلد لبعض شأنهم، وذهب إلى آلهتهم خفية لئلا يراه أحد فيصده عن تنفيذ ما أراد، فجعلهم قطعاً صغاراً إلا كبيراً لهم تركه سالماً، ليكون له ولهم معه شأن عند التحقيق فيما جرى على أصنامهم، فلما عادوا إلى منازلهم وشاهدوا ما أصيبت به آلهتهم ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ

(١) سورة الشعراء: الآيات (٧٢ ـ ٧٤).

(٢) سورة الشعراء: الآيات (٧٥ ـ ٨٢).

يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، فلما حضر مجلسهم أخذوا يقررونه بما صنع بآلهتهم، قالوا: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأجابهم بنسبة ما حدث إلى مَنْ لا يتأتى منه، نسبه إلى كبير التماثيل وهو ـ كما يعلم ويعلمون ـ جماد لا حراك به؛ ذلك ليرشدهم إلى مكان الخطأ في عكوفهم على التماثيل، عبادة لها وتقرباً إليها، ويصرفهم عنها إلى عباد الله وحده لا شريك له، ويوحي إليهم بأنه هو الذي كاد لأصنامهم وأنزل بهم ما يكرهون، وقد أكد ذلك بأمره إياهم أن يسألوا التماثيل عمن أصابهم بالتكسير والتحطيم إن كانوا يملكون جواباً ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[2]، وقد نجحت هذه الطريقة إلى حد ما، وأوجدت فيهم وعياً، فثابوا إلى رشدهم وما كان في أصل قرائحهم واعترفوا بأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم تماثيل لا تملك لنفسها نفعاً ولا تدفع عنها بأساً، وظلموا إبراهيم عليه السلام بصدهم عن دعوته، وإعراضهم عما جاءهم به من الآيات البينات على التوحيد وإخلاص العبادة لله ربِّ العالمين، لكنهم لم يلبثوا أن ركبوا رؤوسهم ونكصوا على أعقابهم وارتكسوا في حمأة الضلال والحيرة عصبية لما ورثوه عن آبائهم من الشرك والبهتان المبين، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3]، لقد ازداد طريق الحق وضوحاً وبياناً، واستحكمت حلقات الحجة لإبراهيم على أبيه وقومه،

(١) سورة الأنبياء: الآيات (٥٩ ـ ٦١).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٦٣).
(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٤، ٦٥).

وحُقَّ له أن يضيق ذرعاً من صدودهم، وأن يتأفف ضجراً من طغيانهم وشِرْكهم، وأن ينكر عليهم ذلك إنكاراً صارخاً، ويرميهم بالخبال وإلغاء العقول، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

لقد أخذت الحمية الجاهلية للباطل من نفوس قوم إبراهيم عليه السلام مأخذها، وتمكنت منهم العصبية لطاغوت التقليد للآباء والأجداد فيما أصيبوا به من الشرك والانحراف عن الحق حتى ملكت مشاعرهم، ووجهت عقولهم وأفكارهم إلى شر وجهة، وصرفتهم عن الحق المبين والصراط المستقيم، وزينت لهم أن يتخلصوا من إبراهيم عليه السلام، وينزلوا به أشد العقاب انتصاراً لآلهتهم الباطلة، وانتقاماً منه جزاءً له عما صنع لها من تحطيم وتكسير، ويعلم الله أنه ما أراد بذلك إلا الخير لهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2]، لكن يأبى الله إلا أن ينصر رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، وأن يخذل أعداءه وأعداء دينه، ويبطل ما كادوا به لأوليائه فيبوؤا بالخسران المبين، امضاءً لسنته العادلة الحكيمة في أوليائه وأعدائه، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[3]،

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٦، ٦٧).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٦٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٦٩ ـ ٧٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

ب- الطريقة المُثلى للدعوة إلى الله:

عُني إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الإسلام، ووجّه جُلّ همه وأعظم عنايته إلى إيضاح التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه، فبدأ به وكرَّر الدعوة، مع اختلاف لهجته في ذلك ليناً وشدَّة، وذكر أنواعاً من الأدلَّة على التوحيد، وسلك طُرقاً شتى في الاستدلال بها عليه، إتماماً لإقامة الحجة، وزيادة في الإعذار إلى الأمة، وأملاً في أن يجد كلُّ نوع منها، أو وجه من وجوه الاستدلال بها منفذاً إلى القلوب، فإن الناس مختلفون في مداركهم ومتفاوتون في طبائعهم وأفهامهم قوة وضعفاً، ليناً وصلابة، وإنصافاً للحق وعناداً وصدوداً عنه، فما يجدي من الأدلة وطرق الاستدلال بها مع طائفة قد لايؤثر على طائفة أخرى.

وفيما يلي بيان ذلك:

أنكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أبيه آزر أن يتخذ أصناماً آلهة، ولم يقرن ذلك فيما ذكر الله عنه في سورة الأنعام بما يخفف من وطأة الإنكار على نحو ما ذكر الله سبحانه عنه في سورة مريم، حيث مهَّد فيها قبل الإنكار بندائه بقلب الأبوة، ولما أشرك قومه مع أبيه في

---

(١) سورة غافر: الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٣).

الحكم كان أشد لهجة وإنكاراً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(1). فحكم عليهم بالجهل البيِّن، وعَمَى البصائر، ذلك ليثير عواطفهم، ويدفع بهم إلى التفكير فيمن يستحق أن يعبدوه مخلصين له الدين ولا يشركوا به شيئاً، أهو مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء وهو وليُّ نعمتهم، أم الهياكل الأرضية والسماوية وهي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا تُغني عنهم مِن الله شيئاً، ثم عسى أن تجد هذه الإثارة من أبيه وقومه قلوباً واعية تحفظ عنه ما يقول، وعقولاً رشيدة تفقه ما سمعت من البلاغ وإحساساً مرهفاً فتتأثر بذلك وتستجيب إلى دعوة الحق﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(2).

بصَّر الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام بالدلائل الكونية الدالة على وحدانيته سبحانه في ربوبيته وألوهيته، فأراه آياته في ملكوت السماوات والأرض، ليعلم حقيقة التوحيد، أو ليزداد عِلماً به ويقينًا إلى يقينه، وأرشده إلى وجه الاستدلال بها، وكيف يسلك طريقها في البلاغ أو البيان ومناظرة الخصوم، ليفصل بذلك بين الحق والباطل، ويلزمهم الحجة والبرهان.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا

---

(1) سورة الأنعام: الآية (٧٤).

(2) سورة ق: الآية (٣٧).

ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

كان قوم إبراهيم الخليل صابئة يعبدون الكواكب السيارة، ويقيمون لها الهياكل في الأرض من الأحجار ونحوها، وكانوا يعظمونها ويتقربون إليها بالذبائح وغيرها، وكانوا يستغيثون بها ويضرعون إليها، فناظرهم عليه السلام في ذلك، ولم يشأ أن يسلك في هذه المناظرة طريق الاستدلال الإيجابي المباشر على أن الله لا ربّ غيره ولا إله سواه، بل جعل دعوى قومه وعقيدتهم الشركية موضوع بحثه ونقاشه معهم، وفرضها فرض المستدل لما لا يعتقده ثم يَكِرُّ عليه بالنقض والإبطال، ويكشف عن وجه الحق.

فحينما أظلم الليل ورأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام النجم قال: هذا ربي، فرضاً وتقديراً، أو أهذا ربي. فلما غاب عن أعين الناس علم أنه مسخَّر ليس أمره إليه، بل إلى مُدبِّرٍ حكيم يُصرِّفه كيف يشاء أما الرَّبُ فأمره إلى نفسه، بل أمر غيره إليه، وهو دائم لا يحول ولا يزول، بيده مقاليد الأمور، وهو على كل شيء قدير.

ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب آخر هو في نظرهم أشد ضوءً، وفي مرآى أعينهم أكبر حجماً، وهو القمر. فلما رآه طالعاً قال: هذا ربِّي، فرضاً منه لذلك وتقديراً، أو أهذا ربي؟ فلما ذهب عن أعين الناظرين تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تألهه القلوب، ويضرع إليه العباد في السرَّاء والضراء، يرجون رحمته ويخافون عذابه. ويستهدونه فيهديهم إلى

---

(١) سورة الأنعام: الآيات (٧٥ ـ ٧٩).

سواء السبيل، ولذا قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾(1).

ثم انتقل بهم إلى معبودٍ آخر لهم أكبر جُرماً من النجم ومن القمر، وأعظم ضياءً منهما وهو الشمس، فلما رأى الشمس بازغة قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(2). فاستدل بما يَعْرِض لها من غيرها على أنها مأمورة بأمر ربِّها، وأنها مدبرة مسخرة بتسخير خالقها.

فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة أرفع من الكواكب السيّارة شأناً، وأعلى قدراً، وأعمّ نفعاً عندهم. وقد قضت لوازمها بانتفاء سمات الربوبية والألوهية عنها، وأحالت أن تستوجب لنفسها حقاً لها في العبادة والتقرب إليها فما عداها من سائر الكواكب أبعد من أن يكون له حظ ما في الربوبية أو الإلٰهية، وأحرى بنفي ذلك عنه، واستحالته عليه. ولذا أعلن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ختام المناظرة براءته مما يزعمون من الشركاء، وأسلم وجهه لله وحده الذي فطر السماوات والأرض، وأبدع خلقهما دون شريك أو ظهير يعينه في ذلك، وضَمَّن إعلان النتيجة الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن ما فيه من البراءة من الشركاء نظير نفي الإلٰهية الحقة عن الشركاء في كلمة التوحيد، وما فيه مِنْ إسلام وجهه لله نظير الاستثناء في كلمة التوحيد، لدلالته على إثبات الإلٰهية الحقة لله، ومثله قوله تعالى:

---

(1) سورة الأنعام: الآية (٧٧).

(2) سورة الأنعام: الآيتان (٧٨ ـ ٧٩).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[1].

وهذا الضرب من الاستدلال قد سلك سبيله في المناظرة كثيرٌ من العلماء قديماً وحديثاً، وقد جاء في الكتاب والسُّنة كثيراً لكن على منهج العرب في حديثهم وطريقتهم في المناظرة والحِجاج، فإن رسالة نبيِّنا محمد ﷺ قد بدأت في العرب، وبلُغَتِهم نزل القرآن لا على طريق الصناعة المنطقية، حيث يقولون في مثل هذا الموضع إجمالاً: لو كانت هذه الكواكب أرباباً أو آلهة ما حالت ولا زالت، لكنها تحول وتزول، فليست أرباباً، فإنَّ الله حيٌ دائم لا يحول ولا يزول.

فللداعية إلى الإسلام أن يسلك هذه الطريقة، طريقة إبراهيم عليه السلام حسبما تقتضيه الحال، فيتنزَّل مع مناظره مِن دُعاة الباطل، ويفرض دعواه واقعة ويرتب عليها لوازمها الباطلة وآثارها الفاسدة، ثم يُكِرُّ عليها بالنقض والإبطال، وقد تُوجب عليه الأحوال والظروف سلوكها والدعوة بها أحياناً، فإنَّ الدعوة إلى الحق كما تكون بتزيينه وذكر محاسنه للترغيب فيه، واستمالة النفوس إليه تكون بتشويه الباطل وذكر مساويه ومخازيه، تنفيراً منه ليهرب المبطلون عنه. وتتفتح قلوبهم للحق، فيلتزموه.

هذا وقد ذهب جماعة من المفسرين وغيرهم إلى ما تقدَّم من أنَّ حديث إبراهيم في شأن الكواكب مع قومه كان على سبيل المناظرة والحوار مع المشركين، ليقيم عليهم الحجة لا ليكسب هُدىً بعد حيرة، ولا ليستفيد عِلماً بعد شك، واختار ذلك ابن كثير في تفسيره، قال: والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مُبَيِّنا لهم بطلان

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٢٦، ٢٧).

ما كانوا عليه من عبادة الهياكل، وهي الكواكب السبعة المتحيزة.. ثم قال: وكيف يكون إبراهيم ناظراً في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

ثم استدل بنصوص خلق الناس على الفطرة السليمة: كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[4]. وحديث «كل مولود يولد على الفطرة» [5].. والحديث القدسي «إني خلقت عبادي حنفاء» ثم قال: فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمّة قانتاً لله حنيفاً [6] ولم يك من المشركين ناظراً في هذا المقام، بل هو أولى الناس

(١) سورة الأنبياء: الآية (٥١، ٥٢).

(٢) سورة النحل: الآيات (١٢٠ ـ ١٢٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٦١).

(٤) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٥) رواه البخاري (الفتح ٣/١٣٥٨) في الجنائز، ومسلم (٢٦٥٨) بلفظ: ما من مولود إلا يولد علي الفطرة.. الحديث.

(٦) الحنيف: وهو من مال عن الشرك وقصد ـ أشار إلى التوحيد وقيل هو المقبل على الله المعرض عمن سواء.

بالفطرة السليمة، والسجيَّة المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب، ومما يؤكد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً لقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾[1].... مع تصرف.

ويؤيده أيضاً ما ذكر في مطلع هذه الآيات من دعوة إبراهيم لأبيه وقومه إلى التوحيد، وإنكاره ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام التي جعلت تماثيل وهياكل رمزية للكواكب، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]. فبدأ الآيات بالتوحيد والبراءة من الشرك وختمها بذلك، فدل على أنه كان مؤمناً بذلك مُوقناً به أولاً وآخراً على السواء ويؤيده أيضاً قوله تعالى في ختام المحاجة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أن مقام إبراهيم في هذه الآيات مقام نظر لا مقام مناظرة، واختاره واستدل عليه بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[4]. وذكر محمد بن إسحاق ما يفيد أنَّ ذلك حين خرج إبراهيم من السرب الذي ولدته فيه أمه لما خافت عليه من نمرود بن كنعان. ا.هـ باختصار.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٨٠).
(٢) سورة الأنعام: الآية (٧٤).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٧٧).

وبيان ذلك أن إبراهيم كان قبل الرسالة في حَيْرة في تعيين من يعبده، وإن كان يعتقد بفطرته السليمة أن للعباد ربًّا، له قَدْره وعظمته وجلاله، وحكمته في تدبيره وتصريفه لشؤون خلْقه، فنظر في السنن الكونية نظرة اعتبار واستدلال لنفسه، نظر في النجم ثم الشمس ليخرج نفسه من القلق والحيرة إلى العلم والهُدَى والرشاد، فلم يجد فيها سمات الربوبية، ولا الصفات التي تستحق بها أن تُؤلَّه وتُعبد، وانتهى به نظره واستدلاله لنفسه إلى ما أعلنه أخيراً مِن البراءة من الشرك والشركاء، والتوجه لله ربِّ العالمين وحده، ثم كان مقام دعوته لأبيه وقومه إلى التوحيد ومناظرته لهم فيما كانوا عليه من الشرك بعد الرسالة.

وعلى هذا يستطيع الداعية إلى الإسلام أن يجد لنفسه أيضاً قدوة حسنة وأسوة رشيدة في سيرة إبراهيم عليه السلام وفي خبر الله عن منهجه في هذه الآيات. فيبدأ بالنظر في الآيات الكونية والدلائل الشرعية، ليعلم الحق في نفسه أولاً، ثم يُتبع ذلك الدعوة إليه، ليكون في دعوته على بيّنة وبصيرة، فعلى كلا المعنيين لهذه الآيات يجد الداعية إلى الحق في خليل الرحمن مثالاً حسناً يحتذيه، وميزاناً عادلاً يزن به عقيدته وعمله ودعوته ويقتفي أثره فيه.

إن دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه وقومه إلى التوحيد مع سلامتها وقوة استدلاله عليها، وحُسن سياسته وحكمته واستقامة منهجه فيها لم تجد لديهم قبولاً، لأن قلوبهم في غلاف من العناد، والصدود واللِّجاج فلم تتفتح لدعوة الحق، ولم تشأ أن تتقبلها، ولأن عواطفهم متبلدة بل ممسوخة، قد انحرف بها الهوى وتقليد الآباء وتحكُّم العادات السيئة عن الجادة والاعتدال، فلم تتأثر بالحق ولم تجد لنفسها فيه لذة ولا راحة، بل ذهبوا يجادلونه في الحق بعدما تبيَّن، ويهددونه ويخوِّفونه أن

تصيبه آلهتهم بسوء فلا يحمد العاقبة، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن ثبت على الحق واطمأنت به نفسه وازداد إيماناً به، فأنكر عليهم جدالهم إياه بالباطل، وتخويفه من خطر آلهتهم، مع أنها لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا تدفع عنها بأساً، وهو يركن إلى الركن الرّكين. ويتوكل على ربِّ العالمين، قد أخلص له قلبه وأسلم له وجهه، وقام بما أمره به من الدعوة للحنيفية السمحة، فهو أحقُّ بالأمن والسلام ممن هددوه وخوّفوه، لكن على تقدير أن يصيبه مكروه فهو من الله سبحانه، إبتلاءً وإمتحاناً اقتضته حكمته وعدله. قال الله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1].

فعليكم معشر الدُّعاة أن تثبتوا على الحق في ميدان الدعوة، وأن تصبروا على الأذى وألا تنخلع قلوبكم لكيد الكائدين، وتهديد المعتدين: وتوكلوا على الله أُسوة بخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين.

لمَّا فات إبراهيم عليه السلام أن يؤمن به قومه فتستقر حياته بين أظهرهم ويشتد عضده بهم، وتولوه بالأذى وبلغ بهم الكيد له أن ألقَوه في النار ففرَّ إلى ربِّه وهاجر طالباً لدعوته قوماً آخرين، لمَّا أصيب بذلك لم يكِلْه الله إلى نفسه، ولم يحرمه جزاء عمله، فوهب له من تقَرُّ بهم عينه،

---

(١) سورة الأنعام، الآيات (٨٠ ـ ٨٢).

وهب له إسحاق ويعقوب. وجعلهما من أنبيائه وهداهما إلى الصراط المستقيم، وتتابعت النبوة والرسالة من بعده في ذريته إلى أن خُتمت بنبوَّة الرسول الكريم محمد ﷺ.

فيا معشر الدعاة إلى الحق: كونوا واثقين بالله، مطمئنين إلى صادق وعده، مؤملين النصر والخير وحُسن العواقب، ولكن لابد لكم من الابتلاء بالسراء والضراء، فاشكروا ربكم على ما أولاكم من الخير، واصبروا على الشدة واللأواء، وليكن لكم في خليل الرحمن وإخوانه الأنبياء خير أسوة، فقد ابتلوا فصبروا وشكروا، فجزاهم الله خير الجزاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه وسلم[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٢) سورة آل عمران، الآيات (١٤٦ ـ ١٤٨).

(٣) انظر مجلة التوعية الإسلامية ـ العدد السادس والسابع ـ السنة الأولى ـ الأربعاء الموافق ٢١ من ذي الحجة سنة ١٣٩٥هـ.

التعليق على كتاب «الاعتقاد»

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله

سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فبناءً على كتاب سماحتكم، الذي تطلب فيه تقريراً عن كتاب الاعتقاد للبيهقي.

قرأتُ الكتاب فوجدته موافقاً للسلف في مواضع كثيرة، ومخالفاً لهم في مواضع أخرى، وسأُجمل فيما يلي ما يؤخذ عليه مما خالف فيه السلف في العقيدة:

١- يصف الله وأسماءه بالقِدَم، ويُسمِّيه القديم، كما يتبين مِن الصفحات (٦، ٢٠، ٢٢، ٣٧، ٦٠، ٦١) من الكتاب[1].

٢- استدل على حدوث الكونيات بأنها محل للحوادث كسائر الأشعرية، فلزمهم بذلك نفي قيام الصفات الفعلية بالله، والتزموا تأويل النصوص المثبتة لصفات الأفعال بما يسمونه قديماً، كما تبين ذلك بالرجوع إلى ص(٧).

٣- تأويل اسم الله -الرحمن- بالمريد لرزق كل حي في الدنيا، واسمه

(١) وهو من مطبوعات دار حديث أكاديمي بباكستان.

-الرحيم- بالمريد لإكرام المؤمنين في الجنة وقال: فيرجع معناهما إلى صفة الإرادة التي هي صفة قائمة بذاته تعالى، ويعني بالإرادة -الإرادة الكونية الأزلية، لا الإرادة الدينية التي بمعنى المحبة يتبين ذلك من ص (١٥-١٩)، أيضاً فسر الإلهية بالقدرة على اختراع الأعيان.

٤- ذهب في صفة الكلام إلى مذهب الكُلاَّبيّة، كسائر الأشعرية، فجعلها صفة نفسية ذاتية قديمة قائمة بذات الله تعالى، ورد صفة الحكم المفهومة من اسم الله الحَكَم، وقال: «وقد يكون بمعنى حكمه لواحد بالنعمة والآخر بالمحنة فيكون من صفات فعله». وقال مثل ذلك في اسم الله «الشكور» وفي اسمه «العدل» يتبين ذلك من ص (١٦).

٥- فسّر اسم الله -العلي- بالعالي القاهر، وبالذي علا وجلّ عن أن يلحقه صفات الخلق وقال: هذه يستحقها بذاته.

وتأويل محبة الله عباده بإرادته رحمتهم وبمدحهم، قال: فيرجع معناه إلى صفة الإرادة والكلام بمعنى الإرادة الكونية، والكلام النفسي، وقال: وقد يكون بمعنى إنعامه عليهم فيكون من صفات الأفعال. كما تقدم بيانه يتبّين ذلك من ص١٩: ١٧.

٦- قال في اسم الله «المتعالي» هو المنزه عن صفات الخلق، وهذه صفة يستحقها بذاته وقد يكون العلي فوق خلقه بالقهر.أ.هـ. وهذا فرار من إثبات علو الله على خلقه بذاته ص١٧-١٩.

٧- بعد أن فسّر أسماء الله الحسنى وذكر ما رآه فيها من احتمال ووجوه قال: وهذه الوجوه التي في معانيها كلّها صحيح، وربنا جل جلاله، وتقدست أسماؤه متصف بجميع ذلك، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى لا شبيه له في خلْقه، ولا شريك له في ملكه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»أ.هـ ص٢١.

٨- قال في ص (٢١) أيضاً: فلِلّه عزَّ اسمه أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه»أ.هـ.

فجعل أسماءه صفاته، ومعلوم أن الاسم يتضمن الصفة، وأنّها بعض مفهومه لا أنّه الصفة.

٩- في ص(٢١-٢٢) قسّم صفات الله قسمين، صفات ذات، وصفات أفعال، وقسَّم صفات الذات قسمين، عقلياً وهو ماكان طريق إثباته أدلة العقل مع ورود السمع به، فإذا دلَّ وصف الواصف به على الذات فالاسم عين المسمّى مثل شيء، ذات، موجود، جليل عزيز، عظيم، متكبر، وإن دلَّ وصف الواصف به على صفات زائدة على ذاته قائمة به مثل حي، عليم، قادر، سميع، بصير متكلم، فالاسم في هذا لا يُقال: أنه هو المُسمَّى ولا أنه غير المُسمى.

وأما السمعي فما كان طريق إثباته السمع فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضاً صفات قائمة بذاته، لا يُقال فيها: إنها هي المُسمَّى ولا غير المُسمَّى، ولا يجوز تكييفها، فالوجه صفة وليست بصورة، واليدان له صفتان، وليستا الجارحتين، والعين له صفة، وليست بحدقة... إلى آخر ما ذكره في ص(٢٢-٤٤).

ولا يخفى ما في هذا من المخالفة للسلف أهل السنة والجماعة، إذ فيه نفي تفصيلي، والسلف على خلافه، وإنما يمنعون الخوض في الكيف ويقولون: إنه مجهول أو غير معلوم، فيفوِّضون علمه إلى الله تعالى، كما يمنعون عموماً الخوض فيما لم يخوضوا فيه نفياً وإثباتاً.

١٠- قال في صفات المعاني السبعة: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام: أنها زائدة على الذات قائمات بها ليرد على

المعتزلة وقال: إنما قال النبي ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة..» الحديث على طريق التعظيم أ.هـ يعني أن الجمع للتعظيم لا لكون كلامه تعالى متعدداً بل هو شيء واحد هو الكلام النفسي الأزلي، يتبين ذلك في ص (٢٥-٢٩، وفي ص٣٢-٣٧).

١١- ذكر في الاستواء طريقتين: طريقة التفويض في معناه مع نفي الكيفية وطريقة حمله على وجه يصحُّ في اللغة وأتبع ذلك نفياً تفصيلياً للكيفية في الاستواء وفي النزول وفي المجيء والإتيان...إلخ. ويتضح ذلك في ص ٤٤ من الكتاب. وأحال في ذلك على كتابه «الأسماء والصفات».

١٢- أحسن في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار، وفي إقامة الأدلة على ذلك، وفي رده على منكري رؤيته تعالى، لكنه يرى أن الله عز وجل لا يُرى في جهة بل يراه الراؤون في جهاتهم كلها لأنه يتعالى على الجهة، يتضح ذلك في ص٥١ من الكتاب.

١٣- قال في أفعال العباد أنها كسب لهم على معنى تعلق قُدرتهم بمباشرتهم التي هي أكسابهم، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصد مكتسبها يدل على مُوقعٍ أوقعها كما أراد غير مكتسبها، والله ربنا، خلقنا وخلق أفعالنا...إلخ، ص(٦٠-٦١).

وهذه إلى القول بالجبر أقرب منه إلى القول بإثبات الاختيار للعبد في أفعاله.

١٤- وفسّر ما جاء في الحديث من أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وبأن المراد به كون القلب تحت قدرة الرحمن.

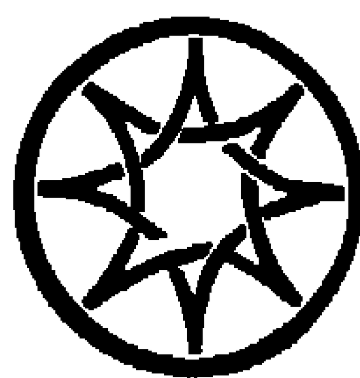
١٥- ذكر كثيراً من الأحاديث ولم يُبيِّن درجتها من الصحة والضعف. والمقام مقام الاستدلال في العقيدة.

وبالجملة فالكتاب نافع، وفيه خير كثير، ويمكن التعليق عليه في مواضع الخطأ، أو التنبيه على ذلك في مقدمة له.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الرزاق عفيفي



الحكم بغير ما أنزل الله وأثره على الأفراد والشعوب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

أمر الله جل شأنه جميع الناس أن يرد كل منهم ما لديه من الأمانة إلى أهلها، أياً كانت تلك الأمانة، فعم سبحانه بأمره كل مكلف،وكل أمانة، سواء كان ما ورد في نزول الآية صحيحاً أم غير صحيح، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- ثم أوصى سبحانه من وكل إليه الحكم في خصومة أو الفصل بين الناس في أمر ما أن يحكم بينهم بالعدل، سواء كان محكماً أو ولي أمر عام أو خاص، ولا عدل إلا ما جاء في كتاب الله أو سُّنة رسول الله ﷺ، فذلك الهدى والنور والصراط المستقيم، ثم أثنى على ما أسداه إلى عباده من الموعظة إغراءً لهم بالقيام بحقها والوقوف عند حدودها، وختم الآية بالثناء على نفسه بما هو أهله من كمال السمع والبصر ترغيباً في امتثال أمره رجاء ثوابه، وتحذيراً من مخالفة شرعه خوف

(١) سورة النساء: الآيتان (٥٨ ـ ٥٩).

عقابه، ثم أمر تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ مطلقاً، لأن الوحي كله حق، وأمر بطاعة أولي الأمر فيما وضح أمره من المعروف لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما دلت عليه النصوص الثابتة الصريحة في ذلك، فإن اشتبه الأمر ووقع النزاع وجب الرجوع في بيان الحق والفصل فيما اختلف فيه إلى الكتاب والسُّنة لقوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[2].

وأمثال ذلك من نصوص الكتاب والسُّنة فإن الرجوع إليهما عند الحيرة أو النزاع خيرٌ عاقبةً وأحسن مآلاً، وهذا إنما يكون فيما فيه مجال للنظر والاجتهاد، فمن بذل جهده ونظر في أدلة الشرع وأخذ بأسباب الوصول إلى الحق، فهو مأجور، أجران إن أصاب حكم الله، ومعذور مأجور أجراً واحداً إن أخطأه، وله أن يعمل بذلك في نفسه وأن يحكم به بين الناس، ويعلمه الناس مع بيان وجهة نظره المستمدة من أدلة الشرع على كلتا الحالتين بناء على قاعدة التيسير ورفع الحرج وعملاً بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[3].

وبقول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[4] ولقوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو

(١) سورة النساء، الآية (٥٩).
(٢) سورة الشورى، الآية (١٠).
(٣) سورة التغابن، الآية (١٦).
(٤) رواه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. ومن لم يبذل جهده في ذلك ولم يسأل أهل العلم وعَبَد الله على غير بصيرة، أو حكم بين الناس في خصومة فهو آثم ضال مستحق العذاب إن لم يتب ويتغمده الله برحمته قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

وكذا من علم الحق ورضي بحكم الله لكن غلبه هواه أحياناً فعمل في نفسه، أو حكم بين الناس في بعض المسائل أو القضايا على خلاف ما علمه من الشرع لعصبية أو لرشوة مثلاً فهو آثم لكنه غير كافر كفراً يخرج من الإسلام، إذا كان معترفاً بأنه أساء ولم ينتقص شرع الله ولم يُسيىء الظن به بل يجز في نفسه ما صدر منه ويرى أن الخير والصلاح في العمل بحكم الله تعالى، روى الحاكم عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً، أو قضى بغير علم فهو في النار...».

إن مَن كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه، ثم وضع للناس أحكاماً وهيّأ لهم نظماً ليعملوا بها ويتحاكموا إليها، وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام، فهو كافر خارج من ملة الإسلام، وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك.

ومن أمر الناس بالتحاكم إلى تلك النظم والقوانين أو حملهم على التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام، وكذا من يتولى الحكم بها ويطبقها في القضايا، ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره مع علمه

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله، لكن بعضهم بوضع تشريع يضاهي به تشريع الإسلام ويناقضه على علم منه وبيّنة، وبعضهم بالأمر بتطبيقه أو حمل الأمة على العمل به أو ولّى الحكم به بين الناس أو تنفيذ الحكم بمقتضاه، وبعضهم بطاعة الولاة والرضا بما شرعوا لهم بما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا، فكلهم قد اتبع هواه بغير هدى من الله، وصدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه وكانوا شركاء في الزيغ والإلحاد والكفر والطغيان، ولا ينفعهم علمهم بشرع الله واعتقادهم ما فيه من إعراضهم عنه وتجافيهم لأحكامه وإتيانهم بتشريع من عند أنفسهم وتطبيقه والتحاكم إليه، كما لم ينفع إبليس علمه بالحق واعتقاده إياه مع إعراضه عنه وعدم الاستسلام والانقياد له.

وبهذا قد اتخذوا هواهم إلهاً فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]. الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) سورة الجاثية، الآية (٢٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٤).

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[2]. إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3].

إن هؤلاء قد صدوا عن تحكيم شرع الله انتقاصاً له وإساءة للظن بربهم الذي شرعه له، وابتغاء الكمال فيما سوّلته لهم أنفسهم وأوحى به إليهم شياطينهم، وكأن لسان حالهم يقول: «إن شريعة الكتاب والسُّنة نزلت لزمان غير زماننا ليعالج مشاكل قوم تختلف أحوالهم عن أحوالنا وقد يجدي في إصلاحهم ما لا يناسب أهل زماننا، فلكل عصر شأنه، ولكل قوم حكم يتناسب مع ظروفهم ونوع حضارتهم وثقافتهم» فكانوا كمن أمر الله رسوله أن ينكر عليهم ويبكتهم بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

وكانوا ممن حقت عليهم كلمة العذاب وحكم الله عليهم بأن لا

---

(١) سورة المائدة: الآيات (٤٨ ـ ٥٠).

(٢) سورة النساء الآيتان: (٦٠ ـ ٦١).

(٣) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٤) سورة الأنعام: الآيتان (١١٤ ـ ١١٥).

خلاق لهم في الآخرة بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

لقد استهوى الشيطان هؤلاء المغرورين فزين لهم أن يسنوا قوانين من عند أنفسهم ليتحاكموا إليها ويفصلوا بها في خصوماتهم، وسوَّل لهم أن يضعوا قواعد بمدى تفكيرهم القاصر وهواهم الجائر لينظموا بها اقتصادهم وسائر معاملاتهم، محادة لكتاب الله واعتقاداً منهم انه لا يصلح للتطبيق والعمل به في عهدهم، ولا يكفل لهم مصالحهم، ولا يُعالج ما جَدَّ من مشاكلهم، حيث اختلفت الظروف والأحوال عما كانت عليه أيام نزول الوحي، واتسع نطاق المعاملات وكثرت المشكلات، فلا بد لتنظيم المعاملات، والفصل في الخصومات من قوانين وقواعد جديدة يضعها المفكرون من أهل العصر، والواقفون على أحوال أهله، المطلعون على المشاكل، العارفون بأسبابها وطرق حلها لتكون مستمدة من واقع الحياة فتتناسب مع أحوال الناس وظروفهم الحاضرة ومع مستوى ثقافتهم وحضارتهم.

فهؤلاء قد طغى عليهم الغرور الفكري، فركبوا رؤوسهم ولم يُقدِّروا عقولهم قدرها ولم ينزلونها منزلتها، ولم يُقدِّروا الله حق قدره، ولم يعرفوا حقيقة شرعه، ولا طريق تطبيق منهاجه وأحكامه، ولم يعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فعلم ما كان وما سيكون من اختلاف الأحوال، وكثرة المشاكل، وأنه أنزل شريعة عامة شاملة، وقواعد كلية محكمة وقدّرها بكامل علمه وبالغ حكمته فأحسن تقديرها، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، فمهما اختلفت الطبائع والحضارات، وتباينت الظروف

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

والأحوال، فهي صالحة لتنظيم معاملات العباد وتبادل المنافع بينهم والفصل في خصوماتهم وحل مشاكلهم، وصلاح جميع شؤونهم في عباداتهم ومعاملاتهم.

إن العقول التي منحها الله عباده ليعرفوه بها، وليهتدوا بفهمها لتشريعه إلى ما فيه سعادتهم في العاجل والآجل، قد اتخذوا منها خصماً لدوداً لله فأنكروا حكمته وحُسن تدبيره وتقديره، وضاقوا ذرعاً بتشريعه وأساؤوا الظن به فانتقصوه وردّوه، وقد يصابون بذلك وهم لا يدرون لأنهم بغرورهم بفكرهم عميت عليهم معالم الحق والعدل فكانوا من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً. وكانوا ممن بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار.

إن الله سبحانه كثيراً ما يُذكر الناس في القرآن بأحوال المعتدين الهالكين، ويحثهم على أن يسيروا في الأرض لينظروا ما كانوا فيه من قوة ورغد عيش وحضارة وبسطة في العلم، نظر عظة واعتبار، ليتذكروا طريقهم، إتقاءً لسوء مصيرهم، ولفت النظر في بعض الأمور إلى جريمة الغرور الفكري، لشدة خطره، وبيّن أنه الفتنة الكبرى التي دفعوا بها في صدور الرُّسل، وردوا بها دعوتهم، ليعرفنا بقصور عقول البشر، أنها لا تصلح لمقاومة دعوة الرسل، وليحذرنا من خطر الغرور الفكري الذي هلك به من قاوم المرسلين.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا بِمَا

عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟
بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ
يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

(1) سورة غافر، الآيات (٨٢ ـ ٨٥).

محبة أصحاب رسول الله ﷺ وموالاتهم

مبحث محبة أصحاب الرسول ﷺ وموالاتهم
والرد على الروافض والنواصب

أهل السُّنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ويثنون عليهم ويترضَّون عنهم كما أثنى الله عليهم وترضَّى عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(1).

وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(2).

وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى آخر السورة(3).

وقال ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

---

(1) سورة التوبة، الآية (١٠٠).

(2) سورة الفتح، الآية (١٨).

(3) سورة الفتح، الآية (٢٩).

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. إلى غير هذا من الآيات التي وردت في ثناء الله عليهم وترغيب المؤمنين في حبهم والدعاء لهم ولمن تبعهم بإحسان، وهم متفاوتون فيما بينهم. فبعضهم فوق بعض درجات. فأعلاهم درجة أهل بيعة الرضوان وكل من آمن قبل فتح مكة وأنفق في سبيل الله وقاتل إعلاءً لكلمة الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له. فدلّ الحديث على أن من أسلم قبل فتح مكة وقبل صلح الحديبية كعبد الرحمن بن عوف أفضل ممن أسلم بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد، وإذا كان حال خالد بن الوليد ومن أسلم معه أو

(١) سورة الحشر: الآية (٨ - ١٠).

(٢) سورة الحديد: الآية (١٠).

بعده من الصحابة بالنسبة لعبد الرحمن بن عوف والسابقين معه إلى الإسلام هو ما ذكر في الحديث. فكيف بحال من جاء بعد الصحابة بالنسبة إلى الصحابة رضي الله عنهم.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»**[1].

وفي حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»** قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. رواه البخاري ومسلم[2].

يرى أهل السُّنة أن حب الصحابة دين وإيمان وإحسان لكونه امتثالاً للنصوص الواردة في فضلهم و أن بغضهم نفاق وضلال لكونه معارضاً لذلك، ومع ذلك فهم لا يتجاوزون الحد في حبهم أو في حب أحدٍ منهم.

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[3]. ولا يجهلون أحداً منهم ولا يتبرؤون منه، ولهذا ورد عن جماعة من السلف كأبي سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي أنهم قالوا: الشهادة بدعة- والبراءة بدعة، ومعنى ذلك أن الشهادة على مسلم معين أنه كافر أو من أهل النار بدون دليل يرتد الحكم عليه بذلك بدعة. وأن البراءة من بعض الصحابة بدعة.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) رواه البخاري (الفتح ٧/٣٦٨٠) ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) سورة النساء: الآية (١٧١).

الفصل الخامس

أعماله المبرورة ومساعيه المشكورة

المبحث الأول: سعيه الحثيث في قضاء الحوائج وبذل المعروف.

المبحث الثاني: تلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم وحُسن توجيهه لهم.

المبحث الثالث: عمله الدؤوب في إنشاء المؤسسات الإسلامية والصروح العلمية.

الفصل الخامس

أعماله المبرورة ومساعيه المشكورة

المبحث الأول

سعيه الحثيث في قضاء الحوائج وبذل المعروف

إن الفرد المسلم -في أي مجتمع مسلم- لا يستطيع أن يعيش بمنأى عن إخوانه المسلمين، أو أن يكفي نفسه حوائجه دون أن يساعده في تحقيق ذلك غيرُه ولذا حرص الإسلام ورغّب في قضاء حوائج الناس وبذل المعروف لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كُربة، فرَّج الله عنه بها كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم. وفي لفظ عند مسلم «من نفَّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا، نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

إن قضاء حوائج الناس وإقالة عثراتهم، وتفريج كرباتهم خُلُق جميل وسلوك نبيل، وقد تجسد هذا الخُلُق في فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- فقد كان رضي النفس كريماً متواضعاً، يبسط يده بالخير ويبذل نفسه لقضاء حوائج الناس، وكان حريصاً أشد الحرص على أن يكون عمله في ديوان السِّر، وكان يفد إلى بيته كل ليلة طلبة العلم والعلماء والدعاة حتى عامة الناس ممن يبغون الشفاعة في أمر من الأمور، فكان بيته ملتقى الضيوف وذوي الحاجات ومنتدى العلماء وطلبة العلم.

يقول أحد كبار طلبته : إن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي كان يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص، ومن ذلك غزارة العلم ورجاحة العقل والزهد في الدنيا ومظاهرها وحب الخير للآخرين وبذل جاهه وماله في ذلك.

ويقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: وكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- متواضعاً زاهداً في متاع الدنيا ومباهجها، لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلاَّ إن دُعي، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

وكان يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له.

وبالجملة فإن الشيخ عبد الرزاق كانت له عناية بالغة بأصحاب الحوائج والمعوزين وكان ينفق جزءاً كبيراً من راتبه أوّل كل شهر على طلبة العلم والمعسرين، وكان يُقرض طلبة العلم المال ويمدهم بالكتب، وغيرها مما تسخو به نفسه.

يذكر أحد معاصريه: أن الشيخ استأجر داراً بالأسكندرية وأسكن معه عدداً من طلبة العلم مدة من الزمن دون أن يتقاضى منهم شيئاً.

المبحث الثاني

وفاؤه لزملائه وتلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- يعرف للناس أقدارهم، وينزلهم منازلهم اللائقة بهم، ولاسّيما إن كانوا غرباء، وكان في وفائه لزملائه وتلطفه بتلاميذه محل القدوة، يُجل كبيرهم، ويتودد إلى صغيرهم. وعن وفاء الشيخ لزملائه، وحُسن معاملته له يتحدث فضيلة الشيخ يوسف الضبع، وهو من أقران الشيخ وزملائه قائلاً:

وفي خلال قرابة خمسين عاماً كان لي معه -رحمه الله- أخوة في الله لم تزدها الأيام إلا قوة، ولقد لمست فيه الصلاح والتقى والورع والتواضع وإنكار الذات والنبوغ في العلوم الدينية والعربية واللغوية، كما كان وفيّاً لإخوانه وبنيه وما أكثرهم في مصر وفي السعودية، حيث كان حلقة الاتصال والرائد الموفق في تذليل العقبات لمن تزل قدمه بعد ثبوتها من غير مَنّ ولا أذى، وله أياد بيض على عديد ممن يعملون الآن في حقول التعليم وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومنهم من ناله بسعيه المشكور خيرٌ كثير، وكان -رحمه الله- طويل الباع، واسع الاطلاع، راسخ القدم، عميق التفكير، دقيق التصوير، قوي الحجة. ناصع البرهان، أشبه ما يكون بالإمامين الجليلين الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ عبد المجيد سليم شيخي الأزهر السابقين -رحمهما الله[1].

---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

ويؤكد هذا كلَّه فضيلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنَّا قائلاً:

عرفتُ شيخنا عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - في عام ١٩٣٧م، ورافقته وتجوَّلتُ معه للدعوة إلى الله، وسافرت معه إلى بعض مُدن وقرى القاهرة، فكان نِعم المربِّ وخيرَ الرفيق، حُسن توجيه مع دماثة خلق، وسعة اطلاع، وغزارة علم، يجادل بالتي هي أحسن، ويحلم على من يجهل عليه.

كنت بالقاهرة وكان هو بالأسكندرية، فإذا شرَّف القاهرة لازمته في زياراته إلى فروع الجماعة «أنصار السنة» كما كنت أزوره بصحبة الأستاذ محمد صادق عرفوس -رحمه الله- فيحتفي بنا ويكرمنا أكرمه الله وأحسن مثوبته وكان منزله -رحمه الله- مثابة للأخوة الوافدين مِن كلِّ فج.

سعدت بصحبته عام ١٣٧٠هـ في طريقه للحج، ومعنا الشيخ محمد علي عبدالرحيم «رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية»- رحمه الله، مع عوائلنا بالباخرة، وكان خير رفيق، فمع تقدُّمه وفضله وكبر سِنِّه، كان كثيراً مايخدمنا، ويؤثرنا على نفسه، ففي الباخرة، كان يختار لنا أحسن الغُرف، وكذلك فعل لما نزلنا مكة وجُدة، في الفنادق يُقدِّمنا وعوائلنا على نفسه وعائلته، أتممنا مناسك الحج، وسافرنا جميعاً إلى الرياض للتدريس بمعهد الرياض العلمي، حيث التقينا مع خير مجموعةٍ عُرفت من أفاضل العلماء منهم: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ عبد الله الخليفي -رحمهم الله- وغيرهم[1].

أما من جهة تلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم فهو بحر لا يدرك غوره،

(١) انظر الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

فقد عُرف عن الشيخ -رحمه الله- لين الجانب وطلاقة الوجه وحُسن الملاطفة، فهو أمام الزوار والتلاميذ والزملاء دائم البشر، يظهر الفرح والسرور والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة دون غضب أو تبرم أو ردٍ شديد للسائل، فجليسه يلقى منه كل المؤازرة والتبسم بحيث لا يمل، كما أنه يكرم من زاره ويقدم ما عنده بدون تكلف، ويجود بما يقدر عليه دون أن يمن بما أعطاه أو يرد من سأله، وهكذا دأبه مع العلماء وطلبة العلم والأصحاب والزملاء وغيرهم.



المبحث الثالث

عمله الدؤوب في إنشاء المؤسسات الإسلامية والصروح العلمية

سبق وأن ذكرت أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- كان له القدح المعلّى في تخلص قريته «شنشور»[1] من البدع والعادات التي نهى عنها الشرع، ويؤكد هذا فضيلة الشيخ عبد الحميد الهلالي من أعيان قرية «شنشور» وعلمائها قائلاً:

لقد كان لدعوة فضيلة الشيخ عبد الرزاق في تلك المجالات لإرساء قواعد الدين الصحيحة الأثر الطيب والحسن على عامة أهالي «شنشور» وخاصتهم وذلك لما له -يرحمه الله- من مكانة بارزة بين أهلها.

لقد ساهم فضيلة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في النهضة الدينية والعلمية التي تشهدها قرية «شنشور» بما لا ينكر أثره بالتعاون مع الشيخ عبد الحميد الهلالي رفيق دراسته.

ولقد كان من أثر هذه المساهمات المادية الكبيرة إنشاء كل من المعهد الديني الابتدائي الأزهري بـ «شنشور» عام (١٤٠٤، ١٤٠٦هـ) والمدرسة الثانوية العامة والمدرسة الثانوية التجارية والتي تم افتتاحها على الترتيب عام (١٤١٤هـ) ثم المعهد الديني الإعدادي الثانوي للفتيات المنشأ

---

(١) وهي القرية التي ولد فيها الشيخ عام (١٣٢٣هـ).

حديثاً وهو تابع أيضاً للأزهر الشريف، وكذلك مدرسة «شروة حسن» الإبتدائية المشتركة.

ثم يأتي بعد ذلك مسك الختام وهو المركز الإسلامي الكبير الذي يتصدر القرية في مدخلها من الجهة القبلية ويضم في جنباته مسجداً واسعاً وداراً للمناسبات ومستوصفاً خيرياً ومكتبة كبيرة ومرافق أخرى عديدة بعضها لايزال تحت الإنشاء والإستكمال.

أما المساجد التي ساهم -رحمه الله- في بنائها وإقامتها فهي: مسجد القطان- مسجد أبو عافية- مسجد التقوى- مسجد الصحابة- مسجد العاشر من رمضان- مسجد الرحمة- مسجد شروة حسن- مسجد عمر بن الخطاب- مسجد فجر الإسلام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المساهمات المادية بعضهاكان من خاصة مال الشيخ والبعض الآخر من المحسنين بواسطته -رحمه الله[1].

قلت: وفي الرسالة التالية برهان واضح ودليل قاطع على صحة ما ذكرته من كثرة اشتغاله -رحمه الله- بالأعمال الجادة التي تعود بالخير والنفع على الإسلام والمسلمين.

(١) انظر الفصل الثامن «رسائل ووثائق».

خطاب نائب رئيس مجلس إدارة
المركز الإسلامي بـ «شنشور»
تحريراً في ١٢/٣/١٤٠٤هـ

فضيلة أستاذنا الشيخ الموقر صاحب السماحة والفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي أبدأ رسالتي بسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته مع وافر تحيات جميع الأهل والمعارف بشنشور أما بعد:

فإنه كان لي شرف قراءة رسالة سيادتكم للأخ الفاضل أستاذنا الحاج عبد الحميد الهلالي والتي جاء فيها نصيحة سيادتكم لنا جميعاً بالبدء في الأعمال التنفيذية لإقامة المركز الإسلامي بشنشور، خاصة وأن بعض المتبرعين يرغبون في الإطمئنان على أموالهم وأنها أي هذه الأموال قد استعملت في الأغراض الخيرية المخصصة لها.

هذا ونظراً لأنني أقع في موقع نائب رئيس جمعية المركز الإسلامي بشنشور،أود هنا أن أعرفكم بالأسباب التي أدت إلى التأخير في التنفيذ، ولعل أهم هذه الأسباب هي الرسوم التنفيذية للمشروع، فلقد تقدم لنا حتى الآن ثلاثة مشروعات وجميعها لا تفي بالغرض المطلوب وأحدها فقط يجمع بين كل الأهداف.. لكن بصورة هستيرية لا نظام فيها ولا جمال، ولقد كنت أنا شخصياً أول من منعوا أخذ التراخيص اللازمة لتنفيذ هذا المسح لأننا يا فضيلة الشيخ نريد أن نقيم صرحاً جميلاً يكون

منبعاً للخير والبركات ومنبراً للهداية ومركز إشعاع للدعوة الإسلامية اليوم وفي المستقبل إن شاء الله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله..

لذا كان التريث لمدة سنة أو سنتين في بدء التنفيذ لا يعد تأخيراً، بمعنى الكلمة بالنسبة للعمر الإفتراضي للمشروع.. ومن الكرم الإلهي أننا وُفِّقنا في الفترة الأخيرة لأحد المكاتب الهندسية المتخصصة في المشروعات الإسلامية تحت إشراف اثنين من أكفأ المهندسين في هذا الشأن، وهما المهندس المعماري نبيل صالح شحاته والمهندس الإنشائي يسري رمضان محروس.. ولهما خبرة عريضة في إتمام مثل هذه المشروعات حيث عملا معاً في قطر بالدوحة بالإدارة الهندسية في رئاسة المحاكم الشرعية والتركات وهي الهيئة المهيمنة على بناء جميع المباني الإسلامية والمساجد الجامعة...الخ.

هذا بالإضافة إلى أن أحدهما هو من أبناء شنشور والمتحمس للمشروع وهو أخي المهندس يسري رمضان محروس.. وقد تبنى مكتبهم الهندسي العمل في هذا الشأن أي تصميم المركز الإسلامي والإشراف الهندسي على تنفيذه من مدة أسبوعين اثنين فقط..

لذا فنحن نستبشر خيراً.. وجميعاً هنا نرى أن الله قد قيض لنا أهل الخير للمساهمة في وضع الخطوط الأولى والخطوات الأولى على طريق تنفيذ هذا الصرح الديني العظيم.

والآن استسمح سيادتكم أن أنوه أن الأموال المتوفرة لدينا الآن قد تكون مناسبة للعمليات المبدئية، مثل عمليات المسح والأساسات والحفر والردم...الخ ولسوف نعطيكم دائماً فكرة عن آخر التطورات طرفنا،

فإنكم مفتاح كل خير وعلى أيديكم فُتحت لنا أبواب تبرعات كثيرة ولنرد الفضل لأهله.

وفقكم الله للخير والهدى.. وجعلكم دائماً وأبداً نوراً نستنير به وعلماً نتعلم منه، ودمتم لنا على طول الطريق.

وفي ختام هذه الرسالة أطمئنكم إلى أن كل تبرع تبرعتم به من أجل إقامة صرح المركز الإسلامي بشنشور سيوضع في موضعه الصحيح، فهذه الأموال التي تتبرعون بها قرشاً وخمسة وعشرة وجنيهاً ومائة وآلاف.. والله إن مسؤوليتنا عن القرش الواحد هي نفس مسؤوليتنا عن الآلاف ولن تبرأ ذمتنا أمام الله ثم أمام الناس إلا إذا استُعملتْ فيما دُفعت له. والحمد لله.. فجميع المسئولين عن المركز الإسلامي من خيرة الناس.. جميعهم لا يبغون مدحاً ولا مديحاً بل خيراً ورحمة من الله.. وجميعهم خيار من خيار والآن استودعكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نائب رئيس مجلس إدارة المركز الإسلامي بشنشور
د. محمود ياسر رمضان



الفصل السادس

ثناء العلماء عليه

الفصل السادس

ثناء العلماء عليه

من الخير للعلم وحملته أن يكتب العلماء عن العالم، والأدباء عن الأديب، ولاشك أنَّ ما كتبه العلماء والأدباء عن هذا العالم الفحل والشيخ الثقة يُمثِّل صُوراً صادقة وتراجم حيَّة لما كان عليه هذا العالم مِن تواضع وتُقى وزهد وصبر وإخلاصٍ وتجرد وصدقٍ وحبٍ لهذه الأمة، وحرصٍ على أن تظل منارة هدىً ومصدر خير وعزٍ للإسلام والمسلمين.

إنه ما من أحدٍ عاصر الشيخ عبد الرزاق وعرفه وجلس إليه واستمع منه، إلا وأثنى عليه، أجمل الثناء بما هو له أهل، بل دون ما هو له أهل..

ولله در من قال:

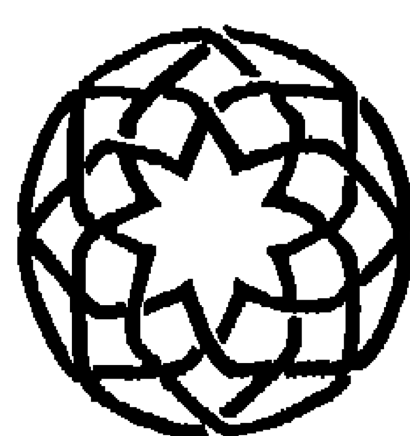
شهادة أهل العلم بالحقّ تُقصد ... ويُرغب فيها للمعاد وتُحمد
وأحرى إذا أدّى الشهادة عالمٌ ... خبيرٌ بمن ضلُّوا خبيرٌ بمن هُدوا

إن ما كُتب عن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يبين عن وفاء عميق، وشعور شريف نحو هذا العالم الذي عاش لدينه وخشي الله بعلمه، وأطاعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وما يستطيع مثلي أن يُحصي ثناء الناس عليه، ولا حصر فضائله

ومحاسنه، وكان ينبغي أن يكتب بكل فضيلة له كتابٌ مستقل، وجميع ما كُتب عنه دون منزلته.

وإليك أخي القارئ باقة من الآراء والأقوال فيه، هي دليل صدق وشاهد عدل على سعة علمه وكثرة محاسنه، وغزارة محامده، ورجاحة عقله وتقدمه وفضله.



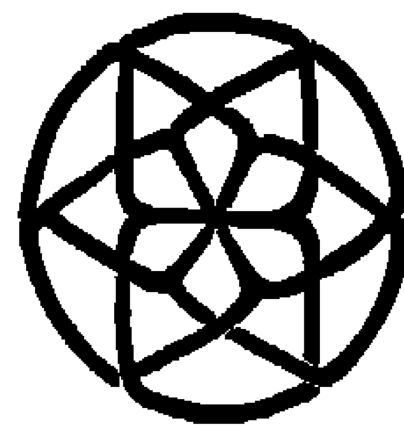
الشيخ عبد الرزاق عفيفي كما عرفته

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أعرف عنه التواضع والعلم الجم والسيرة الحميدة، والعقيدة الطيبة، والحرص العظيم في أداء عمله على خير وجه -رحمه الله.

وكان مثالاً في الجد وفي أداء عمله على الوجه المطلوب، ومثالاً جيداً أيضاً في حُسن السيرة والمخاطبة للجمهور مع سعة الصدر لإجابات السائلين.

فنسأل الله له المغفرة والرحمة ورفع الدرجة وأن يصلح عقبه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصبحه وسلم.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



من الراسخين في العلم
«الشيخ عبد الرزاق عفيفي»

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.. وبعد:

فقد طلب مني الأخ محمد بن أحمد سيد أحمد أن أكتب له ما أعرفه عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله، فأجبته إلى ذلك بأن الشيخ -رحمه الله- كان ذا عقل راجح وبُعد نظر وكثرة صمت إلا إذا كان الكلام خيراً. مع ما حباه الله به من العلم الراسخ وحُسن التعليم وقلة الحشو في كلامه.

قدم عنيزة سنة ١٣٧٠هـ للتدريس في المدرسة الثانوية واجتمع بشيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- فأعجب به.

جلس لتدريس العربية والبلاغة فكنت من تلاميذه وانتفعت به كثيراً في علم الصرف والبلاغة. وشاركته في مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فكان رأيه محل التوفيق والسداد.

أسأل الله تعالى له المثوبة والرضوان وأن يجمعنا به وإخواننا المؤمنين في أعالي الجنان إنه تعالى هو الوهاب المنان.

كتبه محمد الصالح العثيمين
في ٢٣ ربيع الثاني عام ١٤١٧هـ.

فضيلة شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي كما عرفته

هو شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي العالم الأزهري الجليل، كان سلفي العقيدة متمكناً في العلوم الشرعية والعربية، قدم إلى المملكة العربية السعودية مدرساً في المعارف ثم في المعاهد العلمية وكلية الشريعة بالرياض، ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم عمل في دار الإفتاء نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للإفتاء وعضواً في هيئة كبار العلماء واستمر في ذلك إلى أن توفاه الله.

وكان إلى جانب هذه الأعمال الجليلة يشارك في الإشراف ومناقشة الرسائل الجامعية، وكان مرجعاً لطلاب العلم والمستفتين من مختلف الطبقات، ويقوم بالدعوة إلى الله بإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات العلمية والوعظ والخطابة. فقد كان إماماً وخطيباً في أحد الجوامع الكبار في مدينة الرياض مدة طويلة من الزمن. كان متخصصاً في كثير من العلوم خصوصاً علم التفسير والحديث والتوحيد. تخرج عليه أجيال من الطلاب استفادوا من علمه واقتبسوا من سيرته.

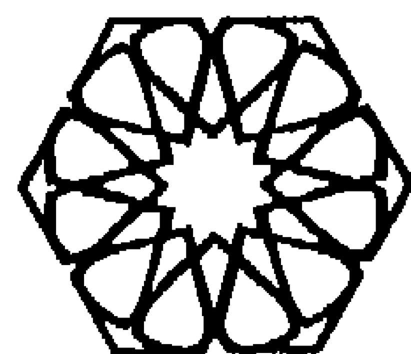
عرفت الشيخ -رحمه الله- معرفة خاصة حيث درست عليه في المعهد العلمي ببريدة وفي كلية الشريعة في الرياض وفي المعهد العالي للقضاء وأخذت عنه في هذه المراحل التفسير والحديث والعقيدة، كما تشرفت بإشرافه على رسالتي في الماجستير والدكتوراة، فكان لي نعم

الموجه الناصح والمعلم المخلص الخبير، استفدت كما استفاد الكثيرون غيري من علمه الغزير وطريقته الفذة في التدريس وإلقاء الدروس والمحاضرات.

كان ذكياً بعيد النظر ذا أناة وروية في الأمور، ولذلك فقد اتخذه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية -رحمه الله- مستشاراً يعتمد عليه حين تأسيس الكلّيات وفي اختيار القضاة و المدرسين والدعاة. وكان لآرائه السديدة أثراً بالغاً وقبولاً طيباً لدى سماحة الشيخ وغيره من المشايخ. كان الشيخ عبد الرزاق - رحم الله - ذا سمة ووقار وعفة وقناعة واستقامة وورع مع تبحر في العلم، وإجادة في أداء العمل، مما يجعله في مصاف الرجال العظماء وكبار العلماء.

رحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

تلميذه صالح بن فوزان



العالم العامل.. فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي «رحمه الله»

فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أحد أعلام هذه الأمة وعلمائها في هذا العقد من الزمان، أحسبه كذلك ولا أُزكي على الله أحداً، فقد كان يعمل بصمت وهدوء وسكينة لخدمة هذا الدين ونشر علومه وإبلاغ دعوة الله عز وجل، والعناية بطلبة العلم وتوجيههم إلى أصول العقيدة الإسلامية الصافية، ويزودهم بالنصائح الثمينة التي تمكنهم من تلقي العلوم الشرعية النافعة من مصادرها الثرة وفق طريقة السلف الصالح في تلقي العلم ونقله للآخرين، وقد ملأ -رحمه الله- فراغاً كبيراً في هذا المجال، وعمل -رحمه الله- باقتدار في جميع المسؤوليات والمهام التي أُنيطت به طوال نصف قرن من الزمان، من خلال عضويته في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء باعتباره نائباً لرئيسها، وفي هذه الميادين العلمية والدعوية كان الشيخ عبد الرزاق يتمتع بمزايا فريدة لا تكاد تتوافر إلا في القليل من الرجال الذين وهبهم الله ذكاءً وفطنةً وجلداً وإخلاصاً.

لقد عرفت الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- عن قرب، فعرفت فيه الورع والزهد والبلاء الحسن في العمل، وإفادة الناس، وإرشادهم إلى ما فيه عزهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

كـان -رحمه الله- مـثـالاً في عـلـمـه وأدبـه وأخـلاقـه، وقـدوة في تصرفاته،كان مجاهداً ربانياً، قضى حياته في العلم والتعليم والتربية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يكره الإثارة، حريصاً على التآلف والتئام الصف واجتماع الكلمة، وتوحيد القصد والهدف، ولاشك أن هذه الأمور من أنبل المقاصد وأعظم الغايات.

لقد أُوتي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- عقلية جبارة مكّنته من التكييف الفقهي للمسائل والنوازل، واستخراج الأحكام من النصوص، وتطبيقها على مستجدات الواقع. وكانت له إسهامات مشكورة في المجامع الفقهية والمؤسسات الدعوية. وكان على صلة طيبة بالعلماء والدعاة وولاة الأمر، وكان ناصحاً أميناً رفيقاً صادقاً في نصحه، لا يخشى في الله لومة لائم، يعرف للناس قدرهم، ويُنزلهم منازلهم اللائقة بهم.

وكان الشيخ -رحمه الله- على صلة قوية بجدي الشيخ محمد نصيف، وكان جدي -رحمه الله- يعرف له حقه وقدره، وكان بينهما مراسلات ومكاتبات لها صلة وثيقة بالمطبوعات ونشر الكتب وتحقيق التراث، علماً بأن الشيخ عبد الرزاق كان مقلاً في التأليف، ولكنه كان حريصاً على نشر وتحقيق كل ما يعود بالنفع على المسلمين في العاجل والآجل.

ومن أهم المؤلفات والكتب التي اعتنى بها الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- وعلّق عليها كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، و«العقيدة الواسطية»، و«مذكرة في التوحيد» وهي من إملاءاته.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

عبد الله عمر نصيف

كلمة عزاء ورثاء بقلم:

فضيلة الدكتور الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الرئيس العام السابق لرئاسة تعليم البنات

بالمملكة العربية السعودية

في فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

كان -رحمه الله- عَلَماً من علماء الإفتاء، وإماماً من أئمة الدعوة والإرشاد، ورائدًا من رواد العلم وحملة القرآن الكريم، وداعياً من دعاة الشريعة والحق والخير، قضى حياته راضياً مطمئناً من النفع ونشر العلم، مورداً عذباً للظامئين من طلبة العلم، ومعيناً لا ينضب بعلمه الغزير، وسلوكه القويم، ونبراساً للأجيال القادمة.

إنه المغفور له إن شاء الله فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الذي درس العلم من منابعه حتى نال الشهادة العالمية من الأزهر، وتدرج في سلك التدريس بدءاً بدار التوحيد بالطائف، ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض قبل أن يُعين -رحمه الله- مديراً للمعهد العالي للقضاء.

وقد عرفته -رحمه الله- عن قرب، حيث حضرت كثيرًا من مجالسه العلمية برفقة والدي -رحمه الله- الشيخ عبد الله بن دهيش، فقد كانت بينهما زمالة ومعرفة، وحب للعلم ونشره، كما كان والدي كثير الثناء عليه، مشيداً بعلمه الغزير.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة واسعة، وأرجو الله أن يجعله من العلماء المخلصين المقبولين، وأن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

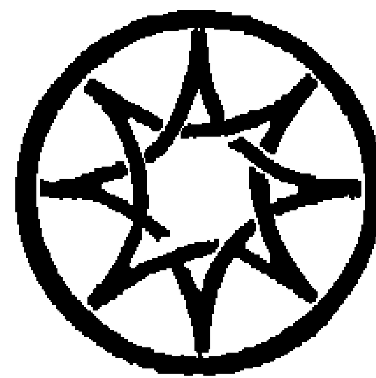
إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الرئيس العام لتعليم البنات

بالمملكة العربية السعودية سابقاً



إنما كان إماماً[1]

بقلم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

لا أزال أذكر احتجاج الإمام أبي محمد بن حزم في رسالته الميزان التي فاضل بها بين الأندلس والقيروان، وقد أوردها المقّري كاملة في «نفح الطيب» وعَنْوَنَ لها بالوصف لا بالاسم على أنها في فضل أهل الأندلس ثم طبعها الدكتور المنجد عن هذا الأصل بهذا العنوان في رسالةٍ مستقلة، وقد احتج في هذا الفصل على أن من كان من غير أهل الأندلس وقد عاش فيها ومات بها فهم (أي الأندلسيون) أولى به، وهو معدود من مفاخرهم ما دام من الأعلام الثقافية والعلمية.

ومن كان أصلاً من أهل الأندلس ثم استبدلها بدار أخرى فعاش فيها ومات عندهم فهم أولى به.

قال أبو عبد الرحمن: وعلى هذا القانون تفخر سعوديتنا بعلامتها الإمام سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ولقّاه ربه الروح والريحان والرضوان وأدخله فسيح جناته، فقد اختار الرياض بلده ومثواه في النصف الأخير من عمره المبارك: وهو النصف الناضج المليئ بالعلم والعطاء.

---

(١) جريدة الجزيرة، السبت ١٢ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ١٧ سبتمبر ١٩٩٤م.

ولم يأت عبد الرزاق إلى المملكة ليكون سلفياً ولا ليكون موظفاً.. بل كان منهجه العلمي في الرياض هو منهجه العلمي بمصر قبل أن يدور بخلده أنه يأتي للسعودية، بل عندما كانت مصر أكثر خيراً وقبل أن تتدفق عندنا ينابيع الذهب الأسود.

كان نشر «العلّو للعلي الغفار» للحافظ الذهبي -من كتب السلف- من أوائل تحقيقاته المطبوعة القليلة، وذلك عندما كان بمصر بشبين الكوم، وكان زملاؤه من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحيري، ومحمد بن راشد وابن يابس، يقصون أخباره وهو بمصر يُخرِّج التلاميذ أكثر مما يخرج الكتب، فذكروا عنه علماً وعقلاً وعفة وسلفية.

ووصلت أخباره لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم فحرص على استقدامه.

وكانت السعودية مقر السلفية وناشرة علم ابن تيمية، وزينتها الحَرَمان الشريفان فرغب الشيخ عبد الرزاق في السعودية لهذه الأشياء لأنه سلفي بعقله ووجدانه.

وجاء إلى السعودية على علمه وسجيته لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب، وعلم الله نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي، وهو لم يطلبها فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق تتلمذ عليه أبناء ما بين السبعين إلى الثلاثين، ولا يزال تلامذته مربِّين للأجيال أهل منابر وحلقات وتدريس وتأليف.

والبرهان على أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما التمس سبيلاً لازدياد كسب مادي غير رُويتبه تلقاء عمله الوظيفي الذي كرس له كل وقته.

وما أكثر سُبل الكسب المادي لو أرادها.

وبَعُدَ عن الإعلام والإعلاميين بُعداً لا هوادة فيه، وما عُرِفتْ من عبد الرزاق حياةٌ قط غير حياته بين طلابه في الصف، أو بين مريديه في بيته يقرأون عليه ويسألونه، أو في صميم عمله الوظيفي لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يذاكره في العلم ويستفتيه في واقع الطلبة الذين يرشحون للقضاء والمناصب القيادية وكان رحمه الله عمدة في ترشيح الخريجين وتزكيتهم.

ولما أُحيل للتقاعد مرّت سنين لم يراجع لاستلام استحقاقه لأنه وقِلّة من المشايخ خارج المملكة عن التقاعد من دون أن يكتب فتوى في ذلك، وإنما حمل نفسه على الأشد لأن كثيرين من السلف يتورعون عن بعض المباح، وباب الزهد واسع عند الأسلاف.

وأبى الملك فيصل رحمه الله إحالة أمثال عبد الرزاق إلى التقاعد وأوصى بأن يظل منبعاً ثرّاً مدى حياته.

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر تعلقاً به لما جرّبه من غزير علمه ورجاحة عقله وعفته وتورعه، فلم يأذن له بالاستراحة وقد أناف على التسعين واحتنكته أمراض عديدة، فالتزم الشيخ عبد الرزاق جانب الحسبة ما دامت قوته العقلية لم تضعف، فكان يذهب إلى مكتبه يُدف على العجل.

ومع أنه اكتفى برويتبه وبقي في فليلة بحارة شعبية لا تليق بأصغر تلامذته، فإنه لم يدخر من هذا الرويتب شيئاً، فقد كان يوزعه على أسر فقيرة في مصر، وكانت له صدقات في رمضان سخية على بعض المستحقين بالمملكة، وعندما كنت بمعهد القضاء العالي كان هناك

مكافآت للطلاب المغتربين تتأخر عليهم فكان يقرضهم وكان يتنازل عن حقه لدى هذا ويأخذ بعض حقه من ذاك.

وكان العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فرسي رهان ويظل لكل واحد منهما ميزته.

وقد جربتُ دروسه في التفسير والأصول والعقيدة وسبرتُ شيئاً من علمه بالعقليات في نقاش شفهي إلاّ أنني عندما جئت إلى معهد القضاء العالي وكان مديرَه وكان مدرساً فيه، وكنت من قدماء من التحق بالمعهد وبالعكس كنت من أواخر المتخرجين منه.

وقد زاملت في هذا المعهد مَنْ هو في دور مشايخي وما دام التغابن في العلم من باب التنافس المحمود فما غبنني إلا جبهات وكتل من العقل البشري جاءت إلى المعهد بعدي وتخرجت قبلي بسنين منهم مَنْ كان أول ممتازاً منذ بدأ إلى أن انتهى مثل أصحاب المعالي الدكاترة: عبد الله التركي وحمود الفايز وعبد العزيز الربيعة.

جئت إلى المعهد وكان الشيخ عبد الرزاق يكن لي ذكريات حب وإعجاب كما يفرح الأب بابنه النجيب إلا أنه وجدني على غير عهده، إذ وجد شيئاً من الأناقة في الملبس والمظهر مع توسع الأدباء والظرفاء فلم يغسل يده مني لأنه يحس عندي عناصر من التأصيل الشرعي، ولم يفرح بي كما يفرح بنجباء تلامذته الذين لا يزالون على سمتهم.

وقد فضحتني الصحافة أو فضحتُ نفسي بها بشيء من الترطيب الفني، حتى أنني لم أبال بمشايخي في مقدمتي لكتيِّبي «نظرات لاهية»، وكان إذا رآني وأحس بأن الساحة خلية من سامع رمى كُليمة من مثل قوله: «يا أبا عبد الرحمن لا تسقط من الزنبيل».

كأنه يريد أننا نريد رفعتك وأنت تأبى إلاَّ أن تتدلى.

وعندما كنت طالباً في المعهد كنت أحمل شيئاً من الصلف الأدبي والصحفي أمام جهابذة العلم، وأحضر فصول الدراسة للاعتداد بنفسي أكثر من الاستفادة من مشايخي.

وقد نُغِّصتُ على مشايخ لي من أمثال البحيري والدسوقي إلاَّ أن الشيخ عبد الرزاق لا يترك مجالاً لفضولي لأنه يأسرني فكراً ووجداناً ولغة إذا تحدث فأصغي للدرس وأستفيد على الرغم مني.

ومن سخافاتي أنني أُحضِّر للآية التي سيفسرها من أكثر من تفسير لأستدرك عليه شيئاً فاته، فإذا شرع بدرسه تبخر كل شيء في جعبتي لأنه يتناول الموضوع تناول خاصة من العلماء جمعوا بين الحفظ والذكر.

فكانت مادته دسمة، وكان قديراً على التوصيل لأنه كان جذاباً ومغرياً.

وما سمعت منه قط كلمة مؤذية ولكنه كان يفرض هيبته واحترام الطلاب له تلقائياً بشكل عجيب.

وانتهيت من المعهد بدرجة مقبول، وكانت هذه الدرجة إنقاذاً منه لي، وقد صرَّح أمام لجنة المناقشة أن انتشالي تقديراً لي وليس لبحثي.

إذن لم أنل من عبد الرزاق شهادة علمية وإنما فزت منه بمنهج تربوي تعليمي كريم، فعندما تأزمت لشيخي البحيري رحمه الله وتولى الإشراف عليّ فترة قليلة ريثما أعادني إلى مشرفي الأول تخلقت منه بخلق علمي فكنت ألخص أقوال بعض العلماء بفهمي وأسلوبي فيطالبني بالتنصيص ثم يستعيد النص مني مراراً حتى يبيِّن لي أن ما فهمته ولخصته كان فهماً خاطئاً.

وأحياناً أنقل نقلاً عن عالم ثم أحيل أقوال آخرين ظننت أن مذهبهم كان واحداً فيطالبني بالتنصيص ثم يظهر لي فروقاً دقيقة يتضح منها أن المذهب ليس واحداً.

وإنني لأعجب من استحضاره ذلك وقد فاجأته بالبحث مفاجأة: فنهجت في حياتي العلمية بعد ذلك أن أقرأ النص جيداً، وأن أنقله تنصيصاً فإن اضطررت إلى تلخيصه وعرضه بغير لغة مؤلفه أدمنت قراءته حتى أتأكد من فهمي له فهماً يطابق مراد كاتبه.

وكان رحمه الله منصفاً في جدله العلمي يفرِّق بين صحة الدعوى في ذاتها أو فسادها وبين صحة أو فساد البرهان المستدل به على الدعوى، ويرى أن فساد حجة ما لا يعني فساد المدعى، ولهذا تراه يناقشك في أدلتك أو اعتراضاتك ثم يهلهلها مع أنه يوافقك في المدعى.

وتكوينه العلمي يعلِّم طلابه الحرية الفكرية، ولهذا فهو يرى النقاش في الدرس والأطروحات وسيلة للاستقلال الفكري بأن يكون الطالب قادراً على الاحتجاج والاعتراض.. أما صحة المذهب في ذاته فأمر مردود لاجتهاد طالب العلم خارج أسوار المعهد وفق ما لديه من حصيلة علمية وفطرية فكرية ونزاهة خلقية.

والشيخ له باع في المنطق والعقليات وعلم الكلام، وعلى عِلْم وخبرة بمواقع الضعف في كتب العقيدة التي تدرس خارج المملكة على أسلوب المتكلمين كالسنوسية.

بل كان الشيخ ذا عناية بالسلفية قبل أن يصل إلى السعودية إلاّ أن سماحته لا يتظاهر بعلمه، ولكنه إذا سُئل، أو ناقش أو طُلِبَ منه الدليل والتأصيل كانت فتواه عن عِلْم مؤصل لا يملكه إلاّ خاصة من

الأسلاف جمعوا بين المعقول والمنقول حديثاً وتفسيراً وأصولاً ولغة ومنطقاً.

وتعليقاته القليلة على بعض الكتب مثل الكتاب الفحل: «إحكام الأحكام» للآمدي في الأصول كانت قليلة، وكانت لمحة عالم.

والشيخ في جبلته يؤمن بتخريج الطلاب وتسهيل العلم الذي ورثناه عن الأسلاف دون حاجة إلى مزيد من التأليف.

ولهذا نفع الله بدروسه وتلاميذه فكانت له في وسطنا العلمي بالسعودية بصمة متميزة تجمع بين المعقول والمنقول.

رحم الله الفقيد وجمعنا به في دار كرامته....



السيرة الذاتية للشيخ عبد الرزاق عفيفي[1]

بقلم فضيلة الشيخ مناع بن خليل قطان

استمع إلى الشيخ مناع بن خليل القطان رفيق الشيخ عفيفي في دربه الطويل أحد تلامذته وابن قريته، وأحد أقرب الناس إليه، وهو يتحدَّث عن سيرة الشيخ قائلاً: في قرية هادئة متواضعة تترابط أُسَرها، وتمتزج في كيان واحد، وتتنسم عبير الإخاء والود في مجتمع ريفي صغير هي قرية (شنشور) إحدى قرى محافظة المنوفية بمصر في هذه القرية كانت ولادة الفقيد سنة ١٣٢٣هـ وكانت النشأة التي تغمرها العاطفة الدينية، فتحرك مشاعر الإيمان وتجعل من الدعوة إلى الله سياجاً حصيناً، وأصبح عبدالرزاق عفيفي بين أقرانه الفتى الموهوب في حفظه للقرآن الكريم وإقباله على العلم.

التحق رحمه الله بالأزهر وأنهى الدراسة العليا في التخصص بالفقه وأصوله والعالمية وهي الشهادة التي تُسمَّى في الإصطلاح العصري (بالدكتوراه) ودرَّس في الأزهر بمعهد شبين الكوم، ثم معهد الإسكندرية.

وفي رحلته العلمية، كانت عنايته الفائقة بتربية تلاميذه على العقيدة السلفية، ونبذ البدع والخرافات والأخذ بيدهم إلى هذي الكتاب والسنة

---

(١) انظر جريدة «المسلمون» الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

وسلف هذه الأمة، فاحتضن نخبة متميزة وتعهدها منذ الطفولة بالرعاية، واصطحبها معه حتى نمت وشبّت عن الطوق ونهجت نهجه، ولعلّني كنت على رأس هذه النخبة وأحبُّ تلاميذه إليه ولا أزكي على الله أحداً وأخذ يجول في البلاد المتعددة لأداء رسالته وحيث كانت معظم المساجد لا تخلو من البدع، ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة، فقد ركّز -غفر الله له- على الجوانب العقدية والعودة إلى منابع أصولها الصافية، والتمسك بالسُّنة الصحيحة، وما كان عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لها بالخير، وإذا تعذّر عليه التغيير، سعى إلى إقامة مسجدٍ خاص يقوم عليه مَنْ هداهم الله ويتخذون منه منطلقاً للدعوة، وله في هذا مواقف شتى.

ومن القرية التي تعهّدني بها منذ الطفولة انتقلت معه طالباً في معهد شبين الكوم الدِّيني، أتلقّى من فيض علمه على مقعد الدرس وأزوره في بيته فيختار ما يشاء من الكتب لأقرأ عليه بعض الموضوعات التي يريدها، ويقف عند كل فقرة شارحاً ومبيّناً.

تولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية في فترة إقامته بالإسكندرية، ثم اختير رئيساً عاماً للجماعة في فترة لاحقة ولم يكن يتعصب لجماعة بعينها.

وفي القرية الآنفة الذكر (شنشور) وفي قرى ومُدنٍ أخرى، كانت الجماعات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة تعمل متعاونة كأنّها جماعة واحدة بتوفيق الله تعالى وما كان لتوجيه هذا العالم المفضال من أثر.

انتقل الشيخ من مصر سنة (١٣٦٨هـ) للعمل بالمعارف السعودية فدرّس في عنيزة وفي دار التوحيد بالطائف، وهي نواة التعليم الديني في المملكة العربية السعودية.

وحين عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -يرحمه الله- إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بإنشاء الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية سنة (١٣٧١هـ) وقع اختيار سماحته على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليسهم في ذلك بما عُرف عنه مِن عِلْمٍ وثاقبِ رأي وقرّبه إليه وجعله موضع مشورته.

وما لبث الأمر طويلاً حتى طُلبتُ بأمر خاص أنا والأستاذ الهراس سنة (١٣٧٣هـ) للتدريس في هذه المؤسسة العلمية التي بارك الله فيها، وآتت أكلها الطيب -ولا تزال بحمد الله- باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وعندما توفَّرت الدواعي لإنشاء دراسات عليا ورفع مستوى القضاء أُنشئ المعهد العالي للقضاء سنة (١٣٨٥هـ) وتولى الفقيد غفر -الله له- إدارة المعهد، ووضع مع لجنةٍ متخصصة مناهجه، وقام بالتدريس فيه، وأشرف على رسائل طُلابه.

وفي سنة ١٣٩١هـ انتقل إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وصار عضواً في هيئة كبار العلماء ونائباً لسماحة والدنا وشيخنا عبدالعزيز بن باز في رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وكان -رحمه الله- عضواً في اللجنة التي وضعت مناهج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كما كنتُ عضواً فيها وسهرنا سوياً الليالي المتتابعة لإنجاز هذا العمل.

أشرف وشارك في مناقشة عدد كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وتخرج على يديه أجيال من طلبة العلم الذين يُكنون له

التقدير والاحترام، ويعترفون بماله من تفوق في الحياة العلمية.

تميَّز الفقيد بتأصيل المسائل العلمية وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها، والترجيح السديد بين الأراء المعتمدة، ولم يكن يميل إلى تأليف الكتب مع غزارة علمه وسعة اطلاعه، ويُفضِّل العلم تدريساً وبحثاً، وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء كثيراً من الأبحاث التي يرجع إليها طلبة العلم وينهلون من معينها العذب.

له مِن المؤلفات: «مذكرة في التوحيد»، وتحقيق وتعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، وتعليق على الجزء المقرر في «التفسير من الجلالين» لطلاب المعاهد العلمية. وقد عاش الفقيد متقشفاً زاهداً بعيداً عن المظاهر العامة بمنأى عن أضواء وسائل الإعلام.

بقي أن نضيف أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي بقي عضواً في هيئة كبار العلماء حتى أُعفي لحالته الصحية التي فرضها كِبَرُ سِنِّه نحو عامين، أما اللجنة الدائمة للإفتاء فلم يزل يشارك فيها ونائباً لرئيسها حتى وفاته يرحمه الله، بل لقد كان يباشر عمله مفتياً ومُجيباً عن مسائل العامة وطلبه العلم في مكتبه بإدارة البحوث العلمية والإفتاء، مدفوعاً بالعَربة لصعوبة المشي عليه.

وكتبه
مناع بن خليل القطّان

ذكريات عن الشيخ العفيفي[1]

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الشيخ عبدالرزاق عفيفي عطية من علماء الأزهر الشريف قديماً أدرك الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا ونحوهما، وكانت دراسته في العلوم الشرعية كالحديث واللغة والتفسير والأحكام، حتى تفوّق على زملائه وبعض مشايخه، كان من زملائه الشيخ عبدالله بن يابس الذي أصله من بلاد القويعية، وقد كان بينهما من المحبة والصحبة وقوة الإخوة ما لا يوجد مثله إلا نادراً وكان زواجهما متقارباً في مصر من زوجتين صالحتين كالأختين، وقد استضاف الشيخ عبدالله عند مجيئه إلى مصر لأول مرة واستزاره الشيخ عبدالله إلى بلاده ونال هناك حفاوة وإكراماً من قبيلة الشيخ عبدالله، ولم يزالوا يودون الشيخ عبدالرزاق ويتصلون به حتى تُوفي رحمه الله وأما زملاؤه المصريون كثير.

قدم إلى المملكة قبل عام ١٣٧٠هـ ودرّس في الطائف في دار التوحيد وقدم بعد ذلك إلى الرياض واستقر بها.

أما علِمْه فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التي يتناولها بالبحث والشرح، فلقد عرفته لأوّل مرة عام ١٣٧٤هـ وكان يزور بعض

---

(١) انظر مجلة الدعوة العدد ١٤٦١ ـ الخميس غرة جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

المشايخ، كالشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري ونقرأ عليه في المجلس حديثاً من أوَّل صحيح البخاري فيشرحه شرحاً موسعاً بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة، وعرفته في أحد الأعوام يُفسِّر سورة سبأ في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- فكان يبقى في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر ويستنبط من الآيات فوائد وأحكاماً وأقوالاً وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن وما فيه من الاحتمالات والفوائد، مما يدل على توسع الشيخ وسعة اطلاعه وكثرة معلوماته.

أما أخلاقه فقد عُرف منه لين الجانب، وطلاقة الوجه، وحسن الملاطفة، فهو أمام الزوار والتلاميذ والزملاء دائماً يُظهر الفرح والسرور والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة بدون غضب أو ملل أو تبرم أو ردٍ شديد للسائل، فجليسه يلقى منه كل المؤانسة والتبسم بحيث لايمل جليسه، ولايزال يتلقى عنه أنواعاً من الفوائد ولطائف المعارف وغرائب المسائل، كما أنَّه يُكرم مَنْ زاره ويُقدِّم ماحضر بدون تكلف، ويجود بما يقدر عليه دون أن يمن بما أعطاه أو يرد مَن سأله، وهكذا دأبه مع العلماء وطلبة العلم، والأصحاب والزملاء الأقدمين، فهو جواد كريم بما اعتاده، ومجيب لمن دعاه بدون تكلّف أو تشدد.

أما تدريسه فقد أفنى حياته في وظيفة التدريس في مصر ثم في المملكة في دار التوحيد بالطائف، ثم في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية بالرياض، ثم في معهد القضاء العالي مديراً ومدرساً حتى أحيل للتقاعد، ثم عمل متعاقداً في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بقية حياته حتى وافاه الأجل وهو على رأس العمل في هذه الرئاسة، وقد تتلمذ عليه أكابر العلماء في هذه المملكة واعترفوا بفضل علمه وافتخروا بالانتماء إلى تعليمه في أغلب المراحل،

كما انتفع الكثير بالفوائد التي تلقَّوها عنه في دروسه في المسجد وغيره.

أما التأليف فلم يكن يرغب فيه ولا يُحب الكتابة في أي فن من الفنون بل يرى أن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها فيكتفي بما كتبه وجمعه العلماء السابقون حيث أنّهم تطرَّقوا إلى كلِّ فن، وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح فمن جاء بعدهم لايستطيع أن يضيف إلى علومهم زيادة، ولقد ضرب مثلاً بإحضار مجموعة من التفاسير وقارن بينها فأظهر أن الآخر عيال على الأول، وأنَّ المتأخرين إنما توسَّعوا في الكلام بما لا فائدة فيه وكان ينهى عن الانشغال بكتب المعاصرين التي كتبوها في الأصول أو التفسير أو الأدب والفقه ونحو ذلك، حيث أنَّهم لا يزيدون على مَن سبقهم، ومع ذلك فقد أشرف على رسالتي في أخبار الآحاد التي قدَّمتُها لنيل درجة الماجستير، وعلى رسالة الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، وغيرهما وكان يولي التلميذ توجيهات ودلالة على المواضيع وأماكن البحث ونحو ذلك، مما يدلُّ على قدرته على الكتابة لو أراد ذلك فهو من حملة العلوم المتعددة، وأي فن يتطرق إليه يوسعه بحثاً، فرحمه الله وأكرم مثواه وصلّى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلم.



الشيخ عبد الرزاق عفيفي العالم والمربي والمفتي[1]

بقلم: عثمان الصالح

العلماء أنوار للعقول.. والعلماء هم المصلحون الذين بهم يصلح المجتمع بتوجيههم وإرشادهم.. والعلماء بهم يسعد الناس ويهتدي بهم الضال... ولهذا سار علماؤنا المصلحون الذين كانوا للدين ناشرين.. وللجاهلين هادين. وقد عرفت الكثيرين حسب ما مر عليَّ من سنين، منهم العالم المدرس الذي به اعتدلت الأفكار وصلحت المفاهيم. ومنهم العالم الذي له مقوماته العلمية والأدبية والأخلاقية. وممن عرفت فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي.. المربي والمدرس والعالم والمفتي والذي أمضى حياته الغالية في هذه البلاد مدرساً وعالماً ومفتياً، وكان أول ماعرفته حينما تعين سماحة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع مديراً للمعارف وتأسست كثير من المدارس وأصبح ينتقي للمدارس أساتذة فضلاء من سائر البلاد العربية ليسير بالمدارس إلى المستوى الأسمى والأمثل على يدي مدرسين في المدارس التسع التي تأسست أول ما تأسست في عام ١٣٥٦هـ وكان ممن انتدبه- الشيخ عبدالرزاق عفيفي مدرساً في أول مدرسة في عنيزة، ولما كانت المواصلات في ذلك الحين ليست على

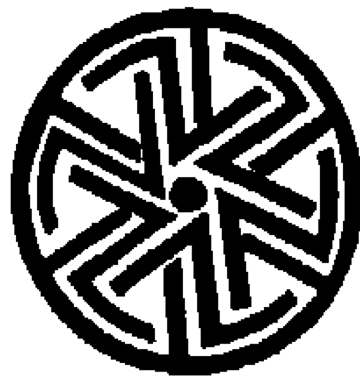
---

(١) تم الحصول على هذه الكلمة الضافية بعد لقائي بفضيلة الشيخ عثمان الصالح في دارة الأستاذ الأديب عبد المقصود خوجة، وقد تفضل الشيخ عثمان الصالح بإرسال هذه الكلمة بطريق الفاكس.

المستوى المطلوب والمدن تخلو من المواصلات الداخلية على الوجه المطلوب لنشأة الدولة في أول أمرها ونهضتها وليس فيها فنادق والأمكنة ينزل فيها المارون من وإلى الرياض وغيرها وكنت يومها عند ولي العهد الملك سعود (فيما بعد) في حدود الـ ١٣٦٢هـ حسب التقدير. وقد أبرق إليّ فضيلة الشيخ المانع مدير المعارف برقية هذا نصها: سيصل إليك الشيخ عبدالرزاق عفيفي المدرس في عنيزة آمل أن تلاحظه في سكنه بالرياض وأن تتولى ترحيله إلى عنيزة فاستقبلته وأسكنته عندي في منزلي وحجزت له مع السيارات التي تسافر إلى عنيزة وأركبته مع أناس أثق فيهم يقدرون طالب العلم، وأبرقت لأخي وأستاذي (صالح الناصر الصالح) رجل التعليم والتربية بذلك ومرت الأيام سراعا.. وزرته في عنيزة في منزله.. والحقيقة أن مثل هذا الرجل جدير بأن يكون في مثل ما هو فيه من فضل وعلم وخبرة وعمق في العلم.. ثم دارت الأيام.. ومر الرياض أيضاً وكنت معه في حله وترحاله.. ثم صار في مدينة الرياض معلماً في أرقى مدارسها ومعاهدها وكلياتها وأصبح إماماً في مسجد الجامع حي -الخزان- إماماً وخطيباً فكان في وعظه بعد الصلاة وأحاديثه قبيل صلاة العشاء الأخير ثم أحاديثه بعد العصر مقتدى لكل الحي يفد إليه الغريب والبعيد من الأحياء من محلات بعيدة للاستفادة من بحر علمه الوافر وإرشاده المحبوب في الفقه والعبادة وجميع أركان الإسلام.. وكنت على صلة به يزورني في بيتي ويجلس مفيداً ومعلماً وكأنه في مدرسة في كل مكان يمر به أو يبقى فيه ثم التحق بالإفتاء ورأى فيه سماحة الوالد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مفتي الديار السعودية والشيخ عبدالعزيز بن باز مكانته العلمية فكان أحد علماء مجلس الفتوى في الرياض،وكنا أيضاً على صلة به فكان رحمه الله العالم

المطلع الذي يحدث الناس بما يهمهم ويفيدهم ويصلح أمورهم في دينهم، وكان يتجنب -وهذه من حسناته- كل ما هو فوق مستوى معرفتهم وإدراكهم ويتجنب تعدد الأقوال والآراء البيانية وماهو مختلف فيه، بل يذكر ما هو الأولى والأحسن وهذا ما كان يعمله في جميع أدواره والتي أفنى عمره في هذا البلد، وزرته في المستشفى آخر عمره مرات عديدة والعناية به من الدولة عناية وثيقة، والرعاية له من الدولة متعددة في راحته وخدمته وكان رحمه الله كريماً جواداً لا يبقى من المال باقياً يتبرع بباقي الراتب على الفقراء والمحتاجين حتى أن ما يملكه من عقار تبرع به لطلاب العلم، ولما توفي -رحمه الله- تبعه في جنازته الآلاف من الناس.. الأمراء والعلماء وطلاب العلم.. وكان أحد العظماء من العلماء فلقد ترك أثراً بيناً وذكراً حسناً.. رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

وكتبه
عثمان الصالح



كلمة حق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد وفقني الله وله الفضل والمنّة، أن تتلمذت في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة في الرياض، وذلك في الفترة من عام ١٣٧٢هـ إلى عام ١٣٧٩هـ، على علماء أجلّة، ومشايخ فضلاء، استفدت من علمهم وتوجيههم، فجزاهم الله عنّي وعن غيري من الطلبة خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة على نشرهم العلم، وبذلهم النصح، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وإنّ من هؤلاء العلماء والمشايخ الكرام، فضيلة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته. فقد درست عليه في النحو والحديث والتوحيد والأصول، وكان عالماً واسع الاطلاع، فصيح العبارة، قوي الشكيمة، عزيز النفس، ذا هيبة ووقار، وموضع التقدير والاحترام من طلابه، وما رأيت في المصريين مثله.

ومن جميل علمه لإفهام الطلبة الكتاب المقرر دراسته، أنه يضع أسئلة شاملة مستوعبة لما جاء في الكتاب، فيلزم الطالب نفسه في معرفة الإجابة عليها.

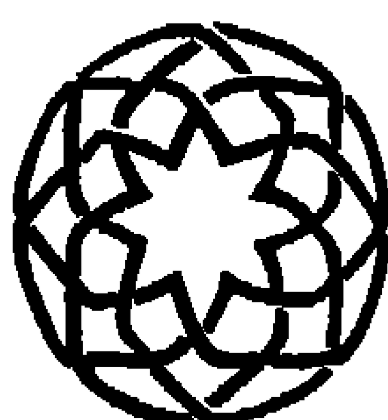
فتكون النتيجة حصر الطالب لفقرات مباحث الكتاب وإحاطته بكل

ما اشتمل عليه، وقد اتبعت هذه الطريقة في تدريس بعض الكتب المقررة، فاستفدت وأفدت.

والحمد لله أولاً وآخراً.

قاله كاتبه

عبد المحسن بن محمد العباد البدر



لمحات من حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي(١)

فضيلة الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم
عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

صفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- صفات العلماء الأفذاذ الذين مضوا وسجَّل التاريخ لهم ما يبقى من المحاسن إلى يوم القيامة، والذين شملهم قول الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**» لأنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، تعليماً وتدويناً.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- جمع العلم والعقل فيا سعادة من جمع العلم والعقل، إذ لا يستغني أحدهما عن الآخر، فالعقل يزن به ما يقول ويفعل ويتأمل في العواقب، والعلم الشرعي يعرف به أحكام التصرفات في الأقوال والأفعال.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي نفع الله به في جميع مستويات الدراسة النظامية منذ أن بدأت النهضة العلمية النظامية في المملكة العربية السعودية، مع أنه شارك في حلق التدريس في مسجد سماحة الشيخ -محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- أول ما قدم إلى الرياض في سنة

(١) انظر مجلة الدعوة، العدد (١٤٦٠) الخميس ٢٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف وعند الملك عبد العزيز غفر الله له وأصلح عَقِبه.

وقد اشتهر الشيخ عبد الرزاق بحبِّه للنفع وبذْله للنصح، فهو المستشار الناصح لكل مَنْ استشاره من مسؤول أو من سائر الأفراد، وكان ثاقب النظر عارفاً بطلابه واتجاهاتهم، من يصلح للقضاء أو للتدريس في حقول التعليم أو في الوظائف الإدارية، وكان حريصاً على تأهيل من يتولون المسئوليات من قضاء وتدريسٍ وأعمالٍ إدارية.

وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- يعتمد رأيه في المناهج وفي الكتب المقررة. ومما أستحضره من نصحه لمّا اقترح من اقتراح اختبار نصف العام، جاءت مشكلة المكفوفين فحل المشكلة بأن يختبروا شفوياً فكأن المكفوفين لم يرغبوا، فما زاد على كلمة واحدة وهي قوله إنه أرفق بكم، فليس كلّ واحد سيجد كاتباً، وبعد خروج النتيجة حصل الرضا فأدرك المكفوفون نصح الشيخ.

ومن نصحه لي شخصياً لما درست السنة الأولى في المعهد العالي للقضاء لم أدخل الاختبار، فغلّظ علّي اللوم، فاعتذرت بعدم المذاكرة فقال لي: ادخل الاختبار وأجب بما عندك، فلم أفعل، ولما بدأت الدراسة في العام الثاني بالمعهد العالي للقضاء أعاد علي النُّصح بمواصلة الدراسة فأبديت الرغبة، فاستشرت الشيخ عبد الرزاق عمن أذاكر معه، وذكرتُ له شخصاً فقال: إعزم على مواصلة الدراسة وأنا أعرف مَنْ يناسبك وتناسبه في المذاكرة، فحقّق ما قال، غفر اللّه له وجزاه اللّه عنّي والإسلام والمسلمين خيراً، وكان نُصحه مع كل أحد ولكنّي ذكرت نموذجاً مما يتصل بي.

تدريسه:

درّسنا الشيخ عبد الرزاق في معهد الرياض العلمي، وفي كلية الشريعة، وفي المعهد العالي للقضاء، في التفسير وفي توحيد العبادة وفي العقيدة وفي الفقه وفي النحو وفي أصول الفقه فما درّس مادة إلا أبدع فيها.

منهجيته:

أما منهجيته فتمتاز بوضوح الكلام وقِلّته، وتكييف المادة، بحيث تصل إلى الأذهان من أوّل وهلة، بديع في تفكيك عبارة المؤلفين باختلاف المواد وإذا استغربنا ما سمعنا من المعاني التي لا نُدركها بمجرد قراءة الكتاب وسألناه من أين هذا؟ قال: هذا من كتابكم لم آت بغريب.

وكانت دراسته في الفقه على مذهب مالك، ويُدرِّسُنا في «المقنع» على مذهب أحمد بكل سهولة، وكان للخلاف في الفقه عندنا روعة واستعظام، حتى سألناه من أين يأتي بهذا الكلام؟ فقال: ما قرأت غير كتابكم وهو «المقنع»، ثم أخذ يشرح لنا فقال: التدريس فهم الكتاب وأهدافه ومنهجيته وأصول مذهبه، وضرب لنا مثلاً في القصاص من السّكران عند قول المؤلِّف: «وفي القصاص من السكران روايتان إذا تعمد السكر، فعند من قال فيه القصاص لاحظ أنه تعمد إزالة عقله، ومن قال إنه ليس فيه قِصاص: ألحقه بمن زال عقله بعذر ومن هنا نشأ الخلاف»، ثم قال- رحمه الله: هكذا كلٌّ خلاف يكون له مأخذان من الأدلة، والتنفيذ يكون حسب ما مشت عليه دراسة الفقه في البلد من المذاهب الفقهية.

منهجه في العقيدة:

كانت عقيدة الشيخ عبد الرزاق في أسماء الله وصفاته وتوحيد العبادة عقيدة السلف الصالح فيفسر «لا إله إلا الله» بلا معبود بحقٍ إلا الله، وهذا التفسير هو الحق، وفي الأسماء والصفات طريقة السلف الصالح، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

وكان كثيراً ما ينبهنا على دقائق ولطائف، ومن ذلك أنَّ أحد مدرسي التفسير أثنى على تفسير الفخر الرازي، وكان عند أحد الكُتبيين في الرياض منه نسختان فسارعت بشراء واحدة وقرأت فيه ثم ذهبت إلى الشيخ عبدالرزاق وأثنيت على ذلك التفسير وقلت له: لكنِّي لم أسمع مشايخنا يذكرونه أو يقرأونه على الناس فقال لي بغضب: ألا تدري لماذا؟ ثم قال :ألا تعرف منهج مشايخك؟ وكنت إذ ذاك لم أسمع لفظة منهج، ثم قال: مشايخك مشايخ عقيدة سلفية، وتفسير الفخر الرازي فيه شوك لا يصلح يُقرأ على العامَّة، لا يصلح للمبتدئين في التعليم، فاستفدت من هذه اللفتة من الشيخ اختلاف المنهجيات وبيان المراد بها.

ويعرف عن الشيخ ما هو أكثر من ذلك، غفر الله له، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

د.صالح بن عبد الرحمن الأطرم

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

من نوادر العلماء(١)

الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

١٣٢٣هـ - ١٤١٥هـ

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر

مولده ونشأته:

يعتبر الشيخ عبدالرزاق من نوادر العلماء في كل زمان: سمتاً ووقاراً وإخلاصًا وحباص للبذل من علمه وجاهه وماله.. وقد ولد فضيلة الشيخ -الذي يعتبره أبناؤه ومحبوه، شيخ الشيوخ، ومدرس القضاة والعلماء بالمملكة، لما يقرب من نصف قرن- في قرية شنشور من محافظة المنوفية، شمال القاهرة بمصر، عام ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م، واسمه بالكامل: عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي.

تربى في كنف والده، ثم انتظم في سلك التعليم، بعدما نمى عوده، وتفتحت مواهبه، فآل به طموحه وشدة رغبته إلى الأزهر، لينهل من العلم، وليزيد حصيلته بالسؤال والقراءة، حيث كان يركز في طلابه هذا الأسلوب، باعتباره من أساليب رسوخ العلم، وزيادة المعرفة وكان من

---

(١) تفضل بإرسال هذه الكلمة إليّ بطريق الفاكس، فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر فجزاه الله خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته.

زملائه الذين أنس بهم، وتوثقت صلته معهم، ما عدا الأخير منهم هم الشيخ عبدالعزيز بن يابس، والشيخ عبدالعزيز بن راشد، والشيخ عبدالله القصيمي، حيث لم تتوطد صلته بالثالث لاختلافهما في المنهج والأسلوب.

كان هؤلاء الثلاثة هم أول بعثة سعودية تنتظم في الأزهر، لطلب العلم، بعد أن درس بعضهم الحديث في الهند، على أعلام أجلاء هناك، اشتهروا برواية الحديث وإجازته.

تحصل الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- على الشهادة العالمية الأولى -الماجستير- وتسمى «العالمية» عام ١٩٥٠م، وبعدها بخمسة أعوام تحصل على درجة التخصص «الدكتوراه».. وكان ذلك في بداية فتح المجال لهذا التقليد العلمي في المؤهلات، إذ كان الأزهر، قبل ذلك يقتصر على المؤهل الجامعي وهو شهادة «العالمية». أي أن الطالب يعتبر بهذا المستوى قد وصل إلى الدرجة التي تخوله لحمل العلم ونشره.

كما كان الشيخ عبدالرزاق، ممن يزهد في الشهادات الدراسية، والتشدق بذكرها، وإنما يراها وسيلة لحمل العلم، وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدى. ولم نسمعه يوماً يتحدث عن المؤهل الذي تحصل عليه.

نشأ الشيخ محباً للعقيدة السلفية، مبغضاً للملل والنحل، التي أفسدت على المسلمين سلامة العقيدة، وصحة العبادة، فكان منهم من يتعصب لشيخه ومريده، ويخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وكان منهم من يتابع أقوالاً استحدثت في الدين، بغير ماأنزل الله، ويترك ما وثّقه العلماء بالدليل، وما تابعه المهتمون بسلامة العقيدة -باعتبار العقيدة هي المحور الذي تدور عليه الأعمال وسلامتها-، وبالجرح والتعديل، والتوثيق والاتفاق.

أدرك الشيخ الخلل الذي يسير عليه جم غفير من الناس في كل مكان، ولاحظ آثاره في بلده، وقصور الأزهر -ذلك الوقت- في تصفية التوحيد من الشوائب، حيث تدرس فيه الفلسفة الإسلامية، ولا تدرس العقيدة، ويدرس المنطق والجدل، ولا يهتم بالرد عليهم وبيان مواطن النقص عندهم. فوقع في يده بخفية كتاب: «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فأعجب به، ووجد فيه ضالته ولكن كتب الشيخ -ذلك الوقت- نادرة في مصر، فصار يبحث عنها، ويخفيها عن زملائه ومدرسيه، لأن الناس هناك حكموا على ابن تيمية وفق آراء خصومه ولم يقرأوا كتبه، فكان هذا بداية لإيجاد أنصار السنة المحمدية بمصر، حيث كان الشيخ عبدالرزاق من المؤسسين لها بعد التشاور مع بعض العلماء الذين صاروا معه في التفكير والاعتقاد.. لتكون باباً للدعوة إلى الله باللسان والقلم.

لقد كان مما حفظته عنه -رحمه الله- ويكرره دائماً عندما كنت أواصل الدراسة في الأزهر: كيف ترى حال الناس هناك في أمور الدين؟. فأقول الأمور تبشر بخير، إن شعب مصر متدين بطبعه، ورقيق يستجيب لمن يدعوه، فلعل الله أن يكثر لهم دعاة الخير، وأضرب لهم المثل، بما عمله صلاح الدين الأيوبي بعدما قضى على الفاطميين، حين استقدم مجموعة من علماء السنة، ليبثوها في الناس، فتحول المصريون من التشيع الفاطمي إلى السنة بسرعة..

فقال لي رحمه الله: لقد كنت أخفي ما أحصل عليه من كتب ابن تيميه رحمه الله في كيس من الورق، وأشد عليه كيساً آخر في القماش، وأتأبطه، مخافة أن يعلم أحد أن هذا من كتب ابن تيميه، فأنال عقاب العامة، قبل الخاصة، ومايتنج عن غضبهم.. أما الآن فكتب ابن تيمية

وتلاميذه وجميع كتب العقيدة منتشرة في مصر. وفي غالب البيوت، ولعل الله يصحح عقائد الناس، لأن العقيدة هي الأساس. ولذا كان رحمه الله كل اهتمامه في تصحيح العقيدة.

عمله:

اشتغل في بلده بالتدريس والدعوة، وكان حكيماً حليماً في دعوته، بصيراً في علمه وتعليمه، ولما بدأت المملكة العربية السعودية تستجلب المدرسين لما فوق الإبتدائي، مع رغبة المسئولين في تعميم العلم، والتوسع في نشره، كان الشيخ عبدالرزاق، من أوائل وخيرة المصريين الذين وفدوا للتدريس، حيث رشحه فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع معتمد المعارف السعودية آنذاك مع زملائه الذين استقدمهم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للعمل بالمملكة، مثل الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح، إمام الحرم المكي، والشيخ عبدالمهيمن أبوالسمح إمام الحرم والمدرس بدار الحديث الخيرية بمكة، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة.. وغيرهم.

فقدم الشيخ للمملكة عام ١٣٦٨هـ، وعمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف، وكان الرعيل الأول من علماء المملكة المتخرجين من دار التوحيد، وكلية الشريعة بمكة، هم من تلاميذه ويدينون له بالفضل، بحسن التدريس والتوجيه، ومحض النصح..

وفي عام ١٣٧٠هـ انتقل للرياض، ليشارك في التدريس، مع وضع الأسس التنظيمية للمعاهد العلمية التي كلف الملك عبدالعزيز، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ -رحمهم الله- بفتحها والاشراف عليها، فكانت آثار الشيخ عبدالرزاق واضحة في المناهج، واختيار الكتب، والمدرسين، ثم

في تنظيم الإمتحانات، والشهادات الدراسية، وإرشاد الطلاب، وحسن توجيههم. إذ كان مرجعاً للجميع في بيته وفي عمله وفي المسجد: المدرس يسترشد والطالب يسأل ويستوضح، والوافد يأخذ منه التوجيه، والعاميّ ونصف طالب العلم، يسأل عما خفي عليه. وكل منهم يصدر منه عن رأي مقنع، وجواب سديد.

وبعد افتتاح معهد بريدة العلمي كُلِّف بالتدريس هناك، ثم عاد للرياض مدرساً بالمعهد العلمي، ثم كلية الشريعة..

ولما رأى العلماء الحاجة إلى دراسة متخصصة للقضاة، في العلوم الشرعية، ليزداد علمهم، وتتمكن المعلومات التي ترفع من عطائهم في مجال القضاء، كان للشيخ عبدالرزاق دور في تكوين أول دراسة عليا تابعة لكلية الشريعة بالرياض، بل في المملكة كلها، فافتتح المعهد العالي للقضاء، الذي قرر بأن يمنح الماجستير في العلوم الشرعية، وأسندت للشيخ عبدالرزاق إدارته والتدريس فيه.. فكان ذلك الوقت المعهد العالي للقضاء، هو الشيخ عبدالرزاق، والشيخ عبدالرزاق هو المعهد العالي.. فمحض الطلاب نصحه، ففتح أمامهم مجال البحث، وطريقة الأخذ وترتيب الكتابة وتبويبها، وكان معهم، وكانوا يسائلونه ليلاً ونهاراً، وكان لهم نعم الشيخ الدؤوب، الصابر المحتسب، والموجه الذي لايكل ولا يملّ، في دقائق الأمور وجليلها.

وبعدما أينعت الثمار، وبلغ الشيخ السن النظامي، تقاعد لأنه صار سعودياً بالتجنس فلا بد أن يطبق عليه النظام وأعلنت مصلحة التقاعد العامه اسمه في الصحف عدة مرات، ضمن الذين لم يراجعوا لإكمال واستلام ما يتعلق برواتبهم التقاعدية.

وأذكر أنني سألته عن ذلك بعدما رأيت تكرار الإعلان له ولغيره، فقال لي: إن في النفس منه شيء لأنني أخشى أخذ ما ليس لي، وخدمتي بعدما نلت الجنسية قليلة، فكان تركه ذلك تورعاً منه رحمه الله.

وفي نفس العام سمعت أنه صدر أمر بتعيينه مفتياً بدار الإفتاء، التي يرأسها ذلك الوقت معالي الشيخ: إبراهيم بن محمد آل الشيخ.. ولما تشكل مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة كان واحداً منهم، لبروزه علمياً، وسعة اطلاعه. وفهمت أنه دار في مجلس العلماء أن الملك فيصل رحمه الله، لما بلغه تورع الشيخ عبدالرزاق عن أخذ معاش التقاعد، قال: مثل الشيخ عبدالرزاق لا يحال على التقاعد، فالناس في حاجة إلى علمه.. فأمر بإعادته للعمل.

استمر في عمله مفتياً، ثم نائباً للمفتي العام في شؤون الفتوى، وقد أعطي المرتبة الممتازة قبل وفاته بثلاث سنوات، وانتقل إلى رحمة الله، وهو على رأس العمل، كما كان طوال عمله في الإفتاء، يجلس للناس في المكتب وفي البيت للفتوى والمشورة مشافهة وبواسطة الهاتف، وفي الحج كل عام إلى أن أقعده المرض.

اخلاقه وصفاته:

جبل الله الشيخ عبد الرزاق على اخلاقٍ كريمة، وحبٍّ للمساعدة، مع تواضع جمّ، ونكرانٍ للذات، ورغبة في لين الجانب والمساعدة.

من يراه يظنه ضعيفاً مستضعفاً لأنه يقرّب الناس إلى نفسه، ويحرص على بذل جاهه ومساعدته لذوي الحاجات لكنه عندما يرى من أحد أمراً يمسّ بكيان الدين، قولاً أو فعلاً أو كتابة، أو يتراءى له

إضرار بالعقيدة، فإن وجهه يتمعّر، وأثر التأثر يبرز على محياه، حمية للدين، ومحافظة على محارم الله من أن تنتهك.

أذكر أن تلميذاً كان عنده في أحد الفصول، نَبتْ منه كلمة حول تمجيد مذهب دخيل على الإسلام، ضمن التيارات المعاصرة والأفكار الوافدة، فقرّعه بلطف، وبعد الدرس استدعاه على انفراد وشرح له ما في ذلك المذهب والقائلين به من عيوب، وما يجب عليه أن يسلكه في قراءته وفكره ومحضه النصح، لكنه لم يرفع أمره للإدارة مخافة الإضرار بالطالب، فصلح ذلك الطالب فيما بعد واستقام أمره، وهذه هي طريقته مع جميع طلابه، بل ما أكثر ما يتجاهل ما لدى الطالب من فكر غير سليم، ورأي غير ناضج، حتى كأنه لم يسمع شيئا، ثم يتحيّن فرصة الإلتقاء به على انفراد، ويحادثه محادثة الزميل مع الزميل، ثم يترقى إلى أسلوب الأب الشفيق بحالة ابنه.

وهكذا في كل حالة من الحلات الظاهرة على الطالب، باعتبار ذلك من علامات التزكية، يحرص عليها بلطف إما بإشارة تغني عن عبارة، أو بمشورة يحملها آخر له، أو بانتهاز اللقاء به في أي مكان لحثه على ما يحسن به أن يتخلق.. وكل ذلك يترك أثراً عميقاً، لأنها مشورة خارجة من القلب، وبدون تشهير، ولا يريد بها إلا الخير والصلاح..

استفدت منه -رحمه الله- الشيء الكثير، وطلابه أكثر مني فائدة، ومما علق بذهني من أقواله عن الشباب الإسلامي، وحماستهم بعد اليقظة، وتعدد الداخلين في دين الله في كل مكان، وما يأتي من أخبار ويسمع من كلام: يابنيّ إنني أخشى على هؤلاء من تعجلهم، فهم كمن يريد أن يبني بيتاً من أعلاه، دون الاهتمام بالأساس.. إن أساس

المسلم عقيدته، فيجب بناء العقيدة والحرص على تطبيقها لترسخ، قبل الفكر والعمل.. ثم ضرب لي مثلاً فقال: إن رسول الله ﷺ جلس في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى كلمة التوحيد وتحقيق معناها، والعمل بمقتضاها، وهي أكثر من النصف لمدة مكثه في الدعوة، ولما هاجر للمدينة، وصار معه قوم مدركون لمقتضى: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. بدأت الشرائع العملية تتتابع ومنها الجهاد.. فأظهر الله دينه. وهذا يدل على حرصه رحمه الله على العقيدة الصحيحة والتشبّع بها عملاً، لأنها إذا صلحت صلحت الأمور، وإذا فسدت فسدت الأمور.. كما كان يؤكد أهمية السمع والطاعة لولاة الأمور، لأن أحوال الرعية لاتستقيم إلا بذلك، ويضرب نماذج لذلك، بكثير من البلاد التي فسدت الأحوال فيها، بالخروج على ولاة الأمور.

آثاره العلمية:

رغم غزارة علم الشيخ عبدالرزاق، وسعة مداركه، حتى أنه ليكاد يوصف بالمكتبة المتنقلة، يشهد لذلك طلابه الذين درسوا عليه في المعهد العالي، وأشرف على رسائلهم العلمية، فإنه زاهد في التآليف، قليل الكتابة، وخاصة في العشرين سنة الأخيرة من عمره، وعلى حدّ علمي، لم يعرف له في التأليف إلا رسالة في التوحيد، ومذكرات للطلاب في المواد المهمة أثناء تدريسه لهم وهي: العقيدة، والتفسير، والأصول... هذا إلى جانب المقالات في العقيدة، وهذه كانت تنشر له في مصر.

ومما وقع عليه نظري من الكتب المطبوعة:

١ - مذكرات في التوحيد.

٢- تحقيق كتاب إحكام الأحكام للآمدي.

٣- جزء واحد من التفسير من الذاريات إلى الناس طبع بعد وفاته..

ولاشك أن مقالاته وردوده على المنحرفين في العقيدة، ومذكراته التي أملاها على طلابه وفتاواه لو جمعت لكانت حصيلة علمية تبرهن للأجيال المقبلة، عن مكانة هذا العالم الزاهد، وعن أسلوبه في الدعوة إلى الله وأذكر أنني طلبت منه، أن يكتب بحثاً في العقيدة لمجلة البحوث الإسلامية، التي شرفتُ برئاسة تحريرها والتي تصدر عن هيئة كبار العلماء بالمملكة، فامتنع وقال: لم يترك لنا العلماء الأوائل مجالاً فقد كفونا وما يكتب الآن فهو نقولات عنهم، وقد تكون ناقصة، فيكتفى بالأكمل. وهذا من تواضعه رحمه الله وإلا فإنه إذا كتب يبرهن ويقنع، وإذا حلّل موضوعاً يستوفيه ويبسّطه.

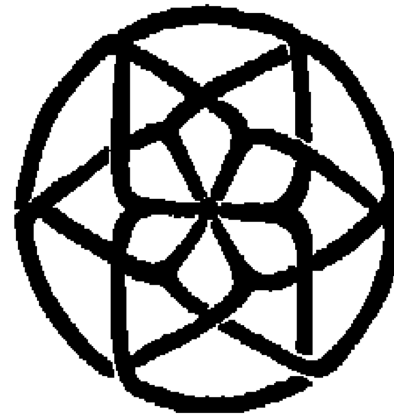
وفاته:

في السنوات الأخيرة من عمره، إنتابته أمراض عديدة، ومع هذا لم يكن من الحريصين على التردد على الأطباء إلا عند الضرورة، لأنه من المتوكلين على الله، ويقول: إن هذا شيء قدّره الله، ولابد أن يحصل..

كما كان من الصابرين، إذ فقد مجموعة من أبنائه فاحتسبهم عند الله، وأذكر أن واحداً منهم قتل في الحرب مع إسرائيل عام ١٩٧٣م، فجئت إليه في الزيارة المعتادة في بيته بعد مغرب كل يوم، فعزّيته، ولم يرتح لذلك، وبدأ الحديث كأنه لم يمت له أحد، وعند الخروج في وداعه قبض على يدي وقال: يابنيّ الشهيد لايعزى فيه، وأرجو أن يكون ابني شهيداً. فأخذت ذلك منه درساً من الدروس العديدة التي استفدتها منه.

وقد أجري له عدة عمليات في المستشفى الجامعي بالرياض، تكللت بالنجاح، ولكن الروماتيزم الذي كان معه طويلاً أقعده عن الحركة، فكان لا يأتي للعمل، ولا يذهب للمسجد إلا في عربة متنقلة، وكأن هاجساً باطنياً نبهه إلى قرب أجله، إذ أصر في حج عام ١٤١٤هـ، أن يكون من ضيوف الرحمن، لعل الله أن يتقبّل منه حجة الوداع هذه، وقد منّ الله عليه بإكمال الحج بيسر وسهولة.. وبعد عودته للرياض انتابته الأمراض المضنية، فدخل المستشفى، حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم ١٤١٥/٣/٢٥هـ فدفن في الرياض، وشيعه إلى مثواه الأخير العلماء وطلاب العلم وعارفوا فضله، في جموع غفيرة داعية له بالرحمة والمغفرة.

د. محمد بن سعد الشويعر
المستشار بمكتب سماحة المفتي العام
للمملكة العربية السعودية
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية
الرياض ١٤١٧/٨/٢١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فقد طلب مني الأخ الأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي أن أكتب بعض ما أعرفه عن شيخنا عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بحكم مجالستي له في سنواته الأخيرة.

وقد كتب جمع من أهل العلم عنه رحمه الله تعالى ولا زال بعضهم يكتب عنه كتابة مطولة، تتضمن ترجمته وصفاته رحمه الله تعالى بتوسع. وقد رأيت في هذه العجالة أن أكتب بعض ما يتعلق بصفاته وميزاته ، وأما التوسع في ترجمته وحياته العلمية فهذا الأمر قد كتب عنه بعض أهل العلم ولا زال غيرهم يكتب فيه وفقهم الله تعالى في مسعاهم، فأقول وبالله التوفيق:

إن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله تعالى- يتميّز بالقوة العلمية وبالذكاء البيِّن وبسعة الاطلاع على علوم الشريعة سواء كان ذلك في علم العقائد (عقيدة السلف الصالح) ومعرفة أقوال الفرق الأخرى وشبهاتهم أو الفقه وأصوله أو في علوم التفسير وغير ذلك من علوم الشريعة.

كان رحمه الله من كبار أهل العلم في هذا العصر وقد درس عليه كثير من أهل العلم، وكان رحمه الله تعالى معروفاً بعلمه منذ بداية حياته

العلمية فقد حدثني الشيخ عبد القادر شيبة الحمد عنه -رحمه الله تعالى- فقال: كنا ونحن ندرس بالأزهر كان عبد الرزاق عفيفي له صيت.

وقد تميز -رحمه الله تعالى- بتوسعه في العلوم الشرعية وبتمسكه بالكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

وقد حدثنا -رحمه الله تعالى- أنه عندما كان بالأزهر وكان مقرراً عليهم «مختصر صحيح البخاري» كان يكتفي بالوقوف عند النصوص الشرعية وبالاستنباط منها ويستعين بتراجم الأبواب الموجودة في المختصر ولا يرجع إلى الشروح الأخرى.

قلت: وهذا معروف عنه رحمه الله تعالى بتمسكه بالوحيين وبالتفقه فيهما، وقد دخلتُ عليه أكثر من مرة في غرفته التي فيها مكتبته فلم أجد إلا أعداداً قليلة من الكتب أغلبها في التفسير والحديث.

وقد كان -رحمه الله تعالى- يتميز بتسهيل المادة التي يدرِّسها لطلابه بحيث إذا شرح الموضوع فهمه أكثر من سمعه.

وقد حدثني بهذا أكثر من واحد من طلابه الذين درسوا عليه وقد سألت شيخنا عبد الرحمن بن ناصر البراك عن أكثر من استفادوا منه في دراستهم في كلية الشريعة فقال: الشيخ عبد الرزاق عفيفي فقلت له: والشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقال: الشيخ محمد الأمين يأتي إلينا وينفجر علينا.

قلت: وقصْد الشيخ عبد الرحمن أن الشيخ محمد الأمين بسبب قوّة حافظته وسعة علمه يلقي المعلومات الكثيرة في الفترة القصيرة كأنه ينفجر عليهم من سعة معلوماته، وهذا لا يصلح لكل الطلاب فكثير منهم تفوته هذه المعلومات بخلاف الشيخ عبدالرزاق فإنه كان رحمه الله تعالى معروفاً

بتنظيم المعلومات وبالسبر والتقسيم، فلذلك كانت استفادتهم منه أكثر وهذا ما أتى إلا من قوة فهم وذكاء وتحليل للمعلومات، وإلا لما استطاع أن يُعلِّمها لغيره بهذه الطريقة، وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى وهو على مقاعد الدراسة يشرح لبعض زملائه الطلاب بعض الدروس.

قلت: والشيخ كان معروفاً بفصاحته وبيانه وقد كان بعض طلاب الشريعة يتعجبون من ذلك أثناء ما كان يدرسهم التفسير فسألوه عن ذلك فقال: إن هذا من تفسير أبي السعود كما حدثنا بذلك الشيخ عبد الله الفنتوخ وفقه الله تعالى.

وقد حدثنا شيخنا عبد الله بن عقيل عن الشيخ عبد الرزاق أنه كان إذا أراد أن يكتب لا يعرف مسودة ومبيضة يعني إنه كان يكتب الموضوع مرة واحدة، وهذا يدل على قوته العلمية وقوة فصاحته.

قلت: والشيخ رحمه الله تعالى كان متقللاً ومعروفاً بالبساطة والزهد، وعدم الإكثار من الدنيا وبقلة الكلام وكان يكتفي بالكلمة الواحدة عن الكلمات الكثيرة، وكنا أحياناً نخوض في الكلام عنده في بعض القضايا وكان هو ساكتاً لا يتكلم حتى يسأل.

وقد كنت عنده في مرة من المرات وعنده بعض الإخوان من أنصار السنة في مصر -فيما يبدو- فقال لهم: إن نسخته من سنن ابن ماجه أَمَر بوضعها في مركز أنصار السنة أو نحو ذلك.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته.. آمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل سعد

من العلماء الأعلام

الشيخ عبد الرزاق عفيفي أحد علماء العصر الأعلام، اشتغل بالتدريس فتذوقه وأحبه تلامذته، وبالدعوة فبرع فيها وأفاد العامة والخاصة وبالفتوى فأجاد وأفاد، كان -رحمه الله- يتفنن في عرض المسائل وطرح الخلاف ويجيد إيصال المعلومة للسامع مع اختلاف طبقات الحاضرين عنده، ويظهر هذا جلياً في دروسه العامة التي كان يلقيها في المسجد الذي يؤم الناس به في حي المنصوريات بالرياض فقد حضرت له الكثير منها واستفدت من علمه وخُلُقه.

كان -رحمه الله- غزير العلم في التفسير والفقه والأصول واللغة، حريصاً على إيضاح ما يحتاجه الناس في حياتهم من مسائل علمية وكانت دروسه العامة محببة لسامعيه، يشد انتباههم ويضرب الأمثلة المناسبة لحال المستمعين فلا يمل الحضور من حديثه، ويجدون من متابعة درسه لذة ومتعة مع فهم جيد لما يطرحه.

كان -رحمه الله- يجيد الإقناع بما يدعو إليه، لما اتصف به من قوة الحجة وغزارة العلم وحُسن العرض للمعلومة.

وكان -رحمه الله- محباً لطلبة العلم، يفتح بيته وصدره لهم ويأنس لطرحهم ما يُشكل عليهم من مسائل عملية ويشركهم معه في البحث والمناقشة.

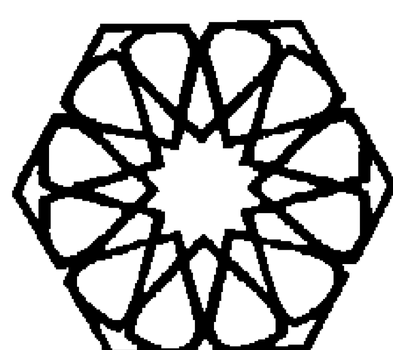
ويساعدهم في أمورهم العلمية والمادية، وكان من حبه للعلم وطلابه أن أوقف داره بمكة على دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة كما أنه يمد بعض طلبة العلم بالكتب القيمة.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

سليمان بن وائل التويجري



العالم الرباني والمصلح المجاهد(١)

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترة من الرُّسل، بقايا من أهل العلم ينفون عن دين الله تحريف الغّالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وقيّوم السماوات والأرضين، وأشهد أن نبيّنا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله الذي بلّغ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلىّ الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وصحابته الغُر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلمّ تسليماً كثيرا.. أما بعد:

فإن الحديث عن سِيَر علمائنا الأفاضل وأئمتنا الكرام موضوع في غاية الأهمية، وتأتي أهمية هذا الموضوع من نواحٍ كثيرة وأسبابٍ متعددة، أولها: أن هؤلاء العلماء في الأمة هم أنوار هداَها وهم مصابيح دُجاها،

(١) أساس هذه المادة العلمية، محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس، إمام وخطيب المسجد الحرام، في المسجد الكبير «ببحرة»، وقد تم تسجيل المحاضرة في حينها. وقد قمت بتفريغ أشرطة هذه المحاضرة وترتيب فقراتها، مع تصرف يسير في المادة العلمية مراعاة للترتيب وتحقيق الانسجام بين الفقرات.

وهم الشموع التي تنير طريق العلم والعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر، فإذا كانت هذه مكانة العلماء فإن الواجب على الأمة أن تعرف سِير علمائها وأن يرتبط خلف الأمة بسلفها، وأن ترتبط الأجيال المعاصرة والناشئة بعلمائهم الذين صاروا على منهج السلف الصالح رحمهم الله ورضي عنهم.

والسبب الثاني: مكانة العلم، فالعلم له مكانة عظيمة وله منزلة رفيعة في هذا الدين، والجهل ظلام وشؤم وبُعد عن الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

السبب الثالث: يتمثل في أننا نعيش في عصر يُمثِّل عصر غربة الإسلام، وعصر نقص العلماء الذين يسيرون على المنهج الصحيح وما ذاك إلا لأن كثيراً من العلماء الأبرار انتقلوا من هذه الدار، وهذه ثلمة لا تُسد، وفاجعة تُعد ولا تحد ذلك أن قبض العلماء وموت الأفذاذ من المصائب على الأُمَّة، ويدل ذلك على أن الأُمَّة بحاجة إلى أن تأخذ علم علمائها قبل أن يُفقدوا، فإذا انخسفت النجوم وانكسفت وغابت أوشك أن يضل الناس، فالعلماء في الأرض بمثابة النجوم في السماء وفي البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». فهذه الأمور تجسد المسؤولية على الأُمَّة وعلى شبابها وعلى

طلابها، أن ترتبط بكبار علمائها قبل أن يفقدوا، وأن تستفيد الأمة منهم ومن علمهم ومن فضلهم، وأن تقتبس من نور سيرتهم ما يبيّن لها طريق الحق، هذا هو الواجب على الأُمَّة الإسلامية وعلى شبابها وطلاب العلم فيها وناشئتها بصفة خاصة، ومن الأسباب أيضاً: أننا نعيش في عصر الفتن وعصر الخلافات وعصر كثُر فيه النزاع والشقاق وإعجاب كلٍّ ذي رأيٍ برأيه فيجب على الأُمَّة أن تعرف العلم بدليله، وأن تأخذ الحق بناصع حجته وبيانه وذلك لا يؤديه إلا من رسخت أقدامهم في العلم وثنوا ركبهم وحنوا ظهورهم سنين عددا في التحصيل والطلب، ومن ثمّ البذل والدعوة والتعليم والجهاد والبلاغ، ومن الأسباب أيضاً: أن الأمة اليوم يوجد من أعدائها من يُلمِّع رموز الباطل ومن يُزيِّن للأُمَّة أصنافاً من أهل العفن ضد قيم الأُمَّة وأخلاقها وعقيدتها، فواجب الدعاة إلى الله وواجب العلماء وواجب طلاب العلم أن يبرزوا جهود علمائهم، لأن إبرازهم من أقل الواجب علينا تجاههم ومن الأسباب أيضاً: أن هناك فجوة كبيرة بين الشباب وبين علمائهم، فإذا سألت كثيراً من الشباب عن كبار علمائهم لاسيَّما مَنْ توفوا إلى رحمة الله عز وجل، فتجد أن بعضهم لا يعرف عن هؤلاء شيئا، وهذا والله هو العقوق أن يظلّ علماءُ راسخون وأئمة مهديون وجهابذة بارزون في طي النسيان إذا ماتوا، فيجب على الأُمَّة وعلى العلماء وعلى طلاب العلم أن يبرزوا هؤلاء العلماء للأُمَّة، ويؤسفني أن أقول إن عَلَمنا اليوم قد مرّ على وفاته أكثر من عام وثلاثة أشهر أو العام والنصف تقريباً ولم نر من طلاب العلم ولا من المهتمين مَنْ أبرز سِيَر هؤلاء العلماء أو حرص على إبراز وذكر نشاطهم ونتاجهم العلمي ومنهجهم الدعوي وذلك من الخطورة بمكان، فإن موت العالم ثُلمة في الأُمَّة، ويجب على هؤلاء

العلماء وطلاب العلم أن يكونوا على صلة بعلمائهم يبينون لهم الطريق لا سيما في عصر غلبت فيه الخلافات وكثُر فيه النزاع والشقاقات، فيجب علينا أن نحرص على سير علمائنا وأن نستفيد منهم، ولهذا قال بعض أهل العلم: سِيَر العلماء أحب إلينا من كثيرٍ من الفقه، لأن كثيراً من الفقه إغراق في مسائل فرضية أو مسائل فرعية وجانبية وقد يكون ليس لها أهمية في مجال العلم والتطبيق، أما سِيَر العلماء لا سيما إذا عُرفوا بحُسنِ المعتقد وسلامة المنهج، فإبرازهم للأمة هو ترجمان صريح وتطبيق عملي للإسلام والسُّنة، وإن كنا لا نزكي على الله أحداً والنقص من طبع البشر ولا نغلوا في الأئمة والعلماء ولا ندعي العصمة لأحد من الناس فالكمال لله وحده والعصمة للأنبياء فيما يبلغون عن الله، وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد عليه وخير الهدي هدْي محمد ﷺ.

إن في سير العلماء خبر أيّ خبر، وإنّ في تراجم العظماء عِبَر أي عبر، وإنّ في أحوال النبلاء مدّكر أي مدكر، هم صفحة ناصعة ينبغي أن يتمثلها الجيل اليوم وأن يسيروا على ضوئها وأن يقتبسوا من نورها في عصر طغت فيه الماديات وكثر فيه تلميع أهل الباطل والإقلال من أهل الخير والحق عند كثير من الناس، فينبغي أن يبرز أولئك وأن يُبيّنوا للأُمّة شبابها وشيبها علماءها وعامتها وأن يعرف فضلهم على الأمة.

إن في تاريخ الإسلام العظيم كوكبةً من علماء الشريعة بذلوا جهودهم للتحصيل العلمي، بذلوا أنفسهم وأوقاتهم في طلب العلم ونشره وبذله للناس، ومن هؤلاء العلماء -علماء السلف الصالح- رحمهم الله الإمام أحمد -رحمه الله- وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والأئمة الكرام الذين برزوا في فنون شتّى، في فنون العقيدة والفرق والحديث درايةً وروايةً والفقه والأحكام وأصول الفقه واللغة العربية وعلم

التفسير وعلوم القرآن وعلم الأدب وغير ذلك من العلوم النافعة، فأُمّة الإسلام أُمّة معطاءة، خرَّجت العلماء والزعماء والقادة والعظماء والأدباء والنبلاء، وتاريخ الإسلام زاخر بهؤلاء الأئمة، فيجب علينا أن نعرف قدرهم وفضلهم وأن نستفيد منهم وأن نرتبط بمنهجهم، وأن نسير على ما ساروا عليه لأنهم راسخون في العلم وأكثر خبرة وتجربة وعمقاً في الأمور والنظر إلى العواقب والحكمة في طريق العلم والدعوة والموقف من المخالف وما إلى ذلك من الأمور المهمة التي ينبغي علينا جميعاً أن نحرص على تجليتها حينما نتحدث عن سير هؤلاء العلماء، وإن في علمائنا المعاصرين من مشايخنا وكبار علمائنا لمنهجاً وأسوةً وقدوةً ينبغي أن يستفيد شبابنا منهم، وحينما نقول ذلك لا نقول إننا نغلو بهم، ولا نقول إننا ندعي لهم العصمة، لكننا نعرف لهم فضلهم وسبقهم، ولا خير في أُمّة لا يعرف شبابها قدْر علمائها، ولا خير في أُمّة لا يعرف ناشئتها مكانة كبار علمائها.

ويؤسفنا أن نسمع عن هؤلاء العلماء من يقول إن فيهم وفيهم وإنهم رجال ونحن رجال، وأنهم لا يعرفون شيئاً من أمور العصر أو أمور الواقع، أو غير ذلك من الأمور وما أُوتي أولئك إلا من قبل جهلهم، وإلا من قِبَل سوء أدبهم مع علمائهم وتقديرهم لأهل الفضل منهم، ولا تسأل عمّا يعيشه هؤلاء من فرقة وخلاف وتخبط في الجديد من المشارب والحديث من المذاهب، إن الذي أتحدث عنه في هذه الأمسية لا كالأعلام، وأقولها بصراحة لأنها عن خبرة وتجربة. إنني أتحدث عن جيل قدّم لأمته وقدّم لمجتمعه وقدّم للعالم نتاجاً علمياً وجهوداً جبارة، أصبحت عند كثير من الناس في طي النسيان والكتمان مع شديد الأسف!!

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنّ الرزيةَ فقدُ شهمٍ يموت بموته بشرٌ كثير
وما هلكهُ هلْك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تصدّعا

الشيخ العلامة والحبر الفهّامة شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- من الجيل الذي يعد من بقية السلف الصالح -رحمهم الله- الذي عرفهم هذا العصر علماء عارفين، وأئمة ربانيين ومجاهدين في سبيل العقيدة الصحيحة وفي سبيل نشرها وبذلها وتعليمها للأُمَّة، الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أئمة في إمام، إمام في الحديث لا يُشق له غبار، وإمام في الفقه لا يُجارى، وإمام في الأصول لا يُبارى، وإمام في اللغة، وإمام في علم التفسير وعلوم القرآن، وأئمة في شخص إمام، رحمه الله رحمة الأبرار.

إن العناصر التي نتحدث عنها عند سيرة أي عَلَم من الأعلام ينبغي أن تكون عناصر متكاملة ولكن ماذا عساي أن أقول عن اثنتين وتسعين سنة من الجهاد والدعوة والعلم والتعليم والخير بجميع جوانبه.

إنني عندما أتكلم عن سيرة شيخنا لا يهمنا في حياته الجانب الأُسري ولا يهمنا في حياته الجانب النظري، ولا يهمنا في حياته جانب أكله وغذائه ولكن المهم أن نذكر ونعوِّل على منهج الشيخ -رحمه الله- في عقيدته، منهجه في العلم، منهجه في التعليم، منهجه في نشر العلم والبذل والعطاء، منهجه في الدعوة إلى الله عزَّ وجل، منهجه ومواقفه من ولاة الأمر، وموقفه من العلماء، وموقفه من الجماعات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية، ومواقفه من أمور شتى، تُبيِّن عِلْم الشيخ وتُبيِّن غزارة مادته وسمو منهجه رحمه الله.

أمَّا اسم شيخنا -رحمه الله- فاسمه عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي، هذا اسمه كاملاً، والشيخ -رحمه الله- ولد في مصر قبل أن تكون الجمهورية العربية، في قرية تُسمَّى شنشور في محافظة المنوفية، وهذه القرية معروفة بتمسكها وعاطفتها الدينية، ولهذا نشأ الشيخ -رحمه الله- نشأة دينية وتأصل في الإيمان والتربية الصحيحة على خير ما يتربى عليه ناشئٌ يافع.

أما تاريخ ولادة الشيخ رحمه الله- فقد ولد في العام الثالث والعشرين بعد الثلاثمائة وألف من هجرة النبي ﷺ. أقول: فمنذ صباه -رحمه الله- كان توجهه توجهاً دينياً علمياً فحفظ القرآن الكريم منذ صغره، وهكذا نشأ مرتبطاً بدستور هذه الأمة ألا وهو كتاب الله جلَّ وعلا، وهذا يؤخذ منه أن علينا أن نُربِّي أبناءنا على كتاب الله سبحانه.

وينشأ ناشئ الفتيان منّا ... على ما كان عوده أبوه
وما كان الفتى نجماً ولكن ... يعوده التدين أقربوه

لقد تدرج الشيخ -رحمه الله- في سلك التعليم فدرس في المعاهد الأزهرية التي تمثل عندنا اليوم المدارس المتوسطة والثانوية، ثم التحق بجامعة الأزهر قبل أن تكون جامعة، يوم أن كانت جامعاً أزهرا، وتخرّج منها مع كوكبةٍ من علماء الأزهر.

فالشيخ -رحمه الله- كان معروفاً أثناء تحصيله وطلبه العلم بالحرص على التحصيل والمناقشة والرغبة في الفائدة والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم عليه رحمة الله، وتخرج من الجامع الأزهر ونال الشهادة العالية التي هي بمثابة ما يُسمَّى بـ«الليسانس»، ثم أخذ شهادة التخصص التي هي «الماجستير» ثم نال الشهادة العالية -العالِمية-، وهي

التي تُسمَّى اليوم «شهادة الدكتوراه». لقد بلغ -رحمه الله- من مراحل التعليم أجلّها وأعظمها وأكبرها في عالم شهادات اليوم، لكنه ليس طالب شهادات -رحمه الله-، ولم يكن يعترف بهذه الأمور، بل كان حريصاً على العلم، وحريصاً على التحصيل، وحريصاً على المواصلة في طلب العلم حتى في آخر حياته.

ولم يكن -رحمه الله- مقتصراً على العلم فقط، وإنما كان يحرص على العلم والعمل وعلى التعليم أيضاً وعلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهو في قريته وبعد التحاقه بالأزهر، كان -رحمه الله- حريصاً على الدعوة إلى الله مُركِّزاً على ما يحتاج إليه مجتمعه آنذاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقهه لواقعه الذي يعيشه، فالشيخ -رحمه الله- وُجِد في عالم يموج في كثير منه بالبعد عن الله عز وجل والوقوع في معتقدات تخالف العقيدة الصحيحة والوقوع في الشركيات والبدع وعبادة القبور والخرافات، فكان -رحمه الله- داعية إلى التوحيد وهو في مقاعد التحصيل والعلم والدراسة وكان له في ذلك أسلوب حسن، ومن أساليبه في ذلك -رحمه الله- أنه كان حريصاً على أن يبني المساجد وعلى أن يُسهم فيها وأن يوجد في كل مكان من قريته مسجد يجتمع فيه الناس ويؤدون فيه شعائر الإسلام، ولم يك ينظر إلى أنه يؤدى فيه شعائر الإسلام فقط، وإنما كان يرى أن رسالة المسجد رسالة علم وتعليم ودعوة إلى الله وما المسجد إلا بمثابة قلعة إيمان، وحصن فضيلة ومحلاً للدعوة إلى الله وإشعاع النور في بيئة تموج فيها الخرافة والعقيدة المخالفة لعقيدة أهل السنة رحمهم الله.

والشيخ -رحمه الله- درَّس بعد تخرجه في المعاهد الأزهرية في بعض القرى وفي الأسكندرية.

وكان حريصاً على نشر السُّنة ومؤيداً ومعيناً لجماعة أنصار السُّنة بمصر وهذه الجماعة أقولها بحق ليست جماعة حزبية، وإنما هم أناس نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله ولنصرة السُّنة والتركيز على العقيدة الصحيحة وإلى دعوة الناس إلى الوحيين، وإلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد رُشح الشيخ -رحمه الله- في سنٍ مبكرة نائباً لرئيس جماعة أنصار السنة في الأسكندرية، ثم عُيِّن رئيساً لجماعة أنصار السنة في مصر كلها خلفاً للشيخ محمد حامد الفقي رحمهم الله جميعاً. فالشيخ -رحمه الله- اتسمت حياته بالعلم وبالعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإحياء السُّنة والتركيز على العقيدة ونبذ البدع والخرافات كل ذلك بأسلوب حسن، وهذا مما يبيّن الأولويات في الدعوة إلى الله. فينبغي على الدعاة إلى الله أن يبنوا دعوتهم على الأولويات التي دلّ عليها الدليل من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وقضية العقيدة هي أم القضايا على الإطلاق، وهي أصل القضايا بالاتفاق وهي دعوة الرُّسل الذين دعوا أقوامهم إلى التوحيد والعقيدة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

ويكفي الشيخ في ذلك شرفاً أنه يسير على منهاج النبوة وعلى مشكاة الرسالة وعلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لقد منّ الله على الشيخ وشَرُف في بلاد الحرمين الشريفين بقدومه إليها عالماً ومربيّاً وداعياً إلى الله على بصيرة.

فمن نِعَم الله عز وجل على هذه الأُمَّة وعلى هذه البلاد وعلى الجزيرة أن هيّأ الله لها الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فجمع الله به البلاد والعباد على منهج واحد، فبعد أن ضربت

الجزيرة في الفرقة والخلاف والقبلية وغير ذلك من الأمور الكثيرة، جمعهم الله على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن -رحمه الله-، فالإمام الملك عبد العزيز -رحمه الله- رأى مع علماء هذه البلاد وفي مقدمتهم سماحة المفتي السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمهم الله- أن البلاد بحاجة إلى مجموعة من العلماء الذين عُرفوا بعمقهم العلمي وبُحسن منهجهم العقدي، ليثروا البلاد وأهلها بالعلم والتحصيل والتوجيه فكان أن استقدم مجموعة من علماء الأزهر من أهمهم وأولاهم وأفضلهم شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-، ومنهم أيضاً الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، إمام الحرم المكي الشريف -رحمه الله-، والشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة، ومنهم الشيخ محمد خليل هراس، ومجموعة مباركة من كبار علماء الأزهر المعروفين بُحسن عقيدتهم وحُسن منهجهم وأتوا إلى هذه البلاد المباركة عندما افتتحت المدارس عن طريق مديرية المعارف آنذاك، وافتتحت دار التوحيد بالطائف[1]، وافتتحت أيضاً المعاهد العلمية التي هي نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ففي عام ألف وثلاث مائة وثمانية وستين قدم الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- إلى بلاد الحرمين الشريفين، لم يأتها طالباً الدنيا، ولم يأتها يريد المنصب، ولم يأتها يريد المال كما يأتيها كثير من الناس اليوم، لكنه أتى إليها حباً في الحرمين وأهلها وحباً في الإسلام وعلماء الدعوة السلفية الذين صاوروا على منهج الدعوة الإصلاحية منهج الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ولا شك أن هذه البلاد المباركة التي هي مأرز الإيمان وموئل العقيدة، غُنيت بالمنهج الاعتقادي الصحيح.

(١) وصادف ذلك وصول العلامة الشيخ محمد كامل القصاب، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ سعدي ياسين وغيرهم من بلاد الشام -زهير-.

وكان الشيخ حريصاً -رحمه الله- وهو من كبار علماء السُّنة في العصر الحاضر- كان حريصاً على أن يكون في ظل هذه البلاد يستفيد منها ويفيد أجيالها وناشئتها، فكان أن شرفت هذه البلاد به وشُرِّف بها، وأتى مع كوكبة من علماء الأزهر وكان لهم بعد الله الفضل والشرف في أن خرَّجوا جيلاً من العلماء وأقول ذلك وبصراحة: إن كبار علمائنا اليوم هم من زملاء الشيخ أو من تلاميذه وأقرانه، ومن أبرز أقرانه الإمام الشيخ العلامة والد الجميع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فهو كان زميلاً للشيخ وكان ممن أُعجب بالشيخ غاية الإعجاب حتى إنَّه رشحه جزاه الله خيراً نائباً للإفتاء وعضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وما ذاك إلا لثقة الشيخ في علمه جزاه الله خيراً وأثابه على أعماله الطيبة، وأيضاً من سوى الشيخ عبد العزيز من علمائنا اليوم ومن كبار علمائنا هم من تلامذة الشيخ جزاه الله خيراً ورحمه، واسألوا عن الطبقة التي هم اليوم كبار العلماء والذين هم اليوم قضاة المحاكم وقضاة التمييز وكبار الدكاترة وأوائل المدرسين والدعاة هم من تلاميذ الشيخ -رحمه الله-، ومنهم على سبيل المثال: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف، فهو من أبرز تلاميذ الشيخ رحمه الله وكان الشيخ هو الذي أشرف على رسالته في الماجستير ومن تلامذة الشيخ أيضاً فضيلة الشيخ صالح بن محمد لحيدان، والشيخ عبدالله بن غديان، والشيخ صالح بن فوزان، والشيخ عبدالله البسام، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ عبدالله بن قعود، وغيرهم كثير من كبار علمائنا اليوم، هم من تلاميذ الشيخ رحمه الله، وجزاهم الله خيراً وبارك فيهم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلهم خير خلف لخير سلف.

لقد كانت للشيخ -رحمه الله- جهود مباركة في الدعوة إلى الله وجهوده في أنصار السُّنة المحمدية واضحة معلومة ومع أن الشيخ رحمه الله ممن أعجب بهذه الجماعة، فكان متعاوناً ومعيناً لسائر الجماعات في الساحة فلم يكن يتعصب لجماعة معينة، وكان ينظر إلى الجميع بمنظار العدل والإنصاف وكان يناصح ويبيّن الخطأ لمن عنده خطأ من الأفراد والجماعات بالأسلوب الحسن، وكان رحمه الله يدعو إلى التآلف والاجتماع ويحذر أشد التحذير من التفرق والاختلاف.

قدم إلى المملكة ودرَّس في دار التوحيد، ثم درَّس في معهد عنيزة العلمي واستفاد منه شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- كما استفاد الشيخ أيضاً من دروس الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في القصيم وبعدها بقليل أُفتتح معهد الرياض العلمي في العام السبعين بعد الثلاثمائة والألف فطُلب الشيخ ليُدرِّس في هذا المعهد الذي هو نواة للمعاهد العلمية وهي نواة مباركة والتي أصبحت اليوم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقبلها الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية وكان يدير الكليات والمعاهد العلمية الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم وهو شقيق المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله والذي كان معجباً بالشيخ عبدالرزاق رحمه الله فكان أن أسند إليه مهمة اختيار المدرسين، وأيضاً مهمة وضع المناهج في المعاهد العلمية وفي جامعة الإمام وفي كلية الشريعة وفي المعهد العالي للقضاء وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف، أُفتتحت كلية الشريعة بالرياض فطُلِب الشيخ مدرساً فيها لمادة العقيدة وأصول الفقه والفقه والتفسير فكان من خيرة المدرسين -رحمه الله-، وفي عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف أُفتتح المعهد العالي للقضاء الذي كما تعلمون

مؤهل القضاة فاختير الشيخ -رحمه الله- أوَّل مدير لهذا المعهد وقام بوضع مناهجه، فكانت مناهج رائدة معروفة تنافس مناهج التعليم العالي في العالم الإسلامي، وفي عام ألف وثلاثمائة وواحد وتسعين وبعد أن أحيل الشيخ إلى التقاعد من المعهد العالي للقضاء.

عُيِّن الشيخ نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وأيضا عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها وعُرف رحمه الله بجدِّه واجتهاده وقيامه بالعمل خير قيام، فقد ضرب مثالاً في الجد والحرص والاحتساب، فلم يكن يعمل موظفاً عادياً يتقاضى أجراً فقط، وإنما كان رحمه الله إلى أن اعتلت صحته وهو يقاد بالعربة إلى مكتبه في إدارة البحوث العلمية والإفتاء، حتى توفاه الله، وكان يذهب إلى العمل أحياناً بعد صلاة الفجر، يصلي الفجر ثم ينتظر حتى تشرق الشمس ثم يذهب إلى العمل ويجلس في العمل في الإفتاء وفي الدعوة وفي تحرير الفتاوى والكتابة فيها وفي استقبال المستفتين، وفي الأعمال الإدارية والعلمية الكثيرة، حتى الساعة الثانية والنصف أو الثالثة، ثم يأتي إلى البيت ويتناول طعام الغذاء ويستريح بعد صلاة العصر قليلاً ومن بعد ذلك بعد صلاة المغرب يفتح أبوابه للراغبين من طلاب العلم والمستفيدين والعامة والخاصة، والشباب والشيب والصغار والكبار، كل يفد إلى بيته بعد صلاة المغرب من كل يوم، وكان أن تشرفت بلقاء الشيخ رحمه الله في آخر أيامه، وكنت بعد صلاة المغرب أزوره واختلف إليه لأستفيد من علمه وفضله رحمه الله، وبعد صلاة العشاء يتناول طعام العشاء ثم يرجع إلى أعماله العلمية وإلى فتاواه والاستعداد العلمي ليوم غده، ثم ينام مبكراً. وفي آخر الليل يستيقظ ليُصلِّي ماكتب الله له، وهكذا بابه مفتوح، علم وفضل ودعوة

وإصلاح وحسبه، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، وفتح باب للمستفيدين والراغبين من طلاب العلم ومن غيرهم، أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه حتى إنه أشرف على مئات الرسائل العلمية وكان أن شرفت بإشرافه رحمه الله في أول رسالة الماجستير في علم أصول الفقه، ويعلم الله أن السنوات التي قضيتها وهي بمثابة ثلاث أو أربع إلى خمس سنوات، من أعز أيام وليالي العمر، ولا أعرف أنني رأيت مثله رحمه الله ومثل شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله فيما جبلهم الله عليه من صفات متعددة في العلم والتعليم وبذل النفس والتحصيل مع العقل والحصافة وبعد النظر وإنزال الناس منازلهم والتوجيه بالتي هي أحسن، أما أخلاق الشيخ وصفاته فكان رحمه الله مثالاً في الخلق الحسن مثالاً في الورع والزهد لايعرف الأضواء البتة حتى إن كثيراً من الناس لايعرفون الشيخ، لأن الشيخ ليس صاحب شهرة ولا صاحب أضواء وكم يأته الإعلاميون من أرباب الصحافة والإذاعة والتلفزة وغيرهم ليخرجوه للأُمَّة، لكنه رحمه الله يؤثر التواضع ويؤثر البُعد عن الأضواء والشهرة احتساباً، وحتى يكون بعيداً عن الرياء وحتى يزداد تواضعاً إلى تواضعه- رحمه الله.

أما احترام الشيخ لغيره فكان يحترم المخالف بشكل كبير، يحترمه أمام الناس وإن خالفه، هذا في مسائل الفروع طبعاً لأن مسائل الفروع لا يُحجر فيها على أحد، حتى إن طلابه ليتمردون عليه أحياناً في الرسائل العلمية ويقولون له: يا شيخ نحن نخالفك في هذه المسألة فيقول: أنتم أحرار، وأنتم وما ترون، هذه رسالتكم واكتبوا ما ترون لكن رأيي كذا ودليلي كذا والذي أراه كذا فيقنع بالحجة والبرهان والدليل دون إزعاج ودون جلبة ودون ضوضاء ودون انتصار لرأيه، وبدون ردود

عقيمة لا تجدي شيئاً وبدون إسفاف في القول أو تنزّل إلى الكلام في أعراض الناس.

كان -رحمه الله- عف اللسان عن أعراض الناس، لايتكلم إلا بالخير ولا تراه إلا ذاكراً لله أو معلماً أو باذلاً للعلم أو داعياً إلى الله ولا يسمح لأحد أن يتحدث في مجلسه في أعراض الناس، بل يرى للناس فضلهم وسبقهم، ولا يسمح لأحد أن يتحدث أمامه بسوء ومجال النصح مفتوح، ومع ذلك كان من أنصح الناس للناس، فإذا رأى على أحد خطأً أو ملحوظة ينبهه على ذلك بحسن أدب وبحسن منطق، وبحجة وبرهان لا ينتصر لنفسه ولا لرأيه، ولا يسفه في التعامل مع المخالف أو يرميه بالكلام البذيء أو الفاحش من القول، بل يدعو بالتي هي أحسن -عليه رحمة الله- حتى إن بعض تلاميذه في رسائل الماجستير والدكتوراه يثبتون أنهم يخالفونه في مسائل ومع ذلك يجلهم ويقدرهم ويحترمهم ويجعل ذلك منهم مزية على غيرهم، لأنهم متمكنون وحريصون على إثبات شخصياتهم العلمية، أما الموقف من المخالف إذا كان في أمور الاعتقاد فإن الشيخ يبيِّن ويوضح المسائل ولا يجامل أحداً ولا يعرف المداهنة لكنه يداري، المداراة محمودة والمداهنة مذمومة، لا يداهن وجيهاً لجاهه ولا غنياً لغناه، ولا شريفاً لشرفه ولا كبيراً لكبره ومنزلته، لكنه يُبيِّن بالحسنى ويتلطف مع الناس بالأسلوب الحسن ويصل إلى ما يريد بالأسلوب المناسب حتى مع الجماعات المخالفة، يبين ما لها وما عليها، هناك مواقف ولطائف في حياة الشيخ وفي تحصيله وفي بذله ونشره للعلم، وفي معرفته بالناس وفراسته رحمه الله، الشيخ ذا بال واسع ورجل موسوعي، ورجل مهيب، أخلاقه وخلْقه وخُلُقه جبله الله على أحسن ما جبل عليه عباده الصالحين.

كان ذا هيبة وذا وقار يهابه كل من يراه، أو يجلس إليه، وكان رحمه الله متمسكاً بالسُّنة في مظهره ومخبره، له لحية طويلة كثة ولا يأخذ منها شيئاً، ولباسه على حسب السُّنة، فكان رحمه الله يطبق السُّنة تطبيقاً علمياً وعملياً عليه -رحمة الله-، ومن الصفات التي اتصف بها الشيخ رحمه الله زهده في الدنيا فبيته المتواضع في بعض الأحياء الشعبية في الرياض من يراه لا يليق بيته بأقل تلاميذه، ومجلسه متواضع وهندامه وشكله متواضع جداً لا يتعالى على أحد أو يزهو على أحد وما دخلتْ عليه الدنيا أو غمرته بشهواتها ودرهمها ودينارها، بل إنه -رحمه الله- كان لجوده وكرمه لا يدخر شيئاً من أمواله إلا ما يدخر لأبنائه، حتى أن بعض طلابه في كلية الشريعة والمعهد العالي للقضاء ممن حالهم من الحال المتوسطة، كان يسلفهم وكان يعطيهم من أمواله حتى إنه يؤثرهم على نفسه.

كانت له فراسة في السائلين وله فراسة بالناس، ولا يسمح لأحد أحياناً أن يقل أدبه أمامه، يذكر أن رجلاً من البادية أتى الشيخ في موسم الحج فقال له: ياشيخ إن ابني هذا صغير وقد أحرمت عنه ولكن ابني مشاغب، فيفتيه الشيخ ويُعلِّمه بأنك إن أردت الإحرام لابنك لابأس وتمنعه من المحظورات فيذهب الرجل ثم يرجع إلى الشيخ ويقول: ابني فعل كذا، ثم في الثالثة قال له الشيخ: وماذا أقول لك إذا كان ابنك بهيمة..!! فالشيخ -رحمه الله- بهذا الأسلوب أعطى للسائل درساً تربوياً ليُقدِّر هذا السائل مشاغل الشيخ وظروفه وكثرة السائلين، وهذه من المواقف واللطائف التي تذكر في أسلوبه التربوي والتعليمي والدعوي، ومن مواقفه أنه أحياناً يتفقد أبناءه في المعهد العالي للقضاء وفي كلية الشريعة، فإذا رأى من أحدٍ منهم انحرافاً في بعض التصور أو

بعض السلوك، قال له: يافلان احذر أن تسقط من الزمبيل، والطالب يعرف مراد الشيخ وكذا الطلاب يعرفون مراد الشيخ، وهذا أسلوب مناسب تربوي، يوقف الطالب على حقيقة نفسه حتى يصلح من حاله. ويأتيه بعض الطلاب من الذين يوجد عندهم شغب وفوضى في الطلب، فيكثرون عليه وأحياناً يرى منهم انعكاساً فكان رحمه الله يقول: إن بعض هؤلاء كنبت البصل رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى، ومن هذا يتبيّن أن الشيخ رحمه الله كان متفرساً في الناس ،وكان أيضاً يتخذ الأسلوب التعليمي التربوي، وكان يهابه كل من يسأله لكنه مع ذلك كان منشرح الصدر يفتح صدره وبابه لكل سائل وطالب علم ،حتى أنه يُسأل وهو على فراش المرض فيجب.

لقد ابتلي الشيخ -رحمه الله- في هذه الدنيا، أُبتلي في هذه الحياة ببلاء المرض فكان يصاب بالصداع وعمره سبع سنوات وكان قد أصيب بالشلل مرتين وأصيب أخيراً بالسكر وضغط الدم وضعفٍ في أجهزة الكبد والكلي حتى توفي -رحمه الله- ومع هذا كان الشيخ صابراً محتسباً متجلداً لايعرف من يواجهه أو يلاقيه أن به مصيبة وهذا من تجلد المؤمن «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير»، وابتلي أيضاً بفقد ثلاثة من أولاده وهم أحمد أكبر الأولاد وعبدالله وعبدالرحمن رحمهم الله جميعاً، لكن انظر إلى موقف الوالد انظر إلى موقف الصابر المحتسب تأتيه رسالة وهو يدرِّس في المعهد العالي للقضاء فلا يزيد إلا أن يقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، ويغلق الرسالة ويذهب لإلقاء درسه على الطلاب بعد أن علم بوفاة والده رحمه الله من خلال هذه الرسالة، وتوفي أكبر أولاد الشيخ توفي وهو في المعهد العالي للقضاء جاءه خبر وفاته وذهب الشيخ كعادته يدرِّس في المعهد العالي للقضاء في يوم خبر

وفاة ابنه، ودخل إلى القاعة ودرَّس الطلاب في مادة أصول الفقه أو مادة التفسير، ودرسهم كعادته، وكأن الشيخ ليس به شيء البتة ولم ير عليه تلعثم ولا تلكأ، بل أعطاءهم المادة العلمية على خير وجه، فما أن خرج الشيخ من القاعة حتى توافد عليه إدارة المعهد والمدرسون يعزونه في وفاة ابنه الذي جاء خبر وفاته هذا اليوم فيقول الطلاب ليست دهشتنا من موت ابن الشيخ وليست دهشتنا أن الشيخ جاء يدرِّس لكن دهشتنا الحقيقية من صبر الشيخ وتجلده وكأن شيئاً لم يكن، لقد رضي الشيخ بقضاء الله وقدره ولم يقعده ذلك المصاب عن العمل، لم يجلس ثلاثة أيام ولم يأخذ إجازة لأنه جاءته مصيبة، ويتوفى ابنه عبدالله أيضا بسكتة قلبية ويموت أحب أبنائه أو من أحب أبنائه إليه عبدالرحمن وكان زميلاً لنا في الكلية، يموت في حادثٍ والشيخ متجلد وصابر ولم يظهر منه جزع البتة وكان لا يزيد على أن يسترجع يسأل الله تبارك وتعالى، أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وكرمه.

ثناء الناس عليه:

الشيخ -رحمه الله- ممن كتب الله له القبول والمحبة في الأرض فأحبه الناس على اختلاف درجاتهم فمن الملك إلى أصغر الناس كان يحظى بتقديرهم وثناء الناس عليه، الملك عبدالعزيز رحمه الله كان له درس في قصره في يوم الأربعاء ليلة الخميس وكان العلماء يجتمعون عنده، وكان يطلب من الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- أن يلقي درساً وموعظة فيستريح لها الملك ويدعو له كثيراً.

لقد نال الشيخ بهذا العلم وتلك المواعظ تقدير الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وما ذلك إلا لإخلاصه وحرصه ورغبته ونشاطه وإفادته

البلاد، وما عرفت أحداً إلا ويثني على الشيخ سواء من المدرسين أو غيرهم يثنون عليه كثيراً، لقد كان عند الشيخ من الورع ما لا يوجد عند كثيرين من علمائنا اليوم لا في منزله ولا في بيته ولا في سيارته ولم يعرف ماعرفه الناس من خدم وحشم ومن سائقين ومن سيارات ومن قصور إلى غير ذلك من الأمور، بل آثر ماعند الله تبارك وتعالى، ومن أهم جوانب حياة الشيخ بُعده عن الأضواء والشهرة والظهور.

ومن أهم ما يتميز به الشيخ أيضاً أنه رجل موسوعي عميق العلم وبخاصة في مسائل الاعتقاد، فإذا تحدث تشعر وكأنه نسخة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأقول ذلك بلا مبالغة حتى إنه -رحمه الله- يقول: أنا ما رأيت من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ما قرأت لعالم من علماء السلف إلا وأرى أن لغيره سلف أو أن له سلف لكن شيخ الإسلام -رحمه الله- كان يأتي بمنهج سليم مؤصل على ضوء الكتاب والسنة وصحيح المنقول وصريح المعقول كان الشيخ -رحمه الله- قليل الكلام لايتكلم إلا قليلاً، لكنه يتكلم بجوامع الكلم يتحدث فيما يفيد لا يعرف الثرثرة ولا كثرة الكلام، ولا الكلام الإنشائي الذي لا طائل تحته.

لقد كان الشيخ يتكلم كلاماً قليلاً لكنه قليل المبنى كثير المعنى، كان الشيخ يؤصل تأصيلاً علمياً، يعتمد الدليل يؤصِّل المسائل، كان الشيخ يعتني بتحرير الخلاف وتحرير محل النزاع، وتحقيق المناط في المسائل ويرى أن ذلك يغني عن كلام كثير في هذه المسائل حتى لربما أتاه الطلاب فكان يقول انظر المسألة في كتاب كذا وكذا.

كان الشيخ -رحمه الله- لايعتني بكثرة الكتب، ولم تكن عنده مكتبة

كبيرة بل عنده أمهات الكتب فقط، وكان يحرص على أن يقرأ القرآن ويقرأ كتب السُّنة والأمهات ولا يعتني بالكتب المعاصرة البته، ويرى أنها لا تفيد، على كلٍّ حال هذا رأي الشيخ -رحمه الله- لأنه يرى أن الأوَّل لم يترك للآخر شيئاً، لكن لا يمنع أن يستفيد الإنسان من مؤلفات غيره، مراد الشيخ أن هذه الكتب التي يعتني بها الناس اليوم، الكتب الفكرية، وغيرها من الكتب المعاصرة يرى أن الأوائل كفونا في هذا المجال، وكان -رحمه الله- يحفظ كثيراً حتى إنه في السنين الأخيرة لا يطالع كتباً وكان يقرأ من حفظه وكان يُدرِّس من حفظه، وما ذاك إلا لذكائه وموهبته وسعة حافظته رحمه الله، أيضاً مما ينبغي أن يذكر في منهج الشيخ، منهجه في العقيدة كان لا يعرف الذبذبة ولا اللف والدوران صاحب منهج عقدي، وسلفية صحيحة، لم يتميّع في هذه الأمور ولم يتذبذب في المسائل وإنما كان على علم ودراية وكان يعتني بالتوحيد غاية العناية، تعليماً ونشراً ودعوة إلى الله تبارك وتعالى، حتى نفع الله به نفعاً عظيماً، وأيضاً من منهج الشيخ، منهجه الدعوي، وله مقالات في هذا تحت عنوان الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله، تكلم فيها عن الدعوة بوجهها المشرق وبيان مكانة الداعية وأسلوب الداعية الصحيح، مؤصلاً وناظراً إلى دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وعنايتهم بالتوحيد.

لقد كان الشيخ -رحمه الله- لا يحب الظهور ولا يسعى إلى ذلك، وهذا مما يؤكد على تواضعه -رحمه الله- وإخلاصه وبعده عن الرياء والظهور والشهرة، وأيضاً كان الشيخ -رحمه الله- له مواقف في الإصلاح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمشى مع مقاصد الشريعة وقواعد الدين ومقاصد الإسلام لم يكن الشيخ عَجِلاً ولم يكن الشيخ مندفعاً بل كان الشيخ عاقلاً حصيفاً بعيد النظر في الأمور حتى انه ليأتيه

الجماعة الذين هم من نبت كنبت البصل الذين رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى أعلى، فيحثهم علي التلطف والرفق بالناس وحسن التوجيه لأن منهج الداعية يريد الخير للأمّة لا يريد أن يحدث من دعوته ما هو أشد ضرراً وأكثر فتنة، فقد يكون أحياناً إنكار المنكر إذا كان بأسلوبٍ غير صحيح قد يأتي منه ضرر وعواقب وخيمة فكان الشيخ رحمه الله -مع أنه لا يخاف في الله لومة لائم- كان يقول الحق ويغار على حرمات الأمّة وعلى عقيدتها وقيمها، لكنه مع ذلك لا يحب الإثارة بل يغار الغيرة المتعقلة والمنضبطة، وكان بعيد النظر رحمه الله وكان مع ذلك ينصح الخاصة والعامة ويكاتب الولاة والمسؤولين ويبين لهم ويعظهم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يقر منكراً ولا باطلاً لكنه كان يسلك الأسلوب الحسن.

لقد كان في الحقيقة مجاهداً قوياً في الحق لايخاف في الله لومة لائم لكنه كان إذا أراد أن ينصح المسؤول نَصَحَه على انفراد، وإذا رأى في المسؤول أو في أحد من الناس خطأً كاتبه وناصحه ونبهه إلى أخطائه وكان ذلك عن طريق الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز وغير ذلك من الأساليب الناجحة التي تفيد في إزالة الضرر وتحصيل النفع ولاتحدث شكاً ولا ريبة ولا إثارة ولا فتنة ولا بلبلة، والشيخ -رحمه الله- يحقق بذلك مقصداً من مقاصد الشريعة وهو جمع كلمة المسلمين وعدم الإثارة والفتن وعدم إيغار الصدور، فكان -رحمه الله- يحرص على المنهج السليم في دعوته وإصلاحه وحسبته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، كان الشيخ رحمه الله مجاهداً صابراً عالماً مُعلِّماً تخرج على يده التلاميذ الكبار ممن عدَّدتُ آنفاً، وكان -رحمه الله- لايرى التأليف مع غزارة علمه وسعة إدراكه وأنه بحر في كثير من العلوم موسوعي المعارف والعلوم، ولم يخلف

لنا من الكتب والتراث العلمي إلا أشياء قليلة لكنها تُكتب بماء الذهب وهي الآن لو تولاها العلماء وطلاب العلم شرحاً وتعليقاً لبلغت عدة مجلدات، منها «مذكرة في التوحيد» دُرِّست في المعاهد العلمية وفي الكليات مذكرة في بيان توحيد العبادة، التوحيد الصحيح الذي هو حق الله على العبيد في عالم يموج اليوم بسائر المعبودات من دون الله تبارك وتعالى، أيضاً منهج الشيخ في توحيد الأسماء والصفات واضح وله ردود في هذا الصدد على المعتزلة والأشاعرة بالأسلوب العلمي، الشيخ لايعرف الرد على الأشخاص لذواتهم لكنه يردُّ لبيان الحق، يرد لبيان المنهج الصحيح، يرد على الطوائف والفرق وإن لم يُسمِّ لكنه يؤصل منهج السلف الصالح تأصيلاً صحيحاً حقيقياً وكافياً وشافياً لايحتاج إلى نظر من قرأه إلى غيره، عندما تقرأ في كتبه فكأنك تقرأ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي كان الشيخ محباً له مغرماً بقراءة كتبه، حتى إني أكاد أقول أنه استظهر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب ابن القيم رحمهما الله، وللشيخ أيضاً حاشية على «تفسير الجلالين» بيَّن فيها خطأ الجلالين في مسائل الاعتقاد لاسيما في الأسماء والصفات بأسلوب علمي رحمه الله، وكان مما يذكر عنه أيضاً في مواقفه أنه في مصر كان هناك كلام كثير حول قضايا الصفات وقضية الاستواء وكان كثير من علماء الأزهر ينحون منحى آخر خلاف منهج السلف فكان الشيخ رحمه الله يبين مذهب السلف ويقرره في كل درس ومحاضرة مع التزام الهدوء في الحوار والمناقشة، حتى يرجع كثير من الناس إلى عقيدة السلف، وهذا منهج يحتاجه الدعاة إلى الله ويحتاجه العلماء ويحتاجه طلاب العلم اليوم، لأننا نعاني من عدم منهجية صحيحة في الردود، وعدم ضوابط مناسبة يتخذها كثير من الناس مما قد يضر ويفرق الكلمة

أكثر مما ينفع، المهم أن الشيخ -رحمه الله- ظل داعية مجاهداً صَابراً محتسباً باذلاً نفسه للأمة ماشياً في حوائج الناس وشفاعاتهم والكرم والبذل لهم، وفتح بابه للدعاة والطلاب والمستفتين وشارك في مواسم الحج في التوعية بالحج سنين عددا، وكان مخيمه مفتوح في منى للمستفتين والمستفيدين من طلاب العلم ومن العلماء ومن عامة الناس، ومن سائر ضيوف وحجاج بيت الله الحرام وغيرهم، فكان الشيخ على ذلك إلى أن مرض -رحمه الله- مرضاً في آخر حياته، وكان الشيخ -رحمه الله- في مرضه ذلك مثالاً للتجلد والصبر والاحتساب حتى أن العلماء والمحبين مشفقون عليه يقولون له: ياشيخ عبدالرزاق جسمك وصحتك وراحتك أولى لنا، ولكنه مع ذلك من بعد صلاة الفجر يُدف على العربة حتى يوصل إلى المكتب أمام سيل من المعاملات يفتي فيها ويحرر ويكتب ويبين للأُمَّة، حتى نفع الله به نفعاً عظيماً.

أقول أيضاً: من نتاجه العلمي وإن كان مقلاً تعليق من أحسن ما رأث عيناي في علم الأصول، تعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي علق الشيخ عبدالرزاق زُبَداً تكتب بماء الذهب ترك علم الكلام وترك علم المنطق، ترك الإغراق في العقليات، وأصَّل علم الأصول زبدا، على منهج الكتاب والسُّنة والسلف الصالح. قاعدة ومثال، دليل وتطبيق أصل وفرع.

للشيخ -رحمه الله- تحقيقات خفيفة وكتابات قليلة، حقق كتاب «العلو للعلي الغفَّار» للذهبي، ووضع تعليقات يسيرة على «العقيدة الطحاوية» وأرجع كل ما فيها إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- وعلق على «العقيدة الواسطية» و«الفتوى الحموية»، وعلق على كتاب «الاعتقاد» للبيهقي، وكل ذلك، يكتب بماء الذهب،

والحقيقة أنه يقترح أن يكون هناك دورات وجلسات وحلق علمية يستفاد منها من منهج الشيخ -رحمه الله- وإفادته في هذه المجالات كلها وإني لأقترح على رئاسة الإفتاء وعلى جامعة الإمام وعلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وعلى زملائه وتلاميذه، أقترح عليهم فعلاً أن يحرصوا على جمع فتاوى الشيخ -رحمه الله- وكتاباته وتخرج في كتاب موسوعي كبير يستفيد منه طلاب العلم وإني لأنصح الجامعات في جميع أقسامها أن تعنى بالاستفادة من منهج الشيخ وجهوده في العقيدة ومنهجه في العلم والدعوة ومنهجه أيضاً في الأصول وردوده على الفرق المخالفة وطريقته في الدعوة والإصلاح وموقفه من مسائل معاصرة له فيها إسهامات كثيرة، أقترح أن يكتب عنه رسالة ماجستير أو دكتوراه، «الشيخ عبدالرزاق عفيفي وجهوده في الدعوة» لماذا يُلمَّع غير الشيخ من أناس ما وصلوا إلى الركب في علم الشيخ ومع هذا تجدهم الآن لهم صولة وجولة ولمعان عند كثير من شبابنا وأبنائنا، وتجد أن الشيخ لا يُعرف له قدره وحقه في هذا، الشيخ جدير أن يكتب فيه عشرات الرسائل العلمية في كل منهج ومجال من المجالات العلمية وليس هذا والله بكثير عليه.

أرجو أن أكون قد وفقت إلى القاء إطلالة عن حياة الشيخ رحمه الله. وأما ما يتعلق بجانب بيته وأسرته فكان الشيخ أيضاً حريصاً على بيته وأسرته، لم يشغله العلم والدعوة عن بيته وأسرته كان حريصاً على حسن العشرة، كان حريصاً على الأدب ورعاية شؤون زوجه، وبهذا يتبيَّن موقفه من المرأة، كان حريصاً على إكرامها وتقديرها والسعي للعناية بها.

خلف الشيخ من الأولاد خمسة ذكور وثلاثاً من البنات، ثلاثاً من الأبناء توفوا في حياته وإثنان موجودان أحدهما في جده والآخر في الرياض

وهم سائرون وحريصون على منهج الشيخ -رحمه الله- وجزاهم الله خيراً، وهذه نقولها لهم ونشكرهم وهم حريصون على نشر تراث الشيخ -رحمه الله- ومستعدون لتقديم أي مساعدة في هذا المجال عن تراث والدهم والد الجميع شيخنا العلامة عبدالرزاق عفيفي- رحمه الله.

توفي الشيخ -رحمه الله- في يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر الثالث عام خمسة عشر وأربعمائة وألف للهجرة، أدخل المستشفى العسكري بالرياض إثر تردي حالته الصحية -رحمه الله- وبقي في المستشفى لمدة تقرب من أسبوع أو أكثر بقليل إلى أن فاضت روحه إلى بارئها عليه رحمة الله وجمعنا به في دار كرامته بيمنه وكرمه وقد شهدت جنازة الشيخ مشهداً عظيماً يذكرنا بما قاله الإمام أحمد رحمه الله لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، فَصُلِّي عليه في الجامع الكبير بمدينة الرياض جامع الإمام تركي بن عبدالله، وقد أمَّ المصلِّين عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وقد ارتج المسجد بالبكاء وذهب الناس إلى مقبرة العود في الرياض زرفات ووحدانا راجلين وركبانا أمام الجنازة وخلفها ومن حولها وشهدت جنازته مشهداً عظيماً لم يُشهد إلا في مشاهد كبار العلماء- رحمهم الله جميعاً.

والحقيقة أنني وإن كنت أقل من يتحدث عنه فقد عاشرت الشيخ وجاورته واستفدت من علمه وعمله، وأشهد أني لم أستفد من غيره ما استفدت منه هو وسماحة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يرفع درجة الشيخ في عليين وأن يرحمه رحمة الأبرار وأن يجعلني وإخواننا المسلمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجمعنا بعلمائنا في دار كرامته، وأن يجعلنا خير خلف لخير

سلف وأن يجعل أجيالنا المتأخرة مرتبطة بعلمائنا وسِيَرهم. وفق الله الجميع لما فيه الخير والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم

الألمعي الذي يَظُن بك الظَّن كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا[(١)]

منذ هَمَمتُ أن أَخُطَّ خط عرفان ووفاء عن إمام جليل، ودوحة فارعة، فَلَق الله نواتها في مصر، وتعهدها ووالاها، حتى استغلظتْ وأخرجتْ شطوءها وامتدتْ، وأظلَّت بلاداً وعباداً، وراح رائحتها دانون وقاصون.

منذ ذلك وأنا أتردد متهيباً مُشفِقاً، أقدم وأحجم، وإلا، فكيف يسبر وليد أغوار والد، وكيف تحيط بصمةٌ في كفٍّ عملاق بخصِّيصة من خصائص ذلك العملاق الذي كان يتجنب الأضواء، ويتوارى عن عيون الراسمات والكاميرات، ويؤثر دائماً الظل متعففاً متمثِّلاً الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِس عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أُعطِيَ منها رضي، وإن لم يُعط سَخِط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتُقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قدماه. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة...» الحديث.

---

(١) هذه الكلمة الضافية للأستاذ الأديب بخاري أحمد وكيل أنصار السنة المحمدية بمصر، وقد زودني بها الأستاذ محمود عبد الرزاق عفيفي جزاه الله خيراً.

ولقد راعني إيثاره للظل وتجنبه كل الحفلات والمناسبات التي يتصدر فيها أمثاله ويتبارون، فقال حين سألته: (أخشى أن يكون لنفسي من عملي نصيب). نوازع، وخواطر تملكتني حين هممت أن أخُطَّ خط وفاء وعرفان في شيخي فضيلة الإمام الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله.

وحملت النفس على الإقدام، ومضيت أسترجع الأيام، وأستندي الذكريات، وأفتق الأكمام لعلها تبث ما استُودع فيها من الأرواح الشذية الذكية التي تحمل من روائح الشيخ وروائعه ماتحمل، وبينا أنا في ذلك برق في الخاطر حديث متفق عليه رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون[1]. فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر».

ورسول الله ﷺ إذ يسوق هذا الخبر في قالب يشي بالشَّك، يذكِّرنا بأن مردَّنا في الغيبيات هو الله. وأن العبد تقف معلوماته المجردة عند حد الظن. ولكن هذا لا يقطع الرجاء وحُسن الظن بالله، والله عند ظن عبده به. فالمولى الذي مَّنَّ على الأولين، كريم حَريّ بألا يحرم أُمَّة محمدٍ من الملهمين العدول الذين يحملون أعباء هذا الدين، مصداقه ما جاء في الخبر الذي رواه البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعاً: يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[2]. وظني

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٠/٧) المحدَّث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وقيل هو من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

(٢) ذكره الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص١٢)، وقال الإمام أحمد عندما سئل عن هذا الحديث: (هو حديث صحيح).

أن هذا هو التجديد الذي أُشير إليه في الحديث: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجدِّد لها دينها»[1].

وعلى ضوء هذه الآثار ترجح كفة الرجاء. رجاء أن يكون فقيدنا الجليل قبساً من أضواء أولئك الملهمين المجددين.

وعلى جادة الرجاء مضيت وأنا أُتمتم:

أيتها العين أجملي جزعاً	إن الذي تحذرين قد وقعا
أُورى الذي جمع السماحة وال	نجدة والعزم والتقى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظن	كأن قد رأى وقد سمعا

ونحسب أنَّ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان ترجمة صادقة للألْمِعِيّة التي صوَّرها صاحب هذه الأبيات، وكان شُعاعاً ملاكه الأناة والفطنة والعمق وبُعد النظر ووضوح الرؤية، والسداد وجريان الحق على لسانه وقلبه.

ونحن إذ نُعدِّد من مناقبه ما نُعدِّد لا نَبْغي ثناءً عليه ولا رثاءً، وإنما ذكرناه لأنها -فيما نعلمه- مفتاح شخصيته، وسرّ جاذبيته، وتأثيره الآسر لتلاميذه، ولرفاقه على الدرب الوعر الطويل. وكانت معاونه في مسيرته الشاقة المضنية. كانت عماد علاقاته بالناس كلّ الناس، وكانت قوام منهجه العلمي التربوي. كانت شخصيته المحور والمركز والرافد الذي يمد عناصر المنهج الأخرى بالفاعلية والحيوية.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٢٩١)، والحاكم في مستدركه وصححه الألباني. وانظر صحيح الجامع (١٨٧٤).

وهذه الشخصية الآسرة التي تأرز إليها الأفئدة بكل قسماتها ولبناتها، هبةً وتوفيقاً ربانيًّا مُجسَّماً.

فالشيخ -رحمه الله- لم ينحت شخصيته ولم يبنها على أسس وأصول خارجية أصَّلها المربون، أو ابتدعها الفلاسفة، أو قننها علماء النفس، إنه كان بحق مفطوراً على قُوىً آسِيةٍ، هادئة مبصرة، كان موهوباً.

إذا تقرر هذا يمكننا أن نقول: إن حجر الزاوية في منهجه العلمي التعليمي إنشاء علاقة حب متبادل بينه وبين كل الواردين وِرْدَه من طلبة نظاميين، ومن قاصدين يتتبعون خُطاه ويتحرون دروسه،ومن باحثين يُحضِّرون الدراسات العليا، ومن علماء أجِّلاء كانوا يستهدونه ويلتمسون رأيه في مشكلة علمية، أو في قضية تعدَّدت فيها الرؤى أو تحيَّرت فيها الألباب.

وكان لا يحب أن يكون تلميذه فاقد الوزن، ريشةً في مهب الرياح، لذلك كان همُّه الأول أن يُولد في نفس الطالب ثقة تقيم صلبه، وتجلو مداركه، وتذلل له وعثاء الطريق.

كان يحاور الطالب وعلى شفتيه ابتسامة توحي للطالب أنه حاز الإعجاب، ووافق الصواب، وكان يستقبل الإجابات باهتمام بالغ، فإذا ظفر بجزئية صحيحة هلَّل لها وأثنى عليها، ووقف عندها ليشرح صدر الطالب، ويرفع من روحه، ويخفف من أثر ما قد يكون من نقد.

وكان يرى أن ارتباط الطالب بعالم الكتب هوالمستحج الذي يجلو، ويلفظ الزبد. فكان يحدو الطالب- في رفق، ولطف ويوجهه إلى القراءة.

كان في كلِّ جلسة يتحدث عن كتاب أو أكثر حديثاً كأنه عارض، وهو في الحقيقة مرتب مقصود، وكان إذا وجد بين إجابة طالب وكتاب

ما أدنى ملابسة، بادر الطالب بقوله: جميل أنك قرأت كتاب كذا. إنَّ أرواحه تهبُّ من إجابتك.

فإذا ابتدأ -بعد كلِّ هذا- يُغذِّي ويرفد، حرص على أن يحوم حول العقيدة، وإن كان الدرس درس نحو، أو أدَب، أو بلاغة، أو تعبير. حام حول العقيدة يقيمها أو يجلوها ويصقلها، أو ينقيها مما غشيها.

ذلك لأنه كان يرى أن العقيدة الملتاثة طريق الهاوية، ونذير الخَيبة والندامة هكذا. حتى إذا هَيَّأ الطالب وأمنَّه، وبرح به الهُوينى يُربيه، ويُعليه ويزكيه.

وكان -رحمه الله- يؤمن أن للمواقف بصماتها في تكوين الشخصية، وأن اقتحامها يورث الشجاعة، ويصنع الأبطال، فكان كثيراً ما ينتخب نُخْبةً من تلاميذه، ويكلفهم بموضوع في المنهج يعدونه مستعينين بالمتن والحاشية، ثم يصطفي واحداً أو أكثر ليحاضر ويناقش، أوليخطب الناس في محفل، ولست أنسى أنه فاجأ تلميذاً من تلاميذه ليخطب العيد في حضرة عددٍ من عَليْة العلماء.

ولقد صنع -رحمه الله- بمثل هذه المؤثرات جيلاً من الدعاة لا يزالون يعكسون مما تلَقَّوا، ويصنعون -بدورهم- دعاةً آخرين.

ولقد سعدت بالتتلمذ عليه -رحمه الله- في معاهد العلم. ومعاهد العلم تحكمها مقررات ومناهج، ولكن فضيلته لم يكن نمطياً في تعامله مع المقررات والمناهج، بل كان ينتهج طريقة ثرَّة العطاء، مترامية الأبعاد، جمّة الشآبيب، محورة المدار. فيها يتخذ الموضوع المقرر محوراً يفتح على فنونٍ من العلوم ندلف منها إلى الموضوع أو ندلف إليها من الموضوع.

وهي طريقة شديدة الشَّبه بما كان يُسمَّى في الأزهر -بالتعيين- يُعيِّن للطالب في السنة النهائية جزء محدد -في كتاب أُمٍّ- للنحو فيه مجال، وللصرف مجال، وللبلاغة مجال..إلخ وشديدة الشَّبه بما درسناه في معاهد التربية العليا تحت اسم الطريقة المحورية، وهكذا كان يغذِّي تلاميذه بوجبة دسمة غنية بالعناصر.

سعدت -كذلك- بالتتلمذ عليه خارج معاهد التعليم في المساجد، والجمعيات، وفي المحافل ومراكز الثقافة، وفي قاعات البحوث. وكان رائده -وهو يغاير من أساليبه «لكلٍّ مقام مقال ولكل حالة لبوسها». ومعنى ذلك أنَّه لم يكن نمطياً، راكداً كالماء الآسن، بل كان سيالاً، يتكيف مع شتى الأجواء.

قال في مقدمة محاضرته عن شُبهات حول السُّنة: المسلم الداعية، أو المناظر الذي يثبت حُجيَّة السُّنة، ويدفع الشبه عنها يختلف موقفه باختلاف خصمه أو مَنْ يناظره، فتارة يكون الخَصم مُنكراً للسُّنة من أصلها جملة! وموقف الداعية من هؤلاء. يختلف من موقفه من أولئك الرافضين لأحاديثَ معينة لا توافق فكرهم- لأولئك أسلوب ولهؤلاء أسلوب.

وكان من دأبه -رحمه الله- حين يناظر، يحيط بخصمه من كلِّ جانب، ويسد عليه كلّ طريق، ولذلك نراه يقرر -في المحاضرة ذاتها- أنه لا بد من التأسيس بالتركيز على: أنه لا بد من البناء على ضرورة الإيمان بواجب الوجود الذي يوحي إلى رسله بما يُوحي ومن وجوب الإيمان بِرُسل يُرسلون إلى العباد، ومن جهة وجوب ما جاءت به الرسل -عقيدة وعملاً- على الأُمَّة التي أُرسلت إليها الرُّسل. وعلى

هذه الأسس الوطيدة، والأصول الثابتة يبني مناظرته ويحاج خصومه.

والعقيدة باعتبارها قاعدة الإطلاق مركز الانطلاق، والسُّنة باعتبارها الوحي الثاني، والواجهة التي تتعرض للأهباء والأقذاء والأنواء، كانتا مناط اهتمام الشيخ -رحمه الله- يركِّز عليهما، أو يلمح إليهما، أو يذكر بهما، ويمسهما مساساً رفيقاً في شتى أحاديثه، ويتعرض لهما لأدنى ملابسة بينها وبين الموضوع الذي يعالجه.

وكان في جُلِّ مناظراته، ومساجلاته ينفض عنهما ما عراهما من غبرة، وينفي عنهما تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وإبطال المبطلين.

وإن مما حفظناه عنه -رحمه الله-: (إذا ناظرت فليكن همك تحرير عقيدة خصمك. وزلزلة أركان باطله بقذائف الحق، ثم انزح ردوم الباطل ووال فؤاده حتى يتطهر، فإذا تطهر غَذِّه بحلاوة الحق). وظنِّي أنه كان في مقالته تلك يستهدي قول الله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]. أي: يذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، بل ظنِّي أنه كان في منهجه كُلِّه يترسَّم خطا القرآن الكريم، ويستهدي مواقفه فإنَّك إذا تأملت القرآن المدني وجدته يواجه ضمن ما يواجهه تسلط أهل الكتاب على أفكار العرب، وحشوهم إيَّاها بخزعبلات، ومفاهيم غثة ما أنزل الله بها من سلطان، مُدَّعين أنهم أحباء الله وخاصته من خلْقه، وأنهم أوعية عِلْم الله في الأرض، وأنهم.. وأنهم. وآمن عرب الجاهلية بهذا فانصاعوا لهم -تحت ضغوط عقدة الأُميَّة- وانفتحوا أمام غزوهم الفكري، واتخذوهم مراجع ومستشارين.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٨).

وجاء القرآن والعرب يرسفون في هذه الأغلال فابتدأ بتحطيمها. عرّى اليهود، وشرّحهم حتى بدت فقارهم، وعدّد مخازيهم، وكشف عن فراهم، وفضح جرائمهم وبيّن غدرهم، وأظهر خبث نيتهم وسوء طويتهم، حتى حطّم التمثال الكاذب الذي أقاموه لأنفسهم في نفوس العرب، وكان -وهو يفعل ذلك- يُزكي الوجدان ويُطهِّر الفكر، ويُحل البدائل القيّمة محل الأباطيل، والحق الأبلج مكان الضلال الأثيم- هدم لكلٍّ ما أقاموا وتقويضٌ لكلٍّ ما أحدثوا، ثم نزْح للحدث وإزالةٌ للأنقاض، ثم إرساءٌ، ورفع للقواعد، وتشييد لصروح الحق.

والقرآن إذ يُعْمل معاوله في مؤسسات الشياطين، يحرص على أن يُقدِّم البديل تلمس هذا بجلاءٍ وأنت تتمعن في قوله الله تعالى من سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(1).

حسن المآب هو البديل المجمل الذي فُصِّل بعد ذلك تفصيلاً يثير الشوق، ويحدد الطريق ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(2).

كما تلمسه وأنت تتابع استقراء إبراهيم عليه الصلاة والسلام

(1) سورة آل عمران: الآية (١٤).

(2) سورة آل عمران: الآيات ١٥ ـ ١٧.

لأجرام في السماء وهو في مقام التنبيه، والإيقاظ، وتسفيه الأحلام التي تُتخذ من دون الله آلهة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وآيات الأنعام هذه يتمثَّل بها الشيخ -رحمه الله- وهو يُدرِّسُ المنطق الحديث القائم على الاستقراء والغربلة، وفرض الفروض، وتحقيق الحقيقة.

ولقد عاش -رحمه الله- في مصر أياماً اتسع فيها مدُّ الصوفية، وراجت أفكارهم التي تزعم في الأنبياء زعماً أقرب إلى زعم النصارى في نبيِّهم. وغالى بعضهم فزعم أن محمداً وربه حقيقةٌ واحدة، وفيهم مَنْ زعم أنهم خُلقوا من نور، وإن أجسادهم شفافة شفافية البلور النقي، وأن.. وأن.. إلى آخر تلك الأباطيل التي باركتها السياسة، ومكن الاستعمار لأقطابها في الأرض.

ولقد تصدَّى الشيخ -رحمه الله- لمثل هذه النزعات الضالة، وكان أخشى ما يخشاه أن يفيض المستنقع الصوفي، ويلوث ما حوله، ويتسلل إلى خَلد بعض تلاميذه الموحِّدين رأى بأن الخطر داهم، وأنَّه يتفجر من

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ٧٤ ـ ٧٩.

مراكز قوة. وأن صنائع الغرب المستعمر يفسحون لهذه الأفكار ويهشون لها باسم حرية الفكر وباسم الفلسفة الإسلامية.

والمظنون أن يعمد الشيخ -رحمه الله- وهو يتصدّى- إلى حشود الآيات والأحاديث التي حسمت مثل هذه القضايا حسماً لا تعتريه شُبهةً والواقع أنه -رحمه الله- ركب مركب السهل الممتنع الذي يُؤثّر منطبعاً في النفوس.

لقد أدرك فضيلته -رحمه الله- أنَّ الطغمة التي ترتفع بأقدار الأنبياء إلى ما يقرب من التأليه، متأثرون بقالة القرون الأولى التي استنكرت بشرية الرُّسل، ولهجت ألسنتها بمثل: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(1). ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾(2). ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾(3). ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾(4).

عمد فضيلته -رحمه الله- إلى سورة الأنبياء يستهدي بآياتها مع تأمله -رحمه الله- لمثل قول الله في الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾(5). ومثل قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾(6). ومثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾(7).

وكذلك تمعَّن في سِيَر الأنبياء ونفذ إلى ما تحمل من معالم البشرية ومظاهر القصور والافتقار والحاجة إلى قوة عليا تجبر القصور، وتُشبع الرغبة

---

(1) سورة الأنبياء: الآية (٣).
(2) سورة المؤمنون: الآية (٢٤).
(3) سورة المؤمنون: الآية (٣٣).
(4) سورة المؤمنون: الآية (٤٧).
(5) سورة الأنبياء: الآية (٧).
(6) سورة البقرة: الآية (١١٦).
(7) سورة الأنبياء: الآية (٣٤).

البشرية التي تعتمل في نفوس الأنبياء كما تعتمل في نفوس سائر البشر.

قال رحمه الله: «قدَّم القرآن بين يدي حديثه عن الرُّسل المطبُوعِين في غُدُّوهم ورواحهم وانفعالاتهم بطابع البشرية، قدم بلمحة خاطفة تفيد - ضمناً- أن الرسل الذين يعيشون بين أمم تهلك، وقرى تتداعى وتقصم، يعيشون مشفقين- إشفاق موسى وهو يصيح «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا». وإشفاق محمد ﷺ وهو يروح ويغدو قلقاً كلما أحس بالريح العاصف متمثلاً أمام عينيه أولئك الذين أهلكوا بالريح الذي ظنوه عارضاً ممطراً- راجياً أن ينجز الله وعده، وينزل سكينته، وينجي حزبه، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

ويقف -رحمه الله- بعد هذا على قول الله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[2].

وتتراءى أمام عينيه كلّ الآيات التي تناولت موسى خائفاً يترقب فاراً من الملأ المؤتمرين به وتناولته يضطرب فَرَقاً[3] ويُولِّي مُدْبراً ساعة تحولت العصا حيةً تسعى، ويوم أُرسل إلى فرعون، ويوم... إلخ. وهذا الخوف المضطرم في فؤاد موسى إنْ هو إلا صوت الطين وصدى البشرية.

ويذكر إبراهيم عليه السلام. ويذكر تمكن القوم منه، وإحداقهم به، وتقييدهم له، وقذفهم به إلى النار مُقيَّداً. ثم حاجته إلى الإنجاء بعيداً

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٨).

(٣) خوفاً.

عن سلطان الآخرين، وإقرار الله عينه بما وهب له من ولد، وهكذا يتناول قصة لوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وذي النون وزكريا. وكلها قصص تفي بالحاجة، وتصور الانفعالات وتنطق بالبشرية التي تتوق إلى الولد، وتجأر مستغيثة مِن مس الضر ومن ضغوط الظلمات.

إن الذي يترجم عن منهج عملاق طوى تسعين حجة يذرع الأبعاد، ويسبر الأغوار، ويدعو إلى صراط الله بالحكمة بمدلولها الواسع، الذي يُحتِّم إحاطة وتمكّناً من المادة العلمية، ومعرفته بالناس، وعِلْماً بالظروف والتزاماً بالحدود مع عدم تجاوز الداعية لقدره.

لا تسعه الأيام، ولا تسعفه الكلمات، ولا تكفيه الوريقات، فمعذرة لأني لم أوفِّ فضيلته حقه- رحمه الله.

بخاري أحمد عبده
العالية من كلية اللغة العربية
ماجستير في التربية وعلم النفس
نائب رئيس عام جماعة أنصار السنة المحمدية
بجمهورية مصر العربية



«ذكريات لاتُنسى» (١)

فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا

عرفتُ شيخنا عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله- في عام (١٣٥٧هـ-١٩٣٧م)، ورافقته وتجوّلتُ معه للدعوة إلى الله، وسافرت معه إلى بعض مُدن وقرى القاهرة، فكان نِعم المربيِّ وخيرَ الرفيق، حُسن توجيه مع دماثة خلق، وسعة اطلاع وغزارة علم، يجادل بالتي هي أحسن، ويحلم على من يجهل عليه.

كنت بالقاهرة وكان هو بالأسكندرية، فإذا شرّف القاهرة لازمته في زياراته إلى فروع الجماعة «أنصار السُّنة» كما كنت أزوره بصحبة الأستاذ محمد صادق عرفوس -رحمه الله- فيحتفي بنا ويكرمنا «أكرمه الله وأحسن مثوبته» وكان منزله -رحمه الله- مثابة للأخوة الوافدين مِن كلِّ فج.

سعدت بصحبته عام ١٣٧٠هـ في طريقه للحج، ومعنا الشيخ محمد علي عبدالرحيم «رئيس جماعة أنصار السُّنة المحمدية» رحمه الله، مع عوائلنا بالباخرة، وكان خير رفيق، فمع تقدُّمه وفضله وكبر سِنِّه، كان كثيراً ما يخدمنا، ويؤثرنا على نفسه، ففي الباخرة، كان يختار لنا أحسن الغُرف، وكذلك فعل لما نزلنا مكة وجُدة، في الفنادق يُقدِّمنا وعوائلنا

---

(١) تم إرسال هذه الكلمة إليّ بطريق الفاكس، فجزى الله خيراً فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا الذي تفضل بإرسالها.

على نفسه وعائلته، أتممنا مناسك الحج، وسافرنا جميعاً إلى الرياض للتدريس بمعهد الرياض العلمي، حيث التقينا مع خير مجموعةٍ عُرفت من أفاضل العلماء منهم: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ عبدالله الخليفي -رحمهم الله- وغيرهم.

وكنا نزور الملك عبدالعزيز -رحمه الله- ليلة الخميس «على ما أذكر» ويُلقي الشيخ عبدالرزاق كلمة موعظة موجزة، وكان يبدو على الملك عبدالعزيز -رحمه الله- السرور والانشراح، كما كنا نجتمع عند سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «مفتي المملكة رحمه الله» الذي كان يصطفي الشيخ عبدالرزاق عفيفي «وحُقّ له ذلك» فقد كان الشيخ عبدالرزاق يُشبه الشيخ محمد بن إبراهيم في حُسن السمت ورجاحة العقل.

وفي عام (١٣٧٢هـ) اتسع المعهد العلمي، وحضرت مجموعة من كبار أساتذة الأزهر، وكان مِن بين مَن حضر الشيخ محمد خليل هرّاس، والشيخ عبدالرحمن الوكيل «عليهما رحمة الله»، وكان كثيراً ما يحدث نقاش بينهما وبين مشايخ الأزهر، وإذا احتدم النقاش، وضّح الشيخ عبدالرزاق وجهات النظر، وبيَّن الحق، فسلّم الجميع لوجهة نظره.

ومن حُسن سياسة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله رحمة واسعة» أن عرض علينا الاجتماع لدراسة منهاج السُّنة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، فكان الشيخ محمد خليل هرّاس -رحمه الله- يقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ويقوم الأخير بالتعليق على قراءته، وكثيراً ماكان يُحيل على الشيخ عبدالرزاق عفيفي فيُفصِّل ويبيِّن العبارات بدقة وحكمة،

ويذكر وجهات نظر الفِرَق المخالفة، ولقد كان لهذه الجلسات الأثر الطيب على الكثير ممن نشأوا على غير عقيدة السلف الصالح من أساتذة الأزهر، وشاء الله أن أُنقل إلى الأحساء للتدريس بمعهدها، وكان الشيخ عبدالرزاق والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ محمد علي عبدالرحيم رحمهم الله جميعاً يزورونا بين الفينة والأخرى، كما كنا نجتمع للحج كل عام بمكة المكرمة، وكذلك لما عملتُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة وكذا بجدة، لم يأتِ الشيخ -رحمه الله- إلى مكة إلا وزارني.

كان -رحمه الله- صبوراً. فمثلاً ونحن بالمعهد العلمي بالرياض، جاءته رسالة ولما قرأ ما فيها، رفع رأسه إلى السماء وحرّك شفتيه ورأيت على وجهه التأثر، فقلتُ له: خيراً، فقال: مات والدي رحمه الله، ومن أمثلة صبره أيضاً: أنَّ ولده أحمد قُتل عام ١٣٩٣هـ في حرب أكتوبر بمصر، ولما جاءه الخبر، ما زاد على أن ترحَّم عليه واستمر في عمله، وكأن شيئاً لم يكن.

وقد علمت وأنا بجدة بأن ولده عبدالرحمن -رحمه الله- قد مات على إثر انفجار خزان مياه فسافرت لتعزيته، وكان هذا الشاب عضده وساعده الأيمن ومن أحسن أبنائه ومع ذلك، كان الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- صابراً محتسباً، ولم أر مثل شيخنا في صبره واحتسابه إلا الشيخ محمد نصيف -رحمه الله- فقد علمت بوفاة ابنه عمر -رحمه الله- وكان أحسن أبنائه، وكنت بالمدينة، فقدمت إلى جدة مع زميل لي هو الأستاذ رمضان أبو العز، لتعزيته، وكنت والأستاذ رمضان في غاية الحزن والأسى، ويبدو علينا التأثر، فأخذ الشيخ محمد نصيف يُسرِّي عنّا ويُضاحكنا، فذكر قصةً غاية في الغرابة خفَّفت من أحزاننا.

فرحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة واسعة، وجزاه عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء، وجمعنا به مع نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

كتبه

محمد عبد الوهاب مرزوق البنا

جدة- المملكة العربية السعودية



لقاءاتي بفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

بقلم: حسن محمد الجنيدي

الوكيل السابق لأنصار السُّنة المحمدية بمصر

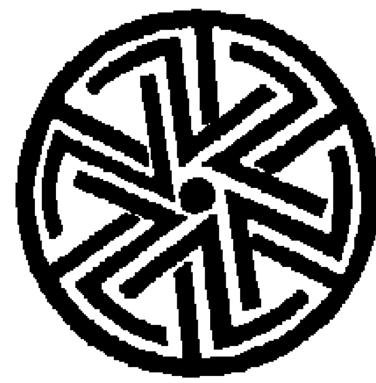
إن سردي للمقابلات التي حدثت بيني وبين أستاذنا الراحل فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ليس من ورائها قصد سوى بيان قبس من خُلق هذا الحَبر وتواضعه الجم، وخُلُقه الكريم، ولسانه العفيف.

فقد بدأت هذه اللقاءات منذ أربعين عاماً في الرياض، عندما انتدبت ضمن بعثة مصرية إلى الرياض، لتأسيس كلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض، حيث كان بها فضيلة الشيخ عبدالرزاق بمعهد إمام الدعوة، فكنت كلما زرت فضيلته في بيته للاقتباس من علمه، وسؤاله فيما نحب أن نعرف من أمور ديننا الحنيف، إلا ردّ زيارتي -رغم مشاغله الكثيرة- وزارني في بيتي بالرياض، وبرفقته فضيلة الشيخ محمد علي عبدالرحيم- مما جعلني أنسى وحشتي وغربتي، وأشعر أنني بين أهلي وعشيرتي، خاصة وأن زيارة فضيلته كانت تتضمن كثيراً من النصائح الغالية الثمينة التي يبقى أثرها طول العمر، ومن بينها تطهير المنزل من تعليق الصور ولو كانت لبعض الحيوانات والطيور، لأنها عبدت قديماً وما زالت تعبد حتى اليوم، كعجل بني إسرائيل وعبادة البقر للهندوكيين، فضلاً عن آلهة قدماء المصريين -ومن بينها أيضاً- الحرص على العلاقات

الطيبة الحميمة مع سائر الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى الإسلام، ومحاولة جذبهم لدعوة التوحيد لتكون نقطة البداية والانطلاق في الدعوة الإسلامية، وذلك عن طريق الإعراض عن ذكر مثالب الجماعات الأخرى، والإمساك عن الطعن فيها، بل نذكر محاسنها ونتألفها.

وبعد عودتي من السعودية بعام تُوفي الشيخ حامد الفقي - رحمه الله- وحضر إلينا فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي في إجازة صيفية، لازمته خلالها مع الأخوة -قدماء أنصار السُّنة المحمدية- في زيارة لمختلف فروع الجماعة، حيث كان الترحيب به حاراً، وكان الإجماع على انتخابه رئيساً للجماعة خلفاً لفضيلة الشيخ حامد، ولكن حالت بعض الأحوال السائدة في مصر وقتئذ دون استمراره في البقاء معنا، فعاد إلى السعودية متخلياً عن الرئاسة لفضيلة الشيخ عبدالرحمن الوكيل- رحمه الله.

وكنت بعدئذ كلما ذهبت للحج حريصاً كلَّ الحرص على زيارته في إدارة التوعية بمكة المكرمة، مع أخوتي الحجاج من أنصار السُّنة المحمدية، وأُشهد الله أن لقاءاته جميعاً كانت مجالس علم ونصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

أيام من حياة شيخنا «رحمه الله»

لأحد تلامذته حسن بن محمد إسماعيل

الإسكندرية- مصر

توكّلت على الله وأمسكت بالقلم لأُسطّر به سطوراً من نور، عن حياة شيخنا صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، غفر اللهّ له وأسكنه فسيح جناته، عاشها معنا بالإسكندرية، فبدأت بالمقدِّمة ولم أستطع أن أُسيطر على أعصابي ونزلت الدموع بشكل لم أعهده من قبل، فتركتُ القلم ليجف دمعي، ولكنّي وجدتُ أنَّ خير مُسكِّن لدموعي، هو أنَّ أعيش بعض الوقت مع كتابٍ عندي تصدره هيئة كبار العلماء لعلّني أجد فيه السلوى، وأخذت أقرأ سؤالاً وجواباً في الفتاوى التي تشترك هيئة كبار العلماء في الرد عليها وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- ثم فضيلة شيخنا الجليل، وبعد القراءة التي دامت أكثر من ساعتين وأنا أُقلِّب الصفحات عاد إليَّ هدوئي، وعدت للكتابة وأنا أدعو لشيخنا الفاضل بما فتح الله به عليَّ من الدعاء الذي أدعو اللهّ مرةً أخرى أن يتقبله إنه سميع مجيب.

وأمسكتُ بالقلم للكتابة وفكرتُ مِن أين أبدأ، ورأيت أن من الواجب أنَّ أكتب من أوّل يوم تقابلتُ فيه مع الشيخ، عندما ذهبتُ إلى

المعهد الديني لتقديم أوراقي، وإذ بفضيلة الشيخ يُقدِّم لنا أسئلة شفوية لاستخبار قدرتنا، فأثنى على بعضنا، وقال للمسؤول خُذْ منهم فوراً ولا داعي لأن يعودوا غداً لأن الوقت كان قد انتهى، فشكرنا له حُسن صنيعه وكيف أنَّه عاملنا هذه المعاملة الطيبة التي لم نلقاها في المعهد الابتدائي، كُنَّا في الابتدائي نشعر بالغلظة من بعض المشايخ غفر اللّه لهم وسامحهم، ثم خرجنا جميعاً ونحن نُثني على هذه الروح الطيبة والمعاملة الحسنة التي وجدنا فيها عزاءً وتعويضاً عمَّا لقيناه من مشايخنا السابقين، ثم جاء ميعاد ابتداء الدراسة، وإذ بشيخنا يُرحِّبُ بنا ثم عرَّفنا أنه وكيل المعهد، وهذا يعني بلغة الأزهريين (المدير) فزدنا حُبّاً له ونحن شباب في أوَّل دراستنا الثانوية، فحمدنا اللّه تبارك وتعالى على هذا الوالد المثالي الذي يحنو علينا، ويعاملنا وكأننا أبناؤه، مما جعلنا جميعاً نحسب له ألف حساب بخلاف جميع المشايخ الذي كان اهتمامنا بهم من أجل الدرس والتحصيل فقط.

ثم فجأة انتقلت أُسرتي إلى حي غربال، وهذا حي يسكنه عدد كبير من الأقباط، وكان هذا الحي تابع لقسم كرموز وهو من الأقسام التي تمتلئ بالأحياء الشعبية بمدينة الإسكندرية، فإذا بفضيلة الشيخ يجاورنا في السكن وفي التدريس بمساجد الحي، وقد استطاع أن يُخضع هذه المساجد تحت رئاسة جماعة أنصار السُّنة المحمدية بالمملكة المصرية وقتذاك، فصرت أحضر له دروساً في المعهد ودروساً في المساجد، وكانت الدراسة في المسجد مهمة جداً مما جعلتنا جميعاً نتفوق في الدراسة في المعهد، وذلك أنَّ شيخنا يعطينا الدرس كالمادة التي تكون علينا في ذلك فصرنا نحن الطلبة نحضر له دروس المسجد لزيادة وارتفاع الدرجات، فإذا لم أذهب مُبكراً إلى المسجد كان معنى هذا أن أجلس بعيداً عن

فضيلة الشيخ، وهكذا كان الشيخ لا يألو جهداً في سبيل المداومة على هذا العمل الذي كان يُكلِّفه كثيراً من الوقت، وسرنا جميعاً وراءه لا أقول عشرات بل مئات، لأن مساجد أنصار السُّنة كثيرة جداً وذلك بفضل الله ثم بجهود شيخنا العالم المغوار، الذي كان يمشي في الطرقات فيجد البناء يرتفع على الأرض فيذهب إلى صاحب البيت ويطلب أن يشركه في المصاريف مقابل أن يجعل الدور الأرضي في البناء مسجداً، وبهذا كان يبني في المعهد دُعاة ويبني في الشارع مسجداً هذا مما جعلنا نحبه جميعاً طلبة وآباءً ونحترمه كل الاحترام، حتى أنَّه إذا طلب من أحدنا شيئاً أسرعنا جميعاً إليه نُلبِّي طلبه وسارت الأيام تتوالى، وفضيلة الشيخ لا يدخر جهداً في توصيل العلم والمعرفة، رغم أنَّ عمله كوكيل للمعهد لا يعطيه الحق في التدريس بالمعهد، ولكنه كان له وجهة نظر وهو أنه يريد أن يخرِّج صنفاً من الدعاة إلى جانب الوظيفة التي يسعون من أجل الحصول عليها، ولهذا كرَّس حياته لتوصيل العلم بإخلاص إلى جميع الطلبة وفي جميع المراحل حتى كان له ما أراد من تجميع الشباب المثقف حول الدعوة، وكانت جماعة أنصار السُّنة المحمدية بالمملكة المصرية قد عيَّنت فضيلته رئيساً للجماعة بمدينة الإسكندرية ففرحنا جميعاً وعمَّنا السرور، وعرفنا أن الله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملا، وجاءت الوفود من الأقاليم للتهنئة، وفي يوم من أيام صيف عام (١٣٦٢هـ-١٩٤٢م) مرّ فضيلة الشيخ برجل يبني بيتاً كبيراً وفي أوَّل دور، فقال له شيخنا بعد أن بدأه محيِّياً بالسلام: هل لك شريك في هذا العمل -يقصد بناء البيت- فقال الرَّجُل: هو لي وحدي ورثتُ الأرض عن أبي وأقوم الآن بالبناء، فردَّ عليه الشيخ: هل تسمح لنا بتأجير الدور الأرضي لنتخذه مسجداً على أن نُعطيك ما تشاء، فقال الرَّجُل وكان كبير السن وقوراً:

أنا لا أُمانع في ذلك أبداً وبدون أجر البتة بل وسأرعى هذا بنفسي، وكان الرجل يُدعى الحاج عبده ،وكان رجلاً فاضلاً، ولقد صدق الحاج عبده فأكمل البناء وأدخل الماء والكهرباء وبنى المسجد وهيَّأه بكل ما يلزم للمصلين وجعل دورة المياه مناسبة، وفي يوم من الأيام والشيخ يمر كعادته مستفسراً ماذا تمَّ، إذ بالحاج عبده يُخرج المفتاح ويقول: ألف مبروك ادعو الله أن يتقبل منِّي هذا العمل، فدعا له الشيخ ولمَّا حضرنا كرَّر فضيلة الشيخ الدعاء مرة ثانية وقال لنا: قولوا آمين، فأمنَّا على دعاء فضيلة الشيخ الذي كان ينظر إلى الحاج عبده وهو يبتسم فرحاً بهذا الجهد الذي بذله، وفي اليوم الثاني افتتح الشيخ المسجد بصلاة العصر وكان هذا المسجد أقرب المساجد من ورشة أبي، فسهَّل لي الذهاب والإياب، وبعد انتهاء صلاة العصر الأولى بالمسجد، أخذ فضيلة الشيخ يقصّ علينا القصص ومما قصَّه علينا إسلام سلمان الفارسي وجعلها نبراساً لنا يضيء الطريق، وفي هذا اليوم ختم الدرس قائلاً استمعتم إلى قصة سلمان الفارسي الذي كان صغيراً ولم يقتنع بما يعبد أبواه، إذ كانوا من المجوس يعبدون النار، فقال الشيخ: أنتم أسعد حظاً من هذا وهو غلام، وقال لنا: ولدتم على الإسلام وتربيتم على الإسلام والآن تدرسون الإسلام، فما مدى هذه السعادة التي أعطاكم الله إيَّاها، ألا تُحِسُّون مِن قولي هذا أنكم محظوظون في جميع أطوار حياتكم، إذاً فلا بد أن تكرِّسوها للدعوة إلى عبادة مَنْ وهبكم كلَّ هذه النِّعم، وفي هذا الأسبوع الذي افتُتح فيه المسجد، جاء من القاهرة خبر أثلج صدورنا جميعاً وزاد من فرحتنا، وذلك أن اللجنة المركزية لجماعة أنصار السُّنة المحمَّدية اجتمعت بالقاهرة واختارت بالإجماع فضيلة الشيخ الفاضل عبد الرزاق رئيساً لجماعة أنصار السُّنة المحمدية بالقُطر المصري، وتوافدت

الوفود على مدينة الإسكندرية تُهنِّئ شيخنا الجليل بهذا المنصب المحبب إلى نفوسنا جميعاً، وسرّنا جميعاً أن هذا الاختيار قد جاء بإجماع الأصوات، وكانت الوفود القادمة من أنحاء القطر المصري تحمل الهدايا لفضيلة الشيخ الذي كان بدوره يقوم بتوزيعها على مستحقيها.

وفي يوم من الأيام وبعد أن أُذِّن لصلاة العصر أتى إلى المسجد أحد الرّجال الذين نعرفهم، ونعرف تاريخهم الأسود، وقال: إذا لم تُؤذِّنوا كما نؤذِّن أغلقت عليكم المسجد وأنتم تُصلُّون، فردَّ عليه الحاج عبده قائلاً: انتظر حتى يأتي الشيخ وقُلْ له هذا الكلام، فقال: لن أنتظر ولكنِّي سأحضر في صلاة العشاء، وكان المعروف عن هذا الرجل أنه صاحب مقهى وصاحب عصابة تجلس على المقهى وهم من الرجال الذين اعتادوا الإجرام، وما قاله له الحاج عبده يعتبر شجاعة نادرة وبعد قليل حضر فضيلة الشيخ وصلَّى بنا العصر، وبعد التسليم مباشرة أخبره الحاج عبده بما حدث، وانصرفتُ إلى ورشة أبي وأخذت أعمل كعادتي وإذ بالشيخ ومعه أربعة من الجماعة يذهبون إلى المقهى، فيجدون ذلك الرجل ويُسلِّمون عليه ويجلسون معه ويتحدث إليه فضيلة الشيخ وأنا أُراقبه مِن بُعد، وصمَّم الشيخ أن يدفع ثمن المشروب الذي قُدِّم إليه واستمر الشيخ في حديثه وأنا أُراقبه من بعيد وأطلب مِن الله تبارك وتعالى السلامة لفضيلة الشيخ والأخوة الأربعة، ومرَّت عشرون دقيقة وكأنها ساعات طوال وقاموا جميعاً وانصرفوا، وفرحنا بأنها مرَّت والحمد لله بسلام وعُدتُ إلى العمل لأجد أبي في انتظاري فقال لي: أين كنت، فأخبرته بما حدث فدعا للشيخ ما شاء الله له أن يدعو، وجاء وقت المغرب وسمعت الأذان، ولكن في هذه المرة لم أستطع التعرُّف على المؤذِّن، فقلتُ في نفسي: من أين جاءوا بهذا المؤذِّن

الجديد، فأسرعت الخُطى حتى لحقته بالمسجد وهو يؤذن وكانت دهشتي عظيمة إذ أنَّ الذي يؤذن الآن هو ذلك الرَّجُل الذي كان يريد أن يُغلِق المسجد في صلاة العصر فسبحان مُغيِّر الأحوال، ودخلنا جميعاً إلى المسجد وصلّى بنا فضيلة الشيخ الفريضة، وكان من عادته أن يُلْقِي درساً من المغرب إلى العشاء، فجعل هذا الدرس عن صاحبنا الذي جلس ليستمع، وعندما بدأ فضيلته الكلام قال: إن الهداية من الله تبارك وتعالى، وأنَّ الله إذا أراد أن يهدي رجلاً أرسل إليه من يكون سبباً في هدايته، ولذلك كان علينا جميعاً أن نعيش دروس الهداية ولا نُقصِّر في الحضور حتى نخرج جميعاً إلى الناس ونحن على مستوى الدعوة، ولهذا أجلِسُ إليكم لنتعرف على الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله وهي أمرٌ واجب على كلّ داعية، فإذا كانت أنصار السُّنة لا يتمسكون بهذا الأمر فأين هي السُّنة، ومِن هنا نَرى أنَّ أسلوب شيخنا في الدعوة كان أسلوباً رائعاً يجعل المستمع في شوق إلى الاستماع، وكفى تدليلاً على ذلك أنّه ما ذهب إلى أمرٍ مهما كان هذا الأمر إلا وكتب الله له النجاح، حتى أنه عندما كان يرسل أحدنا إلى أمر ما ويبذل له النصح ينتظر بماذا يرجع، فإذا نجح زوَّده بمزيد من التجارب ليُمحِّصه، أما إذا فشل فإنه يصحبه معه شخصياً عِدة مرَّات حتى يطمئن على نجاحه، ثم يتركه يخوض الدعوة بنفسه بعد أن درَّبه واطمأن عليه، وبعد أن أخذتْ أواصر المحبة بيننا وبين هذا الرجل - الذي كان يريد إغلاق المسجد علينا- تتوثّق سألناه، ماذا كان موقفك وشعورك والشيخ يتحدَّثُ ولأوَّلِ مرة معك؟ قال: لقد أحسست وأنا أستمع إلى كلماته كأنني كنت في حاجة شديدة إلى هذا النوع من النصح والإرشاد، وكانت الكلمات ترن في أذني فتدخل إلى قلبي الذي

فُتح مُستجيباً لها ويريد المزيد ،حتى إذا انتهى الشيخ ووقف مستأذناً في العودة، وأنا في حاجة شديدة إلى المزيد، قال لي: إنَّ المسجد مفتوح وتستطيع أن تعتبر نفسك أحدنا، فلما قال الشيخ هذا القول أسرعت بالأذان في المسجد حتى يزداد إحساسي ويطمئن قلبي، وقد كان لي ما أردتُ فلما أذَّنت المغرب ورأيتُ جميع الأخُوة ينظرون إليَّ ويبتسمون أعطتني هذه الابتسامة كلَّ الثقة في أنَّ هذه هي الأخُوة الحقيقية، أخوة أنصار السُّنة المحمدية ،وكُنَّا نغيب فترة من الزمن ونسأله عن حاله فكان صادقاً في كلِّ مرة يتحدث ثم كان يجلس إلى الشيخ يستمع إلى نصائحه وتوجيهاته حتى صار إماماً لذلك المسجد الذي كان يريد أن يغلقه على المصلِّين، وكُلمَّا تقدمت الأيام رأيتُه متمسكاً بالسُّنة حتى أنه أطلق لحيته وربىَّ أولاده تربية إسلامية، ونهل معه جميع أفراد أسرته الكبيرة مِن نبع السُّنة المبارك، وبعد ذلك انتقلنا من حي «غربال» الذي ذكرناه إلى حي «أسبورتينج» بعيداً جداً وعندما كنا نزوره نجده في خيرٍ وسلام، وعندما حضرتُ إلى المملكة العربية السعودية، وتقابلت مع فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي سأَلني عنه فأجبته بخير، وأنَّه الآن يفعل ما كنتَ تفعل، فسُرَّ سروراً كبيراً وهكذا نجح شيخنا الفاضل في أنَّه ربَّى دُعاةً مِن جميع الطبقات وفي جميع الأحياء، وكلهم على عِلْم. إنَّ الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله نوعٌ نادرٌ من الدعاة قَلَّ أنْ يوجد، والدليل أمامنا واضحٌ جداً، فأين الداعي الذي يذهب إلى الناس في عُقر دارهم ليقول لهم إن الله يقول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية (١٢٥).

ثم يخرج منتصراً فقد استجابوا لما سمعوه كصاحبنا الذي أشرنا إليه، ولقد علّمنا شيخنا في وقتنا أصول الدعوة وأراد بهذا العمل وجهَ الله، ولذلك كان ناجحاً في جميع الأحياء لم نسمع أنَّ أحداً سخر منه أو أنَّ أحداً رَدَّ عليه ولم يستجب له، كان -رحمه الله- ناجحاً وكان يأخذ طلابه بالجد ليدربهم على كيفية الدعوة إلى الله، وفي يوم كنت أزوره هنا في الرياض في بيته بحي عسير فإذا بفضيلة الشيخ يقول: لي إحكِ لنا حكاية ياشيخ حسن، وذلك في حضور أبنائه وأصهاره، فقصصتُ له قصة صاحبنا فلان والذي رمزنا إليه بذلك الإسم، لأنه أصبح بعد ذلك إماماً للمسجد وتطور به الحال في مساجد أهل السُّنة حتى صار خطيباً، غفر الله لشيخنا وكتب له كل هذا الجهاد في سجل حسناته إنه سميع مجيب الدعاء.

ومعذرة للقرّاء الكرام فهذا ما علق بالذِّهن وحيث إنني لم أستطع أن أكتب مزيداً من الأحداث، ذلك لأنَّ الذاكرة لم تسعفني وإنما كتبت ما تذكرته جيداً وبكلِّ دِقة وأمانة والحمد لله. لقد شاء الله تعالى أن أجمع بين التلمذة عند الشيخ في المعهد وفي المسجد، وهذا من فضل الله عليّ، وأن أذكر هذه القصص التي مرَّ عليها نصف قرن من الزمان، وأختم كلمتي هذه داعياً الله تبارك وتعالى أن يجعل شيخنا من سكان الفردوس الأعلى إنَّه سميع مجيب الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه حسن محمد إسماعيل
الإسكندرية - مصر

الفصل السابع

وفاته ومراثيه

الفصل السابع

وفاته ومراثيه

مرضه ووفاته:

كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله تعالى- قد أُدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٥/٣/١٦هـ في قسم العناية المركزة، ثم أُخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ١٤١٥/٣/٢١هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد وضعف في الكلي ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب.

وكان -يرحمه الله- قبل وفاته -كما يروي ابنه محمد- في كامل وعيه وفي حالة ذكرٍ لله عزَّ وجل، حتى ازداد ضيق نفسه وهبط الضغط لتخرج روحه إلى بارئها في صبيحة يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ عن عمر يناهز التسعين عاماً، قضاها في العلم والتعليم وبناء الرجال وتربية النفوس وإثراء الأُمّة بالفتاوى العلمية والبحوث الشرعية التي تتسم بالعمق والأصالة ودقة التحقيق.

لقد وقع خبر وفاته على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله -وما أكثرهم- موقعاً عظيماً شعروا فيه بعظم الخسارة وفداحة الخطب، وشدة المصاب.

ولكن الكل -وهم مؤمنون بالله- يعلمون أن الموت حق وأنه مصير كلِّ حي وأنَّ لكل أجل كتاب، لم يسعهم إلا التسليم والإذعان

لقضاء الله وقدره، فصبروا على ما أصابهم، واحتسبوا فقيدهم عند الله، وأكثروا من الاسترجاع ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وقد توافد أبناء هذه المملكة الحبيبة إلى عاصمتهم الرياض قاصدين الجامع الكبير -جامع الإمام تركي بن عبدالله للصلاة على جنازته، فتوافدوا على المسجد المذكور وأتوا إليه من كل حدب وصوب فاكتظت بهم شوارع العاصمة، وضاق المسجد بكثرة المصلين على سعته وكثرة ساحاته، وأمَّهم في الصلاة على الجنازة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ وذلك عقب صلاة الجمعة الموافق ١٤١٥/٣/٢٦هـ، وقد ضج المسجد بالبكاء، ودعوا له بصادق الدعاء وخالص الرجاء، أن يغفر الله له وأن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته.

ومشى أبناء مدينة الرياض ومن جاؤوا من المدن الأخرى في تشييع جنازته يتقدمهم معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعدد كبير من أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة ورجال الحِسبة وطلبة العلم.

إن هذا المشهد العظيم الذي عاشته المملكة في توديعها لهذا العالم يدل دلالة واضحة على وعي هذه الأُمّة وتقديرها للعلماء العاملين من رجالها والأئمة المصلحين من أبنائها، كما يدل وبشكل قاطع إن شاء الله على محبة هذه الجموع الغفيرة للمُتَرجم له- رحمه الله.

حقاً لقد فقد العالم الإسلامي شيخاً فاضلاً وعالماً جليلاً، وعَلَماً من أعلام هذه الأمة.

وبوفاته انطفأت شمعة مضيئة من شموع العلم والمعرفة، بعد أن ظلت تؤدي رسالتها على نحو شريف وغاية سامية ونبيلة.

ولئن كانت روحه قد انتقلت إلى بارئها، فإن موروثاته الخالدة وأعماله المبرورة ستبقى علامة بارزة على طريق ذكراه، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة.

وقد رُثي الشيخ -رحمه الله- بمراثي كثيرة منها ما هو شعر، ومنها ما هو نثر، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على كثرة فضائله وكرمه ونبله ونصحه وزهده وعلومه المتنوعة الكثيرة.

عـزَّ الـعـزاء وعـمَّ الحادث الجلـل وطاش بالموت في تعميرك الأمل
واستوحشت بعدما كنت الأنيس لها وساءها فقدها الأسحار والأُصُل
وكنت تتلو كتاب الله معتبراً لا يعتريك على تكراره ملل
وكنت في سُنَّة المختار مجتهداً وأنت باليُمن والتوفيق مشتمل
وكنت زيناً لأهل العلم مفتخراً على جديد كساهم ثوبك السَّمَل

وفي الصفحات التالية نماذج من النثر والشعر التي رُثي بها الشيخ -رحمه الله- وهي غيض من فيض مما جادت به قرائح الشعراء وأقلام العلماء والأدباء.

فرحم الله تلك الروح الطيبة وأسكنها فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته، إنه أعظم مسؤول وخير مأمول.

خادم الحرمين الشريفين
وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني
يعزون سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في وفـاة
الشيخ عبد الرزاق عفيفي

تلقى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود برقية عزاء من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء هذا نصها:

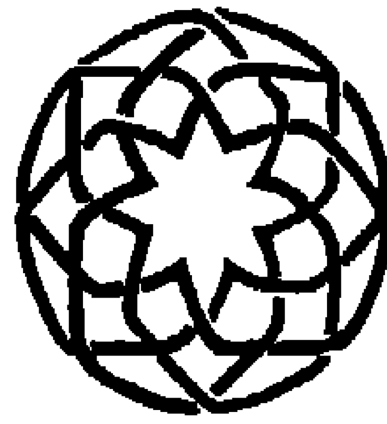
حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.. وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

ففي صباح يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ توفي صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضو مجلس هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، عن عمر جاوز التسعين -رحمه الله رحمة واسعة-.

فأقول: أحسن الله عزاءكم فيه، وجبر مصيبتكم وأصلح ذريته، كان -رحمه الله- من خيرة العلماء عقيدة وعلماً ودعوة وتعليماً، مضى عليه

في ذلك ما يقارب خمسين عاماً ضاعف الله حسناته وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، وفسح في أجلكم على خير عمل، وبارك في أوقاتكم وأعمالكم إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



وقد وجّه خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله البرقية الجوابية التالية لسماحته:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد كدَّرنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نعرب لسماحتكم عن تعازينا ومواساتنا نأمل إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، ونسأل الله جلَّ وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، وأن يُعوِّض المسلمين عنه خيراً والحمد لله على قضائه وقدره... إنا لله وإنا إليه راجعون...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهد بن عبد العزيز

كما وجّه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ،رئيس الحرس الوطني، برقية عزاء ومواساة إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، في وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. وفيما يلي نص البرقية:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد آلمنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نبعث لسماحتكم بتعازينا ومواساتنا لنأمل إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، مبتهلين إلى الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته وغفرانه ويسكنه فسيح جناته، وأن يخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، والحمد لله على قضائه وقدره، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله بن عبد العزيز

كما وجّه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، برقية عزاء ومواساة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، في وفاة فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي. وفيما يلي نص البرقية(1):

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد كدَّرنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نبعث لسماحتكم عن خالص تعازينا وصادق مواساتنا، ونرجو إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، لنرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، وأن يعوض على المسلمين عنه خيرًا والحمد لله على قضائه وقدره.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سلطان بن عبد العزيز

---

(1) انظر جريدة الرياض الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩٤م. وجريدة المدينة عدد الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٩ سبتمبر ١٩٩٤م.

كلمات عزاء ورثاء لجماعة من العلماء(1)

فقدت الأُمّة الإسلامية عَلَماً من أعلامها وعالماً من خيرة علمائها هو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي نائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء.

وقد رثاه عدد من أصحاب المعالي الوزراء وأصحاب الفضيلة العلماء، مؤكدين على المكانة الرفيعة للفقيد الراحل، وعلو منزلته وغزارة علمه، ودوره المؤثر في المسيرة التعليمية بالمملكة العربية السعودية، مشيرين إلى أنه أحد عشر عالماً أسسوا هيئة كبار العلماء في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته...آمين.

معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش: الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً يؤكد أن الأُمّة الإسلامية فقدت برحيل فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي واحداً من علمائها الأجلاء الذين أثروا بغزير علمهم المكتبة الإسلامية، مشيراً إلى أن فضيلته درس العلم من منابعه حتى نال الشهادة العالية من الأزهر وتدرَّج في سلك التدريس بدءاً بدار التوحيد بالطائف ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض قبل أن يُعين مديراً للمعهد العالي للقضاء.

---

(1) انظر جريدة المسلمون، الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، وجريدة عكاظ العدد (١٠٢٥٣) السبت ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩٩٤م.

وأضاف: أن فضيلته كان زميلاً لوالدي الذي كان كثير الثناء عليه مشيداً بعلمه الغزير.

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل عضو هيئة كبار العلماء والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وإمام وخطيب المسجد الحرام.

قال سماحته: إن الفقيد الراحل ليس خسارة على المملكة فحسب وإنما لكل الأُمّة الإسلامية.

ويضيف سماحته: نعم فقدت الأُمّة عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً خدم الدين والمليك والوطن بكل صدق وإخلاص، وها هو يرحل عنا بعد سنوات طويلة قضاها في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تعلم على يديه العديد من طلبة العلم، وكان حليماً وقوراً لا يخلو مجلسه من طلبة العلم.

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: عضو هيئة كبار العلماء:

الشيخ أحد الأعلام الفضلاء الذين هيّأ الله لهم فرصة تربية الأجيال، وهو أحد العلماء الذين عُرفوا بالجد والاجتهاد والإخلاص في أداء الواجب، وهو ذو علم واسع وله اطلاع في الحديث والتفسير والفقه وأصوله واللغة العربية، وقد تخرّج على يديه أفواج كثيرة، ويذكر له طلابه إخلاصه ومحافظته على أداء الواجب وجده واجتهاده. ولقد كان يلقي دروساً بعد العشاء في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في التفسير وكانت دروسه نافعة وتوجيهاته قيّمة.

عمل الشيخ عبد الرزاق عفيفي بعد قدومه للمملكة معلماً في دار

التوحيد، ثم انتقل للمعاهد العلمية، ثم عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث ثم عضواً في هيئة كبار العلماء،وعُرف بسعة علمه وحُسن تربيته وتوجيهه وإخلاصه، وهو رحمه الله مثال العالم العامل، فالشيخ غفر الله له عُرف بتوجيهه وتأثيره وعظته وبخاصة في التعليم فما زال طلابه الذين تلقوا على يديه يعرفون له جده واجتهاده وقدرته على إيصال المعلومة لأذهان الطلاب مما يدل على تمكنه وحرصه، غفر الله لنا وله ولجميع موتانا المسلمين.

ويرى الدكتور عبد الله العجلان -وكيل الرئيس العام لتعليم البنات لشؤون الكليات الجامعية- في وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي خسارة كبيرة للأمة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون لجهد أبنائها العلماء والفقهاء.

وقال: إن الفقيد الراحل يحتل الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة، وذلك بعلمه وأدبه وأخلاقه وسداد رأيه وحُسن تعامله وكونه قدوة حسنة قولاً وعملاً، وقد عرفته صديقاً حميماً .ومستشاراً مخلصاً لمفتي المملكة السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. كما عرفته أستاذاً ماهراً وبحراً زاخراً بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلوم الشرعية واللغة العربية..

وعرفته كذلك مُحدثاً واعظاً ومرشداً جم المعرفة، غزير العلم متواضعاً كثير الزهد والتقشف، مقبلاً على الله في جميع أقواله وأعماله.

وإن كان يرحمه الله لم يترك لنا آثاراً علمية تتفق مع مقامه الرفيع وعلمه الغزير فإنه يعتبر أستاذ جيل كامل من علماء المملكة.

كما تحدث فضيلة الدكتور صالح بن غانم السدلان أستاذ الفقه

بجامعة الإمام محمد بن سعود والذي كان أحد طلاب الفقيد قائلاً:

إن كان لي من كلمة في أن أخص مشايخي الشيخ عبد الرزاق عفيفي فهي أنه قد درَّسني كثيراً في عدد من مراحل التعليم في البكالوريوس درَّسني الحديث وأصول الدين وقام بتدريسي في المعهد العالي للقضاء لمادة أصول التفسير ودرسني الفقه في السنة النهائية بمعهد القضاء وأعتبره كما يقول المثل قلبه فوق لسانه فهو لا يتكلم إلا بعد معرفته أبعاد ما يقول، ويُعتبر من العلماء الأوائل..

ولا تكاد تجلس معه قليلاً من الوقت إلا وتخرج بفائدة علمية أو أدبية أو خُلُقية وأعرفه لا يحب الكلام في أحد، كما تميَّز -رحمه الله- بوضوح العبارة ولم أر مدرساً مثله في إيصال المعلومات وقلة الحشو.

ولم يكن يدرس مادة إلا وأكملها، وكان رحمه الله من المفيدين في التدريس وغير المخوفين في الامتحانات، وكان يتميز بالثقة وقوة الإرادة، وكان محبوه كثيرين ولم نكن نتصور أن يكون هذا الحضور بهذا الحجم الكبير ومن كافة الفئات في جنازته.

أسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: وزير العدل سابقاً:

كان الشيخ -يرحمه الله- ممن عُرف بعلمه وفضله وورعه، وهو أول من عمل في المعاهد العلمية، وكان وجوده فيها كسباً لها لما له من سعة علم واطلاع وخبرة وفهم، وهي الآن خسرت خيرة الرجال والعلماء في الداخل والخارج، وقد لازمت الشيخ طويلاً واستفدت منه كثيراً.

الشيخ علي الرومي: رئيس محكمة التمييز: كان الشيخ أول من

باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١هـ وله اطلاع واسع -يرحمه الله- في الفقه والحديث والتفسير وله علم في التاريخ والجغرافيا، وبرغم كبر سنّه فقد بقي في كامل وعيه وذكائه وعلمه.

الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان: كان الشيخ عبد الرزاق عميق التفكير مطّلع يُقلّب الأفكار بعضها مع بعض كما كان مفسراً من الطراز الأول حتى لأنك تشعر أن الشيخ يستلهم التفسير استلهاماً.

الشيخ الدكتور سعود الفنيسان: كان لي الشرف بأن قام الشيخ بالإشراف على رسالة الدكتوراه حيث استفدت منه في أثناء جلسات عدة معه من خلال ما لديه من معلومات وملاحظات ما لم أستفده طيلة دراستي الجامعية وبالأخص في تخصصي التفسير وأصول الفقه، وكان من المقربين والمحبوبين جداً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى آخر لحظة في حياته.

الشيخ صالح بن سعود آل علي عضو مجلس الشورى: كان الشيخ صابراً محتسباً، فبالإضافة إلى الأمراض التي عرضت له في العقد الأخير من عمره أصيب في اثنين من أبنائه وهم في ريعان الشباب: عبد الرحمن الذي كان يلازمه في شيخوخته كظله يخدمه ويساعده إذ به يفاجأ بوفاته بسبب انفجار اسطوانة غاز.

ومن قبله أحمد أكبر أبنائه الذي جاء نعيه قتيلاً في حرب الدبابات مع إسرائيل في سيناء عام (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

ومما يلفت النظر في جلد الشيخ وصبره أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه

اليومي، فقد جاء إلى طلابه في مرحلة الماجستير -وكنت واحداً منهم- وألقى المحاضرة كالعهد به دون أثر أو تلعثم وكانت بعد العصر إلى المغرب، وكان الطلاب كعادتهم بعد أن تنتهي المحاضرة يوجهون الأسئلة واحداً تلو الآخر، وإذا به يجيب عنها دون أن يظهر عليه ما يلفت النظر ومع انتهاء المحاضرة خرج من القاعة ونحن وراءه وإذ بنا نحن الطلاب نفاجأ بطابور من الأساتذة وطلاب آخرين يقابلونه ويُقبِّلونه معزين بوفاة ابنه، ولا تسأل عن ذهولنا نحن ليس من الوفاة، ولكن لأن الشيخ لم يترك المحاضرة، بل لم يخبرنا ولم يظهر عليه أي أثر للصدمة.

الدكتور حمد الجنيدل: كان شيخنا -يرحمه الله -من العلم بمكان وله طريقة متميزة في إلقاء الدروس وتأثير عجيب على مستمعيه بأسلوب سهل متين وعلم جم وجوامع كلم، يتقن عدة علوم من أبرزها علم التفسير والعقيدة والفقه وأصوله وعلم المنطق وشيئاً من علم الحديث، كان في علم التفسير أستاذاً، وفي كل ما أشرت إليه قمة يتمنى كل طالب علم أن يستمع له، وكان لا يُدِّرس من كتاب، بل له حافظة قوية جداً، كما كانت له نكتة حلوة طريفة يعرفها كل من عاشره مع صراحة تامة ببراءة وطهر.

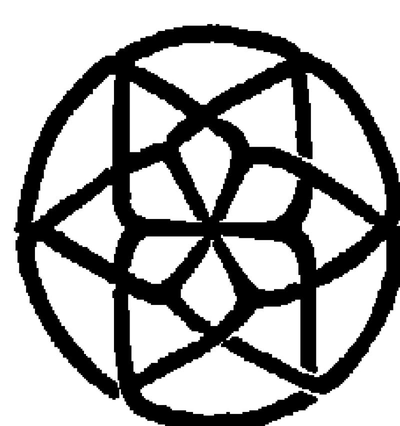
وعندي من إملائه ما يزيد عن مائة ورقة من التفسير كتبتها بقلمي أثناء تدريسه بالمعهد العالي للقضاء أعتبرها أنفس ما لدي في مكتبتي الخاصة. ولعل الله أن يسهل لنا إخراجها وطبعها.

أبناء الشيخ عبد الرزاق عفيفي: في منزل أسرة الفقيد تحدث ابنه الأكبر وهو الأستاذ محمد نبيل عبد الرزاق عفيفي، وهو المراقب المالي للإدارات المالية وإدارات شؤون الموظفين بالخطوط السعودية والذي تحدث

عن البرنامج اليومي الكامل للشيخ من الصباح إلى المساء يقول محمد: كان والدي يذهب للعمل في الصباح ويجلس إلى ما بعد صلاة الظهر في الإفتاء، ثم يقضي وقت الظهر في القيلولة، وبعد العصر كان يجلس في كثير من الأحيان في البيت يقرأ ويطالع وينظر في الفتاوى والبحوث العلمية، أما بعد المغرب فيستقبل طلبة العلم والزوار إلى العشاء حيث يدخل للقراءة والاطلاع والراحة بعد ذلك.

وكان -يرحمه الله- قدوة في عمل الخير، وكان ينصحنا دائماً كما عودنا على الصبر على قضاء الله.

أما محمود ابن الشيخ فقد قال: إن الشيخ كان يحثنا على الخير والعمل الطيب وعدم الإكثار في الكلام حتى مع بعضنا البعض في المنزل وخاصة فيما بين الذكور والإناث.



رحمك الله يا عبد الرزاق عفيفي

فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي[1]

قد فقدنا عالماً فاضلاً، مُربِّياً لأجيالٍ من العلماء وطلابِ العلم: إنَّه شيخنا فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والذي تُوفي يوم الخميس الماضي الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٥هـ- رحمه الله وأكرم مثواه .

لقد فقدنا بفقده عالماً فاضلاً قضى كلَّ حياته في سبيل العلم، تحصيلاً وتعليماً، نفع الله به عدداً كثيراً من الطلاب الذين تتلمذوا عليه، أو تتلمذوا على طلابه.

لقد عرفته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - منذ ستة وثلاثين عاماً، وتوطدت صلتي به في أثناء طلب العلم والدراسة في كلية العلوم الشرعية في الرياض، ثم في المعهد العالي للقضاء ثم في حلْقات المساجد والمحاضرات في الجامعات، ومناقشة الرسائل الجامعية، وازدادت معرفتي به حينما لازمته فترة إعداد بحثي في الماجستير حيث كان مشرفاً عليه، فكان نِعْم الموجِّه والناصح، يبذل وقته وجهدهُ ويحرص على إفادة طالب العلم.

ولا أبالغ إذا قلتُ أنَّ غالب منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود

---

(١) انظر جريدة الجزيرة، الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٤ سبتمبر ١٩٩٤م.

الإسلامية مِنْ طلابه أو طلاب طلابه، بل إن هذا الوصف ينطبق على غالب العلماء في المملكة سواء كانوا في القضاء أم التدريس أم الإفتاء والدعوة.

لقد عاصر -رحمه الله- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ نواتها الأولى، واستمر عطاؤه لها إلى أن توفَّاه الله يوم الخميس الماضي، وكان من أبرز الذين أفادوا الجامعة في كلياتها ومعاهدها.

ولقد أدرك سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس الكليات والمعاهد ومؤسسها، بثاقب نظره وبقدرته على معرفة الرجال ما يتصف به هذا العالم الفذ الشيخ عبدالرزاق عفيفي مِنْ عِلْمٍ وبُعد نظر، وقدرة على معالجة الأمور، فقرَّبه رحمه الله وعرف مكانته، ومكَّن له لإفادة الباحثين والعلماء.

ولقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله، ثم في مجال الافتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد.

وكان فيها مِن المقرَّبين لسماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -حفظه الله- ومَدَّ في عمره في نشر العلم والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه.

وكان ذلك كلّه تقديراً من حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- ونصر به العلم وأهله.

حيث تعرف لأصحاب الفضل فضلهم ومكانتهم، ويجد في رحابها أصحابُ المواهب والقدرات ما يفيدون مجتمعهم وأُمَّتهم. وهذا ديدنها منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله-

فهي ملاذ للعلماء العاملين، والدعاة المخلصين من مختلف أصقاع العالم.

إن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص: غزارة العلم، ورجاحة العقل، والزهد في الدنيا ومظاهرها وحبُّ الخير للآخرين، وبذل جاهه وماله في ذلك.

لقد امتاز -رحمه الله- عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية، بشدة متابعته الإسلامية الصافية: المرتبطة بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ولقد كان يقوِّم كلَّ بحثٍ أو رأي في ضوء الأُسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح ،والأئمة الكبار، حينما واجهوا الفلسفات المادية والاختلافات في الأصول والفروع.

رحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وجزاه الله عنَّا وعن الإسلام وطلاب العلم في المملكة العربية السعودية، وفي العالم الإسلامي كلّه خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، وبارك في عقبه وجعلهم عقباً صالحاً.

كما نسأله أن يعوِّض الأُمّة الإسلامية خيراً بفقده.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

العالِم المحققُ

شيخي فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية

رحمه الله (ت ١٣٢٣ - ١٤١٥هـ)

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1].

فهكذا يُرفع العلم ويتناقص ويتلاشى بموت العلماء، وفي منتصف شهر ربيع الأول من عام ١٤١٥هـ فقدنا عالماً جليلاً وفقيهاً فذاً، هو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.

لقد عرفتُ الشيخ عبد الرزاق عفيفي أول ما عرفته عام ١٣٦٩هـ عندما تتلمذت عليه في مدرسة دار التوحيد، فتلقَّيت على فضيلته مادة التوحيد، وكان يُدَرِّس لنا كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فكان في تفسيره للآيات وتقريبه لمعانيها، وشرحه للأحاديث ولأقوال السلف وبيان مطابقتها للترجمة، ودقته في استنباط المعاني من النصوص،

---

(١) رواه البخاري (الفتح ١/١٠٠) ومسلم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وتقريبها لأذهان المتعلِّمين، آية في ذلك، ومثالاً يُحتَذَى، لاسيما في المواءمة بين المعاني الجليلة وبين عقول ومدارك المتلقين من الطلاب، وهم ما بين مبتدئ في المراحل الأولى من التعليم وما بين متوسط، ومن قطع شوطاً لا بأس به في التعليم.

ولقد كان في أثناء ذلك يُولي عناية بالمسائل التي يختم بها المؤلف رحمه الله كلَّ باب من أبواب كتاب التوحيد، ويُثني على الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فقهه للمسائل وغوصه على دقيق المعاني من ظواهر النصوص، مما يضمنه تلك المسائل، وكان ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وبعد نهاية العام الدراسي ١٣٦٩هـ عَلِمنا أنَّه وقع الاختيار عليه ليذهب للتدريس في عنيزه فكان لذلك رنة أسى لدى طلاب الدار، حيث سيفقدون عَلَماً ألفوا التَّلقي عنه، واطمأنوا إلى حُسن معتقده وسعة علمه، وكمال الاستفادة من دروسه ومحاضراته.

وبعد افتتاح المعهد العلمي بالرياض انتقل فضيلته للتدريس فيه ثم في المعهد العلمي في بريدة، ثم عاد ليُدَرِّس في كلية الشريعة بالرياض، ولقد كانت الصلة بفضيلته متصلة، فلقد كانت كلية الشريعة التي يُدَرِّس بها، والمعهد العلمي الذي كُلِّفت بإدارته، في مبنى واحد، وقلما يمضي أسبوع دون أن يكون هناك اجتماع معه في المعهد أو في إدارة المعاهد والكليات، أو في منزل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله للنظر في المناهج أو الامتحانات أو الأسئلة أو غير ذلك من الأمور التي تتطلبها العملية العلمية.

وبعد افتتاح المعهد العالي للقضاء كُلِّف رحمه الله بإدارته، وكنت ممن التحق به، فَدَرَست به بعض الوقت، ثم اضطررت نتيجة ارتباطي بأعمال متنوعة لاسيّما العمل في مؤسسة الدعوة الصحفية كمدير عام لها، أن أترك الدراسة بالمعهد لكي أتفرغ بعد ذلك لمواصلة الدراسات العليا في الأزهر.

وفي عام ١٤٠٤هـ نُقِلت إلى العمل أميناً عاماً لهيئة كبار العلماء، الذي كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عضواً فيها، فرافقته في حَلّه وترحاله، وتوثّقت الصلة به، وكنت أحفظ لفضيلته المواقف المتعددة والآراء الصائبة، وكانت له نظرات وملاحظات لنفسيات المستفتين، ومعرفة عجيبة لمن يستفتي للفائدة ومعرفة الحكم، ومن يستفتي لتزجية الفراغ، وحدَّثني رحمه الله في مجلس الفتوى في منى فقال: إذا سأل البدوي عن مسألة وكان الجواب موافقاً لما يَهوى فإنه يسأل سؤالا آخر قريباً من الأول أو بعيداً، أما إذا كان الجواب بخلاف مايهوى فإنه يسكت وينصرف. وهكذا أكسبه طول التعامل مع المستفتين معرفة لنفسياتهم. فكانت إجاباته بإيضاح الحكم فيما يُسأل عنه في التوسع أو في الإيجاز ملحوظاً فيها ماينقدح في ذهنه من مقصد السائل عند إلقاء السؤال، من رغبته في معرفة الحكم الشرعي في المسألة، أو خلاف ذلك من التعنت في إيراد السؤال.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية، فلقد كان من العلماء الأفذاذ الذين أفادوا وأجادوا، وعَوّض المسلمين عنه خيراً ورفع درجاته في عليين. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد العزيز بن محمد عبد المنعم
الأمين العام لهيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

علم من أعلام الأزهر فقدناه

عَلَم من أعلام الأزهر فقدناه، ففي ذمة الله وفي الفردوس مستقره ومثواه إن شاء الله، الشيخ عبد الرزاق عفيفي الشنشوري المولد المنوفي الأرومة والمحتد.

نسب عريق في الضحى بَزَّ القبائل والبطون
وإن شنشور لتسمو به وتفخر على مرِّ القرون

إن المنوفية التي أنجبت بطلاً من أبطال العلم والسياسة بالأمس القريب، أنجبت في الحقول العلمية والرياض الدينية مَنْ سلك سبيل الأنبياء ونهج في سرعته منهج الخلفاء فأشرقت به أرض مصر في مستهل القرن الرابع عشر الهجري الموافق سنة ١٩٠٥ ميلادي من أبوين صالحين دفعا به في كُتَّابْ القرية فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وسرعان ما التحق بالمعهد الأزهري بالقاهرة فاجتاز المرحلتين الابتدائية والثانوية في مدة قصيرة، واشتملت عليه الدراسة العالية ومرحلة التخصص القديم لكلية الشريعة الإسلامية للتزود من العلوم الدينية وفي طليعتها الفقه وأصوله، والتوحيد وقواعده، وهي أدق العلوم الأزهرية وأعمقها وأحفلها تعليلاً وتدليلاً، إلى جانب مواد أخرى تمت إليها بصلة القربى، وفي تلك البيئة الخصبة والرياض الفيحاء والحياض الفياضة، يتفيؤ ظلالها وينهل من معينها فقيدنا الكريم مع زملائه الكرام البررة الذين سبقوه إلى الدار

الآخرة، في طليعتهم الشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمهم الله، ومن الأحياء العلامة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأوقاف سابقاً مدَّ الله في عمره، يتنافس معهم المتنافسون في أروقة الأزهر المعمور وملحقاته في حي الحلمية والدَّرَّاسة، وتولى تدريسهم نفر من الغرّ الميامين ومن فحول علماء الأزهر المرموقين في جماعة كبار العلماء، في طليعتهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية، والشيخ دسوقي العربي والشيخ عبد المعطي الشرشيبي، والشيخ يوسف الدجوي والشيخ محمد العتريس والشيخ الخنداروي، والشيخ إبراهيم الجبالي، الذين أنضجوا فوجاً من خيرة العلماء في طليعتهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

والدهر لا يُنشئ الرجال كواملاً   إلا إذا نضجوا على جمراته

وكان لابد لهذا الغرس المزهر في بيئته المباركة أن يُؤتى أُكُلَه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[1].

شاء الله له ولمعهد شبين الكوم الديني الحديث العهد بالإنشاء أن يحظى به في عداد لداته وأترابه، مع شيخ المعهد الشيخ عبد الجليل عيسى الذي اصطفاه مستشاراً له لما امتاز به الفقيد من ميزات تجلت في سعة أفقه وتنوع ملكاته، وما لبث أن تلقفه معهد الاسكندرية الذي كان وما زال يتخيَّر الكفايات العلمية من لدن إنشائه بعمادة مصلح الأزهر الأول الشيخ محمد شاكر علي محمد:

رسى أصلها تحت الثرى وسما   بها إلى النجم فرع لا ينال طويل

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٨).

وفي الأسكندرية وضواحيها المترامية بسط نطاق دراسته الدينية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ أسوة بأستاذنا الشيخ إبراهيم الغرباوي -رحمه الله- عضو جماعة كبار العلماء الذي سَنَّ هذه السنة في ثغر الاسكندرية اقتداءً بأستاذه الشيخ علي محفوظ في القاهرة، فكان الفقيد يُلقي فيها عظات ودروساً دينية حِسْبة وابتغاء وجه الله إلى جانب جدوله في المعهد الديني، وقد تتلمذ عليه وآوى إلى حلقاته كثير من شيوخ الأسكندرية وشبابها وكان من بينهم حسين عبد الناصر والد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقد شفع له في عودته إلى السعودية للعمل بها[1]، وكان قد أعير لها من معهد الأسكندرية للإسهام في بناء صرح كلية الشريعة، وأراد بعض المسؤولين في الأزهر وقتئذ منعه حسداً وحقداً، رغم صدور أمر ملكي من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- موجه إلى شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين ووكيله الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمد نور الحسن -رحمهم الله- وقد نجحت مساعي القنصل السعودي في القاهرة آنذاك في هذا الخصوص، فعاد الشيخ العفيفي لمواصلة رسالته إلى السعودية وأولاه المسؤولون فيها جميعاً ثقتهم وتقديرهم، وعهد إليه بالإسهام في إحياء النهضة العلمية في معاهد بريدة وعنيزة بعد عمله في دار التوحيد بالطائف، وكانت قبلة الأنظار في تلقي وبسط التعاليم الدينية على المذهب السلفي الذي أرسى أسسه المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وإزاء تلك الثقة من الملك عبد العزيز والأمراء من

(١) والحقيقة أنها لم تقبل شفاعته، ولقد عاد الشيخ رحمه الله إلى السعودية عندما تدخل القنصل السعودي في القاهرة آنذاك وتوسط لدى المسؤولين لتسهيل عودة الشيخ -رحمه الله.

أبنائه والمشرفين على التعليم آثر الاستقالة من الأزهر وظفر بالجنسية السعودية أستاذاً بالكليات مع آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين أحلوه مقاماً رفيعاً بزعامة عميدهم الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- المفتي الأكبر، وأسندت إليه لرسوخه في العلم وواسع خبرته رئاسة وإدارة معهد القضاء العالي بالعاصمة (الرياض) ولما آلت الفتوى إلى إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد برئاسة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز أختير نائباً للرئيس فيها وظل بها الساعد الأيمن لرئيسها حتى وافته المنية فصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية.

وفي خلال قرابة خمسين عاماً كان لي معه -رحمه الله- أخوة في الله لم تزدها الأيام إلا قوة، ولقد لمست فيه الصلاح والتقى والورع والتواضع وإنكار الذات والنبوغ في العلوم الدينية والعربية واللغوية ،كما كان وفيّاً لإخوانه وبنيه وما أكثرهم في مصر وفي السعودية، حيث كان حلقة الاتصال والرائد الموفق في تذليل العقبات لمن تزل قدمه بعد ثبوتها من غير مَنٍّ ولا أذى، وله أياد بيض على عديد ممن يعملون الآن في حقول التعليم وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومنهم من ناله بسعيه المشكور خيرٌ كثير، وكان رحمه الله طويل الباع واسع الاطلاع راسخ القدم، عميق التفكير دقيق التصوير، قوي الحجة ناصع البرهان، أشبه ما يكون بالإمامين الجليلين الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ عبد المجيد سليم شيخي الأزهر السابقين- رحمهما الله.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في الفقه أُمّة، وبلغ في الحديث القمة، بيد أنه مع نسبته إلى مذهب مالك لم يكن متعصباً للمالكية، بل كان سلفي العقيدة والمذهب في سرعته ومنهاجه، وكان رحمه الله طويل الباع واسع الاطلاع في الأصوليين، والحديث الشريف

الذي أولع به وشغف بأسانيده، واستأثر بجل اهتمامه مما دفعه إلى إنشاء وبناء دار ضخمة فخمة بضواحي مكة، وقفها على طلاب الحديث بمخطط السبهاني طريق الليث بمكة المكرمة.

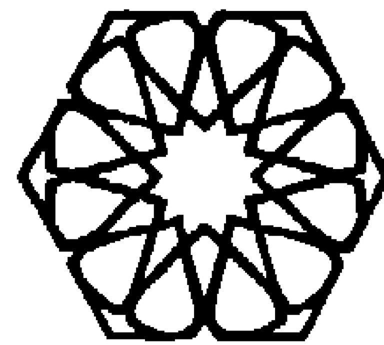
وأشهد أنه لقد بلغ من الورع والتقوى والكرم والشجاعة، وأصالة الرأي، ورسوخ القدم، والزهد في زهرة الحياة الدنيا وزينتها، ما جعله أشبه العلماء بالخلفاء الراشدين لاسيما عمر وعلياً رضي الله عنهما. فكان كعمر إذا تكلم أسمع، وإذا جادل أقنع، وإذا ساد أسرع، وكان كالإمام علي، عفيفاً، عيوفاً، زاهداً في زخارف الدنيا وزينتها، واجتمع له جل صفات السبع الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وفي طليعتها النشأة في طاعة الله، والحب في الله، وإخفاء الصدقات وتعلق قلبه بالمساجد، فتلك شيمة حببت إليه اختيار بيوته أقرب ما تكون من بيوت الله حيث يكون المسجد قبلته لا يفصل بينه وبين بيته سوى شارع واحد، وله الآن بيتان في الرياض على هذا الوضع، يشهدان بذلك أحدهما قرب شارع الخزان، والآخر في حي عسير، كما كان بيته الأول بالعاصمة على هذا الوضع بحي دُخْنَة.

لقد تجلت لي هذه الصفات وتلك السجايا فيه عن كثب في الظعن وفي الإقامة معاً، ففي السفر يُسفر عن أخالق الرجال، فلقد بدأ لقائي به وصحبتي له برفقة علامة نجد الشيخ محمد بن مانع -مدير المعارف السعودية، وخريج الأزهر ورائد التعليم حين ذاك حيث لم تكن وزارة إلا للخارجية والمالية- في رحلة بحرية وبرية من القاهرة إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٨هـ للإسهام في بناء صرح كلية الشريعة نواة الجامعات السعودية الحالية، وكنا نقضي سحابة اليوم والليل إلا قليلاً على ظهر الباخرة نتبادل المسائل الدينية والعربية والأدبية واللسانية، وكان علامة نجد راسخ

القدم فيها كلها، كما كان الفقيد الكريم الأمر الذي جعله محل ثقته من بيننا، وعوّل عليه في إصلاح مناهج التعليم في دار التوحيد التي كان يشرف عليها بنفسه ويتفقدها -رغم كثرة مشاغله- مرة كل أسبوع وحذا حذو ابن مانع مفتي السعودية الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم عميد آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فاستقدمني معه بأمر ملكي إلى الرياض لإنشاء كليتي الشريعة واللغة العربية، ومعاهد أخرى في ربوع نجد للدراسة على الطريقة الأزهرية.

وكانت كلية الشريعة نقطة الإنطلاق لإنشاء الجامعات السعودية وكان للشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- القدح المعلى في هذه الإنطلاقة العلمية المباركة.

وكتبه يوسف بن عبد الرحمن الضبع[1]



(١) هو فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الرحمن الضبع، ولد عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨هـ) وهو من علماء الأزهر ومن الذين قدموا إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في وضع المناهج الدارسية لبعض المعاهد العلمية والكليات.

وداعا أيتها الإمام[1]

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد:

فبالأمس حملت لنا وسائل الإعلام في المملكة نبأ وفاة عالم من علمائها، ورجل من أفضل رجالاتها، عرفه المجتمع السعودي محل الاحترام والتقدير من كبار علماء المملكة، وعلى رأسهم مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ومن قبله الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة في وقته، ومرجع علمائها وقُضاتها، ويحتل مكان الصدارة بين العلماء في هيئة التدريس في الكليات والمعاهد العلمية، وهي أقدم مؤسسة علمية شرعية في المملكة، وأعرقها في علوم الشريعة، ويتبوء كرسي الأستاذية في كلية الشريعة بالرياض منذ إنشائها يتناقل أنباءه الطلبة لأهلهم وذويهم وينقلون أخباره ومواقفه وجهوده في التعليم والتربية وتفوقه في فقه الشريعة الإسلامية، ودقة فهمه لأحكامها، وحسن تنزيله للأحكام على الوقائع في التدريس والفتوى، وقوة شخصيته، وسداد توجيهه، وحُسن تربيته، وعرفته الساحة العلمية في المملكة في كل مجال من مجالاتها، في التعليم والتربية والتوجيه والوعظ والإرشاد وفي الفتوى والمجالس العلمية ذا علم غزير ورأي متميز وإخلاص جم، جمع الله له بين العلم

---

(١) انظر جريدة الرياض، الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩٤م.

الوافر والعمل الصالح، والقبول عند الناس، والاحترام في المجتمع بكل شرائحه وفئاته، ذلكم هو فضيلة شيخنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي يرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوّض الله هذه الأُمّة فيه خيراً، وجعل الصلاح والتوفيق في عقبه.

ولقد وقع خبر وفاته -رحمه الله- على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله وما أكثرهم بل على الأُمّة كلِّها موقعاً عظيماً، شعرت فيه بعظم الخسارة، وفداحة الخطب وشدة المصاب، ولكن الكل -وهم مؤمنون بالله وراضون بقضائه وقدره- يعلمون أن الموت حق، وأنّه مصير كلِّ حي، قالوا بصوت واحد: «إنا لله وإنّا إليه راجعون» ودعوا الله بصادق الدعاء وخالص الرجاء، بأن يُسكنه فسيح جناته، ويغفر له، ويعفو عنه، وأن يعوِّض هذه الأُمّة فيه خيراً.

لقد عرفت هذا الرجل أستاذاً في علوم الشريعة واستمعت لدروسه وتلقيت عنه في فترات مختلفة، فأدركت مكانته العلمية وصدق لهجته وسداد توجيهه وجاورته في السكن فكان خير جار، ورافقته في السفر فكان نعم الرفيق والمؤانس، وجالسته فرأيت فيه حسن الأدب وصواب الرأي، وتعرفت على بعض مراجعه في الدراسة، وإعجابه ببعض العلماء، وبعض الأئمة في بعض الأمور، كان تلميذاً مخلصاً على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية قرأ نتاجهما العلمي قراءة مكررة حتى وعى ما فيها عن قناعة وتشرب فقههما ومنحاهما في الاجتهاد واستغلالهما في أخذ الأحكام من الأدلة الشرعية، وهو يظهر الإعجاب بهما ولا يخفي على مجالسه تقديره لهذين الإمامين الجليلين، كما لا يخفى عليه إعجابه بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة وحسن معالجته للمشكلات التي تواجهه في دعوته،

ويلمس منه إعجابه في مجال القيادة والسياسة والحكمة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل في توحيد المملكة العربية السعودية، ويظهر بجلاء احترامه وتقديره لكثير من علماء المملكة العربية السعودية وفي مقدمتهم الشيخان الجليلان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز في علمهما وعملهما. وذكر لي يوماً من الأيام بأنه حين كان يدرس في المعهد العلمي في عنيزة حضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وكان يثني عليه ثناءً عطراً في علمه وورعه وأسلوب حياته وتنظيم وقته، ويقول: إنه كان سابقاً لعصره بحراً في علمه سديداً في توجيهه وكان يظهر رضاه عن جهود الشيخ ناصر بن حمد الراشد حينما كان رئيساً لتعليم البنات في إمكاناته التخطيطية وقدراته التنفيذية ويقول: إن من رحمة الله بالناس في تعليم البنات أن تناط مسؤولية تعليم البنات بهذا الرجل في هذه الرحلة من عمر تعليم البنات وفي هذا البلد المحافظ.

وكان يخبر عن نفسه في أكثر من مناسبة بأنَّه في الفترة الأخيرة ما كان يعتني باقتناء الكتب الكثيرة في بيته، وأنه يكتفي باقتناء عدد محدود من الكتب المنتقاة في كلِّ فنٍ من الفنون يرجع إليه عند الحاجة، ويؤكد أنَّه لاتوجد لديه مكتبة بالمعنى المتعارف عليه بين طلاب العلم.

وكان له رأي في التأليف يذكره عندما يقال له: لِمَ لا تؤلِّف في العلم الفلاني من علوم الشريعة؟ فيقول: نحن لسنا في حاجة إلى التأليف بقدر ما نحن في حاجة إلى الاطلاع على المؤلَّفات التي تذخر بها المكتبات، وأنّ كثيراً من التآليف الحديثة في علوم الشريعة واللغة العربية ماهي إلا معلومات معادة وفي المكتبة ماهو أفضل منها.

وكان -رحمه الله- إذا نقد أحداً أو موقفاً أجمل في الكلام، وقد يكتفي

بإظهار عدم الرضاء أو بنبرة، أو كلمة مجملة أو إشارة، وإذا أثنى على شخص أو موقف فصَّل منه وحدَّد وأبان، وإذا تكلم استرسل في كلامه، سواء كان في المحاضرة أو إلقاء الدروس، أو كان في الحديث العام حتى يستطيع السريع في الكتابة أن يكتب كلَّ كلامه إذ أنه في الكلام كان يُملي.

وكان كثير الصمت يفرض احترامه على جالسيه، كثير التأمل، شديد الملاحظة دقيق الفهم نافذ الفراسة، ويلاحظ جليسه بأنَّ أسلوبه في الحديث والصمت مختلف باختلاف المجالس والحضور في كل جلْسة، وحسب الموضوعات التي يتبادلها الحضور في البحث في موضوعات علمية إلى موضوعات اجتماعية إلى أخبارٍ وتحليلات وغيرها، فهو ينطلق في الحديث في المسائل العلمية وفي تحليل بعض الظواهر الاجتماعية، وهو يمسك عن الحديث إذا كان الحديث في أمور الناس ودنياهم العامة والقضايا التي ليس له فيها دخل أو تأثير، فكان مثالاً في علمه، وأدبه وأخلاقه وقدوة في تصرفاته، ورعاً زاهداً تقياً متواضعاً، يندر أن يوجد في الناس مثله.

وإذا كان الرجل لم يُخلِّف لنا آثاراً علمية تتناسب مع مكانته العلمية وطول ممارسته للتدريس والتعليم والوعظ والإرشاد والفتوى، فقد كانت جهوده منصبَّة على بناء الشخصية وتربية الرجال وإعداد العلماء بالعلم والعمل والإخلاص. وحمل أمانة التبليغ، والقيام بواجب الأُمّة في مجالات الخدمة لهذا الدين وبه، ولا أكون مبالغاً إذ قلت: إنّ معظم علماء المملكة - اليوم - هم إمّا من طلابه أو ممن استفادوا منه بوجه من وجوه الاستفادة، وكلهم يحفظ له حقه وجهوده، وتُعتبر وفاته خسارة عظيمة، إذ أنه من كبار حملة ميراث النبوة في هذه المملكة، ومن دعاة الهُدى وأئمة التوجيه الصائب، ولا غرابة في أن يتوافد أبناء عاصمة المملكة إلى المسجد الجامع الكبير في مدينة الرياض مِن كلٍّ حَدب وصوب، وأن تكتظ بهم

شوارع العاصمة، وأن يضيق بكثرة المصلين المسجد على سعته وساحاته على امتدادها والشوارع المحيطة به على طولها.

وأن يمشي أبناء مدينة الرياض في تشييع جنازته زرافات ووحدانا، شيوخاً وشباباً، حتى ضاقت بهم شوارع العاصمة على سعتها، وغصّت المقبرة بالمشيّعين والطرقات المؤدية إليها. كلّ منهم يريد أن يُلْقي على هذا الفقيد نظرة أخيرة. ويقول له: وداعاً أيّها الإمام، وموعدنا معكم في الجنة إن شاء الله.

إن هذا المشهد العظيم الذي عاشته عاصمة المملكة في توديعها هذا العالم، يدل على وعي هذه الأُمّة وتقديرها للمخلصين من رجالها والعلماء العاملين بعلمهم من أبنائها. وهو آية من الآيات الدالة على الوفاء الذي تتميز به هذه الأمة المسلمة في مملكتنا الحبيبة للأوفياء لها.

رحم الله فقيدنا المحبوب، وعالمنا الجليل وشيخنا الفاضل، وأسكنه جناته، وأمطره الله بشآبيب رحمته وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وجمعنا الله به في دار كرامته ومستقر رحمته، ونرجو الله أن يعوضنا عنه خيراً.

وشكراً جزيلاً لهذه الأُمّة على وعيها ووفائها وتقديرها للمخلصين من أبنائها والجادين من رجالها.

وأخيراً نقول: طبت حيّاً وميتاً، وإن القلب ليخشع وإن العين لتدمع وإننا عليك يا عبد الرزاق لمحزونون، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

عبد الله بن محمد العجلان

العفيفي المفتي والعالم المربي(١)

غير خافٍ أنَّ العلماء يحتلون في الأُمَّة -أي أُمَّة- مكانة سامية تليق بهم بوصفهم معالم هداها ومصابيح دُجاها، بما حباهم الله به من عِلْم غزير، وفقه مستنير وبصيرة نافذة، وحِرْصٍ شديد على تثبيت المهتدي وهداية الشارد، وتبصيرٍ ونُصح للأُمّة وحبٍّ الخير لها.

فهم بفقههم في الدِّين، وتُقاهم وإشفاقهم على أفراد الأمة، وحدبهم عليهم يظلون بالدرجة العليا من اهتمام الناس احتراماً لهم، واعتزازاً بهم، وعرفاناً بما أسدوه وبما يسدونه من جميل عطائهم، وحُسن صنيعهم في مجال العلم ونشره.

نعم إنَّ العلماء هم كذلك، وإنَّ نظرة الأُمَّة لهم ليست إلا كذلك ومن أجل هذا أصيب الوسط العلمي والعام مِن علماء ومتعلمين بالذهول يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥هـ. عندما فاضت روح عَلَم من أعلام هذه البلاد وواحد من أكبر علمائها ألا وهو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عليه من الله الرحمة والرضوان.

أصيب الناس بالحزن والأسى لفقد هذا العالم الذي كان -يرحمه الله- واحداً قَلَّ مَنْ يناظره في الشريعة وعلومها، جاء به الملك عبد العزيز

---

(١) جريدة عكاظ، العدد (٢٤٥) الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ٤ سبتمبر ١٩٩٤م.

مؤسس هذا الكيان ومُوحِّد هذه المملكة، جاء به مع علماء آخرين من داخل المملكة وخارجها لينفِّذ بهم ومِنْ خلالهم سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذروه، بعد أن خيَّم ردحاً من الزمن على أجزاءٍ من هذه الجزيرة.

فقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي من ضمن مجموعة من العلماء الذين عملوا في دار التوحيد، ثم لما أمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- بفتح المعاهد العلمية كان الشيخ عبد الرزاق مِنْ أوائل من جاء للتدريس فيها، وكان مع الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك ومع الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم -عليهم جميعاً رحمة الله- كان معهم خير معين على السير بهذه المعاهد والكليات من بعد ذلك نحو تحقيق الرسالة المنوطة بها.

تولَّى التدريس بعد دار التوحيد في المعاهد العلمية ثم في كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، وكذا في المعهد العالي للقضاء الذي أُسند إليه إدارته فيما بعد إضافة إلى التدريس فيه، وكان رحمه الله ذا باعٍ طويل في علوم الشريعة، له القدح المعلى في التفسير وعلوم القرآن، وقَلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد والمذاهب والملل والنِّحل، أما في عِلْم أصول الفقه فإليه فيه المنتهى. وقد شرفتُ بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة، ثم في المعهد العالي للقضاء، وخبرته مِنْ قرب ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم والفقه في الدِّين والتحلِّي بمبادئ هذا الدين من تواضعٍ وتُقى وزهد وورعٍ وصبر وحبٍ لهذه الأمة، وحرص على أن تظل كما هو مؤمَّل منها منارةَ هدىً ومصدر إشعاع وموئل عزٍ للإسلام والمسلمين.

وقبل وفاته - رحمه الله - كان مبتلى، ابتلاه الله سبحانه وتعالى

بمصائب، ولكنه كان الصابر المحتسب، فإضافة إلى الأمراض التي عرضت له في العقد الأخير من عمره، أصيب بثلاثة من أبنائه وهم في ريعان الشباب: عبدالرحمن الذي كان يلازمه في شيخوخته كظلّه يخدمه ويساعده إذ به يُفاجأ بوفاته بسبب انفجار اسطوانة غاز. وعبدالله بسكتة قلبية. ومن قبلهما أحمد أكبر أبنائه الذي جاءه نعيه قتيلًا في حرب الدبابات مع إسرائيل في سيناء عام ١٣٩٣هـ.

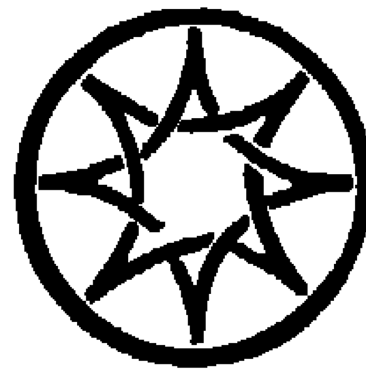
ومما يلفت النظر في جَلَد هذا الشيخ وصبره أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه اليومي، فقد جاء إلى طلابه في مرحلة الماجستير - وكنت واحدًا منهم - وألقى المحاضرة كالعهد به دون أثر أو تلعثم وكانت بعد العصر إلى المغرب، وكان الطلاب كعادتهم بعد أن ينتهي من المحاضرة يوجِّهون الأسئلة واحدًا تلو الآخر. وإذ به يجيب عنها دون أن يظهر عليه ما يلفت النظر، وبعد انتهاء المحاضرة خرج من القاعة ونحن وراءه وإذ بنا نحن الطلاب نُفاجأ بطابور من الأساتذة وطلاب آخرين يقابلونه ويقبِّلونه معزين بوفاة ابنه. ولا تسأل عن ذهولنا نحن، ليس من الوفاة ولكن لأن الشيخ لم يترك المحاضرة، لا بل لأنه لم يخبرنا ولم يظهر عليه أيّ أثرٍ للصدمة.. فأقبلنا عليه مع غيرنا مواسين ومُعزِّين - فرحمه الله وغفر له.

ورحم الله جلالة الملك عبدالعزيز وأبناءه من بعده. وجعل التوفيق حليف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وإخوانه الذين كان هذا العالم الفذّ محل اختيارهم وموضع تقديرهم، والذي آل به هذا الاهتمام إلى أن تَدرَّج - رحمه الله - في التدريس قرابة أربعين سنة. ثم في تولي إدارة المعهد العالي للقضاء. ثم نائباً لرئيس لجنة الإفتاء. ثم عضو هيئة كبار العلماء.

فرحمك الله يا أبا أحمد رحمة واسعة، وأنزلك منازل الصديقين والشهداء، وألهم أبناءك محمدًا ومحمودًا وإخوانهم وأخواتهم ووالدتهم وذويهم الصبر والسلوان، وعوّض هذه البلاد خيرًا بعد رحيلك.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

د/ صالح بن سعود آل علي
عضو مجلس الشورى



دمعة حرى على فقيد العلم والأخلاق والتربية

عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

بقلم زهير الشاويش

عرفت أستاذنا وفقيد الأُمّة الإسلامية قبل خمسين سنة، وتوثقت صلتي به منذ أربعين سنة على أمتن ما تكون الصلة، تغمده الله برحمته، ومنذ عرفته حتى يوم فقدته ما رأيت منه إلا العلم الغزير والأخلاق السامية، والنبرة الصادقة والألفاظ العفة والعقل الراجح، والورع الحقيقي والترفع عن سفاسف الأمور، والصبر عند الملمات، مما لا تكاد تجده مجموعاً عند غيره من الرجال.

كان عالماً عاملاً بنشر العقيدة الصحيحة والتربية السليمة، والأخلاق المحمدية، فكان مدرسة فريدة في جمع الناس على الخير، وحثهم عليه، وكان من تلامذته الدكتور عبد العزيز كامل والأستاذ عبد الرحمن الباني، والدكتور محمد الصباغ والأخ مناع القطان وغيرهم. ومجموعة من الإخوان الذين أخذوا عنه فضائل جمة، وابتعدوا عن الغرور والتنطع.

ولد الفقيد عام ١٣٢٣هـ في بلدة «شنشور» في المنوفية بمصر، ودرس في الأزهر وقبل تخرجه وكان عمره دون العشرين سَنة يدعو الناس إلى الإسلام الصافي، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، فتأثر به

أهل تلك المنطقة، وكانت فيها نهضة علمية تعاون فيها جميع العاملين للإسلام من غير تنافر ولا تنابذ.

وانتقل إلى السعودية ضمن بعثة علمية قام بإحضارها أستاذي العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز -رحمه الله- وبعد سنتين اختاره مفتي البلاد أستاذي الشيخ محمد بن إبراهيم ليكون معه في الرئاسة العامة للمعاهد والكليات، مع أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم.

ثم تولى رئاسة المعهد العالي للقضاء، وبعدها انتقل إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء. حيث كان الرفيق الأقرب إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- ووجوده في هذه اللجنة أثرى ما أصدرت من فتاوى كثيرة جداً.. وفيها ولا شك الكم الكبير المبني على الاجتهاد (شبه الجماعي) النافع للناس، والمبتعد بهم عن التخبط الذي نجده في كثيرٍ من الآراء والفتاوى.

الشيخ والتأليف:

كان -رحمه الله- يرى أن في ثروتنا العلمية التي تركها لنا الأجداد -رحمهم الله- ما يكفي، وإذا كان لابد من مؤلَّف فيكون لسد الحاجات الطارئة علينا من أمورٍ استجدت. وقال لي مرة: يازهير إن حُسن استخراج الكتب وتحقيقها وحُسن عرضها أفضل من التأليف.

ولذلك صرف جهده إلى وضع المناهج للجامعات والمعاهد ورسم الخطط لها من غير أن يؤِّلف كتباً.

وقام على تحقيق كتاب «إحكام الأحكام» للآمدي. وبحكم تدريسه الطويل كان عنده أمالي في التفسير والحديث وأصول الفقه.. ما لو جمع لكان كُتباً نافعة.

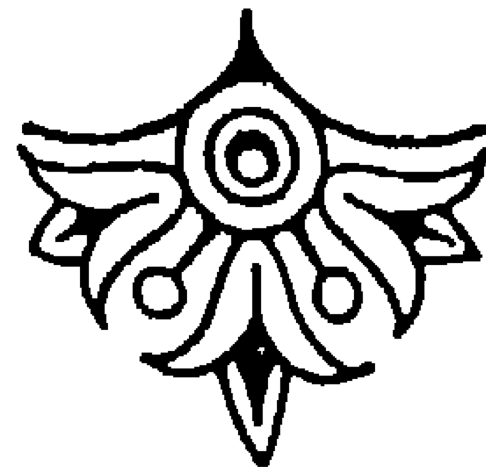
وفي تعليقه على رسائل الدكتوراة التي أشرف عليها ولعلها بلغت المئات؛ العلم الغزير النافع.

هذه دمعة حرى على فقيدنا وأستاذنا العلامة الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وفقده يذكِّرني بالحديث الشريف «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبض العلماء...» الحديث.

وإنني إذ أُعزِّي العالم الإسلامي به أخص أستاذنا الشيخ عبد العزيز بن باز وأبناء الفقيد وأهله وإخوانه بخالص التوجه بأن يحتسبوا مصيبتهم عند الله الذي له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار.

اللهم عوِّضنا منه خيراً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

زهير الشاويش
بيروت- الحازمية



ذكريات مع الحبر الفقيد[1]

بقلم الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي

الحمد لله رب العالمين.. أما بعد:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّه لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء»[2].

أسترجع هذا القول وأتأمله كلما حدثت فاجعة بموت أحد علماء الأُمّة الذين خدموا العلم بنشره والدِّين بالدعوة إليه والدفاع عن حياضه.

وإنَّ مِن آخر مَنْ فقدتهم الأُمّة الإسلامية، الوالد الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية سابقاً، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

ولست بصدد الترجمة له فقد كُفيتُ ذلك ولكن للتعريف ببعض سيرته -رحمه الله- من واقع اتصالي به حيث قيَّض لي العمل قريباً منه في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء -سابقاً- كما شرَّفني -رحمه الله- بالإشراف في المرحلة الأولى من رسالتي لنيل درجة الدكتوراه قبل أن تنتابه الأعراض المرضية والمتاعب الصحية في آخر حياته.

---

(١) انظر مجلة الدعوة العدد (١٤٦٣) وتاريخ ١٤١٥/٥/١٥هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري (الفتح ١/١٠٠) ومسلم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

لقد عرفتُ في فضيلته الدقة العلمية والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة متميِّزاً -رحمه الله- بدقة فهمه لمختلف مسائل العلم الشرعية واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام، وسرعة استحضاره لكلام أهل العلم من قراءاته في المراجع المختلفة.. ولقد كان -رحمه الله- واسع العلم بمسائل العقيدة، شديد التمسك بمذهب السلف الصالح مع المعرفة التامة بالملل والنحل المختلفة وأصولها التي تصدر عنها عالماً بعوارها ومواطن دحضها..

كما كان -رحمه الله- في أخلاقه محل القدوة والأسوة. شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه، إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر بعض الأحداث والمواقف ونزل معه على قدره صغيراً كان في سنه أو منزلته.

ولذا كان -رحمه الله- محبوباً من الجميع مِن كلِّ مَنْ يعرفه ممن عمل معه أو تتلمذ على يديه. محل الإجلال من الجميع والتقدير، شديد الزهد في أعراض الدنيا يلبس الخشن من الثياب في آخر حياته ويرتاح لذلك، ويعلله بأنَّه يناسب بدنه صحياً، وكان يكره الجدل والمراء، وقَلَّ أن يسمح لمحدثه بالاستمرار في ذلك أو ينساق له.

وإن كانت وفاته -رحمه الله- بعد أن جاوز التسعين عاماً فقد كان رغم ما توالى عليه في السنين الأخيرة من العلل والأمراض مع كبر سِنِّه، تام الحواس، سليم الإدراك لم يتغير في عمله، وقد يسَّر الله له الحج عام (١٤١٤هـ) آخر موسم قبل وفاته بصحبة سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فكانت حجة وداع من خير ما ختم به أعماله.

ولعل من المناسب للتاريخ أن أذكر بعض ما يحضرني من أقوال له في بعضها طرافة.

لقد كان -رحمه الله- شديد الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيميَّة كثير الرجوع إلى مؤلفاته، وكان مما سمعته منه قوله: (لم أر لدى أكثر المؤلفين في العصور المتأخرة جديداً بل تكراراً لما ذكره مَنْ سبقهم سوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- فإنك تجد في مؤلفاته الكثير منه ولا يتغير فيه شيء).

وكان -رحمه الله- يقول في وصف تغير العصر وانقلاب المفاهيم «بعض الناس الآن كَنَبتِ البصل رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى».

وسمعت منه كلاماً في عدم الجهل بما يحل ويحرم، وأن الإنسان يعرف ذلك غالباً من نفسه قال: «حتى الحيوان قد يدرك ذلك؛ ألا ترى الهرة إذا ناولتها قطعة اللحم أكَلتْها وهي بجوارك آمنة، وإذا غافلتك وخطفتها من غير رضىً منك هربت بها بعيداً عنك».

أقول رحم الله الوالد الشيخ عبد الرزاق عفيفي فقد كان بحر علم زاخر صدر عنه الكثير من طلبة العلم الشرعي ولا سيَّما في هذه البلاد بخاصة. وإنَّ فقده مما يؤلم ولكن سنَّة الله ماضية، وكل نفس ذائقة الموت..

نسأل الله أن يسكنه فسيح جنته وأن يغفر له وأن يجزيه على ما قدَّم لأمة محمدٍ خير الجزاء ويرفع درجته مع الصالحين من عباده وأن يخلفه على المسلمين بخير الخلف.

د. عبد الله بن حافظ الحكمي
مدير عام مكتب المفتي العام
للمملكة العربية السعودية

الشيخ عبد الرزاق عفيفي من بقية السلف(1)

د. محمد بن لطفي الصباغ

فُجِع العالم الإسلامي بوفاة العالم العامل والعلاَّمة الداعية إلى الله على بصيرة، الشيخ عبدالرازق عفيفي. وذلك في صباح يوم الخميس الموافق ٢٥ ربيع الأوَّل سنة ١٤١٥هـ (الموافق ١٩٩٤/٩/١م) ودُفن في الرياض بعد صلاة الجمعة.

بلغني الخبر المؤلم وأنا في عمّان. فآلمني ذلك الخبر إيلاماً شديداً. وشعرتُ بعِظَمِ الكارثة على وجهٍ أكثر مما كنت أتوقع.

يا للهِ!! مات العالم الذي قَلَّ نظيره من العلماء.. لقد أذهلني الخبر حقاً.

أشهد أنني لقد جزعت لذاك النبأ جزعاً لم أجزعه إلا يوم وفاة والدي -رحمه الله- والشيخ عبدالرازق عفيفي بمثابة الوالد. ثم تماسكت وتصبَّرتُ وتذكرتُ الآيات القرآنية التي تقرر أن الموت سبيل كل حي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(2).

وأن الأجل إذا جاء لا يؤخّر ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا

---

(1) انظر مجلة الفيصل العدد ٢١٥، ص٧٤ ـ ٧٦.

(2) سورة الزمر، الآية (٣٠).

يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

ومرت بخاطري كلمة عمر بن عبدالعزيز: (ما الجزع مما لابد منه؟ وما الطمع فيما لا يُرجى؟ وما العيلة فيما سيزول؟ وإنما الشيء من أصله، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نهب للمصائب، ومع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص).

فاسترجعت قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، غفر الله له، وأكرم نُزله، وعوّضه الجنة، وعوّض المسلمين خيراً.

صحبته ما يزيد على اثنين وثلاثين عاماً، ما تركت مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحدنا مسافراً، وقلما كانت سفراتنا تطول. وقد جاورته سنين عديدة فكان نعم الأستاذ والجار. لقد تعلمت منه في هذه الصحبة أموراً كثيرة: منها ما يتعلّق بالناحية السلوكية، ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية.. لقد كنت ألجأ إليه في كلِّ أمرٍ من هذه الأمور، وكان يمدني بالرأي السديد. والتوجيه القويم، لقد أكرمه الله بالعقل المسدَّد، والعلم الواسع، والرأي الحكيم.

وعلى الرغم من تلمذتي عليه ماكان يعاملني إلا على أنِّي زميل له تواضعاً منه وكرماً. أحسن الله إليه وجزاه الخير.

وُلد -رحمه الله رحمة واسعه- في شنشور من محافظة المنوفية من بلاد مصر في سنة ١٣٢٣هـ ودرس في الأزهر وتخرّج فيه من أعلى مستوياته، وقد حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٥٠هـ، ودرس مرحلة التخصص

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٤).

في شعبة الفقه وأصوله. وتابع تحصيله الشخصي حتى أضحى من أكبر العلماء في عصره، وإني منذ طفولتي إلى هذه اللحظة وأنا أعاشر العلماء، أتتلمذ على أيديهم وأتلقّى منهم وأباحثهم، ولا والله لم ألق عالماً مثله في سعة اطلاعه، ودِقّة استحضاره وحفظه وسلامة منهجه وإستقامة حياته وجولان ذهنه، وقدرته على إعطاء الحكم الدقيق في المسأله المطروحة، ومعاصرته لأحداث زمانه، لقد كان يعيش عصره، ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين يعرفها تمام المعرفة، وهذه صفة لم تكن موجودة في كثيرٍ من علماء عصره.

كان مما يمتاز به سعة صدره وبعد نظره وزهده في الدنيا ومتاعها، وحبه للخير للناس جميعاً وبذله جاهه في مساعدة الآخرين.

وكان إذا تكلّم في فن من فنون العلم ظن السامع أنّه لا يُحسن غيره وأنّه متخصص فيه وحده، كان موسوعي المعرفة: كان مُحّدثاً كبيراً قَلَّ أن يخفى عليه حديث، وكان له مقدرة متميزة في تخريج الحديث والحكم عليه، وقد يرى في بعض الأحاديث من الرأي الصحيح ما لا تجده عند غيره سواء في تحديد درجة الحديث أم في فهمه والوقوف على دلالته.

وله عناية خاصه بكتب الرجال، وقد بلغ من عنايته أنه فقد جزءاً من كتاب الرجال فكتبه بخط يده وجلّده، ولما رآه بعض الولوعين بحفظ آثار عظماء العلماء استهداه هذا الجزء فأهداه إيّاه بحضوري.

وكان مفسّراً عظيماً، وإن أنس لا أنس دروسه الرائعة في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في (دخنه) في

الرياض، وكنت ملازماً لها وذلك من فضل الله عليّ. لقد كان يغوص في المعاني الدقيقة في الآية ويذكر ارتباطها بما قبلها وبما بعدها ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس، ويشير إلى أسرار البلاغة ونواحي الإعجاز فيها، وكان لايرضى تأويل المتأخرين ولا المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الذين تزعزعت عندهم الغيبيات فراحوا يؤوِّلون النصوص تأويلاً مُتكلَّفاً بعيداً.

وكان فقيهاً مجتهداً، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطته بها، بل كان يمشي مع الدليل. وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة.

وكان إذا سُئل لا يتسرع بالإجابة، بل يسأل عن دقائق الموضوع المطروح حتى يستوعبه ويقوم عنده تصوُّر صحيح دقيق للموضوع ثم يجيب.

وكان أُصولياً متبحراً في هذا العِلْم العظيم: عِلْم أصول الفقه، واقفاً على دقائقه مُطَّلعاً على كتبه مستحضراً لما فيها، فإذا سألته عن كتاب من كتب الأصول ذكر لك خصائصه ومزاياه وطريقته والمآخذ التي تُؤخذ عليه. وقد كان معجباً بكتاب «المستصفى» للغزالي وكتاب «الموافقات» للشاطبي.

وكان من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف رحمهم الله، يعرض القضايا الدقيقة فيه بأسلوب مميَّز واضح، وقد كان رحمه الله واقفاً على كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم في هذا العلم. وقد استطاع أن يرد ما جاء في شرح الطحاوية وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه في كتبهما، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات.

وكان في علوم العربية متمكناً، فقد كان في النحو مرجعاً تراه يورد في حديثه القاعدة النحوية إذا اقتضاه التوضيح أن يوردها وكأنَّه مِن المتخصصين في النحو، وكان ذوَّاقة للنصوص الجميلة وهذا يدل على موهبة بيانية أكرمه الله بها وعلى تمكنه من علوم البلاغة.

وكان في الكتابة ذا أسلوب متين جزل بليغ، لايقل عن أساليب كبار الكُتَّاب والأدباء تتصف عباراته بالإيجاز والإحكام والبيان والوضوح والجزالة. ولديَّ عدد من رسائله الشخصية إليَّ وهي نماذج على ذاك الأسلوب العالي.

وكان ذا بيان مشرق متدفق إذا تكلَّم أو درس لايتلعثم ولا يتوقف ولا يلحق.

وكان مناظراً قويَّ الحُجَّةَ مستحضر الدليل يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه.

وكان مُدرساً ناجحاً سواء كان درسه في الجامع أو في الجامعة، فلقد كان له درس أسبوعي في مسجد الشيخ محمد كما ذكرنا آنفاً، ثم لما انتقل إلى بيته في شارع الخزان كان يؤم الناس في المسجد الذي يقابل بيته وكان يُلقي بين الفينة والأخرى دروساً تأخذ الألباب في روعتها وعمق معانيها وغزارة أدلتها.

وقد حدثني -رحمه الله- أنه أراد أن يحذِّر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القُصَّاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين وتمتعهم وتستحوذ على إعجابهم ولا أصل لها، والعامة هذا شأنهم في أغلب البلاد، فألقى عليهم درساً ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأُعجبوا بالدرس واستمتعوا،

فلما رأى ذلك بادياً على وجوههم سألهم: مارأيكم؟ أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا: بل هذا. إنه درس جميل ممتع. فقال لهم: هذا كلّه غير صحيح، وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب.

فأفهمهم بهذه الطريقة العملية أنه ليس عاجزاً عن أن يأتي في درسه بما يستحوذ على إعجابهم، ولكن الحقَّ هو الذي ينبغي أن يكون رائد الموجه والعَالم.

إن العَالم ينبغي أن يكون مربِّياً مرشداً يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، لا يُداري ولا يتكلف التأويل ليسوغ للناس ما يحبون من الخرافات والأباطيل.

وقد أبتلي المسلمون من زمن بعيد بالقُصَّاص الذين يملأون أحاديثهم بالأحاديث الموضوعة والواهية، ويأتون بالقصص الغريبة ولو كانت باطلة ليجعلوا الناس يقبلون عليهم فكان الشيخ رحمه الله يُحذِّر الناس من الوقوع في أحابيلهم.

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون شاملة، فلقد كان يصحب القاموس المحيط، وقد حدَّثني في أنه يجد متعة في قراءة موارده، والناس عادة لا يرجعون إلى القاموس إلا عندما يريدون معرفة معنى كلمة، أما الشيخ -رحمه الله- فقد كان يقرأ فيه كما يقرأ أيَّ كتابٍ من الكتب.

أمَّا فهمه لعبارات الأقدمين في كتبهم فقد كان شيئاً مدهشاً حقاً، وبعض العبارات بالغة التعقيد بسبب الرغبة عند هؤلاء المتقدمين في تحميل الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة.

لقد كان ينظر في العبارة العويصة فيحلّها ويشير إلى مراميها

ومقاصد كاتبها على نحوٍ لا تجده عند كثير من أهل العلم.

والعلماء نوعان: علماء ينعزلون عن الناس، ويتفرغون لكتابة الكتب والمصنَّفات، وعلماء يعنون ببناء النفوس وتوجيه العامة وإرشادهم، وبالإجابة على أسئلتهم وحل مشكلاتهم، وقد كان فقيدنا العظيم من النوع الثاني، وقد انتفع بعلمه وتوجيهه خلْق كثير، وهناك عدد من مشايخنا كانوا من النوع الثاني وهم جبال من العلم، وكذلك في العصور السابقة كان أكثر العلماء من هذا القبيل، وأحسب أن فقيدنا كان يحمله على ترك التأليف عامل آخر وهو زهده في الشهرة والسمعة والمناصب.

ومع ذلك فقد كتب تعليقات نافعة على أجزاءٍ من «تفسير الجلالين» كانت مقررة على طلاب المعاهد العلمية. وكتب تعليقات موجزة نافعة على كتاب «الإحكام» للآمدي، وطُبعت له «مذكرة في التوحيد» وهي الآمالي التي كان يلقيها على الطلبة.

وقد كتب عدداً من الفتاوى والبحوث وذلك خلال عمله في اللجنة الدائمة. وكتب عدداً من المقدِّمات لكتبٍ علمية أو رسائل جامعية.

وكان إذا رأى كتاباً خفيفاً لأحد المحدثين ليس فيه أصالة ولا دقة ولا استيفاء قال: يا ليته ما ألَّف! ويا ليته اقتصر على الانتفاع بما كتب الأئمة.

ومهما يكن من أمْر فإنِّي لا أستطيع أن أنقل للقرّاء صورة حقيقية لعِلْم الرجل الواسع في هذه الكلمة.

وكان -تغمده الله بالرحمة- سلفي العقيدة يدعو إلى الحق على بصيرة، وكان رئيس جماعة أنصار السنة في الإسكندرية يوم أنْ كان في مصر. وكان يتصف بسعة الصدر وحُسن المناقشة والحلم وإلآنة القول

لمن يسأله ويناقشه، فقد ذكر لي الشيخ ناصر الدين الألباني أنَّه في أوَّل قدمة جاء فيها إلى المملكة من بضع وأربعين سنة قابل عدداً من المشايخ وذاكرهم في مسألةٍ قرَّرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي مشكلة في نظره، وقد أنكرها، فاشتدوا عليه إلا واحداً وكان هو الشيخ عبدالرازق عفيفي الذي تلطف به وناقشه في الموضوع، وكان الشيخ الألباني يذكر هذه القصة مشيداً بالصفات الكريمة التي تميَّز بها الشيخ- رحمه الله.

أمَّا الأعمال التي قام بها فقد عمل مدرساً في المعاهد الأزهرية في مصر، ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٦٨هـ فدرّس في المعارف ثم في دار التوحيد في الطائف، وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله- قد استدعى شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار ليكون مديراً لها، فعمل فقيدنا فيها، ثم انتقل إلى نجد فدرَّس في الرياض وعنيزة، ولما أُنشئت كلية الشريعة في الرياض كُلِّف بالتدريس فيها، ولما جئت للتدريس في كليتي الشريعة واللّغة عام ١٣٨١-١٣٨٢هـ كان لي شرف لقائه والاجتماع به. وكان من أقدر الأساتذة على نقل المعلومات إلى أذهان الطلاب، يبسط المسألة المعقَّدة ويوضِّحها وما ذلك إلا لتمكنه من العلم، لأنَّ الإنسان عندما تكون معلوماته واضحة في ذهنه يستطيع أن ينقلها بيسر للآخرين مهما كانت دقيقة وصعبة.

ثم أُنشئ المعهد العالي للقضاء في سنة ١٣٨٥هـ. وكان الشيخ من المخططين لمناهجه وعُيِّن مديراً له، وقد تخرَّج على يديه عدد كبير من العلماء.

ثم انتقل إلى دار الإفتاء عام ١٣٩١هـ. فكان عضواً في اللجنة الدائمة

للبحوث العلمية ونائباً لرئيسها وبقي فيها حتى وفاته، رحمه الله رحمة واسعة. وكان أيضاً عضواً في هيئة كبار العلماء. وقد أشرف على عدد كبير من الرسائل العلمية الجامعية للماجستير والدكتوراه وناقش عدداً آخر منها.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- مفتي المملكة يُقدِّره ويستشيره ويعتمد عليه في كثير من الأمور تقديراً لعلمه الواسع ورأيه الصائب وإخلاصه الجم.

والفضل يعرفه ذووه، وكذلك كان فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز -حفظه الله- وأطال عمره.

وكان الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله متواضعاً زاهداً في متاع الدنيا ومناصبها، لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دُعِيَ، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضى ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

وكان يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له.

كان يحج كلَّ عام منذ أن هاجر إلى المملكة. يُدرِّس في الحرم ويفتي الناس في شؤون دينهم ولاسيِّما في أمر المناسك. وله اقتراحات نافعة أُخذ ببعضها بالنسبة إلى الضحايا والهدْي. وقد حججتُ معه مرات، وأشهد أنه كان في المواقف ولاسيِّما في عرفات كثير التضرع، يدعو ربه ويجتهد في الدعاء والدموع تنهمر على لحيته ويسأل الله المغفرة والرضوان وإصلاح أحوال المسلمين ويطيل في ذلك. وقد حج في هذا الموسم الأخير على الرغم من ضعفه بسبب الشيخوخة وإصابته ببعض الأمراض.

كان يعرف للناس أقدارهم ولاسيَّما إن كانوا غرباء، وكان متواضعاً يكرم الصبيان والفتيان ولايدعوهم إلا بألقاب التكريم ويتودد إليهم. وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكه أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رأيته في قمة التواضع، إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنَّه أجدر منهم بهذا التقديم. وكان حكيماً في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين مهما كان رأيهم فيه، فما يقدُم على تصرف يعرضه إلى الحرج أو الانتقاد.

وكان بعيداً عن المراء والجدل الذي لا طائل من ورائه، ولا يخوض في الموضوعات التي لها حساسية ويتركها للآخرين.

كانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لايذكرها إلا للخاصة من أصحابه، ولايسوؤه أن يكون هناك مَنْ يخالفه فيها، وإذا ذُكرت الآراء التي تخالفه أمامه لا ينفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه بل يقول: لكلٍّ رأيه. وهذا خُلُق عظيم ما أحوج العلماء إليه. لماذا نمنع أن يكون للعالم المؤهل للاجتهاد والنظر آراء تخالفنا؟ إن الحق ليس مقصوراً على مذهب معين، ولا يحتكره ناس معيَّنون، وقد يدرك المتأخر أمراً لم ينتبه إليه المتقدم.

وكان صابراً، نزلت به كوارث شديدة فلم تُضعفه ولم تُخرجه عن اتزانه وخُلُقه: أُصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وعافاه الله منه، وأصيب بعدد من الأمراض كان فيها نِعْم العبد الصابر، وقُتل ولده الكبير أحمد عاصم رحمه الله في حرب(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) التي قامت بين اليهود ومصر، فتلقَّى الخبر صابراً محتسباً، وكان في مجلسه يحمد الله ويُحدِّث الحاضرين وإذا أغلظ أحد المعزين في قول يجاوز به الحدَّ والشرع أنكر عليه وردَّه إلى الحق.

ثم تُوفي ولده الأصغر عبدالرحمن رحمه الله فكان كذلك في غاية الصبر والرضى بقضاء الله وقدره. ثم تُوفي ابنه عبدالله في ١٤١٣/٦/٣٠هـ فجأة في جدة، فكان أيضاً مثلاً في الصبر والاحتساب والتسليم.

سافرت زوجته مرة إلى مصر، وعندما أرادت أن تعود إلى الشيخ في الرياض مُنعت من العودة مدةً طويلة لمضايقة الشيخ وإيذائه، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج وعادت إلى بيتها.

كان ذا روح خفيفة قلّما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة واقعية تُنشّط السامع وتسرُّه وتؤدي غرَضاً توجيهياً. وكان بعيد النظر عميق الفكر، له جولات نقدية موجزة يدركها الواعي من جلسائه ولايُذكر في مجلسه أحد بسوء.

وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام معرفه دقيقة، وكان حكمه عليهم حُكماً سديداً، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدى تأثرهم بذلك كلّه. وكان كريماً كرماً أصيلاً لا يتكلف بريد المباهاة والمفاخرة، بل يُقدِّم ما يتيسّر وما كان يعده لنفسه، وكان بذلك قادراً على أن يقيم في كل يوم وليمة. وكان إذا عَلِم بمجيء عالم يعرفه دعاه إلى الطعام، وقد حضرتُ الكثير من هذه الولائم وبيته مفتوح كلّ ليلة للزائرين وطلاب العلم والمستفتين والذين يبغون الشفاعة في أمرٍ من أمورهم.

أما أسرته في مصر فهي أسرة كريمة في شنشور تُعد من أعيان البلد وأفاضلهم. وتُعرف بأسرة «النوبي»، وقد حدّثني رحمه الله عن والده وصفاته الكريمة حديثاً طويلاً. والشيخ هو عبدالرازق بن عفيفي بن عطية.

وقد تزوج سيدة فاضلة من أسرة كريمة من الإسكندرية هي أسرة سالم أنجب منها عدداً من البنين والبنات وهم المهندس الزراعي أحمد عاصم رحمه الله، والأستاذ محمد نبيل حفظه الله، والأستاذ محمود

حفظه الله، والأستاذ عبدالله رحمه الله، والأستاذ عبدالرحمن رحمه الله.

وأما البنات فثلاث، وقد أكرمه الله بأصهارٍ صالحين. وكان يهتم بتربية أولاده، فكانوا مثالاً في الاستقامة والبر، ولقد كان الأستاذ محمود منقطعاً لخدمة والده وضيوفه، فكان هو الذي يصحبه إلى الصلاة، ذلك لأن الشيخ في آخر حياته كان لا يقوى على المشي، فكان يستخدم كُرسياً طبيّاً، وما كان الشيخ -رحمه الله- يترك صلاة الجماعة في المسجد في وقتٍ من الأوقات الخمسة، وكان الأستاذ محمود -أحسن الله إليه- يجلس معه يقوم بخدمة والده وتقديم الضيافة للضيوف وتنفيذ أوامر الشيخ، وكان يلازمه إذا مرض لا يتركه.

إن حياة شيخنا المباركه تحتاج أن نكتب فيها مؤلفات، ولست أدَّعي أن هذه الكلمة قد وفَّت فقيدنا العظيم حقه من الترجمة، ولكنها كلمة وفاء وعرفان بالجميل رحمه الله وغفر له وأحسن جزاءه. فقد كانت حياته حافلة بالجد والنافع من الأعمال فلم يكن يشغل الشيخ عن العلم والعبادة ولقاء الناس وتعليمهم شيء مما يشغل الآخرين. فلم يكن الشيخ يسمع الإذاعة ولم يكن يرى التلفاز ولم يكن يُعنى بقراءة الجرائد. بل كان ينفق وقته كلَّه في قراءة القرآن ومطالعة مسائل العلم. ونحسب أنَّه كان ممن طال عمره وحسن عمله ولا نُزكي على الله أحداً.

رحم الله شيخنا عبدالرازق. وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله. وأحلَّه في الفردوس الأعلى من الجنات مع النبيِّين والصديقيِّين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

محمد بن لطفي الصباغ

هكذا عرفنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي[1]

بقلم فضيلة الشيخ يوسف بن محمد المطلق

رحمةُ الله عليك أيها العالم الجليل الورع الصادق. لقد فُجعت الأمّة بفقدها لعالم جليل جعل حياته في سبيل الله تعالى تعليماً وإرشاداً وإفتاءً وإشرافاً، فلقد عرفنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي منذ أن تم له التوفيق بقدومه إلى المملكة كأستاذ شارك مع علمائنا الأفاضل ومنهم سماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز ابن باز بارك الله في أوقاته وحياته. لقد كان الشيخ بدخوله إلى طلابه أثناء التعليم يشد انتباههم بحكمته في الإلقاء والتبسيط، حتى أصبح الطالب في مادته قلّما ينال أقل من المتوسط العلمي، وقد كان مثالاً للإخلاص والقدوة الحسنة في زهده وورعه وقد تخصص في علوم الدين، ولقد نما إلى علمي أنه يقرأ كثيراً ولا يبتُّ في الجواب إلا بعد تريث مع ما أعطاه الله من فطنة وسرعة البديهة، وكان رحمه الله كثيراً ما يُشجع للمزيد من العلم، ولم يكن ينظر إلى التسابق المادي، بل كان يشجع على العلم والدعوة وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصياً أو تحريرياً، وما كان يسأم من السائلين، بل كان يبذل جهده حتى يفهم سائله، وكان رحمه الله مضيافاً للوافدين إليه، وبلغني من عبادته أنه كان أشد الناس حفاظاً على السُّنة والعمل بها.

---

(١) انظر مجلة الدعوة، العدد (١٤٥٨) الخميس الموافق ١٠/٤/١٤١٥هـ.

وكان يُحذِّر من البدع ودعوته دائما ترى فيها الحكمة والموعظة الحسنة، وإذا رأى أحداً متلبِّساً بمنكر في لباسه أو هيئته قام بنصح عام بالتلميح وضرب المثل، حتى لايدرك الحاضرون أنَّه يعني شخصاً بعينه، بينما المقصود بالنصيحة يدركها ويخرج شاكراً مستفيداً.

وعُرف الشيخ بالحياء والصمت إلا في حق.كان طلابه يهابونه حياءً ويقدرونه في أنفسهم، وإننا وطلابه الذين منهم الوزير والقاضي والداعية والأستاذ والإداري لا نقْدر على مكافأته إلا بخالص الدعاء الصالح، فبارك الله في ذريَّته وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والإحسان. وإننا نرجو أن تنشر فتاواه الخاصة في سجل يستفاد منه. زيادة على فتاوى مشايخنا وعلمائنا وعلى رأسهم سماحة عالم الأُمّة الشيخ عبدالعزيز ابن باز.

«وانا لله وإنا اليه راجعون».

اللهم ألهم محبيه وطلابه وذريَّته وأهله الصبر والاحتساب.



أأعزي أم أهنئ[1]

(منال محمد الهلالي - جامعة الملك سعود)

تمضي الأيام والسنون ويمضي معها قطار العمر ليقف بنا في آخر محطاته لتبدأ حياة جديدة وعالم آخر. وهكذا انتهت رحلة اثنين وتسعين عاماً لرجل فاضل عابد سخَّر حياته كلَّها للعلم والعمل والعبادة وترك وراءه الدنيا، إنه جدُّنا وأبونا وشيخنا وعالمنا ومربِّينا الشيخ عبدالرزاق عفيفي. الذي حطَّ به القطار في آخر محطاته ليقابل وجه الكريم سبحانه وتعالى.

إنتقل إلى رحمة الله الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ذلك العالم الذي لا أعلم إن كنت أحزن لفراقه أم أسعد لما عمله في دنياه ليجني ثمرته في الآخرة إن شاء الله في ١٤١٥/٣/٢٥هـ. لا أستطيع إلا أن أقول: إنها الحياة تبدأ وتنتهي ولكن المهم كيف تكون النهاية؟.

أُهنئك ياجدَّاه. أهنئك ياعالمنا. وأعزيك ياأمتنا الإسلامية برحيل فقيدنا، ذلك العالم الذي عاش حياته رمزاً للأب الحنون العطوف الصارم الصابر على ما ابتلي به من أمراض ووفاة ثلاثة من أبنائه في حياته. إنه الاختبار الإلهي ويا سعادة من فاز بهذا الاختبار. كان مثالاً للأمانة

---

(١) انظر مجلة اليمامة، العدد (١٣٢٨)، الأربعاء ١٤١٥/٥/٢١هـ.

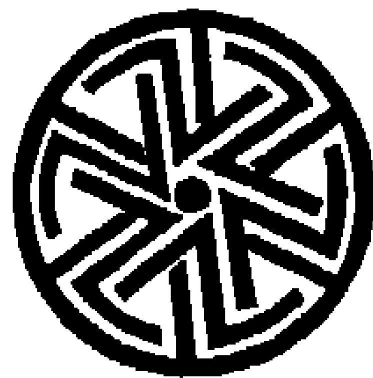
والإخلاص لله والأمانة والإخلاص في حياته وعمله، حتى إنه كان يذهب إلى عمله في آخر حياته، وحتّى في بعض الأيام التي لا يستطيع الذهاب إلى عمله بسبب سوء حالته الصحية كانت تأتي له أوراق الفتاوى إلى بيته ليجيب عليها.

كان رمزاً للزهد والورع والتقوى، كان لا يسعى للشهرة والمجد وكان ينفِّذ ما يقوله وما ينصح به الناس، ومن ذلك أنّه لم يدخل التليفزيون إلى بيته حتى وفاته.

وقد حصل رحمه الله على شهادة الدكتوراه في الشريعة، وكان مربّياً وأستاذاً فاضلاً يعرف كيف يتعامل مع طلابه، وكيف يوصِّل لهم المعلومات بحيث تتناسب مع جميع القدرات.

وقد تقلَّد رحمه الله مناصب عديدة وكان كفؤاً لها منها التدريس بدار التوحيد بالطائف قبل تأسيس المعاهد العلمية والتدريس بكلية الشريعة بالرياض، تولى رئاسة المعهد العالي للقضاء بعد إنشائه. حيث كان رحمه الله من أوائل مؤسسي هذا المعهد، عضواً سابقاً بهيئة كبار العلماء، كان رئيساً لجماعة أنصار السُّنة المحدية بمصر.

فرحم الله عالمنا وفقيدنا وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به إن شاء الله.



الشيخ عبد الرزاق عفيفي..
مصباح علم..خبأ نوره[1]

فُجعت الأوساط العلمية في العالم الإسلامي بوفاة أحد العلماء الأجلاء بذل حياته في سبيل الدعوة والعلم والتعليم والإفتاء، إنه العالم الجهبذ، صاحب الفضيلة: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ذلك العالم الذي تخرج على يديه علماء أجلاء يتبوؤن الآن مناصب في الإفتاء والتعليم والقضاء والدعوة داخل المملكة وخارجها. والشيخ -لاشك- يعرفه كل طالب علم فضلاً عن العلماء.

هو صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية. ولد في قرية (شنشور) التابعة لمركز (أشمون) بمحافظة المنوفية بمصر عام ١٣٢٣هـ. ودرس في قريته حتى أنهى المرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى الأزهر بالقاهرة فدرس في القسم العالي حيث منح منه الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ. ثم درس في مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله.

وبعد تخرجه درَّس في المعاهد التابعة للأزهر.. ثم في عام ١٣٦٨هـ ذهبت بعثة تابعة لمديرية المعارف برئاسة الشيخ محمد بن مانع -رحمه الله- للتعاقد مع بعض المدرسين للتدريس في المدارس السعودية

---

(١) المجلة العربية، عدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

التي افتتحت لتوها آنذاك فكان صاحب الفضيلة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله- أحد أوائل من تم التعاقد معه وما ذلك إلا للسمعة الطيبة التي عُرف بها الشيخ، فقد كان داعية من أبرز دعاة أنصار السُّنة المحمدية هناك، مدافعاً عن عقيدة السلف الصالح، محارباً للبدع.

وقدم رحمه الله إلى هذه البلاد مع عدد من المشايخ الفضلاء منهم: الشيخ محمد حسين الذهبي صاحب كتاب «التفسير والمفسرون». والشيخ عبد المنعم النمر -عليهما رحمة الله- والشيخ يوسف الضبع أستاذ اللغة العربية في جامعة أم القرى (سابقًا).

وكانت أول مدرسة درَّس فيها هي دار التوحيد بالطائف وقد أستمر فيها سنتين، إلى أن فُتح معهد عنيزة العلمي فانتقل إليه عام ١٣٧٠هـ في شهر محرم، ثم لما كان في شهر شوال من العام نفسه انتقل إلى المعاهد العلمية بالرياض إلى أن افتتحت كلية الشريعة فنُقل إليها ودرَّس مادة العقيدة فيها وفي كلية اللغة العربية وهكذا ظل يدرّس فيها حتى أُنشئ المعهد العالي للقضاء ١٣٨٥هـ. فكان أوّلَ مديرٍ له، يشرف عليه ويلقي فيه محاضرات ودروساً ويشرف -كذلك- علي بعض الرسائل العلمية التي يتقدم بها طلاب المعهد.

ثم في عام ١٣٩١هـ انتقل إلى الرئاسة العامة للإفتاء حيث عُين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي تم تشكيلها برئاسة فضيلة الشيخ «إبراهيم بن محمد بن إبراهيم» -حفظه الله- ثم برئاسة سماحة الشيخ «إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز» المفتي الحالي للمملكة -حفظه الله- وأمد في عمره، ونفع به الإسلام والمسلمين وفي الوقت نفسه كان عضواً في هيئة كبار العلماء وإضافة إلى ذلك كان يشرف على كثير من الرسائل الجامعية.

وكانت للشيخ -تغمده الله برحمته- محاضرات ودروس متنوعة في مدينة الرياض استفاد منها كثير من الطلبة. وفي السنوات الأخيرة أحس الشيخ بحاجته إلى الراحة نظراً لتقدمه في السن فاكتفى بالفتوى مع بقائه نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للإفتاء، وعضواً في هيئة كبار العلماء حتى وافاه أجله في صباح يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥هـ. بمدينة الرياض بعد أن اشتد عليه مرض لازمه مدة وأضعف بدنه- عليه رحمة الله.

لقد كان الشيخ يتميز بمواهب فذة قَلَّ مَن يتميز بها، من قوة الحافظة وسرعة البديهة والتأني في الإفتاء وسعة الإطلاع والبحث، حتى قال بعض من ترجم له: (إذا تحدث في علم من العلوم ظن السامع أنه تخصصه).

كان يتميز -رحمه الله- بطيب المعشر ونقاء الصدر والزهد في الدنيا ومباهجها وكان جليسه يستفيد منه عِلماً وعَمَلاً وأدباً وخلقًا.

وبموته -رحمه الله- إنطفأ مصباح من مصابيح العلم.. فخسرت به الأُمّة الإسلامية عالماً فذّاً ألمعياً ورعاً زاهدًا، و: «إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء».

فإنا لله وإنا إليه راجعون. ورحم الله الشيخ عبد الرزاق وألهم أهله وذويه الصبر واليقين، وجزاه عن الأُمّة لقاء ما عمل وقدَّم من علم.. أفضل الجزاء.. وعوضها خيرًا.

عبد الله الشهراني

قصة حياة وجهاد(١)

تُوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ. الموافق أول سبتمبر ١٩٩٤م. الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية، أول وكيل لجماعة أنصار السُّنة المحمدية، وثاني رؤسائها بعد رحيل مؤسِّسها الأوَّل الشيخ محمد حامد الفقي، ولقد عاصر الشيخ -يرحمه الله- تأسيس الجماعة، وكان من أبرز كُتَّاب مجلة «الهدي النبوي» التي صدر عددها الأول في ربيع الآخر لسنة ١٣٥٦هـ.

وإذا كان الشيخ يرحمه الله من مواليد عام (١٣٢٣هـ-١٩٠٤م). وقد تخرَّج في الأزهر الشريف ومنح الشهادة العالمية عام (١٣٥١هـ-١٩٣٢م)، ثم مُنح شهادة التخصص في الفقه وأصوله، وعمل مدرساً بالأزهر الشريف، ومع ذلك فهو لم ينقطع عن النشاط البارز في جماعة أنصار السُّنة المحمدية حتى كان العدد الأول من المجلة، حيث حرَّر فيها مقالين يستطيع القارئ أن يلمس في الشيخ -يرحمه الله- وهو لا يزال بعد شاباً في الثالثة والثلاثين من عمره يتمتع بالنظر الثاقب والفهم الدقيق والأسلوب المُعبِّر، وهذه كلمات يوصف بها علماء السلف من هذه الأُمّة وإنِّي لأرجو أن تكون هذه الكلمات وصفاً له -يرحمه الله.

---

(١) المسلمون العدد ٥٠٣، الجمعة ١٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، ومجلة التوحيد عدد شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ.

قال- يرحمه الله:

فالعالم منهم يجد نفسه - وقد أنعم الله عليه بنعمة العلم وعَهِد إليه أن يبلِّغه للناس- مضطراً إلى القيام بهذا العبء فلا يعتريه في نشر الثقافة الدينية والمبادئ الإسلامية فتور ولا خور، ولا يُقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من سلطان، لأن القلب الذي أُشرب حلاوة الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونوراً ربانياً فلا يجد أحد إلى إغوائه سبيلاً، فمهما جاهد الشيطان هذا المخلص فلن يتاح له أن يوهن عزيمته أو يمس عقيدته، وإن قلباً قد صُبغ بصبغة الله وتشبَّع بتعاليم الإسلام حتى ملكت سويداءه، ليأبى أن يخضع لسلطة قاهر أو يرهب بطش جبار في الجهر بكلمة الحق بعدما خضع لسلطان ربِّه، واشتد خوفه منه وعلم أنه ملِكٌ قهَّار جبَّار، بيده نواصي العباد. وإنَّ ذلك ليخلق منه سيفاً مُسلَّطاً وناراً متأججة يقذف بها مَن عادى الله وبارزه بعصيان، لايخاف في الله لومة لائم. كان العلماء بذلك قوامين على الدين حفظًا، ونشراً وبلاغاً ونصيحةً وإرشادًا، وكانوا خير قدوةٍ للناس ومُثُلاً عليا في إصابة الحق وتأييده، وكشف الباطل وإزهاقه قولاً وعملاً. يقصدهم الناس ليكشفوا لهم وجه الصواب، بما ورثوه عن نبيِّهم ﷺ. فيجدوا لديهم ما يروي ظمأهم ويزيل شبهتهم ويزيد يقينهم وإيمانهم وتعلقهم بشريعة سيد المرسلين (انتهى- من العدد الأول للهدي النبوي).

وفي مقدمة كتاب «الفتاوى» الذي نشرته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، وصَفَه الشيخ أحمد الدويش بقوله:

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة والملاحظة وفقه النفس، وكرس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعُني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسُّنة والفقه، حتى أصبح إذا تحدث في علم من هذه

العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شُغل فيه كامل وقته، وقد كان له عناية خاصة في دراسة أحوال الفرق، وهذه الأمور جعلت طلاب العلم يقصدونه في كلٍّ وقت ويسمعون منه، وانتفع بعلمه خلقٌ كثير ويشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، ويشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل، ويُلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر، ويُلقي المحاضرات ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج.

هذا ولقد عَرفَ معاصرو الشيخ عنه أنه كان غني النفس، بعيداً عن حب الظهور منكراً لذاته، وكان ينفق راتبه أوّل كلٍّ شهر على الفقراء من المسلمين، لقد أسكن في بيته رجلاً من المسلمين لمدة خمسة وعشرين عاماً دون أجر يتقاضاه. وكان الملك عبد العزيز إذا أقام حفلاً يُكرِّم فيه العلماء ودَعى إليه الشيخ وغيره من العلماء فإن الشيخ يعتذر عن حضور الحفل حُبّاً في التستر ورغبة في أن يبقي ما بينه وبين الله لا يطلع عليه العباد.

وكان للشيخ يرحمه الله أيام الملك عبد العزيز درس كل يوم أربعاء، وكان الملك يحضره، وكان الشيخ يستخدم هذا الدرس في النصح الطيب للملك ويسعد الملك بذلك.

ولقد عمل الشيخ -يرحمه الله تعالى- مدرساً بالأزهر الشريف منذ تخرجه ثم أُنتدب للعمل بالمملكة العربية السعودية منذ عام(١٣٦٨هـ-١٩٥٠هـ)، وقد قام على أكتافه هو والشيخ محمد علي عبد الرحيم -يرحمه الله- مهمة تأسيس المعاهد العلمية بالمملكة، ثم شارك في تأسيس كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، ثم رأس المعهد العالي للقضاء، فلما تأسست هيئة كبار العلماء كان واحداً من علمائها، هذا وقد لمع اسم الشيخ -يرحمه الله- من قبلُ حيث كان ضمن أوّل هيئة لكبار العلماء

بجماعة أنصار السُّنة المحمدية مع جمْعٍ من العلماء المبرِّزين والشيوخ الكبار مثل: الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد حامد الفقي، وغيرهم من الكبار، وكان الشيخ عبد الرزاق لايزال بعد شاباً في الثلاثين من عمره.

ولقد تميز الشيخ -يرحمه الله تعالى- بسعة علمه، ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستبصر والالتزام بمنهج السلف الصالح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة.

وقد كان الشيخ بالغ المعرفة بالفِرَق الضالة وأقوالها وبدعها، وقد استفاد منه تلامذته في ذلك فوائد جمة، ولقد كان الشيخ -يرحمه الله- نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية منذ تأسست عام ١٣٩١هـ، وظل نائباً لها حتى تُوفي -يرحمه الله- أي عمل بها قرابة أربعة وعشرين عاماً أصدرت اللجنة خلالها أبحاثاً قيّمة في شتى القضايا الإسلامية تبلغ المئات.

وأصدرت الفتاوى التي تعد بالآلاف بل بعشرات الآلاف، وقد كان الشيخ -يرحمه الله- مثالاً يُحتذى في الفتاوى دقة والتزاماً، فلقد جالسته سائلاً مستفتياً كثيراً في مواسم الحج لأعوام متعددة، فكان يختار من الألفاظ المعبرة، ولقد كان بالغ العناية باحترام أقوال إخوانه العلماء، فإذا صدرت الفتوى في مسألة وله رأي مخالف وسأله أحد عن هذه الفتوى أفتى بقول جماعة العلماء ولو لم يكن هو رأيه بل وجدته يحبس رأيه عن المستفتين إذا وجد أنَّ هذا الرأي قد يُحدث بينهم شقاقًا، ولايبرزه إلا لطلبة العلم الذين يعرفون الأدب عند الاختلاف وتوقير العلماء، وذلك هو شأن السلف الصالح، كقول علي بن طالب رضي الله عنه: (حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

ولقد كان الشيخ - يرحمه الله - وفي كبر سنه، مُنظَّماً في عمله، محافظاً على وقته بين الدرس والتدريس ومراجعة الرسائل العلمية، وإعداد الأبحاث وتسطير الفتاوى، لا تراه إلا في عمل مثمر نافع، ولقد نفع الله بجهده فصار تلامذته من كبار العلماء والمعايشين له من الفقهاء، فلقد كان الشيخ محمد علي عبد الرحيم -يرحمه الله- وهو أسن منه يراه شيخاً له وأُستاذاً مُعلِّماً، والشيخ -يرحمه الله- قد رزقه الله صبراً جميلاً، فقد ابتلاه الله ببلايا عظيمة فكان صابراً محتسباً، من ذلك أنْ مات ولده أحمد في حرب رمضان المبارك ضد العدو الصهيوني، ثم مات ولده عبد الرحمن، ثم مات ولده عبد الله في حياته -أيضاً- كل ذلك والشيخ صابر محتسب، فالله نسألُ أن يحشره في زمرة الصابرين المحتسبين وقد أصيب الشيخ - يرحمه الله- بمرض لازمه أكثر من ربع قرن، وأشتد به المرض في السنوات الأخيرة، ولم يمنعه ذلك من ممارسة عمله وانتقاله إلى مقر عمله ومكتبه، والجلوس للإفتاء والبحث، بل والصلاة في الجماعة في المساجد، وقد تُوفي الشيخ -يرحمه الله- عن عمرٍ يناهز التسعين كانت سنوات جهاد ودعوة وعمل صالح، وقد عاصره من العلماء الأفاضل الأجلاء في مصر: الشيخ محمد حامد الفقي - والشيخ أحمد شاكر، والشيخ عمر عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ عبد العزيز بن راشد، وفي المملكة العربية السعودية: الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي ومدير دار الحديث، والشيخ عبد الرزاق حمزه، والشيخ محمد إبراهيم آل شيخ.

محمد صفوت نور الدِّين

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

جمهورية مصر العربية

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي[1]

في يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ فقدت المملكة والأمة الإسلامية عالماً من علمائها الأجلاء هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي: عضو هيئة كبار العلماء ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ومدير المعهد العالي للقضاء سابقاً.

وبرحيله إلى الدار الآخرة فقدت الأُمّة الإسلامية علماً بارزاً من أعلامها النيِّرة، فلم يكن يرحمه الله عالماً متمكناً من العلوم الدينية فحسب، بل كان يتصف بسجايا وخصال قَلَّ أن تجتمع في غيره، فقد كان يتمتع بسعة الصدر والأناة والحلم في المحاورة والمناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن، والقدرة على الإقناع وتقريب الأمور إلى أذهان محدثيه وطلبته وسائليه من طلاب العلم والمعرفة، والمقدرة على إيصال المعلومات وترسيخها في أذهانهم بعيداً عن التزمت والتكلف والتشدد.

كان يتميَّز -يرحمه الله- بطيب المعشر والزهد في الدنيا والبعد عن مباهجها ومظاهرها، وبالتواضع واحترام وتقدير غيره مهما كانت منزلته، وقد حببه ذلك لكل مَنْ عرفه أو جالسه أو درس على يديه ونهل من مناهل علمه الغزير.

---

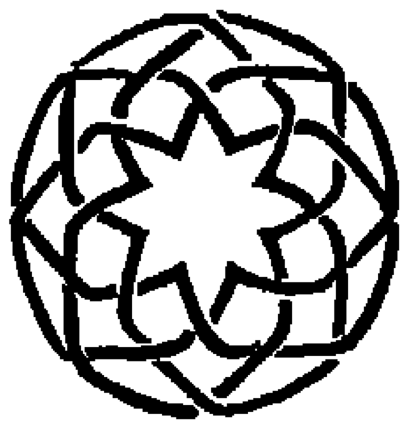
(١) انظر جريدة الرياض غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/٦م.

وكان الفقيد قبل قدومه إلى المملكة للتدريس بها منتدباً في عام ١٣٦٨هـ قد أمضى النصف الأول من حياته في الدعوة إلى الله حيث أسّس مع رفاقٍ له منهم فضيلة المرحوم الشيخ عبد العزيز الراشد - يرحمه الله- رفيق دربه وكفاحه بجماعة أنصار السنة في مصر حيث تحملوا في سبيل نشر الدعوة وإخلاص العبادات لله المشاق وركبوا الصعاب وواجهوا الاضطهاد والمقاومة حتى تحقق لهم ما سوف يجزيهم الله عنه خير الجزاء.

إنَّ من حق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على طلبته الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من معرفته وعلمه، أن يقوموا بجمع تراثه العلمي ومؤلفاته ورسائله وفتاواه وسيرته، ليستفيد منها كلّ طالب علم لأنَّه - رحمه الله- كان يتصف حتى بالزهد عن طباعة المؤلفات.

إن وفاة مثل هذا العالم الجليل ستترك فراغاً كبيراً لن يملؤه إلاَّ بقاء علمه وفكره وذكره. رحمه الله رحمة واسعة وعوّض الأُمّة الإسلامية عن فقده خيرًا.

محمد بن عبد الله الشريف
عضو مجلس الشورى



لله دُرك مِن عالم[1]

بقلم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الشثري

عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في يوم الخميس ٢٥ ربيع أول عام ١٤١٥هـ ودَّعت المملكة العربية السعودية عالماً من علمائها البررة الربانيين، قدَّم لدينه كلَّ عمره ولأمته عصارة فكره عبر الفتاوى الكثيرة، حيث كان نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الشيخ العلامة عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية، لقد عرفتْه الأُمَّة بحلمه الجم وعلمه الواسع، وتتلمذ على يديه العشرات من طلاب العلم وهم يكنون له كل احترام وتقدير، ويدعون له بالمغفرة والرضوان، وفقْد العلماء رزيَّة من الرزايا التي يصدق فيها قول القائل:

تـعـلّـم مـا الـرزيّـة فـقـد مـال ... ولا شـاة تـمـوت ولا بـعـير

ولـكـن الـرزيـة فـقـد حـر ... يـمـوت بـمـوتـه خـلـق كـثـير

ومصيبتنا فيه ليست كمصيبتنا في غيره

فـمـا كـان هُـلْـكه هُـلـكَ واحـدٍ ... ولـكـنـه بـنـيـان قـوم تـصـدعـا

وقال ابن القيم -رحمه الله- في فقد العلماء ومنزلتهم: (ومن هذا

(١) انظر مجلة المجتمع العدد (١١١٩) وتاريخ ٢٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

الأثر المروي إذا كان يوم القيامه يقول الله للعابد: ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس، وأيضاً فالدِّين قوامه وزينتة وإضاءته بعلمائه وعبّاده، فإذا ذهب علماؤه وعبّاده ذهب الدِّين، كما أن السماء إضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خُسِف قمرها، وانتثرت كواكبها أتاها وعد الله، وفضل علماء الدين على العُباد كفضل ما بين القمر والكواكب).

وفيما يلي نبذة مختصرة عن سيرة الشيخ عبدالرزاق عفيفي.. فقد وُلد بقرية شنشور التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية عام ١٣٢٣هـ.

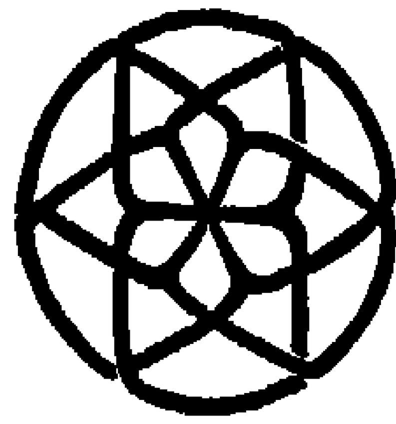
دراسته: درس المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ثم مرحلة القسم العالي وبإتمامه دراستها اختير ومنح الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ، ثم درس مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله ومنح شهادة التخصص في الفقه وأصوله بعد الاختبار، كل هذه الدراسة في الأزهر بالقاهرة.

عمله: عُين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرَّس بها سنوات ثم ندب للعمل بالمملكة العربية السعودية للتدريس بالمعارف السعودية عام ١٣٦٨هـ، ثم عمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر محرم عام ١٣٧٠هـ ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال عام ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نُقل للتدريس بكليتي الشريعة واللغة العربية ثم جُعل مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام ١٣٩١هـ وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة.

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة والملاحظة وفقه النفس، وكرّس جهده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعُني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسُّنة والفقه ،حتى أصبح إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنَّه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته، وقد كان له عناية خاصة في دراسة أحوال الفرق وهذه الأمور جعلت طلاب العلم يقصدونه في كل وقت ويسمعون منه، وانتفع بعلمه خلْق كثير، وقد شارك في أعمال التوعية في مواسم الحج وكان رحمه الله يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، كما كان يشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل ويلقي بعض الدروس في المساجد لطلبة العلم، (هذه الترجمة من كتاب فتاوى اللجنة الدائمة مقدمة المجلد الأول).

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ونفع الله بذريته وعِلْمه.

إبراهيم بن عبد العزيز الشثري
عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرياض



فضيلة العلامة العفيفي في سطور[1]

محمد بن سعد السعيد

لقد فُجع العالم الإسلامي برحيل عالمٍ جليل، من كبار العلماء وفقهاء الأُمّة، ألا وهو فضيلة العلامة الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية (سعودي الجنسية) عن عمر يناهز الثانية والتسعين سنة (٩٢ سنة) قضاها مجاهداً في سبيل الدعوة إلى الله وطلب العلم وتعليمه. وهذه سُنَّة الله في خلْقه، ولعلَّنا في هذا المقال نُلْقي الضوء على شيءٍ من سيرته الذاتية والعلمية نظراً لأهميته ومكانته العلمية رحمه الله.

نشأته وطلبه للعلم:

وُلد رحمه الله بمصر سنة ١٣٢٣هـ في محافظة المنوفية (في شنشور بأشمون) وقد حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب قبل دخوله الأزهر، وبعد الدراسة الثانوية درس القسم العالي ومُنح الشهادة العالمية سنة ١٣٥١هـ ثم مُنح شهادة التخص في الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة.

مواهبه وسجاياه:

حباه الله قوة الحافظة والدِّقة في الفهم وسرعة البديهة، وحصافة الرأي واتسم بالورع والزهد والتواضع ولين الجانب، وكان كثير

(١) انظر جريدة الجزيرة العدد (٨٠٠١٤) وتاريخ الاثنين ٢٩/٣/١٤١٥هـ.

الصمت قليل الكلام إلا فيما ترجَّحت فائدته ومصلحته وعُرف بشدة متابعته لسلف الأُمّة الصالح. وقد أخذ ينهل من شتّى العلوم النافعة في الأزهر وخارجه، واهتم منذ نعومة أظفاره بالفقه والتفسير واللغة والسُّنة والأصول والعقائد وشتى المذاهب والنحل حتى صار إماماً في كلِّ عِلْم من هذه العلوم لغزارة علمه وسعة إطلاعه مما جعل طلبة العلم يتوافدون عليه لينتفعوا من علمه ويستفتوه، إلى جانب الفتاوى اليومية التي يجيب عليها عبر الهاتف وفي موقع عمله، ومن خلال المشاركة في لجان التوعية والإرشاد في مواسم الحج، وقد أشرف على العديد من رسائل الدارسين بالدراسات العليا، كما شارك في لجان مناقشة بعض الرسائل وإلقاء العديد من المحاضرات والندوات والكلمات، ولقد تتلمذ على يده العديد من علماء ومشايخ المملكة.

حياته العلمية:

قام بالتدريس في المعاهد العلمية التي يشرف عليها الأزهر وفي سنة ١٣٦٨هـ قدم إلى السعودية ليكون مدرساً بالمعارف بعنيزة في سنة ١٣٧٠هـ وفي نهاية شوال من السنة نفسها نقل ليكون مدرساً بالمعاهد العلمية بالرياض.

ثم اختير للتدريس في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وفي سنة ١٣٨٥هـ رُشِّح لإدارة المعهد العالي للقضاء، وفي سنة ١٣٩١هـ تم نقله إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميةوالإفتاء والدعوة والإرشاد ثم اختيرعضواً في مجلس هيئة كبار العلماء مع كونه نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

مؤلفاته:

من ضمن مؤلفاته «مذكرة التوحيد»، وحاشية على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام»، وحاشية على الجزء المقرر دراسته في المعاهد العلمية من «تفسير الجلالين»، وبحوث قيِّمة ضمن بحوث اللجنة الدائمة، وله مذكرات ورسائل وبحوث عديدة لم تطبع حيث كان رحمه الله لايهتم بكثرة التأليف والطبع نظراً لتواضعه الشديد، ولعدم رغبته في الظهور والبروز، ولأن الساحة مليئة بالمؤلفات والمطبوعات مما جعله مغموراً عند كثيرٍ من الناس، لايعرفه إلا أهل بضاعته من المشايخ والعلماء وطلبة العلم.

أبناؤه:

رُزق الشيخ خمسة أولاد هم: أحمد وعبدالله وعبدالرحمن وهؤلاء قد تُوفّوا قبله رحمهم الله، ومحمد ومحمود ومن البنات ثلاثاً بارك الله في الجميع وسدَّد خُطاهم.

حالته الصحية:

لقد كان رحمه الله يعاني من صداع شديد منذ أن كان عمره سبع سنوات وقد أصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وشفاه الله منه، وقد أُجري له قبل خمس سنوات تقريباً عملية في البروستات وعملية في العين بسبب انفصال في الشبكية.

ومنذ فترة طويلة وهو مبتلى بأمراض عدة كالتهاب المسالك البولية وتعطل إحدى الكليتين وضعف الأخرى، والضغط والسكر ومع ذلك نراه صابراً محتسباً ولم يثنه ذلك عن طلب العلم وتعليمه، والعناية به وإفادة الناس وتوجيههم وإرشادهم إلى آخر أيام حياته.

مرضه ووفاته:

أدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٥/٣/١٦هـ في قسم العناية المركَّزة ثم أُخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ١٤١٥/٣/٢١هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد وضعف في الكلي ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب، وظلَّ بالمستشفى حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس ٢٥/ ١٤١٥/٣هـ في حوالي الساعة السابعة صباحاً، ثم صُلِّي على جنازته عقب صلاة الجمعة ١٤١٥/٣/٢٦هـ في الجامع الكبير بالرياض وقد صَلَّى عليه خلْق كثير لايُحصى، وقد ازدحمت المواقف وكذلك الشوارع المؤدية إلى المقبرة بالسيارات خصوصاً بعد ما انطلق الناس بسياراتهم للمقبرة ومن المشِّيعين مَنْ ذهب إلى المقبرة مشياً على الأقدام خوفاً من الزحام، حيث حضر دفنه بمقبرة العود بالرياض عدد هائل من البشر، غالبيتهم من المشايخ والعلماء وطلبة العلم وتلامذة الفقيد يغمرهم الحزن على فراقه داعين له بالمغفرة والرحمة.

وهذا الجمع الغفير من مُشيِّعيه يدل دلالة واضحة على محبتهم له وإن العالم الإسلامي فِعلاً قد فقد عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً وعَلَماً من أعلام الأمة، قدَّس الله روحه، ونور ضريحه، ورحمه وغفر له وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته وجبر الله مصيبتنا ومصيبة أهله فيه ورزقنا وإيَّاهم الصبر والسلوان وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

محمد بن سعد السعيد
إمام وخطيب جامع سلطانه الشرقي بالرياض

الشيخ عفيفي وتواضع العلماء[1]

(بقلم د.مهندس حبيب مصطفى زين العابدين)

إذا مات نجم من نجوم الطرب والغناء، أو ممثل من ممثلي السينما والأفلام قامت الدنيا وما قعدت، ويتوفَّى الله رجلاً صالحاً مُصلِحاً جاهد وعمل في سبيل الله ورفعة المسلمين وأثَّر في حياتهم أيما تأثير، ويغيب عنهم وقَلَّ أنْ يُذكر فيهم كما يذكر أهل الطرب أو أهل الأفلام.

وقبل أيام توفى الله رجلاً من أهل العلم والتقوى والحياة المثمرة في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله. مات الشيخ عبدالرزاق عفيفي عن عمر يناهز التسعين بعد حياة مليئة بالعمل الصالح، قضاها بين مصر والسعودية، وحظي -بفضل الله- بمحبة الناس في كِلا البلدين، ووجدت أنه من المناسب، بل من الواجب عليَّ وعلى غيري ممن يستطيعون الكتابة، أن يُسهموا ببيان فضل مثل هؤلاء الناس على مجتمعاتهم ودورهم في الحفاظ على دين هذه الأُمّة وأخلاقها ومُثُلِها. أكتب اليوم عن بعض جوانب حياة الشيخ عبدالرزاق عفيفي التي عرفتها كتلميذ له واكتشفتها من خلال لقاءات علمية عديدة جمعتني به، لقد كان -يرحمه الله- رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك عالماً بعصره وما يدور فيه، ولهذا كانت فتاواه وإجاباته على أسئلة تلاميذه أقرب للواقع

---

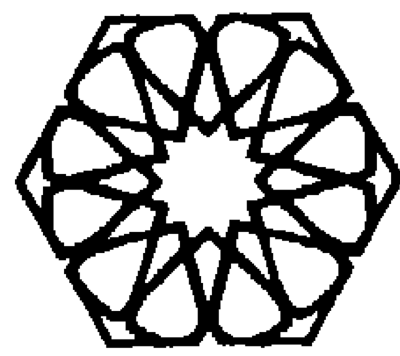
(١) انظر جريدة المسلمون العدد (٥٠٢) الجمعة ١١ ربيع الآخر ١٤١٥هـ وتاريخ ١٩٩٤/٨/١٦م.

والعصر الذي نعيشه، وكان يستشيره عدد من كبار علمائنا الأفاضل ويأخذون برأيه في المسائل المختلفة، وخاصة تلك التي تمس التجارب والخبرات والمسائل التي تتعلق بما ظهر في عصرنا وعالمنا من أمور حديثة ففي جلسة حوار دارت حول تطبيق النظام الإقتصادي الإسلامي بينه وبين عدد من خبراء الإقتصاد الذين ينشدون السعي لتطوير النظام الإقتصادي الإسلامي، سئل الشيخ عبدالرزاق عفيفي عن إمكانات عديدة تسمح بالتدرج في تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي وعدم التشديد والتضييق أول الأمر فأجاب -يرحمه الله- بقوله: يجب ألا نكتفي بالأسئلة النظرية التي ليس لها أي مردود عملي. وأردف قائلا: لقد درسنا كثيراً من الأمور النظرية، بل قدَّمنا فيها الفتوى المناسبة بهدف أن نجد التطبيق العملي لها. وإذا بها تتعثر لعدم وجود الدعم الكافي لها، أو أن الكثير تخطاها بفتاوى تجاوزت الحدود الإسلامية المقبولة.

وذهبتُ مرة أستفتي أحد كبار العلماء الأفاضل في مسألة خاصة وأستدعتْ الفتوى أن أُراجع العالم الفاضل وأستوضح بعض جوانب فتواه، ولم يزد ذلك عن سؤالين أو ثلاثة، وبُهِتُّ عندما هب هذا العالم واقفاً وأقفل الحديث وخرج من المجلس. ذهبت بعدها مباشرة إلى الشيخ عبدالرزاق عفيفي وهو مريض على فراشه في غرفة نومه فأحسن استقبالي وأحضر لي الشاي وحاورته في مسألتي حتى اتضحت لي الأمور وغادرت بيته معجباً بعلمه ورحابة صدره وصبره، وتمثلتُ فيه العالم القدوة، ودعوتُ له الله دعوات حارة صادرة من أعماق قلبي.. ويكفي الشيخ فضلاً أنْ يذكر عنه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً أنه ما من طالبٍ درس في الجامعة أو أستاذ عمل بها إلا ويعد من تلامذة الشيخ.

هذا قليل من كثير مما عُرف عن شيخنا عبدالرزاق، ولعل غيري ممن هم أُلصق بالشيخ أو أكثر معرفة به أن يدْلوا بدلوهم في بيان فضله وآثاره في خدمة هذه الأُمّة المسلمة ودينها.

واللهَ نسألُ له الرحمة والغفران والدرجات العلى من الجنة ولذويه وتلامذته الصبر والسلوان.



شيخنا العلامة، الشيخ عبد الرزاق عفيفي

إن نبأ وفاة أستاذي وشيخي، الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- الذي التقيت به في الأسكندرية واستفدت من علمه بل ومن كفاحه هو وصديقه الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي رحمهما الله، كان صدمة مذهلة لي، ولكن هذا قضاء الله وقدره، بل وسُنَّة الله في خلْقه، وبعد أن أفقت من تلك الصدمة كان عليّ واجباً لا بد أن أُوفِّيه لشيخنا، وأنا على ثقة أنني مهما كتبت فلن يسعفني البيان ولا تعبير اللسان، ومهما دوّنت من مجلدات فلن أوفيه جزءاً من حقه فهو ابن تيمية عصره، وإن شئت فقل إنه -رحمه الله- وابن القيم الجوزية توأمان، ويكفي أن نعلم بأن الشيخ جاء في جاهلية أشد وطأة بل وأضل من الجاهلية الأولى، ولقد انتابه الكثير من آثار تلك الجاهلية فصبر وزهد وهاجر، وكان عفيفاً إسماً على مسمىً وإنه ليسعدني ويشرفني أن أسجل ما علق بذاكرتي من تاريخ هذا العالم الجليل وهذا العفيفي الزاهد التقي الورع، حيث إنني شرفت بمقابلته وأخذ العلم عنه في مصر فضلاً عن مقابلاتي له بهذه المملكة الميمونة الذي استفاد جُلّ طلاب العلم بها من هذا العالم الفذ من علمه ووعظه وتدريسه بل ومن خُلُقه وحكمته بل ومن زهده وسلوكه.

من أعماله وكفاحه بمصر منذ شبابه:

إن الخُلَق الحسن والأدب الكريم، هما المعيار لسلامة النفس من الآفات الظاهرة والباطنة، فقد كان الأدب فيه سجيَّةً، وكانت الأخلاق الكريمة فيه غزيرة، وكيف لا يكون ذلك وهو من سُنَّة التراث العظيم لصاحب الخُلُق العظيم ﷺ،كان ليِّن الجانب دائم البشر حَسن الخُلَق، ليس بفظٍ، كثير التواضع لا يحقد عل أحد لا يعجل ولا يجهل، وإن جُهل عليه احتمل، يحب في الله ويبغض في الله، تعلوه السكينة والوقار، هابه الناس وأجلّوه وأعني بالناس حتماً طلاب العلم ورواد المعرفة وأصحاب القول والفتوى.

كان عابداً زاهداً شاكراً، وهبه الله ذاكرة نفَّاذة وقريحة وقَّادة، بذل للحديث وللسُّنة النبوية كلَّ جهده وأنفق فيها شبابه وشيخوخته، ما كَلّ ولا مَلّ حتى بلغ الذروة في علمه وحفظه، وحتى صار بحق فقيهاً في المحدِّثين ومُحدِّثاً في الفقهاء وإماماً لأهل السُّنة.

وكما قال ابن تيمية في وصف أصحاب الحديث وأهل القرآن: «يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدْي محمدٍ ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من الناس، ويقدِّمون هدْي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سُمُّوا أهل الكتاب والسُّنة، وسُمُّوا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين و(الإجماع) هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدِّين»[1].

لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فِرقة

(١) مجموع الفتاوى ج٣، ص١٥٧.

كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[1]، وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ: «هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» حديث متواتر في الصحيحين وغيرهما.

ولقد صدق ابن تيمية في بيان معتقد أهل السنة والجماعة بقوله: «فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، يعني بالنصوص والأحاديث التي فيها الصفات كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فِرق الأمة، كما أن الأُمّة هي الوسط في الأمم»[2].

كان رحمه الله من أهل السنة والجماعة بل أستاذاً لعصره منذ شبابه، فلم يكن رحمه الله مقتصراً على التدريس بمصر في المعاهد الدينية، بل كان يتردد على الوعظ والتدريس بمساجد أنصار السنة، ولقد علمت من السيرة الذاتية التي دوَّنها في نعيه فضيلة الشيخ مناع القطان، أنَّه رحمه الله استأجر بيتاً وهو أعزب فأسكن معه طلاب بلده يدرِّس لهم ويعظهم ولما تزوج كان يدعو طلابه إلى بيته ويرعاهم كما يرعى الأب أبناءه.

ولقد كان الطلاب يهابون شخصيته، وينصتون لسماع درسه، حريصين كل الحرص على الاستفادة من كل كلمة يقولها، وفي محافظة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه (٣٩٩٣) وصححه الألباني، وهو في الصحيحة رقم (٢٠٣).

(٢) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص١١٧) بشرح محمد خليل هراس.

المنوفية بشبين الكوم كان يذهب إلى الجمعية الشرعية فيُلقي في مساجدها دروساً بصفة منتظمة، وهذا الدرس كان يعتبر بمثابة مدرسة يجتمع فيه الجمّ الغفير للاستماع والنقاش والحوار. ليس هذا فقط، بل كان يغشى المساجد الأخرى من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها، وكان لمنهجه السلفي -رحمه الله- سمة بارزة فيها إضافة إلى أسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة، مع سعة في العلم وعمق في الفهم وكان لا يمس أحداً بتشهير ولا يتعرض لأحد بتجريح مما جعل استجابة الناس له عن حب وقناعة.

ومن أعماله بالاسكندرية وضواحيها :

وبنقله من المعهد الديني بشبين الكوم إلى الإسكندرية وكيلاً للمعهد الديني بها فقد جاء إلى الإسكندرية ليتوجها بسيرته العطرة في أيام شبابه. جاء -رحمه الله- ليعلن كفاحه وجهاده لا في المعهد الديني فحسب، بل وفي جُلِّ المدينة التي تعج بالأضرحة والقبور مثل (أبو العباس،جابر، تمراز، الشاطبي، الأباصيري) مما ينشده غير الموحِّدين ويقيمون حولهم خرافات لا يصدقها عاقل.

والجدير بالذكر أن عبّاد الأضرحة والمبتدعين كانوا يتعرضون للدعاة من أنصار السُّنة وغيرهم وتقوم المشاكل ويحصل العداء ولكن بفضل الله ثم بفضل كياسة الشيخ -رحمه الله-، وحلمه وعلمه وتصرفاته المثالية ودعوته إلى الله على بصيرة، كان لذلك كله أبلغ الأثر في نفوس أعدائه.

لقد أقر بعلم الشيخ وأخلاقه ومنهجه السليم كل من اتصل به -رحمه الله- وفي الواقع كل من عرفه ارتبط به ارتباطاً وثيقاً وأحبه وتمنى لو يظل معه دون فراق، ولقد صدق فيه قول أحد تلاميذه وهو الأستاذ

الشيخ زهير الشاويش فيما نشره في مجلة السبيل الأردنية العدد ٦٤ (كان عالماً ينشر العقيدة الصحيحة والتربية السليمة والأخلاق المحمدية فكان مدرسة فريدة في جمع الناس على الخير).

لقد حارب البدع وهو يحمل لواء التوحيد، يحافظ عليه بكل ما آتاه الله من قوة وما حباه من عزيمة وثبات. يدعو إلى الله على بصيرة، لم يكن -رحمه الله- من العلماء الذين انحنوا لعاصفة الابتداع. والعلماء لهم منازع شتى ومشارب متباينة، فمن اتفقت نزعاتهم تحابوا وتناصروا وأثنى بعضهم على بعض خيراً، ومن اختلفت أفكارهم ووجهات نظرهم تناحروا وتراشقوا بالنبال إلا من رحم الله. وأسعدهم بالحق ما كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووسعه ما وسع السلف. والمعصوم من عصمه الله، وكل أحد يأخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.

والعفيفي -رحمه الله- أخذ يفكر ويُقدِّر كيف يهدم صروح الأضرحة ويُحطم شبح الخرافات، وكيف يطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء بخزعبلاتهم، كيف يقوم بهدم الأضرحة كما قام مجدد الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بهدم قبر زيد بن الخطاب بنفسه.

كان شيخنا -رحمه الله- بعيد النظر وذا فراسة لا تخطئ فأخذ -رحمه الله- يجاهد الشرك بكل صوره وألوانه ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدى الله على يديه أُمماً لا يحصون كثرة، ثم بدا له أن يهاجر من أرض تموج بالبدع إلى أرض السُّنة والتوحيد.

وقد وجد من صديقيه رحمهما الله الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي وعبد الله بن علي بن يابس تشجيعهما له لمعرفتهما الكاملة

بالشيخ وأنه لم ولن يسكت عن كلمة الحق مهما كلفه ذلك من ثمن.

لقد تعلمت من الشيخ رحمه الله التوحيد الخالص وكان -رحمه الله- يحارب البدع والخرافات في القرية ولما ذهبت إلى الإسكندرية للالتحاق بكلية الطب البشري -جامعة فاروق سابقاً- ترددت على مساجد أنصار السنة المحمدية، وحضرت للشيخ -رحمه الله- دروساً في مساجد أنصار السنة بحي محرم بك، وكانت المساجد تمتلئ بالمسلمين لسماع عالم جليل يحتل مكانةً ساميةً بما حباه الله به من علم غزير وفقه مستنير وبصيرة نافذة وحرص شديد على تثبيت المهتدي وهداية الشارد وتبصير الجاهل ونصح الأُمّة وحب الخير لها. كان رحمه الله بفقهه وورعه وتقواه وإشفاقه على طلبة العلم واهتمامه بأمور المسلمين يجذب بحديثه السامع فيتمنى ألا يفارقه. فهو في الواقع قَلَّ من يناظره في العلم والخلق والحلم والصبر على الجهلة من المنتمين إلى الإسلام.

ولما سافر إلى المملكة العربية السعودية ترك فراغاً لم يقدر أحد على سده رغم أنه ترك صديقه الشيخ عبد العزيز بن راشد -رحمه الله- وكان عالماً وفقيهاً ومُحدِّثاً وصاحب مؤلفات نافعة ومنها:

«تيسير الوحيين بالاقتصار على القرآن مع الصحيحين» والذي يعتبر في غاية الكمال والروعة والإجادة. ومع ذلك فقد ترك الشيخ عبد الرزاق فراغاً عظيماً لا يملأه غيره وصفوة القول أن الشيخ -رحمه الله- كان مربياً ومرشداً يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم. لا يداري ولا يماري ولا يتكلف التأويل ليصوغ للناس ما يحبونه من الخرافات والخزعبلات.

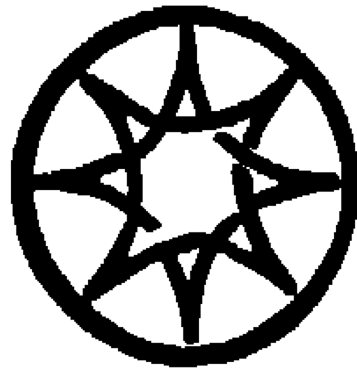
كان -رحمه الله -لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دُعي

وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

كان -رحمه الله- مشهوراً في مصر وفي السعودية ببذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له، وكان حكيماً في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين بعلمه وأخلاقه.

فرحم الله عالمنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
عبد الفتاح السيد الصروي
جماعة أنصار السنة بالأسكندرية
بجمهورية مصر العربية



الشيخ عبد الرزاق عفيفي
-في ذمة الله-(1)

فُجِعتْ الأُمّة الإسلامية بوفاة عَلَم من أعلامها الذي عاش بعيداً عن ضجيج وصخب الإعلام، وعن مُتع وفتن الدنيا، رجل سخّر عمره الطويل لخدمة الإسلام والمسلمين حتى يكفيه شرفاً أنه خرّج الآلاف من طلبة وعلماء الدِّين وجُلّ كبار العلماء من تلاميذه.

إنه الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- والذي توفي يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/١م عن عمر يناهز الثانية والتسعين.

والشيخ عفيفي من مواليد ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م. وقد تخرج من الأزهر ثم حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣م. وعمل بعدها مدرساً بالأزهر. وبالإضافة لعمله في التدريس كان أوّلَ وكيل لجماعة أنصار السُّنة المحمدية، ثم أصبح رئيساً لها بعد وفاة أوّل رئيسٍ لها وهو الشيخ محمد حامد الفقي- رحمه الله.

ثم انتُدب للعمل في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٦٨هـ-١٩٥٠م وقد قام بالمشاركة مع الشيخ محمد علي عبد الرحيم -رحمه الله-

(١) مجلة الفرقان، العدد (٥٥٤) ص(١٩).

الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية بتأسيس المعاهد العلمية بالمملكة ثم شارك في تأسيس كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، ثم رأس المعهد العالي للقضاء وحين تأسّست هيئة كبار العلماء كان أحد أعضائها ثم أصبح نائباً للرئيس بالإضافة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة.

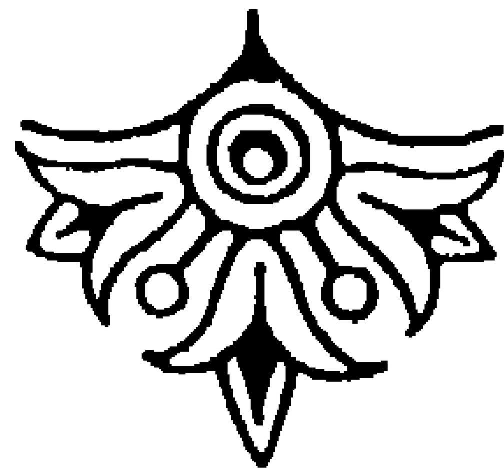
ولقد امتاز الشيخ عفيفي -رحمه الله- بسعة علمه ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستنير، والالتزام بمنهج السلف الصالح وفق الكتاب والسُّنة، هذا وقد كان الشيخ أيضاً مرجعاً في بيان الفِرَق الضالة والرد عليها.

والشيخ -رحمه الله- كان داعية متميزاً يحرص على حضور دروسه ومجالسه الكثير، ومما يذكر أن الشيخ كان يُلقي درساً في مجلس الملك عبد العزيز -رحمه الله- كلَّ يوم أربعاء. ولقد شارك الشيخ عفيفي -رحمه الله- في الإشراف والمشاركة على عدد كبيرٍ من الرسائل الجامعية- وتخرج على يديه أجيال من طلبة العلم.

والشيخ على سعة علمه كان مُقلاً في التأليف، ومن مؤلفاته: «مذكرة في التوحيد» وتحقيق وتعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي.

ولقد عاش الشيخ صابراً محتسبًا؛ فبالإضافة إلى الأمراض التي تعرض لها لأكثر من ربع قرن، فُجع بوفاة ابنه أحمد في حرب رمضان ضد اليهود، ثم وفاة ابنه عبد الرحمن في حادث سيارة، ثم ابنه عبد الله، هذا وقد شهدت الرياض دفنه يوم الجمعة ٢٦ ربيع الأول ١٤١٥هـ، حيث وفد الآلاف من طلبة العلم ومحبي الشيخ لمواراته الثرى، وقد امتلأت بهم

الطرقات والمقبرة، والله نسألُ أن يُسكن فقيدنا الفردوس الأعلى وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يجمعنا معه في الجنة، مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.



العلاّمة الشيخ عبد الرّزاق عفيفي
رحمه اللهُ تعالى[1]

روى الإمامُ البخاري في «صحيحه» مِن حديث مرْداس الأَسلميّ رضي اللهُ عنه، أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «يذهبُ الصالحون، الأَوّلُ، فالأَوّلُ...»، ويقولُ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

بِنُفوسٍ ملأَها الحزن، وعمَّرها التسليم بقضاء الله وقدرِه: تلقى المسلمونَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها نبأَ وفاة عَلَم من أعلام المُسلمين، وعالم من عُلمائِهم الأبرارِ: وهو الشيخُ العلاّمة عبد الرزّاق عفيفي رحمه الله تعالى.

وحِرْصاً مِن (الأصالةِ) على تعريف قُرائها بعُلماءِ المُسلمين -قُدماء ومُعاصرين، أحياءً وأمواتاً- رأَيْنا لِزَاماً علينا ذكر نبذة لَطيفةٍ عن هذا العَلَم الكبيرِ توقفهم على شيء من حياته، ونُتَف مِن مآثرِه وجهادِه: تغمدَه اللهُ بواسعِ رحمتِه.

- اسمه عبد الرزاق بن عفيفي بن عطيّة النُّوبي.
- وُلد في شَنْشُور، وهي قريةٌ تابعةٌ لمحافظةِ المنوفية في مصر، سنةَ ١٣٢٣هـ.

---

(١) انظر مجلة الأصالة العددان الثالث عشر والرابع عشر وتاريخ ١٥ من رجب ١٤١٥هـ.

- تلقّى تَعْليمَه العالي في الجامعِ الأزهرِ، وتخرج فيه سنةَ (١٣٥١هـ) حاصلاً على الشهادة العالميةِ، ثمّ درس -بعد هذا- في شُعبة الفقهِ وأُصولِه طلباً للتخصُّصِ.

- وَاصَلَ -بَعْدُ- دراسته، وتَحْصيله، نهلاً من تواليفِ أَهلِ العلمِ، ودرايةً لكتبِهم ومصنَّفاتِهم.

- ولقد وَصَفَهُ مَن عايشهُ وخالطَهُ -رحمه الله- بأنّه كانَ موسوعيَّ المعرفة، مُتَنوِّعَ المَدارِكِ، مُتَفَنِّناً في سائِرِ العلومِ.

- عَمِلَ مدرساً في المعاهِد الأَزهريّة في مصر، وكان رئيساً لجماعةِ أَنصارِ السنّة المحمديّة.

ثمّ اختار الهجرةَ إلى بلادِ الحَرَمين الشريفين، فدرّس في مناطقَ شتّى منها الطائفُ، حيثُ درّسَ في دارِ التوحيدِ بها، ودرّسَ في الرياضِ وعُنَيزة.

وتولّى التدريسَ في كلية الشريعةِ في الرياضِ إبّان إنشائِها.

ثمّ عُيِّن مُديراً للمعهدِ العالي للقضاءِ سنةَ (١٣٨٥هـ).

وفي عام (١٣٩١هـ) انتقلَ إلى دار الإفتاءِ، فكانَ عضواً في هيئةِ كبارِ العُلماءِ، وفي اللجنةِ الدائمةِ للإفتاءِ، حتّى صارَ نائباً لرئِيسها، وذلك إلى أن تُوفِّيَ رحمه اللهُ.

- تولّى الإشرافَ العلميَّ على عَدَدٍ من الرسائلِ العلميّة العالية: الدكتوراة والماجستير.

- كانَ له حَلَقاتٌ علميّةٌ في تفسير كتابِ الله تعالى يُلْقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض، ثمّ انتقلت دروسُه إلى بيتِه.

- وكانَ يؤمُّ النَّاسَ في المسجدِ الَّذي يَلي منزلَه، وكانَ يُلْقي فيه - في أَوقاتٍ مُتباينة - الدروسَ العلميّة والمواعظَ الشرعيّة.

- كانَ صَبُوراً على البلوى، يَلْهَجُ بالحَمدِ والثناءِ على اللهِ سبحانَه، فقد تُوفيَ - في حياتِه ثلاثةٌ من ولدِه، وابتُلي بالشَّلَلِ النِّصْفيِّ قبل نَحْوِ عِشْرين عاماً، فَصَبَرَ واحتسبَ، ثمّ عافاهُ الله تعالى منه.

- له مِن الوَلَدِ خمسةٌ مِن الذُّكورِ، وثلاثةٌ من الإناثِ، سَبَقَه - منهم إلى ربِّه ثلاثةُ ذكورٍ- كما تقدّم.

- مِن أَحبِّ كُتُبِ العُلماءِ إليه: كتابُ «المُستصفى» للغزاليِّ، و «الموافقات» للشاطبيِّ، و«القاموس المحيط» للفيروز آباديّ.

- كانت عنايتُه مُتَوَجِّهةً إلى التدريس، والتعليمِ، والإرشادِ، والإفْتاءِ، مِمّا أَدّى إلى عَدَمِ تفرّغِه للتأليفِ والتصنيفِ.

- وَمَعَ ذلك فقد طُبِعت له «مُذَكّرة في التوحيد»: وهي رسالةٌ نافعةٌ تُمَثِّلُ إملاءاتِه الّتي كانَ يُليقها على طُلاَّبِه في الجامعةِ.

وله تعليقاتٌ نافعةٌ على كتاب «الإحكام في أُصولِ الأَحكام» للآمديّ.

ومِمّا يدلُّ على سَعَةِ علمِه، ودقّةِ نَظَرِهِ، وشُمولِ معارِفه تِلْكُم التعليقاتُ اليسيرةُ في حَجْمِها، العظيمةُ في قيمتِها- الّتي أَودَعَها حاشيةَ «شرح العقيدةِ الطحاويّة» لابن أَبي العزِّ الحَنَفيّ في ذِكْرِ إحالاتِ شرحِهِ على كُتُبِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميّة وتلميذِه ابن القيّمِ رحمه الله.

- وَصَفَهُ شيخُنا العلاّمةُ الأَلبانيُّ بأَنّه «مِن أَفاضل العلماءِ، ومِن القلائِلِ الّذين نرى منهم سَمْتَ أَهلِ العلمِ، وأَدَبَهم، ولُطْفَهم، وأَناتَهم، وفِقْهَهم».

وقال فيه: «التقيتُه غيرَ مرّةٍ في مواسمِ الحجّ، وكنتُ أَستمعُ -أَحياناً- إلى إجاباتِه العلميّة على استفتاءاتِ الحُجّاجِ المُتَنَوِّعة، فكانت إجاباتٍ مُحْكَمةً، تدلُّ على فقهٍ دقيقٍ، واتِّباعٍ ظاهرٍ لمنهجِ السَّلَفِ».

- كانت وفاتُه -رحمه الله رحمةً واسعةً- صبيحة يومِ الخميسِ لخمسةِ أَيّام بَقينَ من ربيعِ الأَوّلِ سنةَ خمس عشـــرة وأَربـــع مئـــةٍ وأَلف، الموافقِ (١/٩/١٩٩٤م).

وَدُفِنَ في الرِّياضِ بعد صلاةِ الجمعة.

... رَحِمَهُ الله، وأَلْحَقَهُ بالصالحين، وجَمَعَنا وإيّاه في حَوْضِ سيِّدِ المُرسلين، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين.



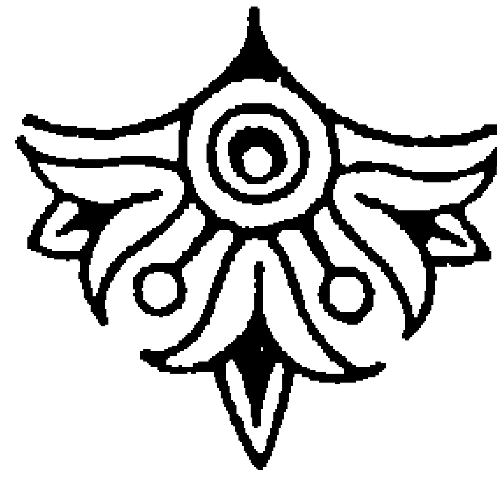
قدرُ الرجال(1)

الشِّعرُ باكٍ والقصائدُ أدْمُعُ   والقَلبُ مذبُوحُ المشاعر مُوجَعُ
والحزنُ في شفتيَّ نَزْفٌ دائمٌ   صَعْبٌ على العشَّاق ألاَّ يفجَعوا
وأسي الفجيعةِ ماثلٌ في خاطري   في كلِّ جسمي ليس يخلو موضِعُ
وإذا كتمتُ لواعجي في أضلُعي   فضَحتْ خَفِيَ الحزْنِ هذي الأضْلعُ
ماذا دهى عينْي تجمَّدَ دَمعُها   وكأنها أُخرى فليست تجْزَعُ
الهولُ أخرَسَها فغاضتْ لحظةً   وكأنها في جوفها تَتجمَّعُ
لتسيلَ حُزْناً كلُّها في دمعةٍ   ويسيل جسمي بعدها المتفجِّعُ
قلَّتْ بواكي المؤمنين بأرضنا   للهِ هذا المُشتكى والمفْزَعُ
يمضي الرجالُ وليْس ثمَّةَ شاعر   يرثي الرجال كأنَّنا لا نَسمَعُ
إنِّي ليُحْزُنُني ويُقْلقُ خاطري   أن المسافرَ ليسَ يوماً يرجعُ
وإذا بكيتَ فليسَ شيء راجعاً   ماذا عساها تَسْتَردُّ الأدْمُعُ
وإذا المَنِيَّةُ أنشبتْ أظفارَها   ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ»
طُوبى لأرضٍ كفنتك بثوبها   ضَمَّتْ فتِيتَ المسْكِ إذْ يَتَضَوَّعُ
وَعَلتْ على بعضِ البقاع بفخرِها   فَرَنتْ إلِيَها في أسىً تَتَطَلَّعُ
المجد يخسر والمكارم صفقةً   منْ أنْ يعيش لَهَا الهُمَامُ الأرْوَعُ»
قَدَرُ الرجالِ ضَيَاعُهمْ في عمرِهمْ   ومماتِهمْ، واللهُ ليسَ يُضَيِّعُ

(1) انظر مجلة التوحيد، السنة الثالثة والعشرون - العدد السابع.

وإذا غداً وفدوا عَلَيه بفَضْلِهِ　　لَبسوا الكرامَةَ ليسَ عَنْهمْ تُنْزَعُ
ضَاقتْ عَلَيهمْ في الحياة معايش　　أما غداً فالعيشُ رَغْدٌ أَوْسَعُ

محمود بن عبد رب النبي محمد
دراسات عليا قسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم جامعة القاهرة



نجم هوى[1]

هوى نجمُ عَبْدٍ في الأنامِ فَأُفْجِعوا وذا الخطبُ جَلٌّ والمُصابُ مُرَوِّعُ
فـلـلـه نَـعْـشٌ شَـيَّـعـوهُ عـشـيةً به الحلمُ والعلمُ الذي كان يُتْبَعُ
فـيا عـبـدَ رزَّاقِ الـبرايـا تـركـتـنـا ومـنـا قُـلـوبٌ للفـراقِ تُـصَـدَّعُ
فتسعون عاماً قد قضيت مجيدةً بـمـصرٍ ونـجـدٍ فـالـبـلاء مُـوَزَّعُ
وفي أزهرٍ حُزت العلومَ بَغرشٍ مَذْ هَـبِ الـمـالـكـيـنَ الـكـرامِ تَـرَبَّـعُ
لقد كنت رِدْءاً للفَقِيِّ[2] بمصرنا وقد كنتما حرباً على مَنْ تَبَدَّعُوا
فـكـم قـد نـصرتـم سُـنَّـةً لـنـبـيِّـنـا وفي أَزْمُـنٍ عزَّ الـنـصيرُ الُمشَجِّعُ
فَظَلْتُمْ بأرضِ مصرَ نوراً ومفخراً ومـا زال فَـضْـلُـكـمْ بـهـا يـتـوسَّـعُ
إلى أن دُعـيـتـم للبـلاد فَـقُـمْـتُـمُ بِـنَـشْرِ الـفـنونِ بين قومٍ تَـطَـلَّـعوا
مع الـنـفر الأُلَـى إلـيهم يشـار بـالْـ بـنـانِ بـنـيـتـمْ مـعـاهـد تُـرْفَـعُ
مـع ابـن حُمَيْـدٍ والأمـينِ وحَـبْرِنـا وأعني ابنَ بازٍ عطركم يَتَضَوَّعُ[3]
وفي هَيْئةِ الكبارِ صُلتُمْ وجُلْتُمُ وفي لجنة الفتوى قُلوبٌ وأَضْلُعُ

---

(١) مرثية الفقيد العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ المتوفى يوم الخميس ٢٥/٣/١٤١٥هـ عن نيف وتسعين عاماً. رثاه بها تلميذه أبو خالد وليد بن إدريس بن عبد العزيز منيسي ـ المدرس بالرياض.

(٢) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في مناصرة دعوة الشيخ حامد الفقي وتأسيس جماعة أنصار السنة بمصر.

(٣) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في نشأة المعاهد الشرعية والمعهد العالي للقضاء ومع أقرانه الشيخ عبد الله بن حميد والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ ابن باز.

عَزَا أهلِ مصرَ فيكمُ أَنْ تركتمُ عُبَيْدَ العزيزِ حَبْرٌ بِزِمَا المُفَرَّعُ[1]
وأما بنجدٍ كم شهابٍ أفضتمُ عليهم سُيولكمْ فأرووا وأرتعوا
وتلميذك المحزون يأسى لفقدكم وكم من محبٍّ قَلبهُ يتوجعُ



(1) إشارة إلى أجل تلامذته بمصر العلامة الشيخ عبد العزيز بن علي البزماوي أحد علماء الأزهر وأنصار السنة بالإسكندرية ـ حفظه الله.

الترياق في رثاء الشيخ عبد الرزاق

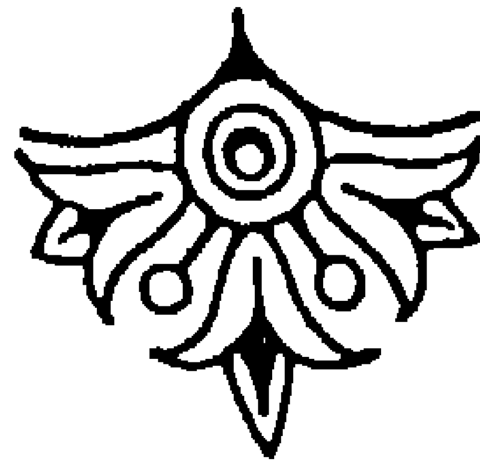
رحمه الله

تسابقت المحاجرُ بالوكوف وأمسى كلّ قلب في وجيف
وأجهشت الرياض بوبل دمع لفقد العالم الحبر العفيفي
وأمسى منبر التوحيد يبكي : منيتُ بثلمة في حد سيفي
وصرح العلم يندب في ذهول يقول مضى من الدنيا أليفي
عظيم عالم دمث كريم ستقصر عن مزاياه حروفي
وفقدك ياعفيف الجيب نار يشب لهيبها في كل جوف
إذا ما مثلكم عنا تولّى فياهمي وياحزني وخوفي
إمام علَّم الأجيال علْما وزهداً صادقاً في غير زيف
ولم يك همه شكل وأكل وبهرجة وهز للكتوف
بعيد عن مظاهر كلِّ كبر ويرضى بالحصير وبالرغيف
قريب من محب العلم سمح ولم يك مشمخرّاً في الكهوف
يجود بحسن موعظة وبُعدٍ عن التجريح والقول العنيف
وعف عن الحطام فكان حقا كما سموه بالشيخ العفيفي
وعاش مجاهداً شهماً أبياً ولم يركن إلى الظل الوريف
فتلك مآثر في مصر تشدوا بفضلٍ بين حاضرة وريف
وفي أرض الجزيرة فيض علم ومجد بات كالطود المنيف
قضى في العلم والتعليم عمرا مع الإخلاص في العمل الوظيفي

مع الكتب العظيمة كان يحيى ويُحييها بتعليم الألوف
وكان يعيشها فكراً وقلباً ولم تك زينة فوق الرفوف
يبث عبيرها في كل قلب ويجني للورى أحلى القطوف
يُقيِّد بالدليل نفار صيد من الأفكار بالأثر الشريف
ويقفو هذي خير الناس دوما صدوداً عن بني زيف وحيف
إذا التبست مسائل مشكلات وظل القلب منها في رجيف
جلاها بالبصيرة فاستنارت عيون القول بالفهم اللطيف
كأن الشيخ ينظر في هدوء إلى الإلهام من خلف السجوف
وكم سهر الليالي ماتعات سمير النجم بالفكر الحصيف
يُكحِّل أعين التاريخ نورا ويملأ سمعه بهدي طريف
مطاياه العزائم مسرعات وهمة ماجد للحق يوفي
وفي جنح الظلام يبيت يدعو بدمع العين والقلب الأسيف
قليل لفظه والقول نزر كوزن الدر في كف الصريف
ولو أن الحديث له ضياء لأشرق في دجى الليل الكثيف
بيان للأحبة مثل شهد وللأعداء كالسيف الرهيف
جزى الله الشريعة كلَّ خير عن العلماء من أم رؤوف
فقد عقمت قوانين البرايا وصار الغرب في الدجل السخيف
وقد عبث الظلام بكل قوم وبات الناس في هول مخيف
دمار في العقائد والمبادئ وفتك بالمسالم والضعيف
وهاوية الرذيلة والخطايا لها يمضون في سير هفيف
وتلك معالم الأخلاق تمحى وذا جراح الكرامة في نزيف
سياسات وأنظمة تهاوت كما تنهل أوراق الخريف
ولم تعد البرية في احتياج لرأي من أوربا أو جنيف

حـــيـــاة كـــلــهـــا زيـــغ وزور　　وأهـل الـرأي عـنـهـا في عـزوف
ولـست ترى عـلـى الدنـيا سوانا　　عـلـى الـتوحـيد والنهج الحنيف
فنحـن كـغـرة الـفـرس المحـلّـى　　بـلي كـالـتاج في الـدر الـصفـيف
بـفـضـل الله ثم بـحـسـن قـصـد　　وإخـلاص وتـوحـيـد الـصـفـوف
ونـــرفـــع رايـــةً لهدى وخـــير　　ونـنـتـشـل الأنـام مـن الخـسـوف
وهـا هـي أمـة الإسـلام تـرنـو　　لـذي الإيـمـان والـرأي الحصـيف
فـيمـا مـن ذكـره أحـلي وأغـلي　　وكـيـفـك في رؤى الأيـام كـيـفـي
جـزاك الله أفـضـل مـا يجازى　　بـه الـعـلـمـاء مـن رب لـطـيـف
ويـا نـسـل الـكـرام حماك ربي　　مـن الأحـزان في يـوم الـوقـوف
وأورثـك الـنـعـيم بـدار خـلـد　　وحـور الـعـين والـقـصرالمـنـيـف

ناصر بن مسفر الزهراني



إلى عَرَصات الخُلدْ[1]

وقفتُ لكي أرثي «العفيفي» فصَدَّني … وجومٌ -وقد حلَّ النَّوَى- وبُكاءُ
وقمتُ أُعزِّي فيه مَنْ رامَ عِلْمَهُ … فقالوا: وهل يُسليك عنه «عزاءُ»
فعدتُ أُناجي ذكريات ترحَّلت … وقد ضمَّني و«الشيخ» عاثمٌّ لقاءُ
وأبصرتُ فيها الشيخ يرقى بعلْمِهِ … وعانيت فيها الشيخ وهو بهاء
وناجيتُ فيها الشيخ فازورَّ طيفُه … وما في ازورار الطيف منه جفاءُ
لقد سار في درب الشَّريعة يافعاً … يطير به عزمٌ له وإباءُ
وأنْفَقَ في بسط الشريعةِ عُمرهُ … يسيرُ به خوفٌ له ورجاءُ
ثمانون عاماً والحياة مصاعد … وللشيخ فيها منهجٌ وسناءُ
إذا المحفلُ الراقي تناظر جمْعُهُ … رأيتَ مقال الشيخ فيه سخاءُ
شواهدهُ الآياتُ جَلَّ دليلُها … وحشدُ أحاديثٍ لهنَّ صفاءُ
يُسَرْبِلُ بالإقناع كلَّ مقالهِ … فيُصغي لهُ الكُتَّابُ والخطباءُ
إلى عَرصَات الخُلدْ يا وافر النُّهى … لعلَّك عند الله حيث تَشاءُ
وأنَّ قصيدي حين يَنْديَ بذكْرِكُم … حَريٌّ بأن يَنْدَى به الشُّعراءُ

---

(1) أبيات من شعر الأستاذ محمد بن سعد المشعان يرثي بها فقيد العلم الشرعي الشيخ الجليل عبد الرزاق عفيفي رحمه الله رحمة واسعة. وانظر جريدة الرياض العدد ٩٥٧٣ الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/٩م.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر[1]

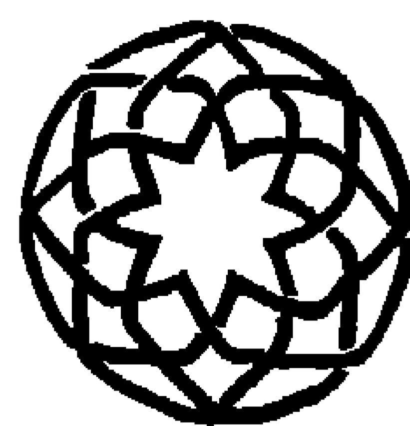
عبد الله بن سعود الرشود

أيها المشتكي صروف الزمان	انقع الشمس في أسار الأواني[2]
وابتغ الأرض خندقاً -طلع غيظ-	والسما سُلَّماً فلست بغان
ليس للدهر ذمة الخلصان	لا وما كان خالد الشنآن
إنما المرء فيه دلو قليب	يتَدَاعى ما بين قاصٍ ودان
يعتلي مثقلاً ويكبو خواءً	ساخراً من سجية المِيزان
لايحابي الورى ولكن له أُنس	بمضّاغ علقم الحدثان
والليالي كأنهنَ الغواني	ناقضات الوصال بالهجران
حانقات عليك طورًا، وطورًا	لابسات خلائق الإخوان
فسل عن صرفهنّ واقصد رحيب	الباع ذا العلم والحجا والبيان
حازم الرأي والمذهب شتى	فارس والجواد جسم الحران
ذاك عبد الرزاق لما تولى	نَفَجَ الشرُّ بعد طول احتقان
وخلا الجو لليالي فعادت	طاحنات بكلكل وجران
يا إماماً كأنه ضربة السيف	إذا طيرت فؤاد الجبان
وكأن النجوم ترنو إليه	حين تهدي قوافل الركبان

(١) حازت هذه القصيدة على المركز الثاني في مسابقة الشعر على مستوى جامعة الملك سعود عام ١٤١٥هـ.

(٢) أسار: تخفيف أسآر جمع سؤر.

أغفلوا ذكره وما عجبٌ أن ... يُشغَل المرء بالذي هو فانِ
فلقد أغفلوا القيامة طرًا ... وهو في الناس مثلها في الزمان
وادعوا موته وما مات لكن ... مات من بعد فقده الثقلان

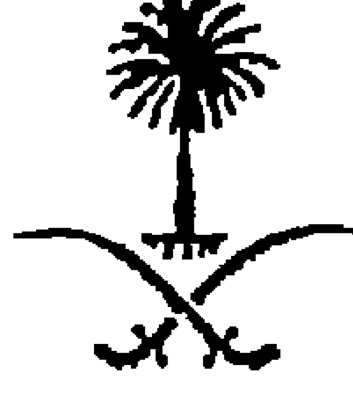


فصل

الوثـــائق

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي



الرقم ٢١٦٢٩٦/ص
التاريخ ٨/٦/١٤١٢هـ
المرفقات

صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد،

فاننا نود بكتابنا هذا ان نعرب لفضيلتكم عن خالص شكرنا وبالغ تقديرنا على ماقمتم به من جهود طيبة طيلة عملكم في هيئة كبار العلماء راجين من المولى سبحانه ان يجزل لكم الاجر والمثوبة على ذلك وان يجعل عملنا جميعا خالصا لوجهه الكريم.

ونظرا لما علمناه من انحراف صحتكم بشكل لايمكنكم من مواصلة العمل ورغبة منا في توفير سبل الراحة لفضيلتكم فقد قمنا بتعيين عدد من اصحاب الفضيلة المشائخ اعضاء في هيئة كبار العلماء ليواصلوا المسيرة التي بدأتموها مع اخوانكم سائلين المولى سبحانه وتعالى ان يأخذ بايدينا ويسدد خطانا جميعا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. كما نسأله جل وعلا ان يمن عليكم بموفور الصحة ويتولاكم بحفظه ورعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

فهد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

المكتب الخاص
المفتي ورئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية

الرقم : ٢٤٧٨
التاريخ : ١٧/٥/٧٩هـ
المشفوعات : ......

من محمد بن ابراهيم الى حضرة المكرم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي / المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد فلما نؤمله في فضيلتكم من القيام بادارة المعهد العالي للقضاء على الوجه الأكمل وبمقتضى الأنظمة والتعليمات الموضوعة لذلك فقد اسندنا الى فضيلتكم ادارته وعيناكم بتلك الوظيفة راجين من الله لنا ولكم التوفيق والسداد والسلام عليكم • ،،،

الرئيس العام للكليات والمعاهد العلميه



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية	الرقم ________
المكتب الخاص	التاريخ ________
مفتي ورئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية	المشفوعات ________

الرقم ١٢٦٣٦
التاريخ ٨٧/٦/٢٨

صاحب السماحة الشيخ محمد بن ابراهيم

بعد التحيه :ـ بالاشارة الى خطابكم رقم ٧٤٨٢ في ٨٦/١١/٢٦هـ • بشان تمديد خدمات الشيخ عبد الرزاق عفيفي لقد قرر مجلس الوزراء بقراره رقم ٤١١ في ٢٤ـ١٣٨٧/٦/٢٥هـ • ما يلي :ـ

ان مجلس الوزراء / بعد الاطلاع على المعاملة المرافقة لهذا الواردة من ديوان الرئاسة برقم ١٦٥٦ وتاريخ ٨٧/١/٢٠ بشان طلب سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم الموافقة على استمرار خدمة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي مدير المعهد العالي للقضاء واعفاءه من التقاعد بصفته من رجال الدين وللحاجة الماسة اليه حيث انه يشغل مركزا علميا واداريا لا يسد فيه احد مسده ولا يوجد من يقوم مقامه فيه • وافادته ان المذكور من مواليد عام ١٩٠٥م • وقد اعتبر في تابعيته السعوديه ١٣٢٣هـ • ويكون عمره في الوقت الحاضر قد بلغ الثالثة والستين •

وبعد الاطلاع على توصية اللجنة الاداريه رقم ٥٤ في ٨٧/٢/١٦هـ •

يقـــرر

الموافقة على تمديد خدمات فضيلة الشيخ / عبد الرزاق عفيفي لمدة خمس سنوات اعتبارا من بلوغه سن الستين واحتسابها لشرف التقاعد • ولما ذكـــر حرر •

وحيث قد وافق جلالة مولاي على ما تقرر فاعتمدوا اكمال اللازم وبموجبه •

رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء



صورة لوزارة الماليه والاقتصاد الوطني
= = لديوان المراقبة العامـــــه
= = = = = = الموظفين العام
= = للجنة العليــــــا
= = للتفتيش العام لمجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

المكتب الخاص

رئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية

الرقم ١–٥–٩٠

التاريخ ٥–٧–٨٧

المشفوعات ١

من محمد بن ابراهيم الى فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي / المستشار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١١٤١ في ٢٤–٢٥/٦/٨٧هـ الوارد في خطاب رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٢٦٦٢١ في ٢٨/٦/٨٧هـ بالموافقة على تمديد خدماتكم لمدة خمس سنوات اعتبارا من بلوغكم سن الستين واحتسابها لشرز التقاعد وتجدون في طيه نسخة من خطاب ديوان الرئاسة آنف الذكر لاكمال اللازم بموجبه والسلام عليكم 

صورة مع صورة خطاب ديوان رئاسة مجلس الوزراء المتضمن قرار مجلس الوزراء رقم ١١٤١ في ٢٤–٢٥/٦/٨٧هـ لـ ادارة الكليات والمعاهد العلمية لاعتماد



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ١٠٢٩
التاريخ ١٧/٢/١٣٩٤هـ
المشفوعات

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :-

بما أن الدورة الحاليه لمجلس المعهد العالي للقضاء قد انتهت ولما لمسناه فيكم من اخلاص في العمل وحرص على اداء الواجب . ولما تتمتعون به من كفاية ومقدرة فاننا نرغب في تجديد عضويتكم لمدة سنتين من تاريخه وسنشعركم عند ماندعو المجلس لعقد جلساته . والله يرعاكم ،،،

نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية

عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ٥٨٦
التاريخ ١٥/١٠/٩٣
المشفوعات

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :ـ

فبناء على حاجة المعهد العالي للقضاء الى استاذ يقوم بالقاء محاضرات في التفسير في السنتين الثانية والثالثة في المعهد طول السنة الدراسية .

ولما نعهده فيكم من مقدرة علمية فاننا نعهد اليكم القيام بالقاء محاضرات في التفسير في السنتين الثانية والثالثة في المعهد طول العام الدراسي الحالي ٩٣/١٣٩٤هـ نرجو القيام بذلك اعتبارا من ٨/١٠/٩٣هـ . والله يرعاكم ،،،

نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية

عبد العزيز بن محمد آل الشيخ



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ١٣٩١/٩/٩هـ
المشفوعات

الرياض يوم الخميس ٩ رمضان عام ١٣٩١هـ

حضرة صاحب الفضيلة رئيس مجلس أساتذة المعهد العالي للقضاء الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :ـ

فبناء على كتاب سماحة نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية رقم ١/٣١١٩ وتاريخ ١٣٩١/٨/٢٣هـ بشأن تأليف لجنة المناقشة والحكم على رسائل طلاب السنة الثالثة بالمعهد العالي للقضاء المقدمة منهم في عام ١٣٩١/١٣٩٠هـ للحصول على شهادة إجازة المعهد العالي للقضاء (درجة الماجستير) ألفت اللجنة واجتمعت لأداء مهمتها بمقر المعهد العالي للقضاء في المدة من يوم الأحد ٢٧ من شعبان ١٣٩١هـ الى يوم الخميس ٩ رمضان ١٣٩١ هـ وناقشت الرسائل وكتبت التقارير عنها ، وقد أسفرت المناقشة عن نجاح الطلاب الذين تقدموا برسائلهم جميعا ، ورسائلهم في جملتها تشرح الصدور ، وتملأ القلوب بالآمال ، فقد عرضت لموضوعات هامة في الشريعة تحتاج إليها الأمة في حاضرها ومستقبلها ، وقد عنيت بصفة خاصة بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وخرجت من هذه المقارنة بتفوق الشريعة الإسلامية وسيادتها على هذه القوانين الوضعية

والمستوى العلمي الذي دلت عليه هذه الرسائل ومناقشتها جيد بصورة عامة ، يبشر بمستقبل مشرق للمعهد وطلابه ونظام الدراسة فيه ، وإننا لنأمل الخير العميم لخدمة العلم والدين على أيدي هؤلاء الطلاب الذين تخرجوا في المعهد .

ومع تقارير اللجنة عن الرسائل ، كشف تفصيلي بأسماء الطلاب وبيان درجة كل واحد منهم .

هذا ما لزم بيانه والله يحفظكم ويرعاكم . ،،

توقيع لجنة الحكم على الرسائل بالمعهد العالي للقضاء

حسنين محمد مخلوف	عبد الرزاق عفيفي
مفتي الديار المصرية الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء	مدير المعهد العالي للقضاء وعضو جماعة كبار العلماء
(توقيع)	(توقيع)

محمد عبد الوهاب بحيري	مناع القطان	محمد محمد حسن أبو زهو
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء	الأستاذ بكلية الشريعة	الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء
(توقيع)	(توقيع)	(توقيع)

عبد العال عطوه	أحمد ابراهيم لاشين
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء	الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض
(توقيع)	(توقيع)

رقم ١٨٥٥



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ١/٩/٩١هـ ٢٠/١٠/٧١م
المشفوعات

تقرير عن رسالة (أحكام الوصية في الإسلام) للطالب محمد بن حسن الهلالي

موضوع هذه الرسالة موضوع فقهي هام واجتماعي خطير ، فالوصية التي شرعها الله مظهر من مظاهر الرحمة والعطف ، والتعاون على الخير والبر والتكافل الاجتماعي فيما بين المؤمنين . وكل ذلك مايقوي روابط الاخاء ، وينمي عواطف الاحسان ، ويدعم بناء الاسرة التي هي أساس المجتمع ، ويجعل الامة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والوصية إلى ذلك كله خير وبركة على الموصي وورثته ، يستدرك بها الموصي مافاته في حياته من وسائل القربى إلى الله سبحانه ، وتعرض ورثته لرضا الله وجزيل مثوبته ، إن هم نفذوها في الحدود المشروعة ولم يحرفوها أو يبدلوها ، وقد عنى صاحب الرسالة بالأحكام التي تشتد إليها الحاجة في هذا الموضوع الخطير ، فذكر مذاهب الفقهاء وأدلتها ، وناقش تلك الأدلة ، ورجح مايراه راجحا ، كما تعرض لآيات الوصية والإرث ، وذكر مواقف العلماء منها مع الاستدلال والمناقشة والترجيح ، وتناول بالبحث مسألة الوصية لورثة من يموت في حياة أبيه وأبدى رأيه فيها كما تناول الوصية بالطاعات وبالمعاصي ، وللمسلم وغير المسلم ، وللقريب وغير القريب وللوارث وغير الوارث مع ذكر خلاف العلماء وأدلتهم وبيان مايختاره منها ، تعرض لذلك كله بأسلوب هادئ وتنسيق حسن وهو فيما كتب وحرر شأنه شأن كل باحث يخطئ ويصيب وقد ناقشته اللجنة في كثير مما كتب فكان موفقا متجاوبا مع اللجنة يرجع إلى الحق إذا استبان له وقد أرشدته اللجنة الى أهم مايؤخذ عليه وقرر بأجماع الآراء نجاحه ومنحه من الدرجات ٩٠٪ (تسعين من مائة) . والله يوفقه لخدمة العلم والدين ، ...

التوقيع

[signatures]



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم .
التاريخ ٢ / ٢ / ١٣٩٦ هـ
المشفوعات

رسالة (حقيقة الورق النقدي)

للشيخ عبد الله بن سليمن بن منيع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد

فموضوع هذه الرسالة موضوع هام من حيث تداول الاوراق النقدية في المعاملات كالنقود من الذهب او الفضة وقد عني الفقهاء بتخريج حكمها شرعا من حيث الزكاة والربا والصرف وغير ذلك .

وقد فحصت اللجنة هذه الرسالة فوجدتها وافية دقيقة البحث قوية الاسلوب حسنة الترتيب وحينما ناقشت مقدمها اجاب اجابة جيدة تدل على سعة الاطلاع وحسن التخريج وارشدته اللجنة الى بعض المآخذ على الرسالة وقررت نجاحه بامتياز ومنحه ٩٥٪ خمسا وتسعين درجة من مائة والله الموفق ،،،،

توقيع اللجنة

حسنين محمد مخلوف
أحمد إبراهيم الأشقر

محمد عبد الوهاب بحيري
عبد الرزاق عفيفي



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٢٨/٨/١٣٩١هـ ١٨/١٠/٧١م
المشفوعات ..

تقرير عن رسالة (مكافحة الجريمة) للطالب ابراهيم بن عبد الله الناصر

موضوع هذه الرسالة موضوع علمي اجتماعي خطير ، طالما شغل العقلاء والمفكرين ، من قادة الامم وفلاسفتها ، والقوامين على الامن فيها ، وقد سنوا كثيرا من القوانين التي رأوها رادعة ، فما ازدادت الجريمة إلا انتشارا ، وأصبحت هذه الدول تعاني تهديدا من الداخل لا يقل عن خطر أعدائها من الخارج وقد عالج الإسلام ، وهو نور من الله . هذه المشكلة بما سنه من عقوبات تلاشت الجرائم ، وبما حث عليه من أخلاق وآداب ، وما دعا اليه من تراحم وتعاطف وإخاء ، وبما أعده في الآخرة من الجزاء على الاعمال . وحسبك دليلا عمليا على ذلك ماتراه في الجزيرة العربية من أمن واستقرار صار مضرب الامثال ، مع قلة رجال الامن ، واتساع ربوع البلاد ، وذلك ببركة معالجة داء الجريمة بدواء الشريعة ، التي تلقاها نبي الله ورسوله الأمين من لدن حكيم عليم .

وقد بين صاحب الرسالة هذا الجانب من محاسن الاسلام فتكلم عن الجريمة ، وأسبابها ، وآثارها السيئة ، كما تكلم عن عقوباتها في الاسلام ، وما يسبق هذه العقوبات من الدعوة الى الاخلاق الكريمة ، والتربية الرشيدة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يكون بعد هذه العقوبات من آثار طيبة تسعد بها الامة في دينها ودنياها ، وتصدى لبيان الفشل الذريع للقوانين التي سنتها الامم التي لم تهتد بهدى الإسلام ومن يقلد هذا من الامم التي حذت حذوها فباءت بالخسران المبين .

تكلم عن هذه الموضوعات وما يتصل بها فكان موفقا في أبحاثه ، وفي جمع شتات هذا الموضوع المترامي الأطراف ، الذي يعز بحثه وجمعه على كثير من طلبة العلم ، بمثل هذا الايجاز وبتلك العبارة القوية الرصينة .

وقد ناقشته اللجنة في كثير ما كتب فكان حسن الاجابة موفقا للحق الذي عين له وقد نبهته اللجنة الى اصلاح بعض المآخذ التي لا يخلو منها باحث . ثم قررت بالاجماع نجاحه ومنحه من الدرجات ٩٧٪ سبعا وتسعين من مائة . والله يوفقه لخدمة العلم والدين . ...

التوقيع

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

رقم ١٤٥٠



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ
المشفوعات

نوقشت الرسالة يوم الاثنين الموافق ٢/٩/١٣٩٠هـ ق ١١/٢/١٣٤٩هـ ش

(تقرير)

عن رسالة (أخبار الآحاد في الحديث النبوي حجيتها، مفادها، العمل بموجبها)

للطالب عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين .

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد عني المسلمون بها عناية كبيرة، دراية ورواية ونقلوا منها ماكان بنقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال مما خص الله به هذه الأمة، وهذا البحث يتناول أخبار الآحاد في الحديث النبوي . فيذكر آراء العلماء، ويؤيد المذاهب الحقة وينصرها، ويدحض الشبه الزائفة ويخذلها مستندا في ذلك الى أصل التشريع الإسلامي، في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، التي رواها عنه الصحابة رضي الله عنهم، ورواها عنهم التابعون، ثم أئمة الحديث وأعلامه، الذين أفرغوا جهدهم وبذلوا وسعهم في تصحيحها وروايتها متونا وأسانيد، فكانت تلك الأحاديث النور والهدى والحجة والبرهان لأمة الإسلام في كل زمان ومكان، لا فرق في ذلك بين ما تواتر منها واستفاض، وما رواه الآحاد من الثقات الأثبات الذين أعز الله بهم الإسلام، ورفع مناره، وأذل بهم الباطل ونكس هامته .
وأقامهم للدين حماة، وللحق رعاة، وأجزل الله مثوبتهم، ورفع في الآخرة درجتهم .
وقد ناقشت اللجنة الطالب في بعض المباحث، فكان موفقا في اجابته، جيدا في عبارته، مسددا في الادلاء بحجته، ووجهته الى ما لا حظته عليه وأرشدته الى تداركه وقررت منحه ٩٠٪ تسعين درجة من المائة، والله الموفق

توقيع اللجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

الرقم ٢٠/٢٠٧/٤/٤/١٣٢١
التاريخ ٢٨/٤/٩١
المشفوعات ...

ادارة الابحاث والمناهج والمواد التعليمية
شعبة الكتب المدرسية

فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي / مدير المعهد العالي للقضاء الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

لما لمادة الثقافة الاسلامية من أهمية كبرى في تعميق وتقوية العقيدة لدى الطالب فقد قررت الوزارة تدريس هذه المادة من بين مواد المنهج المقرر في المدارس المتوسطة الحديثة ولما لكم من جهد سابق في مجال غرس العقيدة في نفوس النشء فقد وقع الاختيار على فضيلتكم لتأليف مذكرة لهذه المادة وفقا للفقرات الموضوعة لمنهج الصف الأول لهذه المادة .

وتجدون برفقه نسخة من منهج الصف المذكور علما أن الوزارة ستصرف لكم مكافأة مالية قدرها ألفا ريال وذلك وفقا للقرارات المنظمة لعملية صرف مكافآت التأليف .
وتود الوزارة سرعة تقديمها الى (شعبة الكتب المدرسية) لتتمكن من القيام بطباعتها في أول العام الدراسي ١٣٩١ لعله يتم توزيعها أثناء العام الدراسي المذكور .. وفقكم الله .

ودمتم ،

وكيل وزارة المعارف للشئون التعليمية والادارية

خالد بن فهد بن خالد

ع/ بيره
٧/٢٤

الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء
ورد برقم ...
تاريخ ...
المشفوعات ...

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
اللجنة العليا للتوعية الإسلامية

الرقم ٣/٤٦٦٦/٦٨/٦/٢٢
التاريخ ١٣٩٣/٥/٩ هـ
المشفوعات

تعميم حسب البيان
المرفق

سيادة المكرم الأخ الشيخ عبد الرزاق عفيفي إدارة الفتوى والإرشاد [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته وبعد ../

بناء على ما تقوم به اللجنة العليا للتوعية الإسلامية من حصر للطاقات البشرية القادرة على القيام بأعباء التوعية الاسلامية بين الشباب بصفة خاصة وفي المجتمع بصفة عامة .

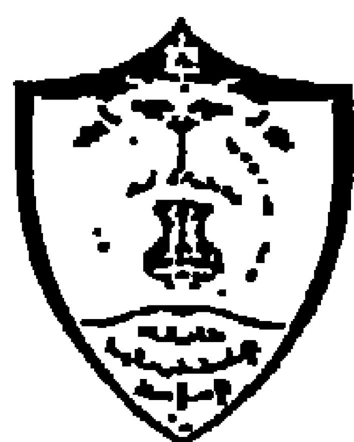
ونظرا لما عرفناه عنكم من اهتمام ملموس في هذا المجال ، فانني آمل استيفاء البطاقة المرفقة واعادتها الى امانة اللجنة العليا للتوعية الاسلامية بوزارة المعارف وذلك حتى يتسنى القيام بتصنيف دقيق للامكانيات والقدرات الاسلامية المتواجدة في هذه البلاد واتاحة الفرصة امام الشباب للاستفادة من توجيهاتكم ومشاركتكم البناءة في سبيل تحقيق المجتمع المسلم العامل لدينه وامته .

ولنا كبير الامل في حسن تجاوبكم والله يرعاكم والسلام ....

وزير المعارف
ورئيس اللجنة العليا للتوعية الاسلامية
حسن بن عبد الله آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين بالرياض



الرقم ... ٦٦ - ٢ ...
التاريخ ٩٩/٨/٩هـ
المشفوعات

الموضوع : طلب اعداد تقرير عن طالب/دكتوراه حسب النموذج المعد لذلك .

الدراسات العليا
قسم : العقيدة والمذاهب المعاصرة

فضيلة : الشيخ عبد الرازق عفيفي عطيـة .. الموقر .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فانى أشكركم على ما تبذلونه من جهد ووقت أثناء قيامكم بمهمة الاشراف على أبنائكم طلاب الدراسات العليا ، ونظرا الى أنكم تتولون الاشراف على الطالب: عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان ، الذى يعد رسالة (الدكتـــوراه) فى موضوع (كتاب التوحيـــد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمـة) ، وحيث إن لائحة الدراسـات العليا تقضى بأن يقدم المشرف الى القسم المختص تقريرا عن تقدم الطالب فـى بحثه ومدى قدرته على الاستمرار ، كل أربعة أشهر بالنسبة للماجستير ، وكل ستة أشهر بالنســبة للدكتوراه ، ونظرا لتحديد المدة المقررة لانهاء البحث ، ورغبة من الكلية فى الوقوف على الواقع العلمى لطلابها ، للاطمئنان من جهة ، ولمعالجة أوجه النقص - ان وجدت - من جهة أخرى ، ولما هو معهود فيكم من تعاون .

آمل تزويد الكلية بتقرير عن الطالب المذكور وفق النموذج المرافق وأن يستمر ذلـك دوريا حسب ما أشير اليه آنفا .

وانى لعلى ثقة من حرصكم ومتابعتكم لأبنائكم ، وترغيبهم فى الجد والمثابرة والانقطاع للبحث ، والأخذ بأيديهم ، وتذليل ما يعترضهم ، مما قد يصرفهم عن البحـث أو يعوق تقدمهم فيه .

فلكم من الله الأجر والمثوبة .. والله يتولاكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

عميد كلية أصول الدين

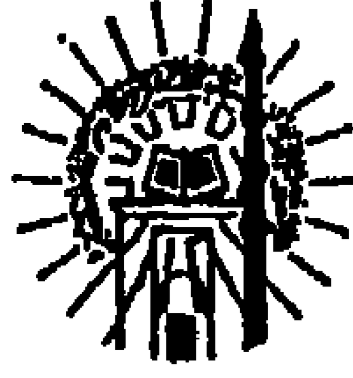
عبد العزيز بن [illegible]

مطاوع / --

صورة للقسم المختص ؛ ملف الطالب

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
تلكس ٤٧٠٠٢٢ اسلامي



الرقم ١٧٢
التاريخ ٢٢/٢/١٤٠٣هـ
التوابع ....

سماحة الشيخ / عبد الرزاق العفيفي حفظه الله

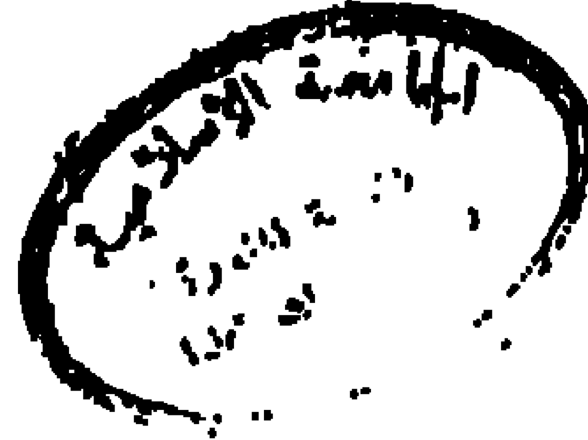
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد ،،،

يسرني بأن ابلغ فضيلتكم قرار مجلس قسم الدراسات العليا في جلسته بتاريخ ٧/٢/١٤٠٢هـ . باختيار سماحتكم مشرفا على رسالة الطالب / عبد القادر حبيب الله السندي وموضوعها (ابن قدامه وتخريج احاديث كتابه الكافي) لنيل درجة الدكتوراه .

ارجو التكرم بتثبيت موعد اسبوعي وابلاغ القسم به .

وفق الله الجميع لما فيه الخير ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



رئيس قسم الدراسات العليا

(د / اكرم ضياء العمري)

مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر

الفتاوى

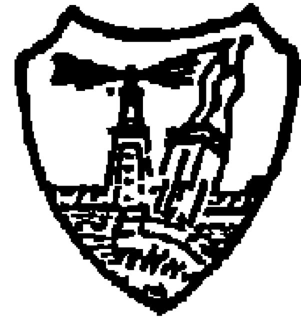
« دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة »

لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ — ديسمبر سنة ١٩٥٩

الجامعة الأزهرية
معهد الإسكندرية الديني
لجنة النشاط الثقافي



محاضرات الاساتذة

فى الموسم الثقافى

١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

مطبعة دار نشر الثقافة
٨ شارع الرافعي بمحرم بك بالاسكندرية

هذا البحث من إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي
يرحمه الله

١- وقد روى البخاري ومسلم حديث دعاء الكرب ونصه (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم)

((مبحث العرش والكرسي وما يتعلق بهما))

العرش والكرسي كلاهما حق، وللعرش حملة من الملائكة يحملونه فوقهم، قال الله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا)، وقال تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض)، وقد بين الله العرش بنسبته إليه، ووصفه باستوائه عليه، قال تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال: (ذو العرش المجيد) وقال: (رفيع الدرجات ذو العرش) وقال: (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وقال: (الرحمن على العرش استوى) وقال في أكثر من آية (ثم استوى على العرش) فدل ذلك على وجوده وامتيازه واستواء الله عليه، كما دلت الآية الثانية على وجود الكرسي.

واختلف في صفة العرش وموقعه من المخلوقات، فقيل: إن العرش مثل القبة فوق المخلوقات، واستدل لهذا بما رواه أبو داود وغيره في حديث الأطيط من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن عرشه على سمواته لهكذا وقال بأصابعه، مثل القبة). أي أشار بأصابعه إشارة تدل على أن العرش يشبه القبة، لكن الحديث ضعيف الإسناد، واستدل لذلك أيضا بما رواه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن) لكن هذا الدليل على أن العرش كالقبة فوق السموات من جانب واحد، فإن السموات محيطة بالأرض ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم، وقيل: إن العرش فلك مستدير محيط بالعالم من كل جهة، وربما سماه أصحاب هذا القول الفلك الأطلس أو الفلك التاسع.

ويرد هذا بأن العرش قوائم، لما ورد في حديث بيان النبي صلى الله عليه وسلم فضل موسى عليه الصلاة والسلام بعد قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) فالظاهر أنه كسرير على قوائم، وأن الملائكة تحمل من هذه القوائم، وأيضا العرش في اللغة السرير الذي أعد للملك ليجلس عليه، ولأنهم [illegible] المخلوقات، وقد نزل القرآن بلغة العرب، وإذن ليس العرش فلكا مستديرا، بل هو كالقبة على العالم، وقد استشهد لكونه سريرا بشعر أمية ابن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريرا

واستشهد لذلك أيضا بما ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة، من أن عبد الله بن رواحة عرض لامرأته بشعر عن القراءة حينما اتهمته بجاريته ليوهمها به أنه قرآن، وأنه ليس بجنب، قال:
شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا

١ـ القول إلى ذي ... الرحمن ... الأعلى ... والأرض
في العرش إلا كلمة من حديث ... من الطهراني فلاة من الأرض)

وتأول جماعة العرش فقالوا إنه عبارة عن الملك، وهذا تحريف للكلام [illegible] وإخراج له عن المعنى المتبادر منه بلا دليل، فإنه يبعد أن يقال في تفسير الآية السابقة ((ويحمل ملك ربك فوقهم يومئذ ثمانية)) وأن يكون معنى ((وكان عرشه على الماء)) وكان ملكه على الماء، ويكون معنى أخذ موسى بقائمة من قوائم العرش أخذه بقائمة من قوائم الملك، فكان تفسير العرش بالملك باطل.

أما الكرسي فقيل: إنه موضع القدمين، وأنه بين يدي العرش كالمرقاة إليه، فهو غير العرش، ويقول ابن عباس: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، وقيل: إن الكرسي هو العرش، ويرده ما تقدم عن ابن عباس، وفسر الكرسي بالعلم، ونسب هذا إلى ابن عباس، ولكن المحفوظ عنه التفسير الأول.

وبعد ذلك:
هذا والسكوت عن الكلام في العرش وأنه كالقبة أو مستدير محيط بالكائنات خير من الخوض في ذلك، وكذا ترك التعمق في كون العرش هو الكرسي أو خلافه خير من الجدل وكثرة الحديث فيه، فإن الخوض في ذلك والتعمق فيه من شره الفكر، واستشراف العقل إلى إدراك أمر غيبي لا يعلم إلا بالتوقيف، فينبغي الوقوف عند النقل، ويجب أن يعلم أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه، ولا لكون العرش حاملا له، فإن السماء فوق الأرض ومحيطة بها، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها متماسكة محتاجة إلى الأرض، ولا أن تكون الأرض حاملة لها، فالله مستو على عرشه، وهو مستغن عنه وعما فيه من الكائنات، وهو فوقه بذاته حقيقة، محيط بهم إحاطة تليق بجلاله لا كإحاطة الفلك بما فيه من الكائنات، والجميع قائم بحوله وقوته ابتداء ودواما، محفوظ بعنايته ورعايته، بحكمته وقدرته، وتعالت عظمته علوا كبيرا، قال تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) وقال: (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) وقال: (ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا) وقال: (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) وقال: (بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط).

وهذا هو مذهب السلف في صفة الاستواء، وعلو الله على عرشه حقيقة مع التفويض في الكيفية، فقد سئل مالك بن أنس رضي الله عنه كيف استوى الله على العرش، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، وذكر ذلك حسان بن ثابت في شعره، قال:

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبل

يريد يحيى بن زكريا وأباه زكريا، وسأل مطيع البلخي أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقال: قد كفر، لأن الله يقول: (الرحمن على العرش استوى)، وعرشه فوق سبع سموات، قلت: فإن قال: إنه على العرش ولكن يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر، وفي بعض الروايات [illegible] بزيادة (لأن الله في أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى لا من أسفل) ومن الكتب يتبين نقل هذا عن أبي حنيفة فهو مما ينسب إلى مذهبه الفقهي مع مخالفتهم له في بعض مسائل الاعتقاد كالمعتزلة.

من الأدلة العقلية السليمة، والفطر المستقيمة على أن الله عالٍ على خلقه وكونه فوق عباده [illegible]
بذلك نصوص الكتاب والسنة المتواترة المحكمة
فمن ذلك التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من) المعينة للفوقية تعالى بنفسه، وتارة مجردة عنها أخرى،
قال الله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال: (وهو القاهر فوق
عباده، وهو الحكيم الخبير). ومنها التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرج
الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون).
ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه، ورفعه بصعود المخلوقات إليه، قال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب،
والعمل الصالح يرفعه) وقال: (بل رفعه الله إليه). وقال: (إني متوفيك ورافعك إلي) وكذا عروج النبي محمد
مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السموات ليلة الإسراء والمعراج، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه تردد
بين موسى وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام
عدة مرات. ومنها التصريح بالعلو المطلق الدال على إثبات جميع مراتب العلو: علو الذات، والقدر، والشرف،
قال تعالى في آية الكرسي: (وهو العلي العظيم) وقال: (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو العلي الكبير) وقال: (إنه علي حكيم). ومنها التصريح في كثير من الآيات بنزول القرآن منه —
وتنزيله إلى الأرض يقتضي أنه فوق عباده، قال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) وقال:
(تنزيل من الرحمن الرحيم). وقال: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق). ومنها التصريح باختصاص
بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: (إن الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) وقال: (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون) ففرق سبحانه بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبيده
خصوصاً. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي
سبقت غضبي. ومنها التصريح بأنه تعالى في السماء، قال تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم
الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) وبيان ذلك أن «في» بمعنى
على، وتقدير المعنى: أأمنتم من على السماء، أو «في» على بابها، والسماء بمعناها: العلو، وتقدير
المعنى: أأمنتم من في العلو سبحانه) [illegible] ومنها التصريح بأنه
مستو على العرش خاصة من المخلوقات، كما ذكر ((٣)) في الأكثر وهو دالة على الترتيب، والمراد
ولا يتأتى مع ذلك تأويل استوائه على العرش بالقدرة أو الاستيلاء عليه. ومنها التصريح برفع
رفع الأيدي إلى السماء وفي الدعاء، فقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء في الاستسقاء وغيره
وثبت عنه أنه قال: (إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً) أخرجه الحاكم وغيره.

[illegible] إشارة حسية [illegible] الناس في حجة الوداع يوم عيد الأضحى [illegible] قال في خطبته [illegible] يسألون عني فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) [illegible] إلى السماء [illegible] فوقها وفوق كل شيء [illegible] سؤال الجارية [illegible] في ذلك حيث قال لها أين الله، وشهادته لها بالإيمان حينما أجابته بأنه في السماء وشهدت له بالرسالة، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة، فهذا [illegible] السؤال والإقرار والحكم بإيمان الجارية منه صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته وأفصحهم بيانا [illegible] العلي [illegible] دليل على أن الله فوق السماء، وأنه فوق كل شيء [illegible] الدالة على العلو كثيرة متنوعة [illegible] بعضها بعضا [illegible] إليها [illegible] الخلاف [illegible] التأويل لهذه النصوص [illegible] الأسماء [illegible] وإنكار سائر [illegible] وبهذا [illegible] الشرع كله [illegible]

(٦) ومع هذا فقد تأول كثير من المتأخرين [illegible] تعالى: (وهو القاهر فوق عباده) بأنه تعالى قاهر [illegible] وأنه [illegible] أفضل منه [illegible] أعمل [illegible] العقول الرشيدة [illegible] فإنه [illegible] بل هو [illegible] فإنه يشبه قول القائل [illegible] الجوهر [illegible] أو [illegible] ونحو ذلك [illegible] ولا [illegible] الفوقية [illegible] فوقية الذات وفوقية القهر والغلبة وفوقية [illegible]

(٧) [illegible] مع نصوص الكتاب والسنة [illegible] [illegible]

(٨) [illegible] خلقه إذا اقتضى [illegible] ذلك [illegible] الاجتماع على [illegible] الله [illegible] قال تعالى: (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) وقال [illegible] عليه السلام [illegible] (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)

[illegible]

[illegible] أن وجود الله [illegible] بأنه [illegible] الأول [illegible] وإذا [illegible] وجوده [illegible] الأول والآخر [illegible] وجوده [illegible] بأن [illegible]

وإذا ثبت ذلك كان سبحانه فوق عباده مستويا على عرشه، لأنه المعبود المقصود [illegible]
[illegible] بالعلو والفوقية مدح وثناء وكمال لا نقص فيه [illegible]
[illegible] بل النصوص وإجماع السلف تثبت ذلك [illegible]
وإنكار [illegible] من تحريف النصوص [illegible] الباطل الذي لا يأتي به الشريعة [illegible]
[illegible] نصوص الاستواء والعلو والفوقية [illegible]
[illegible]
[illegible] تحريف النصوص [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في الصلاة والدعاء والذكر والذبح وعند دفن الميت ونحو ذلك مما يطلب فيه استقبال القبلة، ولهذا سميت القبلة وجهة لاستقبالها بالوجه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها لكنه لم يشرع بل نهي عنه، وإنما شرع رفع اليدين، ورفع اليدين إلى السماء حين الدعاء لا يسمى استقبالا لا شرعا ولا لغة، لا حقيقة ولا مجازا. ورابعا أن الأمر باستقبال القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كالأمر باستقبال بيت المقدس في الصلاة نسخ بالأمر باستقبال الكعبة، ~~واستقبال~~ ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء والتوجه بالقلب إلى جهة العلو أمر فطري مركوز في طبائع الناس لم يتغير في جاهلية ولا إسلام، يضطر إليه الداعي عند الشدة والكرب مسلما كان أم كافرا. وخامسا أن من يستقبل الكعبة لا يقع في قلبه أن الله هنالك جهة الكعبة، بخلاف الداعي فإنه يرفع يديه إلى ربه وخالقه ويرجو أن تنزل عليه الرحمات من عنده. وأجيب عن نقضهم الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق خلقه بما ذكروه من السجود ووضع الجبهة على الأرض بأنه باطل، فإن واضع الجبهة على الأرض في السجود إنما قصده الخضوع لله، والإعلان بكمال ذل العبودية من الساجد لربه ومالك أمره، لا لأنه يعتقد أنه تحته فيهوي إليه ساجدا، فإن هذا لا يخطر للساجد ببال، بل ينزه ربه عن ذلك، ولهذا شرع له أن يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى، تعالى الله عن ظنون الملحدين الكاذبة علوا كبيرا.

ومما يجب اعتقاده أن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وأنه كلم موسى تكليما، فهي ثابتة لهما لله.

أما الخلة فهي كمال المحبة، وقد اتخذ الله نبيه محمدا خليلا كما اتخذ نبيه إبراهيم خليلا عليهما الصلاة والسلام على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وقد تخللت محبة الله قلب كل من إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فكمال المحبة ثابت من الجانبين من الله لحبيبيه ومنهما لله كل على ما يليق بمقامه وحاله، قال الله تعالى: (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وقال: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله - يعني نفسه عليه الصلاة والسلام -) فبين بهذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ من المخلوقين خليلا وأنه لا يصلح لذلك، ولو صلح ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الصحابة مثل أبي بكر ومعاذ بن جبل وأسامة بن زيد وعائشة، فتبين بهذا أن الخلة أخص من المحبة، وأنها لكمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة فيها، ولهذا لما أعطى الله إبراهيم الخليل ولده إسماعيل أمره بذبحه ليظهر تمام إبراهيم في كمال محبته لربه، فلما استسلم لأمر ربه وأخذ ينفذ ما أمره به من الذبح ظهر سلطان الخلة في الإقدام على الذبح والشروع فيه، وإيثار المحبة الكاملة لربه على محبته لولده، وتم بذلك نجاحه في الاختبار على الوجه الأكمل، ونسخ الله أمره بالذبح وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وشكر الله لإبراهيم وولده على الصبر والاستسلام لأمر الله وطاعته، ~~منقبة المتبادلة~~ والقرابين من الهدايا والضحايا وما في حكمها سنة في أتباعه ومن سار على ملته الحنيفية إلى يوم القيامة.

وأنكرت الجهمية أصل المحبة، ونفوها من الجانبين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب وحبيبه، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق توجب المحبة، وزعمهم باطل لأنه مجرد دعوى تناقضها النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات محبة الله للمؤمنين وإثبات الخلة لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

هذه المسألة الفقهية من إعداد والدنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

١: ابن القيم لا يجيز الاقتصار [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم: ص/١

التاريخ:

المرفقات:

الموضوع:

س: اختلف العلماء فيما إذا كان العيد يوم جمعة، فقال جماعة: من صلى العيد مع الإمام سقطت عنه الجمعة والظهر عليه أيضاً ذلك اليوم، واستدلوا بما رواه النسائي في سننه «المجتبى» بسنده عن وهب بن كيسان قال: اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير، فأخر الخروج حتى تعالى النهار، ثم خرج فخطب فأطال الخطبة، ثم نزل فصلى، ولم يصل للناس يومئذ الجمعة، فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: «أصاب السنة». وبما رواه أبو داود في سننه بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا، وكان ابن عباس بالطائف، فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: «أصاب السنة». وبما رواه أبو داود أيضاً عن عطاء قال: اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير رضي الله عنهما فقال: عيدان اجتمعا في يوم واحد، فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر» اهـ. فترك ابن الزبير صلاة الجمعة ذلك اليوم وهو الإمام إذ ذاك، وقول ابن عباس: «أصاب السنة»، وعدم إنكار أحد من الصحابة عليه، وعدم خروجهم ذلك اليوم بعد الزوال لصلاة الجمعة أو صلاة الظهر بالناس دليل على سقوطها وسقوط الظهر يومئذ عمن صلى العيد معه، بل دليل على سقوطها عنهم وعمن شهدهم ممن لم يصل معهم العيد ذلك اليوم، ثم إن هذه المسألة من مسائل العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف في مثل ذلك، فكان عمل ابن الزبير رضي الله عنهما في حكم المرفوع.

لكن قال أبو البركات ابن تيمية في المنتقى عقب ذكر عمل ابن الزبير: «قلت: وجه هذا أنه رأى تقدمة الجمعة قبل الزوال فقدمها واجتزأ بها عن العيد» اهـ.

ويقال أيضاً إن إسقاط صلاة الجمعة والظهر عمن صلى العيد خارج عن الأصول التي ثبتت على المكلفين خمس صلوات في كل يوم وليلة، وعن الأصول التي دلت على إقامة كل من الصلوات في جماعة، وهم لم يتركوا صلاة الجمعة أو الظهر بل صلوا وحدانا حين لم يخرج لهم ابن الزبير، وكان من المشروع لهم على مقتضى دليل لزوم الصلوات أن يصلوها أفذاذاً بعد صلاة العيد، أو أن يصلوها جماعة على مقتضى دليل مشروعية الجماعة في أمر الصلاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ____________

التاريخ ____________

المرفقات ____________

الموضوع ____________

وقال أكثر الفقهاء: لا يرخص لمن صلى العيد في ترك الجمعة ذلك اليوم ولا لغيرهم، بل يجب على من توفرت
فيه شروط وجوبها أن يصليها؛ لأن أدلة وجوبها عامة ولم تفرق بين من صلى العيد ذلك اليوم
ومن لم يصلها، والأصل بقاؤها وذلك حتى يثبت من أدلة الشرع ما يدل على خلافه

إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ....
التاريخ ....
المشفوعات ....

شروط الإجماع المختلف فيها

١ - اشترط قوم موافقة العامي لأهل الحل والعقد في انعقاد الإجماع وخالفهم في ذلك آخرون

٢ - اشترط قوم موافقة المجتهد الفاسق ببدعة أو جارحة لا إلى الحد الذي يخرجه فسقه عن الملة وخالفهم في ذلك آخرون

٣ - ~~اشترط قوم موافقة~~ الأصولي ليس بفقيه - الفقيه ليس بأصولي - كثيرة مسائل نحوية فيما يتوقف فهمه على النحو وخالفهم في كل ذلك آخرون

٤ - اشترط قوم أن يكون الإجماع إجماع الصحابة وخالفهم في ذلك أكثر الآخرين

٥ - اشترط قوم أن يكون الإجماع من جميع أهل الحل والعقد وخالفهم في ذلك جماعات من العلماء فاكتفى جماعة بإجماع الأكثر مطلقا وقال آخرون بصحة إجماع أهل المدينة وآخرون بصحة إجماع الخلفاء الراشدين وآخرون بصحة إجماع آل البيت وآخرون بإجماع أهل الكوفة وآخرون بصحة إجماع الأئمة الأربعة الخ



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ....
التاريخ ....

في صحة انعقاد إجماع [illegible] الصحابة

٦- اشترط قوم موافقة التابعي الذي بلغ رتبة الاجتهاد في عصرهم وخالف في ذلك آخرون.

٧- اشترط قوم أن يبلغ المجمعون عدد التواتر وخالف في ذلك آخرون

٨- اشترط قوم انقراض العصر في انعقاد الإجماع وخالف في ذلك آخرون

٩- اشترط قوم أن يكون الإجماع قولاً أو عملاً وخالف في ذلك آخرون بما اقتضى بعضهم بالقول من البعض إذا انتشر وسكت الآخرون أو اقتضى بعضهم بالسكوت ولو بدون انتشار

١٠- اشترط قوم أن يكون الإجماع عن مستند وخالف في ذلك آخرون

١١- اشترط بعض من قال بأن لابد أن يكون الإجماع عن سند كون السند نصاً وخالف آخرون فأجازوا أن يكون عن قياس

١٢- اشترط قوم في ثبوت الإجماع ألا يكون بخبر الواحد وأجازه آخرون



١٣- اشترط قوم في انعقاد الإجماع ألا يسبقه خلاف في عهد
مستقر بين أهل العصر أو بين علماء العصر السابق لهم
ولم يشترط آخرون ذلك في كل من الحالين

١٤- اشترط قوم في حجية الإجماع أن يكون في شئون
الدين أو شرعهم وخالف في ذلك آخرون وقالوا حجيته
في شئون الدين والدنيا ~~هذا الأخير من أحكام الإجماع الأصولية~~

هذا الأخير من أحكام الإجماع المختلف فيها لا من شروط
انعقاده مثل تكفير جاحده وكونه قطعياً أو ظنياً

يطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية عبد الرزاق ٨

الرقم : ....

— دار الإفتاء — التاريخ : ....

والإشراف على الشئون الدينية المرفقات: ....

بحث المعاملات المصرفية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وبعد: فالمعاملات المصرفية أنواع كثيرة متشعبة الجوانب، وبعضها واضح قريب المأخذ لا يحتاج الكثير من تأمل، أو بذل مزيد من الجهد، وآخر منها يشوبه الغموض ويداخله الاشتباه، فيحتاج إلى دقة في بحثه وبذل الجهد في تمييزه وتشخيصه وتخليصه مما شابه، وإلى بعد نظر في عرضه على القواعد الشرعية والأدلة الكلية وتطبيقها عليه، وهذا يحتاج إلى سعة في الوقت، وتوفر أسباب البحث من كتب ومراجع ومساعدين، لذلك رأت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن تقتصر في المراد هنا بيانه من المعاملات المصرفية على الأصول الرئيسية لهذه الأنواع والمعاملات المهمة التي كثر تداولها وانتشر التعامل بها، والتي إذا عرفت، وعرف حكمها في الشريعة الإسلامية عرف حكم ما تشعب منها من فروعها الجانبية، وفيما يلي عرض للأنواع التي اختارتها اللجنة، وما مهدت به لذلك وبيان المنهج الذي سلكته:

تعريف الربا، بيان نوعيه - حكمة علته في الأوراق النقدية - الأوراق التجارية «الكمبيالة - السند الإذني - الشيك» الحوالة - الأوراق المالية «الأسهم والسندات» فتح الاعتماد - الضمان البنكي وخاتمة في رد شبه في الربا.

وقد سلكت اللجنة في المراد هنا بيانه المنهج الآتي:

تصوير المعاملة المصرفية - بيان ما يعرض منها - الحكم عليها مع الدليل - بيان البديل عند الحاجة إن كانت محرمة شرعا.

ولم تدع اللجنة لنفسها الاستقصاء، ولكنها بذلت وسعها وجهود إمكانياتها في تحقيق ما تراه كافيا في فهم ما وراء ذلك من الفروع ومعرفة حكمه، ومن الله نستمد الهداية والرشاد، ونسأله التوفيق والعصمة من الزلل، وقصد السبيل إلى الحق والصواب.

السري بن يحيى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مكتب نائب الرئيس

الرقم ....

التاريخ ....

المرفقات ....

الموضوع ....

١- السري بن يحيى بن اياس ابو الهيثم الشيباني ثقة وذكره الازدي في الضعفاء فقال: حديثه منكر، ورد ابن عبد البر: هو اوثق من الازدي بمائة مرة، مات سنة ١٦٧ تهذيب التهذيب.

٢- شعيب بن ابراهيم الكوفي، راوية كتب سيف عنه فيه جهالة، ذكره ابن عدي وقال: ليس بالمعروف وله احاديث واخبار وفيه بعض النكرة، وفيها ما فيه تحامل على السلف. لسان الميزان للذهبي

٣- سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة والفتوح، قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال ابو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال ابو داود: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: بعض احاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الاثبات، قال: وقالوا: انه كان يضع الحديث، وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط، مات زمن الرشيد. تهذيب التهذيب.

سئل [illegible] لم لم يكتب [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم، قال: نعم، فقيل له: قبل سورة التوبة ام بعدها، قال: لا ادري. اهـ

قال ابن حجر في الفتح [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] [illegible] المشهور [illegible] الرأي الثالث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالسنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والسنة المشهورة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] سورة التوبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

من إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
الكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ....
التاريخ ....
المشفوعات ....

١- عصمة دم المسلم مع بيان الأسباب الطارئة التي يحل بها دمه والدليل على ذلك،

وجوب طاعة ولاة الأمور إلا إذا أمروا بمعصية مع الدليل، تحريم الخروج على
والترغيب في الدعاء لهم والتحذير من الدعاء عليهم، وجوب اتباع السنة
والتحذير من الشذوذ والفرقة مع الأدلة، وجوب حب أهل العدل والأمانة وبغض
ذوي الخيانة مع الدليل، الفرق بين حب الله والحب لله والحب مع الله مع بيان حكم كل
بيان المراد بالمتشابه، بيان ما يجب على المؤمن فيما اشتبه عليه، حكم الجدال في الدين
حكم السؤال الذي فيه تعنت مع الدليل، الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين
لحين قيام الساعة، الرد على الرافضة ~~والمعتزلة~~ في قولهم إنه لا جهاد حتى يخرج الإمام
معصوماً، رأيهم في الجهاد مع الإمام المعصوم والجهاد مع الرد عليهم، المراد بالكرام
الكاتبين ووجوب الإيمان بهم مع الأدلة، المراد بالحفظة، وجوب الإيمان بهم مع الأدلة
المراد بملائكة الموت، وجوب الإيمان بهم مع الأدلة، بيان عدم التعارض
بين النصوص الواردة في ملائكة الموت، وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
مع الأدلة، وجوب الإيمان بسؤال القبر، بيان المسؤول عنه، أسماء
الملكين الموكلين بالسؤال، بيان أن عذاب القبر ونعيمه للروح والبدن، الفرق
بين الدور الثلاثة: الفرق بين دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار مع بيان أحكام
كل، الحكمة في إخفاء سؤال القبر ونعيمه وعذابه، الأقوال في سؤال
القبر هل هو عام لكل الأمم أو هو خاص بهذه الأمة، تفاوت أحوال الأرواح
بعد الموت بحسب درجاتها.

ينظر ص ٢٥٩ من ج ٨ من فتح الباري
و ٢٨٢ من ج ٢ من مجموع الفتاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آية ادع إلى سبيل ربك
فتوى ٤١ - ٥٠ من ج ٢ من مجموع الفتاوى

الموضوع: طرق قصة الغرانيق وما قيل من علل على ثبوت القصة

طريق سعيد بن جبير، الصحيح منها المرسل، وكل ما عداها من الطرق ~~الموصولة~~ المرفوعة فضعيف جداً، ومعلوم أن الأكثرين لا يحتجون بالمرسل، أما من لا يحتج بالمرسل وهو يرى ثبوت القصة فلعله يقول إن ورود هذه الطرق يقوي بعضها بعضاً فتنهض حجة على إثبات القصة X1

- طريق ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو مرسل أيضاً قال ابن حجر فيه للقصة الأصلي الوجه الثالث المتقدم
- موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب معضلة قاله ابن حجر فيرجع إلى ما تقدم
- طريق أبي العالية وهو مرسل
- محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، وفي سندها أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف
٦- محمد بن كعب القرظي وحده، وفي سندها محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه عن يزيد بن زياد المدني
٧- طريق قتادة بن دعامة وهو مرسل، ومن طريق معمر عن الزهري
٨- أبي صالح وروي من طريق موصولاً عن ابن عباس من طريق محمد بن السائب الكلبي وهو كذاب
٩- طريق الضحاك بن مزاحم وهو مرسل وإسنادها ضعيف
١٠- طريق محمد بن فضالة الظفري والمطلب بن عبد الله بن حنطب أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٣٧ ج ١ وهي مرسلة ومن طريق محمد بن عمر الواقدي وفي إسنادها ابن أبي كثير يزيد الأسلمي
١١- عن ابن عباس عند ابن مردويه من طريق الكلبي ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة عنه ومن طريق سليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم وكلها ضعيفة

قال ابن حجر: فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، قال: وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض»

ابن العربي: إذا أرسل الله الملك إلى رسوله خلق له العلم بأنه من عنده جاء إليه هو الملك. الإجماع على عصمة الرسول من الشرك، يستحيل أن يكون الرسول أرسل قوماً على ربه. يستحيل أن يلتبس على الرسول الشيطان بالملك، وإن كان والمفسرون ... تفيد النفي. الآية لا تدل على صحة القصة، بل تدل على براءة النبي مما نسب إليه منها.
قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة»

بسم الله الرحمن الرحيم

34ع 5/65

المملكة العربية السعودية
— دار الإفتاء —
والإشراف على الشئون الدينية

الرقم :
التاريخ : ... .
المرفقات : . .

س ٧- ما الحكم في تربية الحمام والأرانب في مكة المكرمة وذبحها فيها، وهل يجوز أكلها؟

ج ٧- الأصل في الطيور وسائر الحيوانات أنها مباح ذبحها وأكلها إلا ما نص الشرع على تحريمه من كل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير، قال الله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا» وقال تعالى: «قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به» وقال تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب» وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم، يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ...» الآيات إلى قوله تعالى: «وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما» وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير. رواه مسلم، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام» وقال ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وألبانها. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ولم يرد نص في الشريعة بتحريم شيء من الأرانب والحمام اقتناء وتربية وذبحا وأكلا، فيبقى على أصل الإباحة إلا ما كان منها غير مستأنس وصاده محرم بحج أو عمرة أو صيد بالحرم فهو محرم لقوله تعالى: «لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم» وقوله: «وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما» ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا البلد حرمه الله ... فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ...» الحديث، رواه البخاري، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها ولا يصاد صيدها» رواه مسلم. ويدل على هذا أكل ما صاده غير المحرم في الحل ثم دخل به الحرم أو أخذه غير محرم ثم أراد ذبحه أو إرساله فلا [illegible] ولا بالحرم ملكه وذبحه وأكله، ومن أحرم وبيده صيد أو في منزله أو في قفص ملكه [illegible] لأنها كانت [illegible] ذبحه، وإنما يحرم على المحرم ومن في الحرم ابتداء التصيد للصيد فقط، فإن فعل ذلك [illegible] ذبيحته، وقال هشام بن عروة: كان أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير [illegible] وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ________
التاريخ ________
المرفقات ________
الموضوع ________

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن نبينا وإمامنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وهدى للمتقين، ففتح به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لعلهم يتفكرون، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وحافظوا على شريعته الغراء، وعلى سنته المطهرة بصدق، ونشروها من بعدهم وبعدهم من التابعين إلى أن وصلت إلينا غضة طرية، ورضي الله عنهم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

وبعد فقد كتب فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد تعليقاً موجزاً مفيداً بعبارات واضحة على القصيدة النونية في التوحيد المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ناصر السنة وقامع البدعة - وقوته وطول باعه في شتى العلوم، وفصاحة لسانه وبيانه نثراً ونظماً غني عن الحديث عنه. وقد سمى فضيلته التعليق بالمقاصد العلية -
بين في تعليقاته معاني المفردات، والمراد من الأبيات بعبارات واضحة وفقه على طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، وذكر شواهد الأحكام من الآيات والأحاديث التي أشار إليها الإمام ابن القيم في قصيدته، مع بيان رقم الآية وسورتها، ونسبة الأحاديث إلى دواوينها من كتب السنة، فجزاه الله خيراً، ونفع المسلمين بما كتبه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

٢٠٠٦٦ ......

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ______
التاريخ ______
المرفقات ______

الموضوع ______

أخي المحترم فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد   سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأبعث إليك رسالة قصيرة مختصرة بها عدة تعليقات على القصيدة العونية، والحالة الصحية والتفسير التي لم أستطع أن أتوسع في الكتابة [illegible] إليك. فإن كانت كافية فالحمد لله، وإلا فأرجو أن توجهه لمن يتوسع في كتابة مقدمة كما كتبت. والله المستعان. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

عبد الرزاق عفيفي

براءة بمنح شهادة التخصص في فقه المالكية والأصول

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية النوبي المالكي من شنشور

بمركز أشمون بمديرية المنوفية

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر

في ١٤ رمضان ١٣٥٥ (٢٨ نوفمبر ١٩٣٦) من نجاحكم في الامتحان النهائي لقسم التخصص بالجامع الأزهر الذي أجري

سنة ١٣٥٥ واستحقاقكم لشهادة التخصص في فقه المالكية والأصول

لذلك أصدرنا براءتنا الملكية هذه من لدنا بمنحكم هذه الشهادة مع حقوقها التي تخولها إياكم

القوانين والأوامر المتبعة نفع الله بكم وبعلمكم ووفقكم لما فيه الخير

تحريراً بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين

من هجرة خاتم المرسلين .

مجلس الوصاية

بأمر مجلس الوصاية الموقر

رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة

دفتر رقم : ٢٨٦

تم تسليمها لصاحبها بشكره ١٠

عبد الرزاق عفيفي عطية

براءة بمنح شهادة العالمية

من فؤاد الأول ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة الشيخ عبد الرازق عفيفي عطية النوبي المالكي من شنشور بمركز أشمون بمديرية المنوفية

رفع إلينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في ١٤ ربيع الثاني ١٣٥١

(١٦ أغسطس ١٩٣٢) من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية الذي أجري بالجامع الأزهر في ١٣٥٠

لذلك أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم شهادة العالمية مع حقوقها التي تخولها لكم القوانين

والأحكام المتبعة ، نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير

تحريرا بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة ألف وثلاثمائة واثنين وخمسين

من هجرة سيد المرسلين .

سجل برقم ٢٧٥٦

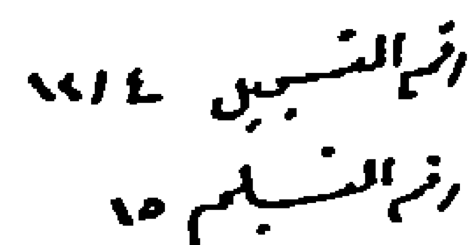
صدر بأمر مولاي الملك المعظم

رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة العدل

الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية


رقم التسجيل ١٠٧٤
رقم التسلسل ١٥

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده لدي أنا سليمان بن عبد الله العمر رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة حاليا بناء على الاستدعاء الموجه إلينا بالذات إلى دار فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية الكائنة بحي [illegible] وعقدت في ذلك مجلسا شرعيا حضر فيه فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي عطية المذكور المعروف لدينا المعرفة التامة وأبدى قائلا إن من الجاري في ملكي وتحت يدي وتصرفي كامل المحدود أرضا وبناء الموصوف والموضح ذرعه وحدوده بصك التملك الصادر من كاتب عدل مكة المكرمة رقم ٩٦٦ / ٢ / ٢ اب وتاريخ ٢٥/٥/١٤٠٢هـ وأنني بطوعي واختياري دون جبر أو إكراه قد وقفت كامل المحدود المذكور المكون من طابقين على دار الحديث الخيرية بشارع أجياد بمكة المكرمة واستثني من ذلك سكنا لي ولعيالي في الطبقة الأولى من ذلك ما دمت حيا وقد جعلت النظارة على هذا الوقف لابني محمد نبيل بن عبد الرزاق ثم من بعده للأرشد فالأرشد من أولادي ثم للأولاد وأولادهم ثم لأولاد أولاد أولادي وأولادهم ونسلهم وعقبهم ما تناسلوا وتعاقبوا ثم إذا انقطع جميع الورثة منهم فإنه يؤول النظر في ذلك لمتولي دار الحديث المذكورة [illegible] هذا وقد جرى الاطلاع على الصك المشار إليه بعاليه فوجدته مطابقا لما نقل منه [illegible] لأرض المحدود المذكور بعاليه وحيث وقف فضيلته المحدود المذكور بطوعه واختياره حال كونه مالك المحدود أرضا وبناء فقد أجزت الوقفية المذكورة وأمضيتها وأوجبت العمل بمقتضاها وأمرت بالتهميش على صك الملك بذلك. حرر في اليوم السادس عشر من شهر صفر عام ألف وأربعمائة وإحدى عشر هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد :

فقد وقفت أنا عبد الرزاق بن عفيفي ابن عطية بيتي بحي النسهان التابع لمكة المكرمة المبني من طبقتين على دار الحديث الخيرية بشارع جياد بمكة المكرمة واستثنى من ذلك سكناي ومعي أسرتي في الطبقة الاولى منه مادمت حيا .

ارجو ثوابه من الله تعالى لي ولوالدي ولزوجتي ولأولادي الذكور والاناث الاحياء منهم والاموات ، وقفت على ذلك بشهادة الشهود ، والله خير الشاهدين ، اسأله سبحانه أن يتقبل ذلك مني وينفع به طلبة العلم انه سميع مجيب .. تحريرا في ٦ من شهر محرم ١٤١١هـ

شاهد: [illegible] ٨/١/١٤١١ | شاهد: [illegible] | توقيع الموقف: [illegible]

الحمد لله وحده وبعد: ٨/١/١٤١١

الوقف المذكور صحيح موافق للقواعد الشرعية وقد اعترف به عندي الموقف الشيخ عبد الرزاق المذكور حال كونه صحيح العقل والبدن تقبل الله منه ومنا صالح مثوبته قاله وأملاه الفقير إلى عفو ربه عبد العزيز بن عبد الله بن باز عفا الله عنه

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

حرر في ٨/١/١٤١١هـ

صورة لفضيلة مدير دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة للإحاطة والتنفيذ بما يقتضيه الوقف

من أرشيف الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم ...
التاريخ ...
المرفقات

الموضوع :

من عبد الرزاق بن عفيفي إلى الأخ الكريم الأستاذ محمد صفوت نور الدين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأبارك لك في هذا المنصب تولي جماعة أنصار
السنة المحمدية وأرجو الله أن يوفقك للقيام بواجبه وأداء رسالته [illegible]
[illegible] الصحيح بالتزام الكتاب والسنة [illegible] المحمدية تحقيقًا لمعنى الجماعة
والله يسدد خطاك ويؤيدك بفضله وتوفيقه إنه سميع مجيب الدعاء
أسأل الله أن ينفع بك الجماعة وينفعك بها [illegible]
وأبلغ سلامي لجميع الإخوان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه [illegible] أخوك في الله
عبد الرزاق بن عفيفي

انتخاب الرئيس العام

بتوفيق من الله تعالى وحسن رعاية منه لدعوة التوحيد ، تم اختيار فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيسًا عامًا لجماعات أنصار السنة المحمدية ، وذلك في الجمعية العمومية التي

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية ٣٩٥٥٧٦
المركز العام ٣٩٥٤٥٦ - فاكس : ٣٩١٥٥٧٦

إلى الوالد الفاضل الجليل والشيخ الكريم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي

السلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته أمابعد :

أكتب لكم هذه الرسالة وأنا آمل من المولى القدير جلّ شأنه أن تصلكم وأنتم في خير وعافية في الدين والدنيا والآخرة. ولقد جئت إلى العمرة في رمضان ثم إلى الحج علي أمل اللقاء بكم طلباً للنصيحة وبياناً لحال الجماعة في مصر بعد أن أبتليتُ بما لا يخفى عليكم من أمر الجماعة وسيرتها، وقد أحضرت معي أول عدد من مجلة الجماعة والذي شرف بمقالين منكم، ثم آخر عدد والذي شرف بأن نقلنا مقالاً من مقدمة أحد الكتب وكانت بقلم فضيلتكم، آملاً قبولها من ابنكم الذي وقع في هذا لاختبار برئاسة الجماعة ولست لها بأهل، لذا فإنني أكتب إليكم مستنصحاً لي ولإخواني في الجماعة بالقاهرة والأسكندرية وسائر الفروع التي قاربت علي المئة فرع، منها سبعين فرعاً مسجلاً والباقي تحت التسجيل.

لا أريد الإطالة وإن كنت أود مقابلتكم، والله أسأل أن يوفقنا للقاء وأن يؤيد خطاكم ونحن في انتظار نصيحتكم الغالية.

وقد أرسلت هذه الرسالة بيد الأخ الشيخ الهبيدان .

والسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبه فقير عفو ربه ورضوانه

محمد صفوت نور الدين أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة ادارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المرفقات : ....

فتوى رقم (١٦٨٧٣) وتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٤١٥هـ.

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده .. وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ماورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي/سيف الدين جعفر أحمد الجلاد . والمحال إلى اللجنة من الامانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم(٤٢٠٦) وتاريخ ١٦/٩/١٤١٤هـ. وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه : (سماحة الشيخ يدور عندنا في السودان وبين الجماعة السلفية نفسها جدل ولغط حول بعض النقاط فالرجاء من سماحتكم توضيحها لنا زادنا الله وإياكم علماً وفقهاً في دينه .

جماعة أنصار السنة المحمدية جماعة معروفة لديكم خرج بعض الإخوة عن خط الجماعة وصاروا يهاجمونها ويصفونها بأنها (جماعة من بني جلدتكم يتكلمون بألسنتكم من أجابهم قذفوه في النار) هكذا وصف هؤلاء الإخوة هدانا الله وإياهم طريقه المستقيم هذه الجماعة بهذه الصفة اعتماداً على حديث حذيفة بن اليمان (حديث الفتنة) وأسباب ابتعادهم تتلخص في الآتي :

تسمية الجماعة السلفية في السودان بأنصار السنة المحمدية يعتبرونه بدعة . جماعة أنصار السنة حزب كغيرها من الأحزاب والجماعات الضالة .

سماحة الشيخ هذا الموضوع أحدث انشقاق في صفوف الدعوة السلفية قد عاق ويعوق مسيرة الدعوة الى التوحيد في بلد عامة مواطنيه جعلوا الصوفية منهجاً لهم . بل جعلت من ينتمي إلى هذه الجماعة من الشباب يقف موقف المحتار لا يدري مع من الحق ؟ بل صار التساؤل اذا لم تستطع الدعوة السلفية في السودان تجميع أفرادها القليلين وأنشقت على نفسها فكيف ستجمع المسلمين في أنحاء العالم ؟ مع اليقين التام إن شاء الله بأن الله سيظهر الحق ويدمر الباطل وأعداء الدين .).

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأن جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ثم السودان جماعة اسلامية سنية سلفية ، تدعوا إلى الله على منهاج النبوة في التوحيد ، والتعبد والسلوك ، وتعقد الولاء والبراء على الكتاب والسنة ، هذا ماهو معروف عنها - ولله الحمد -

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

تابع الفتوى رقم (١٦٨٧٢) وتاريخ ٢٩/ ٢/ ١٤١٥هـ .

فهي تمثل جماعة المسلمين الحقة في وسط هذه المجتمعات التى تعج بأنواع الفرق والنحل ، وقد نفع الله بهم خلقاً كثيراً من العلماء وطلبة العلم ، وعامة الناس ، وهذا الإسم « جماعة أنصار السنة المحمدية » إنما صار لتتميز به أمام الجماعات والفرق التى داخلتها البدع والأهواء المضلة . وعقد الولاء والبراء ليس على هذا الإسم وإنما هو على الكتاب والسنة والحب في الله والبغض في الله .

ولهذا فلا يجوز تفرقهم ، ولا تفريق كلمتهم ، ومن سعى في هذا أو رماهم بالتحزب المقيت فقد اعتدى عليهم ، وظلم نفسه ، وهذا من الفتون في صدع الصف وتفريق جماعة المسلمين التى تترسم هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - ونوصيكم وأنفسنا بتقوى الله في السر والعلن ، وعدم الإلتفات إلى من يريد تفريق الكلمة ، والحرص على التزود من العلم النافع ونشره بين الناس وبخاصة توحيد الله سبحانه وتعالى في عبادته وفي أسمائه وصفاته ، والتحذير من الشرك والطرق المضلة . ثبتنا الله وإياكم على الإسلام . وبالله التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . . . .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

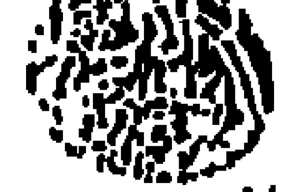
الرئيس



عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

عضو — بكر بن عبدالله أبوزيد

عضو — عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ



عضو — صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم : ٢٢٨٥/١١/خ
التاريخ : ٢٧/٥/١٤٠٢هـ
المرفقات :

الموضوع

الى من يهمه الامر وفقهم الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

من خصوص مجلة التوحيد التى تصدرها جماعة انصار السنه المحمدية فى جمهورية مصر العربيه - هي مجلة اسلاميه تنشر العقيدة الصحيحة وتدعو الى الاخلاق الفاضله وتحذر من البدع وسائر الأمور المخالفه للشرع المطهر فهي جديرة بالدعم والمساعدة والاشتراك فيها حتى تستمر فى جهادها المبارك فى نشر الحق والفضيلة . . ونسأل الله ان يوفق الجميع لما يرضيه انه جواد كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . .

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد



عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد نصيف

جدة — الحجاز — السعودية

من جدة في ١٧ صفر ١٣٩١ إلى الرياض

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرزاق عفيفي السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلني كتابكم وبعد كتاب
الوشيعة نشكركم جزيلا. بلغني من الأستاذ الشيخ علي
الطنطاوي أن الأستاذ أحمد أمين كتب في كتابه
ضحى الإسلام كلاما وثوبا على الرافضة سبق
الشرطي ضمن الرد الجديد عليهم، وإني أجرد
الآن المكتبة ولعلي أجد شيئا من مؤلفاته
فإذا وجد كتابه المذكور أرسله لكم والأستاذ
يوجد في الرياض سلامي على المشايخ والأولاد
ودمتم لمحبكم [illegible] عليكم [illegible]

قد وصفت لكم الأستاذ موسى جار الله
أخلاق عجيبة. م ن

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم ١٣٩٧
التاريخ ٢٠ من جمادى الأولى
المرفقات .....

أخي الكريم الأستاذ محمد زهير الشاويش رعاه الله وحفظه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجو أن تكونوا والأسرة
والأصدقاء بخير وعافية في دينكم ودنياكم.

أخي الكريم: حالنا تسركم، ويسوؤنا أن نذكر لكم ليتم سرورنا بكم،
وتطمئن قلوبنا بطمأنينتكم، ييسر الله الأمر الجميع، وكتب لنا ولكم حسن العاقبة
بناء على ما أبداه الأخ الفاضل الأستاذ محمد الصباغ من رغبتكم
كلمت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في ذلك فتقدم بشأنكم للداخلية
ليطلب تحقيق الرغبة، وسأذكره اليوم من أجل التعقيب على المطلوب،
وأرجو الله أن يحقق لنا ولكم ما فيه الخير والعافية في الدنيا والآخرة.
تقبل سلامي وسلام أولادي وفضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز
والشيخ صالح، وأبلغ السلام أولادك والأخ الشيخ ناصر ومن
يسأل عني. وإلى اللقاء في خير حال إن شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوك في الله
عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ محمد نصيف من اهالي جدة الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلتني
الكتب شكر الله وأدام النفع بك وأجزل لك الأجر على [illegible]
وقد أبلغني الشيخ طه [illegible] بسلامة سماحتك وأنك
[illegible] أنه يأخذ [illegible] من [illegible] المملكة السعودية جزاك
الله خيرا وأتمم له مطلوبه
[illegible] أولاد [illegible] وهم يطلبونه [illegible]
و[illegible] المشايخ ويبلغوا السلام أبنائكم أحمد
[illegible] مياه [illegible] [illegible] الكريمة
[illegible] الكتب [illegible] ولفضيلة [illegible]
والأصدقاء [illegible] عليكم [illegible]

محبكم في الله

عبد [illegible]

٩ / [illegible] / ١٣٨٥ هـ

أجيب ٥ شوال ١٣٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة

للكليات والمعاهد العلمية

المعهد العالي للقضاء

الرقم

التاريخ ١٥/٩/١٣٨٧هـ

المشفوعات

أخي الكريم الأستاذ محمد زهير الشاويش رعاه الله وأهله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكل عام وأنت والأهل ومن لديك من المحبين بخير وعافية في دينكم ودنياكم، وفقني الله وإياكم لصيام هذا الشهر المبارك وقيامه وتقبل منا ومنكم وجمعنا في الدنيا على طاعته وفي الآخرة بدار كرامته

أخي الكريم أبلغني صديقكم الأخ الشيخ عبد الله العجلان وأعطاني الهدية الكريمة شكر الله لك الجميل المتتابع ووفقني لشكره فإن أياديك قد كثرت لدي جزاك الله خيرا

أثنى علينا الشيخ عبد الله العجلان بما أنت أهله من الحمد وذكر لي الكثير من مآثركم المباركة التي هي عنوان الصدق في الأخوة والإخلاص زادكم الله فضلا

كنت مع الأخ الأستاذ محمد الصباغ يوم الجمعة ١٤ من رمضان فأخبرني بأنك مسافر فنرجو لك من الله شفاء عاجلا وصحة دائمة ونرجو أن تحضر في موسم الحج لنسعد بلقائك

تقبل سلامي وسلام أولادي وهم يقبلون يديك وبلغ السلام أولادك الكرام والأستاذ عصام والأصدقاء، وتقبل سلام الأستاذ أبو الطيب والأستاذ [illegible] وعموم المحبين والسلام عليكم

أخوك عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٦ من رمضان سنة ١٣٩١ [illegible]
المشفوعات

رعاك الله وأهلك

أخي الكريم الأستاذ زهير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأهنيك بشهر رمضان المبارك وأرجو الله أن يوفقنا وإياكم لصالح العمل ويتقبل منا ومنكم ويجعله [illegible]

سرني ما ذكرت في كتابك من العزم على طبع كتاب شرح السنة للإمام البغوي وكتاب [illegible] وشرح [illegible] [illegible] [illegible] سرني ما ذكرت من إشراف الأخ الكريم [illegible] على طبع [illegible] وتعليق الشيخ المحترم ناصر الألباني على [illegible] وتخريجه للأحاديث [illegible] وفقكم الله جميعاً لما فيه رضاه ونفع بكم المسلمين

[illegible]

أخوك في الله عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم زهير الخالد - المدينة -

المملكة العربية السعودية
الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

الموظفيـــن

- - - -

من عبد العزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة الاخ المكرم فضيلــة الشيخ عبد الرزاق عفيفي وفقه الله
ســـــلا م عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ../

تسلمت خطابكم الكريم وصلكم الله بهداه . وبخصوص شفاعتكم للاستاذ زهير خالد . نقدر هذه الوساطه وإذا سنحت فرصة العمل للمذكور في الجامعة نخبركم ان شاء الله تعالى ونسأل الله للجميـــع حســـن التوفيـــق وســـلامي لكل عزيز . حفظكم الله .

ح/

نائب رئيس الجامعة الاسلاميه





المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٢٢/٩/١٣٨٩هـ
المشفوعات

أخي الكريم الأستاذ زهير الشاويش رعاه الله وأهله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكل عام وأنتم في الأسرة والأصدقاء بخير وعافية في دينكم ودنياكم أسأل الله أن يتابع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يعيد على الجميع المواسم الإسلامية بالخير والسعادة ويوفقنا لصالح العمل ويتقبل منا ومنكم

تقبلوا سلامي الأخوي أنا والوالدين وأبنائهم ويبلغون السلام والتهنئة أولادك الأعزاء وإخوانك المخلصين وسلامي الحار إلى العائلة والسلام عليكم

مرسل لحضرتكم نسخة من كتاب الإحكام للآمدي أرجو قبولها وبعد تصحيح ما فيها من أخطاء مطبعية أرسل لكم بيانا بذلك إن شاء الله وشكرا لكم

أخوك
عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرزاق بن عفيفي إلى حضرة الأديب المحترم سعد أبو معطي الروقي

السلام عليك وعلى والدك وأخوتك وأنجالك ورحمة الله وبركاته

وبعد فكل عام وأنتم بخير أعاده الله علينا وعليكم رمضان والعيد بخير وسلام
إن شاء الله أن أراك قريبا وأمتع نفسي بحديثك الشيق وجلساتك
المباركة فقد كتب إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بأن جلالة الملك أمر المعارف
بانتقالي إلى الرياض على أن أحضر في عشرة شوال ١٣٧٠ فعسى أن
يكتب الله لنا اللقاء وأن يكون سفري إلى نجد بصحبتك

لعلك قضيت أيام رمضان بالطائف في قربة وعبادة وصحة وعافية
فتمتعت بهوائه العليل ووفيت لرمضان بحقه وما أظنك إلا فعلت
فإن ذلك العهد بك

أولادي كلهم بخير إلا إبراهيم فعنده صداع وهم يسلمون عليك
ويقدمون لك التهاني

أما الشيخ عبد الله وعلي فقد سألا عنك وهما ينتظرانك [illegible]
مقدما وهما بخير والإخوان الآخرين كذلك بالخير وقد أرسلت الخطاب
إليهما وسأكون معهما قريبا لعمل إجراءات السفر للرياض إن شاء الله
أرجو أن تسمح بتبليغ سلامي والدك وأخوالك وأسأل الله لك من الأجر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٣٧٠ شهر شوال

خمسة عشر
عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأديب الشاعر النبيل سعد أبي مصطفى رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد اهتديت
إلى شعرك وتمثل لي خير ذوقك وراقني منه رصانة أسلوبك
وحسن بيانك وزادني ذلك شوقاً إلى لقائك والجلوس
إليك ولعل خيالك الشعري الهائل أنأى عن معهد بريدة
ليذهب عنك ما بك من الحيرة والتردد في مغزى الذي
انتهيت إليه ولتشرح صدري بكثرة الكتابة إلي دون أن
تحاسبني على التقصير في حقك فقد بلغ غاية [illegible]
معها الحساب. بلغ سلامي أخاك العزيز وأنجالك وعموم إخوانك
أراني الله وجوهكم على خير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرزاق عفيفي

٢/٦/١٣٧٢

وصلتني رسالتك الميمونة بعد أن كتبت إليك تلك الكلمة
وقبل إرسالها
أرجو أنه [illegible] وتطيب نفساً بما أصغي بريدة وحسن معاشرة
أهلها لي وإقبال طلبة المعهد على دروسهم برغم [illegible]
أو لأنهم لم يحضروا [illegible] الظروف ترجع إلى إدارة الأزهر أولاً
[illegible] ثانياً [illegible] ذلك [illegible] استقالتي [illegible]
قبل مغادرتي مصر بيوم ١٦/٢/١٣٧٢ بلغ تحيتي الشيخ علي جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله عليه دينه ودنياه وصحته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد..

فأرجو أن تكونوا أنتم والأنجال بل والدتهم في صحة وعافية كما أرجو أن تكونوا متمتعين بهدوء البال وزوال الأكدار المنغصة..

لقد استلمت من الشيخ عبد اللطيف مبلغ ٨٩٧ صومالي ١٢,٥٠ وسلمته لمحمد ابراهيم

لكن أولاً أعزيك في صديقنا الحبيب الشيخ محمد رحمه الله فقد وافاه الأجل في شهر شوال ولم أتمكن من الكتابة إليك الشهر. أظن أنك لست في حاجة إلى أن أنه علينا الشخص بالبينة لعلمي أنك بلغت الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأنه أخبرك ماذا فعل الله بأحمد عاصم لعله نجح ولعله جد ومجتهد في دروسه.

هذا وأرجو إبلاغ سلامي أنا وعلي إلى جميع الأهل والإخوان وخصوصا الشيخ محمد عبد الله والشيخ عفيفي عبد الرحمن حسن وأولاده والشيخ محمد بن ابراهيم وجميع الإخوان والمشايخ الذين يسألون عنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كما أننا نهنئكم بعيد الأضحى المبارك أعاده الله علينا وعليكم بالخير والسعادة

١٠ ذي الحجة ١٣٧٤

عبد الرحمن علي بن يابس

٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

المعهد العلمي بالرياض

الرقم . . ________

التاريخ . ١٧/ ٦/ ١٢٧١

المشفوعات ________

حضرة الأديب المحترم الشيخ سعد ابن معيض رعاه الله بعينه رعايته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد رأيت والدك فرأيته

شيخاً من كرام الخلق وسماحة النفس وسلامة الفطرة وتوقد الفطنة

ما شهدته جهد من فيك يوم رأيتك لأول مرة بالطائف

فتجلت من قسمات وجهك بشائر الخير ولاحت في جبينك بوادر

المعروف وبذلك كتب الله لي التعرف بكم صحبته الدراسة والتوجيه

الجليس اللبيب بالطائف ومكة ثم بالرياض وتلك نعمة أرجو أن يتم الله

علينا وأن يتيح لي ولكم فرصة اللقاء والوئام ويكتب لنا الحب والوداد

لوجهه الكريم ١٥٠ ريال المرسلة الحبيب والدك المحترم الشيخ عبد الله

الشيخ عبد الله بن ... والدك ... محمد عبد الكريم ... وكذا الشيخ محمد عبد الرحيم والشيخ ...

والحبيب بخير وهم يقرؤونكم السلام

والسلام عليك وعلى أخيك وإخوانك ورحمة الله

محبك عبد الله ...

نفسي تحدثني باللقاء آخر شعبان ١٢٧١ ببيت الله الحرام حفظه الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام

ت : ٣٩١٥٥٧٦
٣٩١٥٤٥٦
فاكس : ٣٩١٥٥٧٦

مكتب الرئيس

الموافق : / / ١٤
التاريخ : / / ١٩

الى الوالد الفاضل الجليل والشيخ الكريم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

أكتب لكم هذه الرسالة وأنا آمل من المولى القدير جل شأنه أن تصلكم وأنتم في خير وعافية في الدين والدنيا والآخرة . ولقد جئت إلى العمرة في رمضان ثم الحج على أمل اللقاء بكم طلبا للنصيحة وبيانا لحال الجماعة في مصر بعد أن ابتليت بالإيعاز سائلكم عن أمر الجماعة وسيرتها وقد أحضرت معي أول عدد من مجلة الجماعة والذي تشرفت بمقابلتكم ثم آخر عدد والذي تشرف بأن نقلنا مقالا من مقدمة أحد الكتب وكانت بقلم فضيلتكم آملا قبول اعتذاره إليكم الذي وقع في هذا الاختيار بريئا من الجماعة ولست لا تأمل لنا فإنني أكتب إليكم مستنصحا لي ولإخواني في الجماعة بالقاهرة والإسكندرية ومساجد الفروع التي كانت على المئة فرع منذ سبعين منها سجلا والباقي تحت التسجيل .

لا أريد الإطالة وإن كنت أود مقابلتكم والله أسأل أن يوفقنا للقاء وأن يؤيد خطاكم ونحن في انتظار نصيحتكم الغالية .

وقد أرسلت هذه الرسالة بيد الأخ الشيخ صالح الهبيدان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه فقير عفو ربه ورضوانه محمد صفوت نور الدين

محمد صفوت نور الدين
رئيس عام جماعة أنصار السنة المحمدية

٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ...
التاريخ ...
المرفقات ...

الموضوع ..

صاحب الفضيلة عميد كلية العلوم الاجتماعية بالرياض التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
وفقه اللـــه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فحامل كتابي اليك ماهر امين محمد عبدالمجيد شاهين مصر الجنسية قد تقـــــدم باوراقه الرسمية للالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض فارجو قبوله ، عسى ان ينفعه اللـــه بدراسته فيها ، وينفع به المسلمين . جزاك الله خيرا وجعل منك عونا على فعل المعروف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اخوك في الله

عبد الرزاق عفيفـــــي
نائب رئيـــس
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتــــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم :

التاريخ :

المرفقات :

الموضوع : وصية

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد فأوصيكم أولادي وأقربائي وإخواني بتقوى الله وطاعته، والوقوف عند حدوده وشريعته وأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن يتمسكوا بما صح عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم والشذوذ، فإن من شذ شذ في النار، وإياكم ومخالطة الأشرار، فإنها عار وشنار، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا في الله متحابين، يكتب الله لكم العزة والقوة، ويمددكم برحمة منه وفضل، وصلوا الأرحام واجتنبوا القطيعة، فإن من وصل الرحم وصله الله ومن قطعها قطعه الله، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأكرموا الضيف وارحموا الضعيف وافعلوا الخير لعلكم ترحمون.

أهلي أولادي إذا أنا مت فإياكم والنياحة والندب والصياح ولطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية فإنها مسخطة للرب منفرة للعبد.

أولادي إذا أنا مت فليغسلني رجل من إخواني أهل الخير، وليصل علي أهل التقوى والصلاح وليعجل بدفني في الدولة التي أموت فيها، ومن أحبني فليخلص لي الدعاء بالمغفرة ورحمة الله ورضوانه؛ وإن أحب أحد أن يتصدق عني بشيء من ماله فليفعل عسى الله أن ينفعني بذلك وينفعه به.

أولادي: ليرحم كبيركم صغيركم، وليوقر صغيركم كبيركم، والحذر الحذر من الأثرة والتكالب على الدنيا، فإن متاعها قليل، ومصيرها إلى الفناء، والآخرة هي دار القرار.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم. حرره عبد الرزاق عفيفي

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- ابن باز، الداعية الإنسان، مؤسسة «عكاظ» للصحافة والنشر، جدة- المملكة العربية السعودية.
٣- ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين، محمد خليل هراس، ط دار الكتب العلمية- بيروت.
٤- ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفكره، محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي- القاهرة.
٥- ابن قدامة وآثاره الأصولية، عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٦- أبحاث هيئة كبار العلماء، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٧- أبو داود، حياته وسُننه، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٨- أبو العتاهية، شاعر الزهد والحكمة، محمود فرج عبد الحميد العقدة، دار العلوم للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠٥هـ.
٩- أحاديث القصاص، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.
١٠- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
١١- الإحكام في أصول الأحكام، أبي محمد علي بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي- القاهرة.

١٢- أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، عبد الغني الدقر، ط دار القلم- دمشق- الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٣- إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ط دار الريان للتراث، القاهرة.

١٤- أخلاق العلماء، أبي بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥- أدب الدنيا والدين، أبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي، ط دار الريان للتراث- القاهرة، والدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ط مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١٧- الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، محمد بن عبد الله بن سُبيل، مطابع الصفا، مكة المكرمة.

١٨- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، عبد الحميد بن باديس، ضبطه علي بن حسن عبد الحميد، دار المنار للنشر، الرياض.

١٩- الأزهر الشريف في عيده الألفي، إشراف محمد السعدي فرهود، عز الدين إسماعيل، سعد درويش، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٠- الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي، ط المطبعة المنيرية بالقاهرة.

٢١- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تصحيح أحمد محمد مرسي، ط حديث أكاديمي باكستان.

٢٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، ط مطبعة السعادة ـ مصر.

٢٣- الأفنان الندية شرح منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية، نظم حافظ بن أحمد الحكمي، تأليف زيد بن محمد بن هادي المدخلي، ط دار علماء السلف الاسكندرية، ومكتبة العلم بجدة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٢٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٥- اقتضاء العلم العمل، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

٢٦- الألباني حياته وآثاره، محمد بن إبراهيم الشيباني، جمعية إحياء التراث، الكويت، الطبعة الأولى.
٢٧- الإمام البخاري، تقي الدين الندوي المظاهري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٢٨- الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث، خليل إبراهيم قوتلاي، دار البشائر، بيروت، لبنان.
٢٩- الإمام النووي، عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٣٠- الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، ط دار المعارف القاهرة.
٣١- بحوث في الاقتصاد الإسلامي، عبدالله بن سليمان بن منيع، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٢- البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم، فؤاد سيد، علي نجيب عطوي، مهدي ناصر الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون.
٣٤- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، عبدالرحمن صالح عبدالله، ط دار الشروق.
٣٥- تذكرة الحفاظ، أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الهندية الثالثة ١٣٧٥هـ.
٣٦- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٣٨٥هـ.
٣٧- تطور الحركة الوطنية بمصر، عبدالعظيم محمد رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٣٨- تفسير الجلالين، من سورة غافر إلى سورة الناس، عبدالرزاق عفيفي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٣٩- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر.
٤٠- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة دار التراث القاهرة.

٤١- التفسير القيم للإمام بن القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار العلوم الحديثة، بيروت.
٤٢- تقريب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٣- تلبيس إبليس، جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
٤٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش، بيروت، لبنان.
٤٥- توجيهات وذكرى، صالح بن عبدالله بن حميد، مكتبة الضياء - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٦- جامع الأصول، مجد الدين أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، بيروت، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ١٣٨٩هـ.
٤٧- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة، والمكتبة السلفية بالمدينة النبوية ١٣٨٨هـ.
٤٨- الجامع الفريد، كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية، ط محمد إبراهيم النعمان، المدينة المنورة.
٤٩- الجمعة ومكانتها في الدين، أحمد بن حجر آل أبو طامي، قطر، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٥٠- جهاد الدعوة، محمد الغزالي - دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٥١- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، حسن محمد مشاط، تحقيق عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ط مكة المكرمة.
٥٢- حجية السُّنة، عبد الغني عبد الخالق، ط المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٥٣- الحركة الإسلامية في مصر، محمد مورو، ط الدار المصرية للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥٤- الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٥٦- حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط دار الراية، الرياض.
٥٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٥٨- دراسات عربية وإسلامية، إشراف أيمن فؤاد سيد، أحمد حمدي إمام، ط دار المدني ومكتبة الخانجي بالقاهرة.
٥٩- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٦٠- دور القصر في الحياة السياسية في مصر، سامي أبو النور، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٦١- رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية.
٦٢- الرد الوافر على من زعم بأن من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت.
٦٣- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن عبدالله بن حميد، ط دار الاستقامة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٦٤- الزهد، هناد بن السري، تحقيق محمد أبو الليث الخير آبادي، عُني بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، قطر.
٦٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.
٦٦- السلطان عبد الحميد الثاني، موفق بن المرجة، ط مؤسسة صقر الخليج، الكويت.
٦٧- سنن ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - مصر.

٦٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة حمص.
٦٩- سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.
٧٠- سنن الدارمي - عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، ط دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٧١- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، ط طبع استانبول
٧٢- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.
٧٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ.
٧٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧٥- شرح السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.
٧٦- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق جماعة من العلماء، وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ.
٧٧- شرح العقيدة الواسطية، أحمد بن تيمية، شرح محمد خليل هراس، مراجعة عبدالرزاق عفيفي.
٧٨- الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، أحمد بن علي علوش مدخلي، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٧٩- الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية - أحمد بن حجر آل أبو طامي، قطر.
٨٠- الصحاح، تاج اللغة والصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٨١- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد بن ناصر الدين الألباني، بترتيب زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٨٢- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٨٣- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
٨٤- صحيح مسلم بشرح النووي، ط دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٨٥- صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
٨٦- صيد الخاطر، أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن البر، ط دار القبلتين بالرياض، واليقين بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٨٧- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٨٨- عظماؤنا في التاريخ، مصطفى السباعي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
٨٩- العقد الفريد، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، شرح أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبدالسلام هارون، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٠- علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٩١- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ط دار الاعتصام بالقاهرة.
٩٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، ط دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، ط محب الدين الخطيب، دار الفكر القاهرة.
٩٤- الفَرْق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، ط دار الآفاق بيروت.
٩٥- فضل علم السلف على الخلف، زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق مروان العطية، ط دار الهجرة، بيروت ١٤٠٩هـ.

٩٦- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٩٧- كتاب الأسماء والصفات، أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق عبدالله بن محمد الحاشدي، ط مكتبة السوادي جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٩٨- كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط مطبعة سندة ـ القسطنطينية.
٩٩- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط دار الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٠٠- كتاب الزهد، وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، ط مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
١٠١- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠٢- لمحات تاريخية عن توحيد المملكة العربية السعودية، سيف الدين حسين شاهين، ط دار الأفق، الرياض ١٤١٤هـ.
١٠٣- مالك، حياته وعصره، أراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بمصر.
١٠٤- مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، دار شمس، كراتشي، باكستان.
١٠٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
١٠٦- المجموع شرح المهذب، أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، الطباعة المنيرية ـ مصر.
١٠٧- محمد ﷺ المثل الكامل، أحمد جاد المولى، تحقيق عبد الرحيم مارديني، ط مكتبة دار المحبة، دمشق ١٩٩٠م.
١٠٨- محمد نصيف حياته وآثاره، محمد بن أحمد سيد أحمد، عبده بن أحمد العلوي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٠٩- محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، ط ١٩٩٣م.
١١٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الحديث بالقاهرة.
١١١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيِّم الجوزية، اختصره محمد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.
١١٢- مدارج السالكين، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيِّم الجوزية، طبع دار الحديث القاهرة.
١١٣- مذكرات عباس حلمي الثاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١١٤- مذكرة التوحيد، عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.
١١٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، طبعة ١٩٨٧م.
١١٦- مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١١٧- معارج القبول بشرح سلّم الوصول، حافظ بن أحمد الحكمي، ضبطه وخرّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١١٨- المغنى، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن الزكي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١١٩- مفتاح دار السعادة، ابن قيِّم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٢٠- ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجيل بيروت، لبنان.
١٢١- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي، شرحه ووضع تراجمه عبدالله دراز، محمد عبدالله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢٢- نظرات في تاريخ مصر، جمال بدوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٢٣- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
١٢٤- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، تقديم عبد الرزاق عفيفي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٢٥- هذه مفاهيمنا، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط في الرياض، ١٤٠٦هـ.
١٢٦- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أنور الجندي، ط دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

المجلات والدوريات

١- جريدة البلاد السعودية.
٢- جريدة عكاظ السعودية.
٣- جريدة المدينة السعودية.
٤- جريدة المسلمون السعودية.
٥- مجلة الأزهر المصرية.
٦- مجلة التوحيد المصرية.
٧- مجلة الدعوة السعودية.
٨- المجلة العربية.
٩- مجلة المجتمع الكويتية.
١٠- مجلة الفرقان الكويتية.
١١- مجلة المنار المصرية.
١٢- مجلة الوعي الإسلامي الكويتية.
١٣- مجلة الهدى النبوي المصرية.
١٤- وثائق خطية.
١٥- مجلة السبيل الأردنية.
١٦- مجلة اللواء الأردنية.
١٧- مجلة الأمان اللبنانية.
١٨- مجلة الأصالة الأردنية.

فهرس الموضوعات

نظرات وتأملات: في كُتب ومؤلفات فضيلة الشيخ العلامة

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع